تاريخ العرب

قبل الإسلام

تاليف

الدكتور جواد علي

الجزء الأول

(القسم السياسي)

مطبعة التفيض بغداد

١٣٧٩ - ١٩٥٠


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب فى تأريخ العرب قبل الاسلام ، جمعت فيه قدر طاقتى كل ما استطعت أن أجمعه من تأريخ أهل الجاهلية ، شرعت فيه سنة ١٩٣٦ أيام دراستى للهجات العربية الجنوبية وتأريخ العرب قبل الاسلام على المستشرق « شتروتمن » فى جامعة « هامبرك » بألمانية ، وانتهيت منه على هذه الصورة فى سنة ١٩٥٠م . ولا أقصد أننى انتهيت من تأريخ الجاهلية فان هذا الموضوع فى رأيى بحر لا ساحل له ، وأنا ما برحت واقفا عند طرفه .

لقد جمعت وأنا فى مدينة هامبرك حتى سنة ١٩٣٩ كل ما أمكننى جمعه من مواد ، واقتنيت من الكتب ما اقتنيت ، وبعد أن أضفت اليها ما اشتريته من العراق ومصر وأوربة ، أخذت فى تنسيق المواد وتشذيبها ، وتهذيبها ، وتبويبها ، فعلت ذلك مرارا ، وكنت كلما تخيلت أننى انتهيت من تأليفه وظننت أن البحث قد بلغ حده ومداه ، ثم أعدت النظر فيما كتبت ، بدا لى نقصه ، وتذكرت الحكمة الشرقية القديمة « العجلة من الشيطان » ، وأدركت سر تخوف العلماء من التأليف وتحرجهم من التصنيف ، وندم الكثير منهم على اقدامهم عليه ، وتمزيق بعضهم لكتبهم أو طرحها فى النار ، بعد بلوغهم مراتب عالية فى العلم والاجتهاد ، والانسان جاهل مغرور .

وصنيعى هذا هو صنيع رجل طالب للبحث لم يصل الى المراتب المذكورة ، ولن يصل اليها ، وهذا مما سوغ تسرعى فى اخراج هذه الأوراق ، وان كنت لا أبرىء نفسى من الأغلاط التى قد تكون فيها . وهو غاية جهدى ومنتهى اجتهادى ، والمجتهد ان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر .

وبعد فالكتاب يتألف من أقسام ثلاثة ، تناولت فى القسم الأول منه الحالة السياسية للعرب قبل الاسلام وهو هذا القسم الذى أقدمه ويقع فى أجزاء . وتناولت فى

القسم الثانى الحالة الدينية ، وفى القسم الثالث الحالة الثقافية وحضارة شبه الجزيرة العربية قبل الاسـلام .

وقد أجلت سرد أسماء الكتب التى استعنت بها فى تأليف هـذا الكتاب الى آخر سلسلة أجزاء التأريخ السياسى ، وكذلك الفهارس ، مكتفيا بالاشـارة الى بعضهـا فى حواشى الكتاب لأسباب اضطرارية حملتنى على تقديم طبع المتن مع مراجعه على الفهارس وما يتعلق بها ، حتى تتيسر لدى وسائل الانفاق على الطبع فأطبع ذلك فى مجلد مستقل .

والكتاب بحث ، أردت جهـد طاقتى أن يكون تفصيليا ، وقد يعـاب على ذلك ، وعذرى فى هذا التفصيل أننى أريد تمهيد الجادة لمن يأتى بعدى فيرغب فى التأليف فـى هـذا الموضوع ، وأننى أكتب ذلك للمتتبعين والمتخصصين ، ومن حق هؤلاء المطالبـة بالمزيد .

وبعد فلا بد لى ، فى هذه المقدمة ، من تقديم شكرى الى كل من آزرنى وساعدنى وشجعنى على المضى فى هذا العمل الشاق ، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل أسـتاذى السيد محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع العلمى العراقى الذى أفخر به والذى له على فضلان : فضل التوجيه والارشاد أيام كنت تلميذه أدرس عليه ، فى جملة من كان يدرس ، الأدب العربى ، فكان يشوقنا ، بأسلوبه الجذاب فى التدريس وبتـأثيره القوى المعروف ، الى التوسع فى دراسة الأدب وتأريخ هذه الأمة . وفضل ثان هو فضل قراءة مسودات الكتاب وتقديم الملاحظات القيمة التى أفادتنى كثيرا ، وهما فضلان لن ينساهما تلميذ يقدر المسؤولية لأستاذ كريم يفنى نفسه فى سبيل تربية الأجيال وخدمة العلم .

وشكر آخر لابد من تقديمه الى أساتذة أفاضل ساعدونى مساعدات ثمينة باعارتهم اياى بعض المراجع التى لم تتوافر لدى ، وامدادى بالصور ، وهم صاحب الفخامة العميد طه الهاشمى والأستاذ « جورج ماثيوس » المستشرق الموظف فى شركة البترول العربية السعودية الامريكية « آرمكو » والسيد حمد الجاسر مفتش المعارف فى المملكة العربيـة السعودية . وأشكر كذلك السيد كوركيس عواد ملاحظ خزانة كتب مديرية الآثار القديمة العامة ، اذ استقصى كل ما فى هذه الخزانة مما يخص تأريخ العرب قبل الاسلام فقدمه الى وظل يخبرنى بكل جديد يصل الى خزانة الكتب المذكورة ، ولم يقطع هـذا الفضل عنى حتى الآن وهو فى أمريكة .

أما المجمع العلمي العراقي ، فله فضل نشر الكتاب ، فما كنت لأتمكن من اخراج

هذا الجزء لولا المساعدة المالية التى قدمها الى . وله فضل آخر على هو فضل تقديمه خزانة كتبه لى ولكل باحث للانتفاع بها ، ومجمع يتألف من جماعة أفاضل ، لابد أن يكون هذا شأنه ، فلأعضائه الأجلاء منى كل شكر ، راجيا له ولهم التوفيق .

وبعد كل هذا فهذا الكتاب هو جمعى ، فأنا المسؤول عنه ، وهو غاية ما وسعه جهدى وطاقتى ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فان نجحت فذلك حسبى ، لا أريد عليه حمدا ولا شكرا ، وان أخفقت فذلك مبلغ علمى واجتهادى أديته بعـــد تعب ، لا أملك أكبر منه ، وبغيتى حسن التوجيه والارشاد ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

جواد على

الفصل الأول

الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلى

الجاهليـــة :

اعتاد المؤرخون أن يسموا تأريخ العرب قبل الاسلام « التأريخ الجاهلى » أو « تأريخ الجاهلية » ، وأن يذهبوا الى أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة ، وأنهم كانوا قد تخلفوا عمن حولهم فى الحضارة ، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل ، فى جهل وغفلة ، لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجى ، ولم يكن لهم تأريخ حافل ؛ لذلك عرفت تلك الحقبة التى سبقت الاسلام بـ « الجاهلية » .

ولفظ « الجاهلية » اصطلاح مستحدث[1] ، أطلقه المسلمون على الحـالة التى كان عليها العرب قبل الاسلام . وهذا الاطلاق يدل ضمنا على شىء من الازدراء والاستهجان لحالة الوثنية التى سبقت التوحيد .

وقد فهم جمهور من الناس ، ومنهم طائفة من المستشرقين[2] ، أن الجاهلية من الجهل الذى هو عدم العلم ، أو عدم اتباع العلم ، أو « من الجهـل بالله ـ سبحانه ـ ورسـوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك[3] » ؛ ولذلك قالوا فى

(١) بلوغ الأرب ١/١٦ . Ency. of Islam, Vol, I. P, 999. وسأرمز اليه بـ .Ency
A. J. Wensinck, Und J. H Kramers, Handwörterbuch des Islam. Leiden. 1941, P. 104. Hand وسأرمز اليه بـ

(٢) Ency. Vol, I. P, 999. Hand. S, 104. Goldziher, Muhammedanische Studien erster Theil S, 219 f. Muh. Stud. وسأرمز اليه بـ Nicholson, A Literary History of the Arabs. P. 30.

(٣) بلوغ الأرب ١/١٦ . لسـان العرب ١٣/١٣٧ . أسـاس البلاغة ١/١٤٥ ، صحاح الجوهرى ٢/١٦٩ . القاموس المحيط ٣/٣٥٣ (الطبعـة الرابعة) . ذيل أقرب الموارد ٣/١١٥ . محيط المحيط ص ٣٠٩ قطر المحيط ص ٣٢٥ ، أقرب الموارد ص ١٤٧ . فجر الاسلام ١/٨٧ .

الانكليزية «The Time of Ignorance» (١) وفى الألمانية «Zeitder Unwissenheit» (٢)
ولهذا السبب نفسه أطلق المسيحيون على العصور التى سبقت المسيح والمسيحية « أيام الجاهلية » أو « زمان الجاهلية » بمعنى الجهل(٣) . وهذا المعنى قديم ومعروف وقد ورد فى شطر بيت من شعر عنترة : « ان كنت جاهلة بما لم تعلمى » وفى شعر النابغـة وطرفة والمتلمس(٤) .

ويرى المستشـرق « كولدزهير » « Goldziher » أن هذا المعنى هو فى الدرجـة الثانية من الأهمية ، وأن المقصود الأول من الكلمة « السفه » الذى هو ضد « الحلم »(٥)، والأنفة والخفة والغضب وما الى ذلك من معان ، وهى أمور كانت جد واضحة فى حياة العرب قبل الاسلام ، ويقابلها « الاسلام » وعماده الخضوع لله والانقياد له(٦) .

وقد وردت الكلمة فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة منـه(٧) ، فوردت تارة

---

(١) Ecny. Vol, I. 999. Zwemer Arabia The Cradle of Islam, London. P. 158
Bicher Faris, L'Honneur Chez Les Arabes Avant L'Islam. Paris 1932. P. 2. 12
ff. Faris وسأرمز اليه بـ

(٢) Pfannmüller, Handbuch der Islam- Literatur, Berlin Und Leipzig 1923.
P. 84. Handbuch. وسأرمز اليه بـ

(٣) Ency. Vol I. P, 999 Hand. S, 104.

(٤) المعلقة ١ ، ٤٣ (Ahlwardt) Ency. I. P, 999.

هلا سـألت الخيل يا ابنـة مالك ان كنت جاهلـة بمـا لم تعلمـى

شرح المعلقات السبع للزوزنى ١٧٦ . شرح ديوان عنترة بن شـداد ، ص ١٢٦ المتلمس الأغانى ٢١/٢٠٧ ، ٨ . النابغـة ٢٣ : ١١ ، طرفة ٤/١٠٢ ، امرؤ القيس فى تاريـخ اليعقوبى ١/٢٥٠ . « طبعة هوتسما ».

(٥) لامية العرب ، للشنفرى : ولا يزدهى الأجهال حلمى ٥٣ فجر الاسـلام ص ٨٦ (الطبعة الثالثة) .Ency. Vol, I. P, 999, Muh. Stud. I. S, 219-228 الأساطير العربية قبل الاسلام ص ٣ . « وهذا يؤيد قول المستشـرق جولدزهير الذى أثبت أن الجهل ضد الحلم ، لا ضد العلم » . R. Nicholson, A literary History of the Arabs. Cambridge 1941. P., 30.

(٦) فجر الاسلام ص ٨٧ Ency. Vol, I. P, 999. Muh Stud. I. S, 224 f.

(٧) « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » سورة الأحزاب ، رقـم ٣٣ ، آية ٣٣ . « يعنى التبختر » . طبقات ابن سعد ٨/١٤٣ .

بمعنى السفه ، ووردت تارة أخرى بمعنى الجهل • ومما وردت فيه الكلمة بمعنى السفه ، ما جاء في سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما[1] » ، وما جاء في سورة البقرة : « قالوا : أتتخذنا هزوا قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين[2] » • وما ورد في سورة الأعراف : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين[3] » • وفي سورة هود : « أني أعظك أن تكون من الجاهلين[4] » • وفي كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية • وقد ورد في الحديث : « اذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل[5] » ، وورد أيضا « انك امرؤ فيك جاهلية[6] » • وبهذا المعنى تقريبا وردت الكلمة في قول عمرو بن كلثوم[7] :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي لا يسفه أحد علينا ، فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم جزاء يربى عليه • واستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير[8] •

وجاء في سورة المائدة « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون[9] » أي أحكام الملة الجاهلية[10] وما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام ، والتفريق بين الناس في المنزلة والمعاملة[11] • وأطلقوا على « الجاهلية »

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ آية ٦٣ • تفسير الطبري ١٩/٢١ • (انهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم) • بلوغ الأرب ١/١٦ (الطبعة الثانية) •

(٢) سورة البقرة ٢ آية ٦٧ •

(٣) سورة الأعراف ٧ آية ١٩٨ • تفسير الطبري ٩/١٠٤ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري هامش تفسير الطبري ٩/١٠٥ •

(٤) سورة هود ١١ آية ٤٦ •

(٥) بلوغ الأرب ١/١٦ •

(٦) ذيل أقرب الموارد ٣/١١٥ • فجر الاسلام ٨٧ •

(٧) بلوغ الأرب ١/١٦ ، محيط المحيط ص ٣٠٩ ، أساس البلاغة ١/١٤٥ فجر الاسلام ٨٧ • شرح المعلقات السبع للزوزني ١٥١ •

(٨) بلوغ الأرب ١/١٦ •

(٩) سورة المائدة ٥ آية ٥٠ • تفسير الخازن ١/٥١٦ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ، حاشية على الخازن ١/٥١٦ •

(١٠) محيط المحيط ٣٠٩ •

(١١) تفسير الخازن ١/٥١٦ •

« الجاهلية الجهلاء » والجهلاء صيغة للأولى يراد بها التوكيد ، وتعنى « الجاهلية القديمة[١] » . وكانوا اذا عابوا شيئا واستبشعوه ، قالوا : « كان ذلك فى الجاهلية الجهلاء[٢] » و « الجاهلية الجهلاء » هى الوثنية التى حاربها الاسلام . وقد أنب القرآن المشركين على حميتهم الوثنية ، فقال : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية[٣] » .

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الجاهلية الأولى فى قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »[٤] ، فقيل : الجاهلية الأولى التى ولد فيها ابراهيم ، والجاهلية الأخرى التي ولد فيها محمد »[٥] . وقيل : « الجاهلية الأولى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم »[٦] . وقد أدى اختلافهم فى مفهوم هذه الآية الى تصور بعضهم وجود جاهليتين : جاهلية قديمة ، وجاهلية أخرى هى التى كانت عند ولادة الرسول[٧] .

واختلف العلماء فى تحديد مبدأ الجاهلية ، أو العصر الجاهلى ، فذهب بعضهم الى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وادريس[٨] . وذهب آخرون الى أنها كانت بين آدم

---

(١) محيط المحيط ٣٠٩ ، أساس البلاغة ١/١٤٥ . صحاح الجوهرى ٢/١٦٩ . أقرب الموارد ١٤٧ : « وقالوا الجاهلية الجهلاء فبالغوا » لسان العرب ١٣/١٣٧ .

(٢) أقرب الموارد ١٤٧ .

(٣) سورة الفتح ٤٨ آية ٢٦ . عن الجاهلية والجهل وما ورد بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، راجع المواضع الآتية : سورة آل عمران آية ١٥٤ ، سورة الأحزاب ٣٣ آية ٣٣ سورة البقرة سورة ٢ آية ٦٧ سورة الأنعام سورة ٦ آية ٣٥ سورة الأعراف سورة ٧ آية ١٩٨ ، سورة يوسف ١٢ آية ٣٣ سورة القصص سورة ٢٨ آية ٥٥ ، سورة ٤ آية ١٦ ، سورة ١٦ آية ١١٩ ، سورة ٤٩ آية ٦٠ ومواضع أخرى . تفصيل آيات القرآن الحكيم : تأليف جون لابوم ، نقله الى اللغة العربية محمد فؤاد عبدالباقى ص ٦٢١ .

(٤) سورة الأحزاب رقم ٣٣ ، آية ٣٣ .

(٥) طبقات ابن سعد ٨/١٤٣ ، ١٤٥ .

(٦) بلوغ الأرب ١/١٧ ، مفتاح كنوز السنة (تأليف فنسنك) ص ١٠٩ .

(٧) « وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى ، وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التى قبل الاسلام كما لا يخفى » . بلوغ الأرب ١/١٨ .

(٨) تأريخ الطبرى ١/٨٣ . الأساطير العربية قبل الاسلام ص ٢ .

ونوح أو أنها بين موسى وعيسى ، أو الفترة التى كانت ما بين عيسى ومحمد[١] . وأما منتهاها ، فظهور الرسول ونزول الوحى عند الأكثرين ، أو فتح مكة عند جماعة[٢] . وذهب ابن خالويه الى أن هذه اللفظة أطلقت فى الاسلام على الزمن الذى كان قبل البعثة[٣] . وهو قول سأذهب اليه فى كتابى هذا ، فأقصد بالجاهلية الزمن الذى مر على العرب قبل البعثة ، وبالتأريخ الجاهلى تأريخ العرب قبل الاسلام .

وعلى كل ، فالذى يفهم خاصة من كتب الحديث أن أصحاب الرسول كانوا يفهمون من « الجاهلية » الزمان الذى عاشوا فيه قبل الاسلام ، وقبل نزول الوحى ، فكانوا يسألون الرسول عن أحكامها ، وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التى قطعوها على أنفسهم فى ذلك العهد ، وقد أقر الرسول بعضها ، ونهى عن بعض آخر[٤] ، وذلك مما يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين ، وأصبح للفظة « الجاهلية » مدلول خاص فى عهد الرسول .

موارد التأريخ الجاهلى :

تأريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب فى تأريخ العرب ، يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة . وأكثر ما ذكروه على أنه تأريخ هذه الحقبة ، هو أساطير ، وقصص شعبى ، وأخبار أخذت عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود ، وأشياء وضعت فى الاسلام ، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة .

وقد تداول العلماء وغير أصحاب العلم هذه الأخبار على أنها تأريخ الجاهلية حتى

---

(١) بلوغ الأرب ١٦/١ فما بعدها « والفترة ما بين كل نبيين . وفى الصحاح : ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذى انقطعت فيه الرسالة وفى الحديث : فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . » لسان العرب ٣٤٩/٦ . « والجاهلية زمن الفترة ولا اسلام » لسان العرب ١٣٧/١٣ . Ency. Vol, 2. P. 92.

(٢) بلوغ الأرب ١٦/١ فما بعدها .

(٣) بلوغ الأرب ١٥/١ ، المزهر ١٧٦ « وفى كتاب ليس لابن خالويه ان لفظ الجاهلية اسم حدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل البعثة . » .

(٤) صحيح مسلم ٧٩/١ ، صحيح البخارى ك ٢٤ ب ٢٤ ، ك ٣٤ ب ١٠٠ ، ك ٤٩ ب ١٢ ، ك ٧٨ ب ١٦ ، ك ٨٨ ب ١ ، ك ٣٣ ب ٥ ، ١٥ ، ك ٦٤ ب ٥٤ ، « قال صلى الله عليه وسلم : أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . » بلوغ الأرب ١٧/١ . مسند أحمد بن حنبل ١١/٢ ، ١٠٣ ، ١٨٧ ، ٤٢٥/٣ ، مفتاح كنوز السنة ص ١٠٨ .

القرن التاسع عشر ، فلما انتهت الى المستشرقين شكوا فى أكثرها ، فتناولوها بالنقد استنادا الى طرق البحث الحديثة التى دخلت على العلوم النظرية ، وتفتحت بذلك آفاق واسعة فى عالم التأريخ الجاهلى لم تكن معروفة ، ووضعوا الأسس للجادات التى ستوصل عشاق التأريخ الى البحث فى تأريخ شبه جزيرة العرب .

وكان أهم عمل رائع قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التى دونها عرب ما قبل الاسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد أن جهلوها مدة تنيف على ألف عام . وقد فتحت هذه النصوص باب تأريخ الجاهلية ، ومن هذا الباب يجب أن نصل الى التأريخ الجاهلى الصحيح . لقد كلف البحث عن هذه الكتابات العلماء والسياح ، ثمنا غاليا ، كلفهم حياتهم فى بعض الأحيان ، ولم يكن من السهل تجول هؤلاء الأوربيين بأزياء مختلفة فى أماكن تغلب عليها الطبيعة الصحراوية للحصول على معلومات عن الخرائب والعاديات والحصول على ما يمكن الحصول عليه من نقوش وكتابات .

والتأريخ الجاهلى مع ذلك فى أول مرحلة من مراحله وفى الدرجات الأولى من سلم طويل متعب . ولا ينتظر التقدم أكثر من ذلك الا اذا سهل للعلماء التجوال فى شبه جزيرة العرب لدراستها من جميع الوجوه والبحث عن العاديات .

لم يطمئن المستشرقون الى هذا المروى فى الكتب العربية عن التأريخ الجاهلى ، ولم يكتفوا به ، بل رجعوا الى مصادر وموارد ساعدتهم فى تدوين هذا الذى نعرفه عن تأريخ الجاهلية ، وهو شىء قليل فى الواقع ، ولكنه مع ذلك خير من هذا القديم المتعارف وأقرب منه الى التأريخ . وقد تجمعت مادته من هذه الموارد :

(١) النقوش والكتابات .

(٢) التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .

(٣) الكتب الكلاسيكية والسريانية ونحوها .

(٤) المصادر العربية الاسلامية .

١ ـ النقوش والكتابات :

تعد النقوش والكتابات فى طليعة المصادر التى تكون التأريخ الجاهلى ، وهى وثائق ذات شأن ؛ لأنها الشاهد الحى الوحيد الباقى من تلك الأيام ، وأريد أن أقسمها الى قسمين : نقوش ، وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب ، كبعض النصوص الآشورية أو البابلية ونصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة ؛ وتكون غالبيتها

النصوص التى عثر عليها فى العربية الجنوبية ، ويدخل ضمنها تلك التى وجدت فى مصر أو فى بعض جزر اليونان أو فى الحبشة ، وهى من كتابات المعينين والسبئيين ، وأدخل فى الكتابات العربية الكتابات الثمودية والصفوية والنبطية واللحيانية والعربية الجنوبية على اختلافها وكل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص فى شبه جزيرة العرب مدونا بلهجة قريبة من اللهجات التى تعارف علماء العرب أو المستشرقون على اعتدادها من العربية .

وأغلب الكتابات التى عثر عليها فى مختلف أنحاء شبه جزيرة العرب هو فى أمور شخصية ، ولذلك انحصرت فوائدها فى نواح معينة ، ولا سيما الدراسات اللغوية ، وأقلها النصوص التى تتعرض لحالة بلاد العرب السياسية ، مثل علاقات ممالكها بعضها ببعض ، أو علاقات شبه جزيرة العرب بالعالم الخارجى ، فظلت معارفنا قليلة جدا فى هذه الناحية وفى النواحى المشابهة لها التى تكون أصل التأريخ ، مستمدة من الكتب الكلاسيكية أو السريانية أو العبرانية ، وهى غير كافية كذلك .

وتختلف الكتابات العربية الجنوبية طولا وقصرا تبعا للمناسبات وطبيعة الموضوع ، وتتشابه فى المضمون وفى انشائها فى الغالب ؛ لأنها كتبت فى أغراض شخصية متماثلة . ومن النصوص الطويلة المهمة نص رقمه العلماء برقم (C.I.H. 1450) ، وقد كتب لمناسبة الحرب التى نشبت بين قبائل حاشد وقبائل حمير فى مدينة « ناعط »[1] ، ونص رقمه (C.I.4334) وقد أمر بتدوينه الملك (شعراوتر « أوتار » بن علهان نهفان) « ٨٠–٥٠ قبل الميلاد[2] » ، ونص « أبرهة » نائب ملك الحبشة على اليمن « عزلى » وهو يحوى كتابة مهمة تتألف من « ١٣٦ » سطرا ، يرتقى تأريخها الى سنة ٦٥٨ الحميرية أو ٥٤٣ للميلاد ، وقد كتب بحميرية رديئة ركيكة ، ونص يرتقى تأريخه الى سنة ٥٦٥ للميلاد .

أما الكتابات المكتوبة باللهجات العربية الشمالية ، فقليلة .

وقد بحث المستشرقون فى موضوع الكتابة والتدوين عند العرب الشماليين ، فأنكر بعضهم وجود كتابة عندهم ، ورأى آخرون كالمستشرق « كولدزهير » و « بروكلمن »

---

(١) Margoliouth, Lectures on Arabic Historians. Calcutta. 1930. P. 29.
وسأرمز اليه بـ Lectures

(٢) Lectures. P. 30
« شاعر أوتر » « شاعر أوتار » . وقد ورد الاسم فى كتاب الاكليل مكتوبا كتابة صحيحة « شعرم أوتر » فى طبعة نبيه فارس ٨–١٩ . وأخطأ فيه أنستاس الكرملى فكتبه « سعوان أوثر » كما ورد فى احدى المخطوطات التى اعتمد عليها . طبعة الكرملى ٢٤ .

و « موير » و « كرنكو » الى أن العرب القدماء كانوا يعنون بكتابة أشعارهم ، وأن عرب الحيرة النصارى كانوا يدونون أخبارهم . ويظهر من بيت ورد فى شعر « ابن مقبل » أن عرب أواسط شبه الجزيرة كانوا يدونون أشعار الشعراء فى أيام الرسول[١] .

وجاءت الأخبار تفيد أن أهل الحيرة كانوا يرسلون أبناءهم الى « الكتاب » وأنهم كانوا يعلمونهم الكتابة والقراءة العربية كما كان بعضهم يختلف الى « الكتاتيب » الفارسية كالذى رواه صاحب الأغانى عن « زيد بن حماد بن زيد بن أيوب » الذى تولى الكتابة للنعمان الأكبر[٢] ، وكالذى رواه عن ابنه « عدى بن زيد » الكاتب الشاعر الشهير .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يفيد معرفة عرب الجاهلية القريبة من الاسلام القراءة والكتابة ، كما ورد فى الشعر الجاهلى القريب من الاسلام وفى صدر الاسلام ما يفيد ذلك . ورد فى القرآن « ن . والقلم وما يسطرون »[٣] . و « واقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »[٤] . و « ان هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى »[٥] . و « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة »[٦] . و « لقد كتبنا فى الزبور من

---

(١) Brockelmann, Suppl. Bd. I. S, 32. Goldziher in ZDMG, XLVI, 18. Muir, JRAS.XI, (1879).,72-93.F. Krenkow the use of writing for the Preservation of Ancient Arabic Poetry, or., Studies., Pres., P To Ec Brown 261-268.

راجع تطور الخط العربى والكتابة عند العرب الشماليين قبل الاسلام فى كتاب :
nabia Abbott, 'The Rise of the north Arabic Script and its Kur'anic Development, with a Full Description of the Kur'an manscripts in the Oriental Institute Chicago. 1939.

(٢) الأغانى ٢/١٠١ ، راجع أيضا قصة المرقش الأكبر فى المفضليات ٤٦٠ حيث يرد فيه ذكر « الكتاب » وأنه تعلم الكتابة من رجل من أهل الحيرة ، فصار يكتب أشعاره . المعارف ٣١٩ .

(٣) سورة القلم سورة ٦٨ آية ١ ، .

(٤) سورة العلق سورة ٩٦ آية ١ فما بعد .

(٥) سورة الأعلى سورة ٨٧ آية ١٨-١٩ .

(٦) سورة البينة سورة ٩٨ آية ٢ فما بعد .

بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون »[1] . و « وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير »[2] . الى غير ذلك من مواضع وردت فيها كلمات تشير الى الكتابة والقراءة ، ولا يعقل مخاطبـــة القرآن الكريم قوما بهـذه الآيات لو لم يكونوا على علم وبصيرة ، بالقراءة والكتـابة . كما تردد فى الكتب ذكر « مجلة لقمان »[3] و « الزبر »[4] و « صحيفة لقيط »[5] وغير ذلك . وكل هذه تشير بالطبع الى معرفة القراءة والكتابة .

وورد فى الأخبار أيضا أن الراوية النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان يقول : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولى منهم لآل كسرى وتأريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة[6] » . وورد أيضا أن النعمان ملك الحيرة كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب فى (الطنوج) ، وهى الكراريس ، ثم دفنها فى قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبى عبيـد ، قيـل له : ان تحت القصـر كنزا ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار[7] . وقيل أيضا : ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بنى مروان أو ما صـار منـه[8] .

وقد عرف أهل الحجاز الكتابة كذلك ، ويرجع جماعة من الرواة علـم الحجازيين بالكتابة الى العراق[9] .

---

(١) الأنبياء سورة ٢١ آية ١٠٥ .
(٢) فاطر سورة ٣٥ آية ٢٥ .
(٣) راجع عن كلمة « مجلة » :
Fränkel, Aram. Fremdwörter in Arab. P. 247. anm.
(٤) « كخط زبور فى مصاحف رهبان » .Ency. Vol, 4. P. 1184
(٥) جاء أن جماعة من الشعراء كانت تكتب مثـل : المرقش الأكبر وعبـدالله بن الزبعرى . المفضليات ٤٦٠ ، ابن سلام طبقات الشعراء ٥٨ ، الأغانى ٢٠/٢٤ .
(٦) الطبرى ٢/٣٧ .
(٧) ابن جنى ، الخصائص ١/٣٩٣ . الزبيدى تاج العروس ٢/٧٠ .
(٨) طبقات الشعراء ١٠ . المزهر ٢/٤٧٤ .
(٩) نهاية الأرب ٧/٣ . « عن الشـعبى قال : سـألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسـألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتـم الكتـابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار » . المزهر ٢/٣٤٣ . « معرفة كتابة اللغة » ص ٣٤١ .

ولما ظهر الاسلام ، كان فى قريش سبعة عشـــر رجلا كلهم يكتب[١] . وكانت « الشفاء بنت عبدالله العدوية » تحسن الكتابة[٢] وكذلك جماعة من النسوة[٣] . وقال الواقدى : « كان الكتاب بالعربية فى الأوس والخزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية بالمدينـة فى الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفى الأوس والخزرج عـدة يكتبون » . وقد اشتهر بالكتابة فى الجاهلية سويد بن الصامت ، وحضير الكاتب ، وكانا من أهل يثرب[٤] . ويدل صلح « بدر » الذى فادى به بعض مشركى بدر ممن لم يكن لهم فداء أنفسهم بتعليم عشرة من المسلمين[٥] الكتابة ، على وجودها عند أهل الجاهليـة . وقد أوردت الكتب أسماء أناس عاشوا فى الجاهلية ، ونعتوا « بالكاتب » ، ومن الجائز أن يكون هؤلاء الكتاب قد سجلوا أحوال أيامهم وأنساب العرب وأخبارها وأشعارها غير أن ذلك لم يصل الينا مع الأسف ، والظاهر أنه أهمل بسبب انشغال الناس بأمر الاسلام ، فضاع ما كتب ، ولم يكن من الصعب ضياعه ؛ لأن المواد التى كان يكتب عليهـا كانت سريعة التلف والضياع .

تاريخ الكتابات :

والكتابات المؤرخة قليلة . هذا أمر يؤســف له ، اذ يكون المؤرخ فى حيرة من أمره فى ضبط الوقت الذى دون فيه النص ، ولم نتمكن حتى الآن من الوقوف عـلى تقويم ثابت كان يستعمله عرب قبل الاسلام ، مدة طويلة فى شبه الجزيرة . والذى تبين لنا حتى الا ن هو أنهم اسـتعملوا جملة طرق فى تأريخهم للحوادث ، وتثبيت زمانهـا ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث فى أيام الملك فلان ، أو فى السنة كذا من حكم الملك فلان . كما أرخوا بأيام الرؤساء والمشـايخ وأرباب الأسر ، وهى طريقة عرفت عند المعينين والسبئين والقتبانين والحضرميين وغيرهم .

---

(١) ابن خلدون ٢/٦٠ ، البـلاذرى ، فتوح البلدان ٤٧١-٤٧٤ ، راجع عن الرجال الذين تعلموا الكتابة من أهل الحيرة فى الفهرست ص ٤ ، عيون الاخبار ١/٤٣ ، المعارف ٢٧٣ ، المزهر ٢/٣٥١ .

Nabia, P, 6, Caetani, Annali 2, 692.

(٢) البلاذرى فتوح البلدان ص ٤٧٧ .

(٣) البلاذرى ٤٧٨ .

(٤) البلاذرى ٤٧٩ .

(٥) الكامل للمبرد ١/٢١٣ .

والكتابات المؤرخة بهـذه الطريقة ، على أنهـا أحسن حالا في نظرنا من الكتابات المهملة التي لم يؤرخها أصحابهـا بتأريخ ، قلمـا نستفيد منهـا فائدة تذكر . اذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئا عن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة ، أو حكمه ، أو زمانه ، أو زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هـذه الكتابات أن شهرة الانســان لا تدوم ، وأن الملك فلانا ، أو رب الأسرة فلانا ، أو الزعيم فلانا ربما لا يعرف بعد أجيال ، وقد يصبح نسيا منسيا ، لذلك لا يجدي التأريخ به شيئا ، وذاكرة الانسـان لا تعي الا الحوادث الجسـام . لهذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هـذه الطريقة ، وأملنا الوحيد هو أن يأتي يوم قـد نستفيد فيه منها في تدوين التأريخ .

وترد التواريخ في الكتابات العربية الجنوبية ، ولا سيما في الكتابات القتبانيـة ، على هذه الصورة : « ورخس ذو سـحر خرف (خريف) ... »[١] أو « ورخس ذو تمنع خرف ... »[٢] أي « وأرخ في شهر سحر من سنة ... » و « وأرخ فـي شـهر تمنع من سـنة ... » . ويلاحظ أن « ورخ » و « توريخ » مثـل « أرخ » و « تأريخا » ، هما قريبتان من استعمال تميم اذ هي تقول : « ورخت الكتاب توريخا » أي أرخت الكتاب تأريخا[٣] . وأما حرف « السين » اللاحق لكلمة « ورخ » فـانه أداة التنكير . ويلي التأريخ اسم الشهر ، مثل « ذو تمنع » و « ذو سحر » وغير ذلك .وقـد تجمعت لدينا أسماء عدد من الأشهر في اللهجات الجنوبية المختلفة تحتاج الى دراسـة لمعرفة ترتيبها بالنسبة للمواسم والسنة . ثم تلي الأشهر في العـادة كلمـة « خرف » أو « خريف » وهي في العربيـة الجنوبية السـنة أو العـام . وعنـدئذ يذكر اسم الملك أو الرجل الذي أرخ به فيقال : « خرف شهر يكول » أي « سـنة شهر يكول » وهـو ملك من ملوك قتبـان . وهكذا بالنسـبة للملوك أو غيرهم . ترى من ذلك أن التأريخ بأعوام الرجال كان يتضمن أشهرا . غير أننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذه الأشـهر كانت ثابتة لا تتغير بتغير الرجال ، أو بأنها كانت تتبدل بتبدل الرجال . والرأي الغـالب

---

(١) N. Rhodokanakis, Katabanische Texte Zur Bodenwirtschaft 2 Vols, Vol, I. P. 123 KTP وسأرمز اليه بـ Gl. 1395. = 1604. SE 84.

(٢) Gl. 1412. = 1612. SE 81. K.T.B. Vol. I. 130.

(٣) بلوغ الأرب ٣/٢١٤ .



صورة محارب لابس ملابسه العسكرية ، وقد كتب فى أعلاها : « صور أوس ال بن زبى » . أى صورة أوس ايل بن زبى وهو صاحب هذه الصورة .



كتابة بالمسنـد ، ظهرت فيها ثلاثة حروف تؤلف كلمة « ن ا د » وفـى أعـلا الصورة الهلال وفى داخله النجمة ، وتحته نسر باسط جناحيه يقظ ، وتشير الصورة الى بعض الأساطير العربية الجنوبية .

هو أنها وضعت فى وضع يلائم المواسم وأوقات الزراعة • ويظهر أنهم كانوا يستعملون أحيانا مع هذا التقويم تقويما آخر هو التقويم الحكومى ، وكان يستند الى السنين المالية أى سنى جمع الضرائب • وتختلف أسماء أشهر هذا التقويم عن أسماء أشهر التقاويم التى تؤرخ بالرجال[١] • ويظهر أن العرب الجنوبيين كانوا يستعملون التقويم الشمسى فى الزراعة كما كانوا يستعملون التقويم القمرى والتقويم النجمى أى التقويم الذى يقوم على رصد النجوم[٢] •

وقد اتخذ الحميريون منذ سنة ١١٥ قبل الميلاد تقويما ثابتا يؤرخون به ، وهى السنة التى قامت فيها الدولة الحميرية ، فأخذ الحميريون يؤرخون بهذا الحادث واعتدوه مبدءا لتقويمهم ، وقد درسه المستشرقون فوجدوه يقابل السنة المذكورة قبل الميلاد • والكتابات المؤرخة بموجب هذه الطريقة لها فائدة كبيرة جدا فى تثبيت التأريخ •

وقد كان ما قدمناه يتعلق بالكتابات العربية الجنوبية المؤرخة ، أما الكتابات التى يطلق عليها المستشرقون « الكتابات العربية الشمالية » فهى معدودة • وهى لا تعطينا لهذا السبب فكرة علمية عن تأريخ الكتابات فى الأقسام الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة • وقد أرخ شاهد قبر « امرىء القيس » فى يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ (٣٢٨ للميلاد) ، وهذه السنة هى من سنى تقويم بصرى ، وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون بهذا التقويم فى ذلك العهد ، ويبدأ بدخول بصرى فى حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد[٣] •

وأرخت كتابة « حران » اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقطية الأولى وهى تقابل سنة ٥٦٨ للميلاد • والأندقطية هى دائرة ثمانى سنين عند

---

(١) KTB. I.P. 81 f.

(٢) N. Rhodokanakis, Studien Zur Lexikographie Und Grammatik des Altsüdarabischen. in 2. Vols. Vol. 2 P. 145 Lexi وسأرمز اليه بـ Sab. Denkm. 21.Glaser. Zwei Inschriften. 47 note. 7. ZDMG. 46. 322. Glaser, Die Sternkunde der Südarabischen qabylen. in SBWA. Winckler. AOF. 2. 351ff.

(٣) العرب قبل الاسلام ٢٠٣ وسأرمز اليه بـ العرب • مجلة سومر الجزء الأول كانون الثانى ١٩٤٧م المجلد الثالث ص ١٣١ •

الرومانيين ، وكانت تستعمل فى تصحيح تقويم السنة[١] . أما النص العربى ، فقد أرخ « بسنة ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم (عام) »[٢] ورأى الأستاذ ليتمان أن عبارة « بعد مفسد خيبر بعام » تشير الى غزوة قام بها أحد أمراء بنى غسان لخيبر[٣] . وفى استعمال هذه الجملة التى لم ترد فى النص اليونانى دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية ، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التى تقع بينهم .

ويظهر أن القبائل الشمالية كانت تؤرخ بالأعوام التى تقع فيها أمور متعارفة ، وبالرجال كذلك شأن الجنوبيين . وقد ذكرت الكتب أسماء عدد من الرجال الذين أرخ الناس بهم[٤] . كما ذكرت أسماء بعض الأعوام التى أرخوا بها مثل عام الخنان[٥] وعام الفيل ، وقد ظهر الاسلام وكان الجاهليون يؤرخون به ، وأرخ المسلمون به أيضا الى أن أمر الخليفة عمر بن الخطاب بالتأريخ بالهجرة . والظاهر من الروايات أن العرب الشماليين لم يكن لهم تأريخ عام موحد ، بل كانت القبائل تتبع تواريخ مختلفة على حسب الأحداث الجسام التى كانت تراها حرية بأن تكون مبدأ يؤرخ به . وربما كانت تؤرخ بتواريخ من جاورها من الشعوب . ولا يخفى أن ذلك يحدث فوضى وارتباكا فى ضبط الحوادث وفى تعيينها مدة طويلة . على أن الجزم فى أمر كهذا هو رهين النصوص والكتابات التى قد يعثر عليها فى المستقبل ، فربما يظهر منها أن العرب كانوا يتبعون تقويما ثابتا يؤرخون حوادثهم به .

---

(١) ولفنسون . تأريخ اللغات السامية ص ١٩٢ وسأرمز اليه بـ السامية .

(٢) السامية ١٩٢ ، سومر العدد المذكور ص ١٣٢ .

(٣) السامية ١٩٢ . Rivista degli Studi Orientali. 1911. P. 195.

(٤) بلوغ الأرب ٣/٢٥١ « وأرخت قريش بموت (هشام بن المغيرة المخزومى) لجلالته فيهم » . حمزة الاصبهانى : كتاب تأريخ سنى ملوك الارض والأنبياء ص ٩٣ فما بعدها .

(٥) بلوغ الأرب ٣/٢١٥ . الخنان بالضم على وزن غراب « قال ابن دريد هو زمن معروف عند العرب قد ذكروه فى أشعارهم . قال : ولم نسمع فيه من علمائنا تفسيرا شافيا ، قال : والأول أصح . قال النابغة الجعدى فى الخنان للابل :

فمن يحرص على كبرى فانى … من الشبان أيام الخنان

لسان العرب ١٦/٣٠١ « وزمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الابل منه » ٤/٢٢٠ . التنبيه والاشراف ١٧٢ فما بعدها .

ويقرأ المرء فى الكتب أسماء أشهر لم يستعملها الاسلاميون ، مثل : مؤتمر وناجر[١] وخوان[٢] وصوان[٣] ويقال فيه وبصان[٤] وربى وأيدة وناطـل وواغل وورنة وبرك وموجب وموجر ومور وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وذيمر ودابر وحيقل ومسيل وحنتم وهواع[٥] وغير ذلك[٦] . والظاهر أنها لم تكن شائعة عند جميع القبائل ، ولذلك لـم يكتب لها البقاء ، ولعل أكثرها كان قد أهمل استعماله أو أصبح استعماله شـاذا قبـل الاسلام ، ولهذا استعمل المسلمون أسماء الأشهر التى كانت مستعملة فى الحجاز عند ظهور الاسلام ، وهى الأشهر المستعملة فى التقويم الهجرى ، وهذه الأشهر المهملة هـى من بقايا اللهجات العربية القديمة ، وهى تفيدنا من هذه الناحية فى المسـتقبل حـين يظفر الباحثون بكتابات قديمة . وقد قال العلمـاء : انهـا من الأشهر التى وضعتهـا العرب

---

(١) « ومنه شهر ناجر ، وكل شهر فى صميم الحر فاسـمه ناجر ، لأن الابل تنجر فيه ، أى يشتد عطشها حتى تيبس جلودها ، وصفر كان فى الجاهليـة يقال له ناجر » « وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر ، ويزعم قوم أنهما حزيران وتموز وهذا غلط ، انما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ » « وقيل كل شهر من شهور الصيف ناجر » « وناجر رجب وقيل صفر » « كانت العرب تقول فى الجاهلية للمحرم مؤتمر ولصفر ناجر ولربيع الأول خوان » لسان العرب٧/٤٦ـ٤٧ .

(٢) « قال فى الجمهرة : خوان يوم من أيام الأسبوع من اللغة الأولى . وخوان شهر من شهور السنة العربية الأولى » « وقال الفراء فى كتاب الأيام والليـالى : خوان ، من العرب من يخففه » . المزهر ١/٢١٨ـ٢١٩ .

(٣) « وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة . » بلوغ الأرب ٣/٧٦ـ٧٧ .

(٤) « وربيع الآخر وهو وبصان » « ووبصـان منهم من يقول : بوصـان على القلب ومنهم من يسقط الواو ويقول : بصان مضموم مخفف . » المزهر ١/٢١٩ـ٢٢٠ .

(٥) « وأسماء الشهور فى الجاهلية : المؤتمر وهو المحرم . وصفر وهو ناجر . وشهر ربيع الأول وهو خوان (بالفتـح) . وقالوا : خوان (بالضم) . وربيع الآخر وهو وبصـان . وجمـادى الأولى : الحنين . وجمـادى الآخرة : ربى . ورجب : الأصـم . وشعبان : عادل . ورمضان : ناتق . وشوال : وعل . وذو القعدة : ورنة . وذو الحجة : برك » . المزهر ١/٢١٩ . « وكانوا يسمون الشهور : المحرم ناتق ، وصفر ، ثقيـل ، ثم طليق ، ناجر ، سماح ، امنـح ، احلك ، كسع ، زاهر ، برط ، حرف ، نعس ، وهو ذو الحجة » مروج الذهب ١/٣٥٦ .

(٦) « وفى هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغـة » . بلوغ الأرب ٣/٧٦ـ٧٧ . ومن أشهر قتبان : « شهر ذى فرع ذى عثتر » و « شهر ذى ررع ذى عثتر » و « شهر ذى كبى ذى عثتر » .

Le Museon. LXII, (1949). 3-4.P, 207-228. « The Oracle Sanctuary of Jār al-Labbà » by, A, F. L, Beeston, P. 226,

العاربة[١] . وهى ، من غير شك ، أقدم عهدا من هذه الأشهر المستعملة فى التأريخ الهجرى بكثير .

وذكرت الكتب أسماء بعض الأيام التى استعملها الجاهليون ، « قال فى الجمهرة : أسماء الأيام فى الجاهلية : السبت : شيار . والأحد : أول . والاثنين : أهون وأوهد . والثلاثاء : جبار . والأربعاء : دبار . والخميس : مؤنس . والجمعة : عروبة »[٢] .

هذا ، وان مما يلاحظ على الكتابات العربية الجنوبية أن التى ترجع منها الى العهود القديمة من تأريخ جنوب بلاد العرب قليلة ، وكذلك النقوش التى ترجع الى العصور الحميرية المتأخرة أى القريبة المتصلة بالاسلام . ولذلك أصبحت أكثر النقوش التى عثر عليها حتى الآن من الأدوار الوسطى المحصورة بين أقدم دور من أدوار تأريخ اليمن وبين أقرب أدوار اليمن الى تأريخ الاسلام . وأكثرها خلو من التأريخ ، غير عدد منها يرد فيه أسماء ملوك وملكات أرخت بأيامهم . لكننا لا نستطيع تعيين تأريخ مضبوط لزمانهم لعدم وجود سلسلة لمن حكم أرض اليمن ولعدم وجود جداول بمدد حكمهم ولفقدان الاشارة الى من كان يعاصرهم من الملوك والأجانب .

ومن النصوص المؤرخة نص يعود تأريخه الى سنة ٣٨٥ من سنى التقويم الحميرى واذا عرفنا أن الحميريين كانوا يؤرخون بسنة ١١٥ قبل الميلاد وهى السنة التى قضوا فيها على الدولة السبئية وأنشأوا فيها دولتهم على أنقاضها ، عرفنا أن تأريخ هذا النص يعود الى سنة ٢٧٠ الميلادية تقريبا . وصاحبه هو الملك « ياسر يهنعم » ملك سبأ وذو ريدان وابنه (شمر يهرعش)[٣] . وللملك « ياسر يهنعم » « ياسر ينعم » نص آخر يعود تأريخه الى سنة ٣٧٤ للميلاد[٤] . و « لشمر يهرعش » « شمر يرعش» كتابة أمر بتدوينها سنة

---

(١) بلوغ الأرب ٣/٧٦ . (٢) المزهر ١/٢١٩ . مروج الذهب ١/٣٥٦ .

(٣) نص رقم C. I. 46.

Hartmann, Arab. Frage. S, 174. Rhodokanakis. WZKM XXXVII P. 148.

J. H. Mordtmann Und Eugen Mittwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg 1931 P. 1-2 Sab. Inschr. وسأرمز إليه بـ

(٤) Sab. Inschr. P. 2 يعرف فى الكتب العربية بـ « مالك ناشر النعم » الاكليل ٨/٢٠٧-٢٠٨ (طبعة نبيه) . التيجان ١٧٠-١٧١ ، ١١٩-٢٢١ الطبرى ١/٦٨٣-٦٨٤ .

٣٩٦ للتقويم الحميرى أى سنة ٢٨١ للميلاد[١] وقد ورد اسمه فى نصوص أخرى ، وقد لقب نفسه بلقب « ملك سبأ وذو ريدان » ولقب نفسه فى مكان آخر بلقب « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات » مما يدل على أنه كان قد وسع ملكه وأخضع الأرضين المذكورة لحكمه[٢] .

ولما أراد الملك شرحبيل يعفر بن أبى كرب أسعد « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها فى الجبال والسواحل » بناء السد أمر بنقش تأريخ البناء على جداره وقد عثر عليه واذا به يقول : ان العمل كان فى سنة ٥٦٤ ـ ٥٦٥ الحميرية وهذا يوافق عامى ٤٤٩ـ٤٥٠ من الأعوام الميلادية[٣] وبعد ثمانى سنوات من هذا التأريخ أى فى عام ٤٤٨ من التأريخ الميلادى (٥٧٣ حميرى) وضع عبد كلال نصا تأريخيا يذكر فيه اسم الرحمن[٤] . ولهذين النصين أهمية عظيمة جدا من حيث الناحية الدينية . يذكر النص الأول « اله السماوات والأرضين » ويذكر الثانى « اسم الرحمن » وتظهر من هذه الاشارة فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها[٥] . وقد عثر على نصين آخرين ورد فيهما اسم الملك شرحبيل يكيف تأريخ أحدهما عام ٥٨٢ الحميرى (٤٦٧ الميلادى) وتأريخ النص الثانى هو سنة ٥٨٥ الحميرية (الموافقة لسنة ٤٧٠ الميلادية)[٦] .

ومن النصوص الآثارية المهمة نص حصن غراب ، وهذا النص أمر بكتابته السميفع أشوى وأولاده تخليدا لذكرى انتصار الأحباش على اليمانيين فى عام ٥٢٥م (سنة ٦٤٠ الحميرية)[٧] ، ويليه النص الذى أمر أبرهة حاكم اليمن فى عهد الأحباش

---

(١) راجع نص رقم MM 150 = CI 448 يعرف فى الكتب العربية بـ « شمر يرعش » الاكليل ٢٠٨/٨ ، التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها . الاكليل ١٩/١٠ ، ٣٣ .

(٢) راجع نصوص CI 628. CI 353., 407. 430, 431 † 438.

(٣) CI 540. Sab. Inschr. S, 2

(٤) C 16 = MM 153. Sab. Insrhr. S, 2

(٥) Boasor. 83 (1941) PP. 22. Sab. Inschr. S, 2

(٦) CI 537. CI 644. Sab. Inschr, S. 2

(٧) Sab. Inschr. S, 2.

الهلال الجزء الخامس عشر من السنة العاشرة أيار سنة ١٩٠٢ ص ٤٦٠ . وقد نشرت صورة النقش بالمسند وبالحروف العربية ، ولكنها محرفة مغلوطة .

بوضعه على جدران سد مأرب لما قام بترميم السد واصلاحــه فى عام ٦٥٧ (الموافق عام ٥٤٢ الميلادى)(١) .

وآخر ما نجـده من نصوص مؤرخة هو نص وضـع فى عام ٦٦٩ (يوافق عام ٥٥٤ للميلاد(٢)) ولم يعثر المنقبون بعد هذا النص على نص آخر يحمل تأريخا . نعم لقد عثروا على نصوص كثيرة تشابه فى مضمونها وعباراتها وألفاظها النصوص التى أقيمت فى الفترة الكائنة بين سنة ٤٣٩ الميلادية وسنة ٥٥٤ الميلادية وهذا يبعث على احتمال كون هذه النصوص مكررة وأنها من هذا العهد الذى بحثنا عنه آنفا(٣) .

٢ ـ التوراة والتلمود والتفاسير والكتب العبرانية :

وقد جاء ذكر العرب فى مواضع كثيرة من أسفار التوراة تشرح علاقات العبرانيين بالعرب . والتوراة مجموعة أسفار كتبها جماعة من الأنبياء فى أوقات مختلفـة : كتبوا أكثرها فى فلسطين ، وأما ما تبقى منها مثل سفر حزقيال والمزامير فقـد كتب فى وادى الفرات أيام السبى ، وأقدم أسفار التوراة هو سفر « عاموس » (Amos) ، ويظن أنه كتب حوالى (٧٥٠) قبل الميلاد(٤) .

وأما آخر ما كتب منها ، فهو سفر (دانيال) (Daniel) والأصحـاحان الرابع والخامس من سفر (المزامير) ، وقد كتبت هذه فى القرن الثانى قبل المسيح(٥) .

وما ذكر فى التوراة عن العرب يرجع تاريخـه اذن الى ما بين سنة ٧٥٠ والقرن الثانى قبل المسيح .

وقد وردت فى التلمود (Talmud) اشارات الى العرب كذلك . وهناك نوعان

---

(١) Sab. Inschr. S, 2 CI541. Margoliouth. P. 32

(٢) Sab. Inschr. S, 2 CI325

(٣) Sab. Inschr. S. 2. CI541 CI45, CI540. Rhodokanakis. KTP,S. 140

(٤) أحد الأنبياء ، وكان راعيا فى « تقوع » « تقوعة » مدينة صغيرة جنوبى يهوذا على بعد نحو ١٢ ميلا من جنوب القدس . عاش فى أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل نحو سنة ٨٠٠ قبل الميلاد . وسفر عاموس هو الثلاثون من أسـفار التوراة . قاموس الكتاب المقدس « ترجمة الدكتور جورج بوست » ٢/٥٩ .

Hastings, Dictonary of the Bible, P. 27. Hastings. وسأرمز اليه بـ

Encyclopaedia Biblica. P. 147 ff. Ency. Bibl. وسأرمز اليه بـ

(٥) Hastings. P,96

من التلمود ، التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي « Yerushalmi » كما يسميه العبرانيون اختصارا ، والتلمود البابلي نسبة الى بابل (Babylonian Talmud) بالعراق ، ويعرف عندهم باسم (بابلي) (Bablie) اختصارا[١] .

أما التلمود الفلسطيني فقد وضع ، كما يفهم من اسمه ، في فلسطين . وقد تعاونت على تحبير هذه الشروح والتفاسير المدارس اليهودية (Academies) في الكنائس (الكنيس) ، وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين ، وأعظمها هو مركز (طبرية) (Tiberias) وفي هذا المحل وضع الحبر (رابي يوحنان Rabbi Jochanan) التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صوره في أواسط القرن الثالث الميلادي ، وتلاه بعد ذلك الأحبار الذين جاؤوا بعد « يوحنان » ، وهم الذين وضعوا شروحا وتفاسير عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيأته النهائية في القرن الرابع الميلادي .

وأما التلمود البابلي ، فقد بدأ بكتابته ـ على ما يظهر ـ الحبر (آشي) (Rabbi Ashi) المتوفى عام ٤٣٠ للميلاد ، وأكمله الأحبار من بعده ، واشتغلوا به حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد[٢] . ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به ، هو طابع البلد الذي وضع فيه ، ولذلك يغلب على

---

(١) « التلمود » « تعليم » « Learning » راجع عن التلمود المصادر الآتية :
Hastings. P, 890. Ency. Brita, Vol, 21 P,769 J. Z. Lauterbach. Mishna. and W. Bacher. Talmud. in Jew. Ency. Funk, Entstehung des Talmud, Leipzig. 1910. Rodkinson. History of the Talmud. New york, 1903. Strack. einleitung in den Talmud Leipzig 1908.

ويتألف التلمود من « المشنة » Mishnah وهو الموضوع ومن « جمارة » « كمارة » Gemara وهو التفسير . فالمشنة « التكرار » عبارة عن مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من الكتاب المقدس . واليهود يرون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ثم انتقلت عن الأنبياء الى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام « يهوذا » وكتبها ومن ثم صار يعتبر جامعا للمشنة . و « الجمارة » « التعليم » وهو مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية بعد انهاء المشنة » . قاموس الكتاب المقدس ١/٢٩٠ « ترجمة الدكتور جورج بوست » ١/٢٩٠ .
Pirqe Aboth, I , 1

(٢) Hastings. P, 891

التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث ، وأما التلمود البابلي ، فيظهر عليه الطابع العراقي الحر ، وفيه عمق في التفكير وتوسع في الأحكام والمحاكمات ، وغنى في المادة . وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني(١) .

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة ، وتفيدنا اشاراته من هذه الناحيـة في تدوين تأريخ العرب . أما الفترة بين الوقت الذي انتهى فيه من كتابة التوراة والوقت الذي بدىء فيه بكتابة التلمود ، فيمكن أن يستعان في تدوين تأريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب ، ومنهم المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس) (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) الذي عاش بين سنة ٣٧ و ١٠٠ للمسيح تقريبا . وله كتـاب باللغة اليونانية في تأريخ عاديات اليهود (Ioudaike Archaioloigia) تنتهي حوادثه بسنة ٦٦ للميلاد ، وكتاب آخر في تأريخ حروب اليهود (Peri tou Joudaikou Polemou)(٢) من اسـتيلاء (انطيوخس افيفانوس) (Antiochus Epiphanos) على القدس سنة ١٧٠ قبل الميلاد الى الاستيلاء عليها مرة ثانية في عهد (طيطس) (Titus) سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة . وقد نال تقدير (فسبازيان) (Vespasian) و (طيطس) وأنعم عليه بالتمتع بحقوق المواطن الروماني(٣) .

وفي كتبـه معلومات ثمينـة عن العرب ، وأخبـار مفصلة عن العرب الأنباط لا نجدها في كتـاب ما آخر قديـم . وكان الأنبـاط في أيامه يقطنون في منطقـة واسعة تمتد من نهر الفرات فتتاخم بلاد الشام ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر(٤) . وقد عاصرهم هذا المؤرخ ، غير أنه لم يهتم بهم الا من ناحية علاقة الأنباط بالعبرانيـين ، ولم تكن بلاد العرب عنده الا مملكة الأنباط(٥) .

---

(١) Hastings. P, 891

(٢) Peri Tou Joudaikou Polemou, De Bello Judaico

(٣) Harvey, the Oxford Companion To Classical Literature. P. 228
Harvey وسأرمز اليه بـ Simon Dubnow, Weltgeschichte Des Jüdischen Volkes Vol, 2. P. 83-84 Vol. 3. P. 105. Ency. Brita. Vol. 13 P. 153.

(٤) Josephus, Antiquities, Bk. XIV. Ch. 14. § I. The Jewish war, Bk I. Ch. 14 §. I. 3. Ch. 4. §. 2.

(٥) Hastings, P. 68

وفى « الأبوكريفا » « Apocrypha »[1] وهى الكتب غير القانونيـة التى أضيفت الى العهد القديم وبعض الأسفار الملحقة بالعهد الجديد ، وفى العهد الجديد والشـروح والتفاسير التى وضعها العلماء حول التوراة والانجيل ، وفى محاضر المجامع الكنسـية والمؤتمرات التى كان يعقدها رجال الكنيسة قبل الاسلام ، لمعالجة المشكلات الدينية ، والتى كان يحضرها ممثلون عن الهيئات النصرانية فى شبه الجزيرة أهمية كبيرة بالنسبة لتأريخ العرب قبل الاسلام ، فلا بد للمؤرخ الذى يريد التوسع فى هذه الناحية ، وتتبع أحوال العرب فى هذه العهود من التفتيش عن هـذه الموارد التى تحوى أحيانا أخبارا لا نعثر عليها فى مكان آخر .

٣ ـ الكتب الكلاسيكية والسريانية :

ولهذه الكتب ـ على ما فيها من خطأ ـ أهمية كبيرة ، اذ وردت فيها أخبار تأريخية وجغرافية كبيرة الخطورة ، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنهـا شيئا . وقد استقى هؤلاء الكتاب معارفهم من الرجال الذين اشتركوا فى الحملات التـى أرسلها اليونان أوالرومان على بلاد العرب ، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرانيهم لاسيما فى بلاد الأنباط ، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون فى البحار وفى بلاد العرب للمتاجرة . وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التى كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها الى من يرغب من تجار البحر الأبيض المتوسط . وقد استقى كثير من الكتاب « الكلاسيكيين » معارفهم عن بلاد العرب من هذه « البورصة التجارية » العالمية .

وتتحدث الكتب الكلاسيكية جازمة عن وجود علاقات قديمة كانت بين سـواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان ، وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحـدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان ، وهى وجود أصل دموى مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان . وتفصح هذه النظرية ، على ما يبدو منها من سـذاجة ، عن

---

(١) كلمـة يونانيـة معنـاها اللغوى « مخبـأ » « Hidden » وفى العبرية « كنز » (Ganaz) لأن أصحابها كانوا يخفونهـا عن العامة ، كتبت أكثرها فى اليـونانى فى الاسكندرية . ومع أن الآباء اقتبسوا منها كثيرا لم يعدوها كالكتاب المقـدس ، غير أن لها قيمة عظيمة لما تحويه من الأخبار التأريخية . قاموس الكتاب المقدس ١/٢٦ .ـ
Hastings. P. 41. Ency Bibl. P, 249 ff. Ency. Brita. Vol, 2. 105 ff.

العلاقات العريقة فى القدم التى كانت تربط سكان البحر المتوسط الشماليين بسكان شبه الجزيرة العربية(١) .

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين « أخيلس » (Ae'schylus) « ٥٢٥-٤٥٦ قبل الميلاد » و « هيرودتس » « ٤٨٠ - ٤٢٥ قبل الميلاد » ، وقد زار مصر ، وتتبع أخبار الشرق بالمشاهدة والسماع ، ودون ما سمعه ، ووصف ما شاهده فى كتاب تأريخى وهو أول أوربى ألف كتابا بأسلوب علمى فى التأريخ لذلك لقبه « شيشرون » (Cicero) الشهير بلقب « أبى التأريخ » .

تناول هيرودتس تأريخ الصراع بين اليونان والفرس ، وان شئت فسمه النزاع « الاوربى الآسيوى » ، فألف عنه تأريخه . والظاهر أنه لم يتمكن من اتمامه ، ففيه فصول وضعت بعد وفاته . وهو أول كاتب يونانى اتخذ من الماضى موضوعا للحاضر ومادة للمناقشة ، بعد أن كان البحث فى أخبار الأيام السالفة مقصورا على ذكر الأساطير والقصص الشعبية والدينية . وهو على حرصه على النقد والمحاكمة ، لم يتمكن أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التى كانت تسود ذلك العالم الابتدائى فى ذلك العهد(٢) .

ومنهم « تيوفراست » (Theophrastus) (حوالى ٣٧١-٢٨٧ قبل الميلاد) مؤلف كتاب « Historia Plantarum » (٣) وكتاب « De Causis Plantarum » وفى خلال حديثه عن النباتات تطرق الى ذكر البقاع العربية التى كانت تنمو بها مختلف الأشجار ، ولا سيما المناطق الجنوبية التى كانت تصدر المر واللبان والبخور والأفاويه . و « ايراتوستينس » (Eratosthenes) « ٢٧٦-١٩٤ قبل الميلاد » ، وقد استفاد الكتاب اليونانيون الذين جاؤوا من بعده من كتاباته ، ونجد فى مواضع مختلفة من جغرافية سترابون أقوالا معزوة اليه(٤) .

---

(١) Agatharchides, de Rubro mari, Opud Geograph. Vet Script minton I P. 59 ed. Oxon. 1698. Ch. Forster, The Historical Gcography of Arabia in two Vols. Vol. 1. PP, XXXVI. Forster وسأرمز اليه بـ Pliny nat. Hist. lib VI, P. 32 Tom, 2 PP.718. ed Paris, 1828. 8 Vol.

(٢) اعتمدت على ترجمة « George Rawlinson » الانكليزية .
The History of Herodotus, Translated by George Rawlinson, in 2 Vol. London. 1920.

(٣) Theophrastus, Historia Plantarum. ed. Hort. 1916.

(٤) Eratosthenes in Strabo, and H. Berger. Die Geogr. Fragmente Des Eratosthenes. 1880.

ونضيف الى من تقدموا « ديودورس الصقلي » (Diodorus Siculus) « ٤٠ قبل الميلاد » • وقد ألف باللغة اليونانية كتابا سماه « المكتبة التأريخية » (Bibliotheke Historike) وهو تأريخ عام تناول تأريخ العالم من عصر الأساطير حتى فتح « يوليوس قيصر » لاقليم « الغال » وهو في أربعين جزءا لم يبق منها سوى خمسة عشر جزءا تبحث عن الحقبة المهمة التي تبتدىء بسنة ٤٨٠ ق•م ، وتنتهي بسنة ٣٢٣ ق•م[١] •

ويعوز هذا المؤرخ النقد لأنه جمع في كتابه كل ما وجده في الكتب القديمة من أخبار ولم يمحصها ، وقد امتلأ كتابه بالأساطير ، والعالم مع ذلك مدين له الى حد كبير في معرفة أخبار الماضين ولا سيما الأساطير الدينية القديمة •

ومن المؤلفين الكلاسيكيين « سترابون » « سترابو » (Strabo) (Strabon) « ٦٤ ق•م - ١٩ للميلاد » ، وهو رحالة كتب كتابا مهما باللغة اليونانية في سبعة عشر جزءا سماه (الجغرافية) (جغرافيا) (Geographica)[٢] وقد وصف فيه الأحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الانبراطورية الرومانية الرئيسية ، وتأريخها ، وحالات سكانها ، وغريب عاداتهم وعقائدهم • وللكتاب شأن كبير ، اذ اشتمل على كثير من الأخبار التي لا تتيسر في كتاب آخر • وقد اعتمد فيه على ما ذكره الكتاب السابقون •

وقد أفرد « سترابون » في جغرافيته فصلا خاصا (من الكتاب السادس عشر) ببلاد العرب ، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم في عهده ، ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية[٣] ، وحملة « أوليوس غالوس » (أوليوس كالوس) « Aelius Gallus » المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من اخفاقه • ولأخبار هذه الحملة التي دونها « سترابون » في جغرافيته أهمية خاصة ، اذ جاءت بمعلومات عن نواحي من تأريخ العرب نجهلها ، وقد شارك هو نفسه في الحملة ، وقد كان صديقا

---

(١) Diodorus Siculus, Bibliotheca historica: Vols. 1-3 edited by Friedrich Vogel, Vols, 4 and 5 edited by C. T. Fischer, in Bibiotheca Scriptorum Graecorum et romanorum teubneriana, Leipzig, 1888-1906.

(٢) وقيل « ٦٦ ق • م - ٢٤ للميلاد » اعتمدت على ترجمة Hamilton
The Geogeraphy, of Strabo, translated by Hamilton, London, 1912. in 3 Vols, Strabo, Geographia edited by Aaugust meineke 3 Vols, Leipzig. 1907-1913.

(٣) Strabo, Bk. 16. Ch. 1. (ed Hamilton). Vol, 3. PP, 170.

لقائدها فوصفه وصف شاهد عيان[١] . وقد استهل وصف الحملة بهذه العبارة : « لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة « أوليوس غالوس » فى أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد »[٢] .

وممن تحدث فى كتبه عن العرب « بلينيوس » « بلينى الأقدم » «Pliny The Elder» «Galus Plinius Secundus» المتوفى سنة ٧٩ للميلاد . ومن كتبه المهمة كتابه (Naturalis Historia) فى سبعة وثلاثين قسما وقد نقل فى كتابه عمن تقدمه ، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه ، غير أنه أتى فى أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر فى كتب المؤلفين الآخرين .

وهناك مؤلف يونانى مجهول وضع كتابا سماه « الطواف حول بحر الأريتريا » «Periplus or De Mari Erythraeo»[٣] أتمه فى نهاية القرن الأول للمسيح ، وقد وصف فيه تطوافه فى البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية ، والظاهر أنه كان ملما بأحوال الهند وشواطىء افريقية الشرقية ، ولعله كان تاجرا من التجار الذين كانوا يطوفون فى هذه الأنحاء للاتجار ، ولم يعتن الا بأحوال السواحل . أما الأقسام الداخلية من بلاد العرب ، فيظهر أنه لم يكن يعرف عنها شيئا[٤] .

وهناك طائفة من الكتاب الذين تركوا لنا آثارا وردت فيها اشارات الى العرب والبلاد العربية ، مثل « أبولودورس » « Apollodorus » (المتوفى سنة ١٤٠

---

(١) Strabo, (ed Hamilton) Vol. 3 PP, 209 De Lacy O'leary Arabia Before Muhammad. London. 1927 P, 75 O'leary وسأرمز اليه ب

(٢) O'leary P 75. Strabo Bk. 16 Ch. 4. 22.

(٣) Pliny , Naturalis historia, edited by C. Mayhoff, Teubner Series, 1882—1909 2nd edition, 6 Vols., Leipzig 1892-1909 D. Detlefsen, Die Geographischen Bücher (II.242-VI Schluss) der neturalis hirtoria des G. Plinius mit Vollständigen kritischen Appart. edited by W. Sieglin Vol, 9. Berlin, 1904
The Periplus of the Erythrean Sea. Transl. by W. H. Shoff. New york. 1904
أرى أن هذا الكتاب هو من مؤلفات « أغا ثرسيدس » المتوفى فى القرن الثانى قبل المسيح (١٤٥ قبل الميلاد) . فلهذا الكاتب مؤلف يقال له Periplus or De Mari erythraeo وقد نقل منه « فوتيوس » و « ديو دورس » .

(٤) O'leary P, 79

بعد المسيح) و « بطليموس القلوذى » « Claudius Ptolemaeus » الذى عاش فى الاسكندرية فى القرن الثانى للمسيح ، وهو صاحب مؤلفات فى الرياضيات منها « كتاب المجسطى » المعروف فى اللغة العربية . وله كتاب مهم فى الجغرافية سماه «Geographike Hyphegesis» (١) ويعرف باسم « جغرافية بطليموس »(٢) ، ولهذا الكتاب شهرة واسعة ، وقد درس فى أكثر مدارس العالم الى ما بعد انتهاء القرون الوسطى جمع فيه بطليموس ما عرفه العلماء اليونان من قبل وما سمعه هو بنفسه وما شاهده هو بعينه ، وقسم الأقاليم بحسب درجات الطول والعرض وقد تكلم فى كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها ، وزين الكتاب بالخرائط التى تصور وجهة نظر العلم الى العالم فى ذلك الوقت .

ومن الذين أوردوا شيئا عن أحوال بلاد العرب (أريان) « Arrian » «Flavius Arrainus» (٩٥ ـ ١٧٥ م) ، وقد ألف كتبا عديدة منها كتابه «Anabasis of Alexander The Great» فى خمسة عشر قسما ، وصف فى سبعة منها حملات الاسكندر الكبير ، وفى الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد « أميرال » «Nearchus» الاسكندر فى خليج فارس(٣) ومنهم « هيروديان » «Herodianus» (١٦٥ـ٢٥٠ بعد الميلاد) وهو مؤرخ سريانى ألف فى اليونانية كتابا عن تاريخ قياصرة الرومان من وفاة القيصر « ماركوس أوريليوس » « Marcus Aurelius » الى سنة ٢٣٨ للميلاد(٤) .

---

(١) Geographia, edited by C. F. nobbe 3 Vols Leipzig. 1843-1845. Vol, 1. Part, 1. Carolus Müllerus. Paris, 1884 Vol 1. Part 2, by C. th Fischer Paris, 1901

(٢) « قال المسعودى : وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والأنهار والعيون ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، وان عددها أربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة فى عصره ، وسماها مدينة مدينة فى اقليم اقليم ... » مروج الذهب ١/٧٣ .

(٣) Anabasis, Edited by. A. G. Ross. Leipzig. 1907 C Müller Paris, 1846 Historia Indica : edited by Carl Müller in his Geographi graeci minoris. Vol, 1. Paris, 1861. PP, 306-369.

(٤) Herodianus. Ab excessu Divi marci libri octo, edited by L. Mendelssohn, Leipzig 1883.

الموارد النصرانية :

وللمصادر النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تأريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب ، وتأريخ القبائل العربية ، وعلاقات العرب باليونان و الفرس . وقد كتب أغلبها باليونانية والسريانية . ولها في نظرنا قيمة تأريخية مهمة ، لأنها عند عرضها للحوادث كانت تربطها بتأريخ ثابت معين . مثل المجامع الكنيسية ، أو تواريخ القديسين ، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة . ومن أشهر الكتاب الذين تفيد تواريخهم في تدوين أخبار الجاهلية الكاتب « أوسبيوس » « Euse'bius » « ٢٦٥ – ٣٤٠ للميلاد » ، وكان قد ألف كتابا في التأريخ باللغة اليونانية حوى بالاضافة الى التأريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث والوقائع التي حدثت في أيامه . وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تأريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥ للميلاد ، ولم يبق من أصله غير قطع صغيرة غير أن له ترجمة باللاتينية عملها « جيروم » « Jerome » وأخرى باللغة الأرمنية ، وقد سد « جوزيف سكالكر » (Joseph Scaliger) النقص الذي كان قد طرأ على النسخة الأصلية – وذلك باستفادته من هاتين الترجمتين . ولهذا الأسقف كتب أخرى ، منها كتاب «Ecclesiastical History» الذي ينتهي بسنة ٣١٤ بعد المسيح ، وكتاب في فلسفة اليونان ودياناتهم ، وكتاب آخر في ترجمة حياة قسطنطين ، وكتاب طبوغرافية فلسطين[١] .

ومن هؤلاء المؤرخ « روفينوس تيرانيوس » (Rufinus Tyranius) المتوفى سنة ٤١٠ للميلاد صاحب كتاب « Historiae Ecclesiaticae » ، وقد ضمنه أقساما من تأريخ « أوسبيوس » . والمؤرخ « سقراط » (Socrates) وهو من الفقهاء في الكنيسة وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين ، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد العرب[٢] ، والمؤرخ « سوزمينوس » « Sozomenus » (٤٠٠–٤٤٣م)[٣] و « ثيودور »

(١) Euse'bius I. Chroincorum : edited by Alfred Schoene, 2 Vols, Berlin 1866-1875. Onomasticon: edited by Erich Klostermann Entitled Onomastikon der biblischen Ortsnamen, Vol. II Part. I Eusebius werke. Vol. 3, Part I, Leipzig. 1904.

(٢) Socrates, Eccles. Hist, Oxon., 1844

(٣) Sozomenus. Ecclesiatica Historia, in: J., P., Migne Patrologiae 67. 1859 Cols, 843-1630.

« Theodoret » المتوفى سنة ٤٥٧ للميلاد • و « زوسيموس » Zosimus « ٤٩١ – ٥١٨م » وهو مؤرخ يوناني ألف في تأريخ الانبراطورية الرومانية – اليونانية ، فأشار الى العرب وعلاقاتهم بها[١] • و « شمعون الأرشامي » « Simeon of Bejt Arsham » ، وهو صاحب « رسائل الشهداء الحميريين[٢] » • التي تبحث في تعذيب ذي نواس للنصارى في نجران ، وقد جمع أخبارها (على ما يدعيه) من بلاط ملك الحيرة حينما كان قد ذهب هنالك بمهمة رسمية كلفه بها انبراطور الروم • و « بروكوبيوس » (Procopius[٣] من رجال القرن السادس للميلاد وكان سكرتيرا للقائد « بليزاريوس » (Belisarius) أعظم قواد « يوسطنيانس[٤] » وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال أفريقية وجزيرة صقلية ومن مؤلفاته مؤلف في تأريخ زمانه ، ولا سيما حروب « يوسطنيانس » وكتاب « De Bello persico » وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب •

ومن هؤلاء « زكريا » « Zacharias » المتوفى حوالى سنة ٥٦٨ للميلاد[٥] • و« ملالا » « Malalas » المتوفى سنة ٥٧٨ للملاد[٦] • و « ميننذر » « Menander proteet r »

---

(١) Zosimus, Historia nova: edited by. L. mendelssohn, Leipzig. 1887.

(٢) Simeon of Bejt Arsham (524). Letter on the Himyarite martyrs: edition and Translation by Ign. Guidi entitled. la lettra di Semeone Vescova di Beth-Arshâm (524). Spora i martiri., Omeriti in: Reale Accademia dei Lincei Atti, anno cclXXVIII, 1880-1881, memorie dela classe di Sciennze morali, Storiche e filologiche, Vol, 7. Rome, 1881, PP, 471-515.

(٣) J. Haury, Procopius, De Bello Persico. in Bibliotheca Scriptorum Graecarum et Romanorum. Leipzig. 1905.

(٢) « يوسطنيانس » حمزة الأصفهاني في كتابه تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء • (طبع مطبعة كاوياني ببرلين) ص ٤٧ « يوسطيانوس » مروج الذهب ١/٢٧٧ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد •

(٤) Zacharias: Historia miscellanea: edited by J. P. N. Land. entitled Zacharia episcopi mitylenes aliorunquae scripta historica Graece Plerumque deperdita, Constituting J. P. N. Land, Anecdata Syriaca Vol, 3. Leiden, 1870. John malalas, Chronographia; in J. P. Migne Patrologiae Cursus Completus..., Series Graeca, Vol, 97, Paris, 1865, Cols. 65-716, also edited by Dindorf. Bonn, 1831.

المتوفى حوالى سنة ٥٨٢ للميلاد[١] . و « يوحنا الأفسى » « John of Ephesus» وقد ولد في حوالى ٥٠٥ للميلاد ، وتوفى سنة ٥٨٥ للميلاد تقريبا . وهو صاحب مؤلفات كثيرة منها كتابه « التأريخ الكنيسى » «Ecclesiatica Historia» [٢] وهو في ثلاثة أقسام يبتدىء بأيام « يوليوس قيصر » وينتهى بسنة ٥٨٥ للميلاد ، وكتاب « تأريخ القديسين الشرقيين » وقد انتهى من تأليفه سنة ٥٦٩ للميلاد[٣] .

ومن هؤلاء « أسطيفان البيزنطى » « Stephanus Byzantinus » المتوفى سنة ٦٠٠ للميلاد[٤] ، و « ايواكريوس » « Evagrius » المعروف بـ « Scholasticus » أى « المدرسى » المتوفى سنة ٦٠٠ للميلاد . وهو صاحب كتاب « التأريخ الكنيسى » «Historiae Ecclesiaticae» في ستة أقسام يبتدىء بذكر « المجمع الأفسوى » المنعقد عام ٤٣١ للميلاد وينتهى بسنة ٥٩٣ للميلاد . وهو من الكتب المهمة لأن مؤلفه لم يكتب عن هوى ، شأن أكثر كتاب الكنيسة وقد استعان بالنصوص الأصلية وبالكتب المؤلفة سابقا[٥] .

ومن هؤلاء أيضا « ثيوفليكت » «Theophylactus Simocatta» المتوفى سنة ٦٤٠ للميلاد[٦] و « ثيوفانس » « Theophanes The Confessor » المتوفى سنة ٨١٨ للميلاد[٧] .

---

(١) Menander Protector, (582) De legationibus : in J. P. migne, Patrologiae Cursus Completus..., Series Graeca, Vol, 113 Paris, 1864. Cols 791-928.

(٢) John of Ephesus. Ecclesiastical History: Part, 3. edited by william Cureton, Oxford. 1853.

(٣) Land, Anecdata Syriaca, 3 Vols, Leiden, 1862-1870, 2. 1-288.

(٤) Ethnica: edition, by August meineke, entitled Ethnicorum quae Supersunt, Vol, 1. Berlin. 1879.

(٥) Evagrius Scholasticus, Historia ecclesiasticae libri sex: in J. P. migne, Petrologiae Cursus Completus...., Series graeca, Vol, 86, Part, 2. Paris, 1865. Cols, 2405-2906. in Bury Bury's Byzant Texts. London. 1898.

(٦) Historiae, edited by, C. de Boar, Leipzig 1887.

(٧) Theophanes the Confessor, Chronographia, in., J. P, migne, Patrologiae Clssical Completus..., Series graeca, Vol, 108, Paris, 1863. Cols, 1-1010, also edited by C. de Boor Leipzig. 1887.

و « ايليا النصيبى » «Elijah (Elias) of Nisibis» (١٠٠٨م)(١) • وميخائيل السورى(٢) •
وفى قائمة المخطوطات السريانية فى المتحف البريطانى ذكر لقسم من المخطوطات ذات الفائدة فى هذا الباب(٣) ، وفى مجموعة الكتابات اليونانيــة واللاتينية(٤) ، وفى المجموعات التى تبحث فى أعمال القديسين أو فى انتشار النصرانية اشارات مهمــة الى بلاد العرب • وهناك كتاب نشره المستشرق « مولر » « Carl Müller » لمؤلف مجهول اسمه « Glaucus » يبحث فى « آثار بلاد العرب »(٥) •

٤ ـ الموارد العربية الاسلامية :

كان من المتوقع أن يوجد فى بلاد اليمن تأريخ مدون ؛ فقد كانت هذه البلاد مركز حضارة ، ومقر مدنية نشأت قبل المسيح بمئات السنين ، واستمرت عهــدا طويلا بعــد الميلاد • وقد جادت على العلماء ببضعة آلاف كتابة تعود الى عهود مختلفة • وكل ما وصل الينا من تأريخ اليمن عن طريق التآليف العربية الاسلامية يحمل طابع التــأريخ المنقول بالسماع ، فهو لا يختلف فى جوهره وشكله عن تأريخ العرب الآخرين الذين عاشــوا فى الحجاز أو نجــد أو العروض أى الذين يطلق عليهم المستشرقون اســم « العرب الشماليين »(٦) • ونجد ـ على العكس ـ أن الروايات التى تتناول تأريخ عرب الحجاز أو نجد أو العراق أو الشام أقرب الى الواقع من الروايات التى تناولت تأريخ اليمن وسائر البلاد

---

(١) Elijah of nisibis, opus chronologicum edited and translated by, E. W. Brooks (Part 1) and J. P. Chabot (Part 2), in Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Ser. 3, Vols. 7. and 8, Paris, 1909-1911.

(٢) Michael the Syrian. Chronicle: edition and French translation. by J. B. Chabot entitled Chronique de michel le Syrien, Patriarche Jacobite d'antioche (1166-1199), 4 Vols., Paris, 1899-1906.

(٣) Wright, W. Catalogue of the Syriac manuscripts in the British museum 3 Vols, London, 1870-1872.

(٤) Corpus inscriptionum Latinarum, Consilio et auctoritate Academiae Litterarum Regiae Borussicae edition, Berlin, 1862 ff, (15 Vols had Appeared by 1926).

(٥) Glaucus, Archaelogia Arabica, edited by Carl müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol, 4 Paris, 1851, P, 409.

(٦) دائرة المعارف الاسلامية • الترجمة العربية ص ٤٨٣ مادة « تأريخ » •

العربية الجنوبية وقد تغلب فيها العنصر القصصي وظهر على العنصر التأريخي . وهو أمر غريب لما عرف عن اليمانيين من تعصب لتأريخهم ، والى كثرة عدد الأخباريين منهم بالقياس الى الأخباريين المنتمين الى العدنانيين ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على أن اليمانين المسلمين كانوا قد نسوا تأريخ أجدادهم الذين عاشوا قبل الاسلام ، فلم يختلف أسلوبهم في رواية تأريخ القحطانيين عن رواية تأريخ العدنانيين ، أي الاعتماد على المشافهة والسماع لا النصوص والكتابات .

وأريد أن أقسم التأريخ الجاهلي فيما يخص علاقته بالرواية العربية المنقولة بالسماع الى قسمين : الجاهلية البعيدة ، والجاهلية القريبة من الاسلام . أما أخبار الجاهلية الأولى فلا يمكن أخذها من المصادر العربية الاسلامية ، لأنها مجموعة أقاصيص وأساطير أخذت من منابع مختلفة ، حاول الرواة الباسها ثوبا قديما ، وارجاعها الى عصور قديمة جدا ، وهي لا تصلح أن تكون مادة تأريخية . فلتدوين هذا القسم لابد من الرجوع الى المصادر الأخرى ولا سيما النقوش . وأما أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام التي وقعت منذ سنة خمسمائة بعد الميلاد الى البعثة ، فيمكن أخذها من المصادر العربية الاسلامية ، وقد وعت الذاكرة شيئا من تلك الحوادث ، وحافظت على صورتها الأصلية تقريبا حتى تناولتها أقلام المؤلفين في العصر الأموي والعباسي الأول فدونوها في الكتب ، ومنها هذا الذي نتحدث عنه في الوقت الحاضر .

الحق ، اننا اذا أردنا الوقوف على أحوال الحياة الجاهلية ، وعلى تفكير الجاهليين في الحجاز وقوفا صحيحا لا ريب فيه ولا شبهة ، فلا بد لنا من الرجوع الى القرآن الكريم ، ولا بد من تقديمه على سائر المراجع العربية الاسلامية ، وهو فوقها بالطبع . ولا أريد أن أدخله فيها لأنه كتاب مقدس ، لم ينزل كتابا في التأريخ أو اللغة أو ما شاكل ذلك ، ولكنه نزل كتابا عربيا ، لغته هي اللغة العربية التي كان يتكلم بها أهل الحجاز ، وقد خاطب قوما نتحدث عنهم في هذا الكتاب ، فوصف حالتهم ، وتفكيرهم وعقائدهم ، ونصحهم وذكرهم بالأمم والشعوب العربية الخالية[١] ، وطلب منهم ترك ما هم عليه ، وتطرق الى

---

(١) سورة هود سورة ١١ آية ٩٥ ، سورة الحج سورة ٢٢ آية ٤٢ ، سورة الشعراء سورة ٢٦ آية ١٤١ ، سورة الحاقة سورة ٦٩ آية ٤ ، سورة ق سورة ٥٠ آية ١٤ ، سورة الدخان سورة ٤٤ آية ٣٧ ، سورة الفيل سورة ١٠٥ آية ١ ، سورة البروج سورة ٨٥ آية ٤ .

ذكر تجاراتهم ، وسياساتهم وغير ذلك ، وقد مثلهم أناسا كانت لهم صلات بالعالم الخارجي ، واطلاع على أحوال من كان حولهم . وفيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوطة التى نجدها فى المصادر العربية الاسلامية . فهو مرآة صافية للعصر الجاهلى ، وهو كتاب صدق لا سبيل الى الشك فى صحة نصه[1] .

صور القرآن الكريم الجاهليين تصويرا صادقا ، وصفهم كما كانوا ، ورسم النحو الذى كانوا عليه قبيل نزول الوحى ، فذكر آراءهم ومذاهبهم فى الحياة ، وتعرض لحياتهم الدينية على قدر ما كان لهذه الحياة من علاقة بمعارضتهم للقرآن والاسلام ، وبين شدة تمسكهم بمثلهم وبعقائدهم تمسكا شديدا ، وتعرض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم ، وذكر تجارتهم مع العالم الخارجى ، ووقوفهم على تيارات السياسة العالمية ، وانقسام الدول الى معسكرين ، وتكلم على أشياء أخر سنتعرض لها فيما بعد . وفى كل ذلك دليل على أن صورة الاخباريين التى رسموها للجاهلية ، لم تكن صورة صحيحة متقنة ، وأن ما زعموه من عزلة شبه جزيرة العرب ، وجهل العرب وهمجيتهم فى الجاهلية الجهلاء ، كان زعما لا يؤيده القرآن الكريم الذى خالف كثيرا مما ذهبوا اليه[2] .

وكتب الحديث وشروحها مورد غنى من الموارد التى لابد منها لتدوين أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام ، نجد فيها ما لا نجده فى مورد آخر من موارد التأريخ الجاهلى ، ويمثل الحديث أقدم الروايات الشفوية التى وصلت الينا عن طريق التدوين وأقربها الى الصحة ، لحذر المحدثين فى رواية الحديث ، وتشددهم فى الأخذ وفى نقد الرجال . ولم يكن هدف أصحاب الحديث رواية أخبار الجاهلية ، وانما ذكروها لما كان لحياة الرسول من صلة وثيقة بذلك العهد الذى ولد فيه ، والذى قضى الصحابة أمدا من عمرهم فيه .

ولما كانت هذه الأحاديث بعيدة ، فى الغالب ، عن النواحى المؤثرة التى يكون للعاطفة والنزعات النفسية والميول الحزبية أثر عليها ؟ لذلك فهى من الموارد التى يمكن أن يرتاح اليها المؤرخ الناقد بالجملة ، ويمكن ألا يعمل فيها معوله عملا ماضيا فى صقل

---

(١) فى الأدب الجاهلى تأليف الدكتور طه حسين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٣ ص ٦٨ وما يليها .

(٢) فى الأدب الجاهلى ص ٧٠ وما بعدها .

بناء الرواية أو هدمها • وقد لاحظت قلة عناية من حاول تدوين التأريخ الجاهلي باستخدام الحديث موردا من موارد هذا التأريخ حتى بين المستشرقين ، وهو تقصير يجب أن يذكر ، وعلينا أن نشير الى وجوب الرجوع الى الحديث فى تدوين أخبار هذه الجاهليـة المتصلة بالاسـلام •

والصورة التى رسمتها كتب الحـديث للجاهليـة تختلف كـذلك عن الصـورة المتعارفة ، ففيها أن شبه جزيرة العرب كان لها اتصال بالعالم الخارجى قبل الاسـلام ، وعلم بما كان يجرى فى السياسة العالميـة ، وكان فيهـا أحزاب وشيع تتحزب للروم وللفرس ، وكانت تعرف الأسواق العالمية ، وتسير قوافلها وتجارتها اليها ، وفيهـا أن الرسول كتب الى الملوك والأمراء يدعوهم الى رسالة الاسلام ، وأنه أمر المؤمنين بالهجرة الى الحبشة ، وأنه جادل اليهود والنصارى والوثنيين جدالا دل على علـم هؤلاء بالديانات وعلى أن لهم منطقـا وفهما • وفيها أشياء أخرى سـنتحدث عنها كلها تفند تلك الصورة القاتمة التى رسمت لنا عن العرب قبل الاسلام •

والتفسير مصدر آخر من المصادر المساعدة لمعرفة تأريخ ما قبل الاسـلام ، وفـى التفاسير ثروة تأريخية تفيد مؤرخ هذا الوقت ؛ تشرح له ما جاء مقتضبا فى كتاب الله ، وتبسـط له ما كان عالقـا بأذهان الناس عن الأيام التى سـبقت الاسـلام ، وتحكى له ما سمعوه عن القبائل العربية البائدة التى ورد لها ذكر مقتضب فى السور ، وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات •

ثم « الشـعر » والشـعر ديوان العرب[1] ، تعرض لأيام العرب ، وحروبهم ،

---

(١) بلوغ الأرب : ٣/٨٢ ، السيوطى : المزهر ٢/٤٧٠ • الجمحى : طبقات الشعراء ص ١٠ ، الدينورى : الأخبار الطوال ٣٣٢ •

« وعن عكرمة قال : ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله ـ عز وجـل ـ الا نزع فيها بيتا من الشعر ، وكان يقول : اذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله ، فاطلبوه فى الشعر فانه ديوان العرب » • شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ـ٣ • « قال ابن فارس : والشعر ديوان العرب ، وبه حفظت الانساب ، وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحـديث صحابته والتابعين » المزهر ٢/٤٧٠ •

Lectures, P, 22. Charles Lyall, ancient Arab Poetry. P, XV.

« وأخرج أبو بكر الأنبارى فى كتاب الوقف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فان الشـعر ديوان العرب » المزهر ٢/٣٠٢ •

وأنسابهم ، ومفاخر القبائل ، وعقائدهم ، وغير ذلك مما له صلة بالقوم قبل الاسلام .
وقد عنى جماعة بجمع أشعار القدماء فجمعوا شعر الشعراء الجاهليين ، ورووا « المعلقات » وهى قصائد شهيرة قالوا انها كانت أبعد القصائد الجاهلية مدى فى الرواية ، وأوفرها حظا من الحفظ والعناية . وقالوا لها « المذهبات » و « السموط » لزعمهم أن العرب اختارتها فكتبتها بماء الذهب على القباطى ثم علقتها على الكعبة اعجابا بها واشادة بذكرها ، وقد بقى بعضها الى يوم الفتح وذهب ببعضها الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الاسلام[1] .

وقد أنكر جماعة من العلماء تعليق هذه المعلقات ، ومنهم : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ للهجرة ، فعنده « أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة[2] » . وممن أنكر تعليقها أيضا من المستشرقين المستشرق الألمانى « نولدكه » صاحب الأبحاث الشهيرة فى الشعر العربى[3] .

ولشعر الشعراء المخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام أهمية كبيرة فى تدوين تأريخ الجاهلية المتصلة بالاسلام . فقد تعرض هؤلاء لكثير من الأحداث التى وقعت فى الجاهلية ، كما تعرضوا لحياة الملوك والمشايخ الذين أدركوهم ، فورد فى شعرهم ما يتعلق بالغساسنة والمناذرة ، وبمشايخ القبائل ، وبأحوال قبائلهم فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة[4] .

ويعود الفضل فى الغالب الى الشعر فى بقاء كثير من الروايات ، وتناقلها بين الرواة وانتشارها ، حتى أن كثيرا من الروايات قد نسيت بسبب ذهاب الشعر الذى جاء فى تلك المناسبات ونسيانه ، فى حين ان أشعارا جديدة ـ كانت تنظم فى مآثر القبائل والأيام ، والأنساب ، وما الى ذلك ـ كانت تخلق قصصا جديدا وروايات جديدة . ولا تخلو أيام

---

(١) المزهر ٢/٤٨٠ « فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره » .
Nöldeke, Beiträge. P, IX. Arnold, Septem moallakat, Leipzig 1850. L. Abel, Wörterverzeichnisse zur altarabischen Poesie, Berlin, 1891. Dr Abel mu'alla. qatausgabe nachgeprüft, Studien in Arabischen Dichter I, Berlin. 1893-4.

(٢) ياقوت : الارشاد ٤/١٤٠ .

(٣) Nöldeke, Beiträge. P, XVII f.

(٤) مثل شعر حسان بن ثابت الذى تعرض لكثير من الأحداث التى وقعت فى الجاهلية . ديوان حسان بن ثابت « طبعة سلسلة كب » تحقيق هرشفلد لندن ١٩١٠ .

العرب من شعر تختلف نسبته بحسب نوع الرواية . وقد يكون الشعر ذا علاقة بعيدة أو عرضية بالرواية . وقد يكون هو السبب فى ظهور الرواية حيث ترد شرحا له وتفسيرا[١] . ويلاحظ أن الرواة قد أكثروا من الشعر فى الروايات اليمانية بمناسبة وبغير مناسبة ، وأكثره من النوع المنحول الذى قيل على ألسنة التابعة لتأكيد أنهم كانوا يقولون الشعر وينظمون القصائد ، ويتكلمون بهذا اللسان لسان القرآن . ولعل الرواة تعمدوا ذلك لستر ضعف رواياتهم والركاكة البادية عليها ، وتغطية اختفاء العنصر التأريخى فيها بهذا الشعر .

ويجب أن نأخذ هذين الشعرين بحذر ، وخاصة الشعر الجاهلى ففيه شىء غير قليل وضع على لسان الجاهليين ، وضعه أناس عرفوا بالمهارة والحذق فى الصنعة والعلم بأساليب الشعر القديم ، وقد بحث فى ذلك رجال الأدب ؛ من عرب ومستشرقين[٢] .

وتعرضت كتب السير والمغازى لأخبار الجاهلية بقدر ما كان للجاهلية من صلة بتأريخ الرسول . كما تعرضت لها كتب التأريخ والأدب وكتب الأنساب والمثالب والبيوتات ومجامع الأمثال والكتب التى ألفت فى أخبار المعمرين ، وفى الأيام ، والبلدان ، والمعجمات والجغرافية والسياحات وغير ذلك ، فورد فى ثناياها أخبار قيمة عن هذه الجاهلية المتصلة بالاسلام . وهى موارد عظيمة الأهمية لمؤرخ هذه الحقبة ، كثيرة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ص ٤٨٤ .

(٢) Nöldeke, zur Geschichte und Kritik der altarabischen Poesie in Beitr. zu Kenntnis der Poesie der alten Araber. Hannover 1864. Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der alten Arabischen Gedichte. Greifswald 1872.

Margoliouth, The origins of Arabic Poetry, JRAS 1925. P, 417-49.

راجع كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » . طبع القاهرة ١٩٢٦ وقد أثار هذا الكتاب حملة عنيفة عليه فألف جماعة فى تفنيده . ذكر أسماء بعضهم « بروكلمن »

Brockelmann, Erster Teil Suppl. p, 32.

« كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره ، وكانوا يصنعون الشعر ، ويقتنون المصنوع منه وينسبونه الى غير أهله . وقد حدثنى سعيد بن هريم البرجمى قال : حدثنى من أثق به أنه كان عند حماد ، حتى جاء أعرابى فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر لمن هى ، فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الأعرابى ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة . » المزهر ٤٠٦/٢ .

العدد ، هيأها عدد كبير من العلماء ، لا يمكن استقصاؤهم فى هذه المقدمة ، والتحدث عن مؤلفاتهم ، وهو حديث يحتاج الى فصول • وسنكتفى بالتحدث عن بضعة أشخاص ، لما لهم من علاقة متينة بهذا الموضوع ، على أن نتحدث عن الآخرين فى المحال المناسبة من الكتاب •

المؤرخون المسلمون :

لا يتجاوز ما ذكره المؤرخون والأخباريون ، ورجال الأدب عن العصر الجاهلى القرن الخامس للميلاد على أكثر تقدير[١] • وأما ما روى على أنه فوق ذلك ، فكله قصص شعبى ، أو قصص متأثر بالتوراة •

لقد تحدثوا فى الأنساب ، وفى عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ، وتكلموا على المبانى « العادية » ، فنسبوا أكثرها الى جن سليمان ، وعمل سليمان ، ونسبوا الباقى الى « عاد » • ورووا شعرا ونثرا زعموا أنه مما حفظ عن التبابعة وهو لا يخلو اما أن يكون من القصص الشعبى ، أو من القصص المتأثر بالتوراة ، أو من نسج خيال الرواة والاخباريين الذين ادعوا العلم بأخبار الماضين • ويعد ذلك من قبيل الأساطير التى رواها اليونان والاسرائيليون والرومان وسائر الشعوب الأخر عن العصور التى سبقت عندهم عصور الكتابة والتدوين •

ونجد ــ بصورة عامة ــ أن أخبار القبائل والامارات العربية الشمالية ، مثل المناذرة والغساسنة وعرب تدمر ، أقرب الى التأريخ والواقع من أخبار عرب شبه الجزيرة بما فى ذلك أخبار اليمن ، ويعود سبب ذلك فى نظرى الى عنايتهم بتدوين أخبارهم ، والى عناية المؤرخين الأعاجم بتدوين أخبارهم كذلك ، كالسريان واليونان والرومان والفرس ، ووقوف الرواة عليها ، ثم قرب عهدهم من الاسلام •

جاء أن أهل الحيرة كانوا يعنون بتدوين أخبارهم وأنسابهم وأنساب ملوكهم وأعمار من ملك منهم وكانوا يضعون ذلك فى بيع الحيرة[٢] ، وورد أن النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج وهى الكراريس فكتبت له ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبى عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا ، فاحتفره فأخرج

---

(١) R. Nicholson. A Literary History of the Arabs. P, XXII.

(٢) الطبرى ٢/٣٧ •

تلك الأشعار[1] وذكر ابن سلام الجمحي أنه كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك الى بنى مروان أو ما صار منه[2] . وهى روايات لا نستطيع أن نقف منها موقفا ايجابيا فى الوقت الحاضر ، وسنتحدث عنها فيما بعد .

وذكروا أنه كان بين سكان الحيرة أناس يحسنون القراءة والكتابة واللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية واليونانية ، وقد ظهر من بينهم من ألف مباحث فى الكتاب المقدس وفى الموضوعات اللاهوتية ، والطبية ، واللغوية[3] والتأريخية ؛ وكان بينهم من له وقوف على كتب التأريخ وأخبار الملوك ، ومنهم تعلم « النضر بن الحارث » أخبار العجم ، فلما رجع الى الحجاز قام يحدثهم عن رستم ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس[4] وقد نقل غيره ممن اتصلوا بالحيرة ـ وكانوا يتصدون ملوك المناذرة أو الغساسنة ـ مثل هذه الأخبار الى سائر أنحاء شبه الجزيرة ، وهذا مما ساعد على حفظ تواريخ عرب الشمال .

وقد وقف أهل الحيرة على مؤلفات فارسية وضعت فى التأريخ ، وقد ترجم بعضها الى العربية قبل الاسلام ، ونقل قسم منها الى العربية فى الاسلام ، مثل « كتاب سير العجم »[5] أو « كتاب خداى نامه فى السير »[6] أو « كتاب سير الملوك » أو « سير ملوك العجم »[7] ترجمة عبدالله بن المقفع ، و « كتاب التاج »[8] للمترجم نفسه ، وكتب

---

(١) تاج العروس ٢/٧٠ . لسان العرب ٣/١٤٢ .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٠ ، المزهر ٢/٤٧٤ .

(٣) يوسف رزق الله غنيمة : الحيرة ص ٥٧ (بغداد سنة ١٩٣٦) Nabia, PP. 5

(٤) سيرة ابن هشام « تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد » ١/٣٨١ .
Brockelmann, G.A.L. Vol, I P. 31

(٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/١١٧ وسيكون رمزه « عيون » (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥) .

(٦) ابن النديم : الفهرست ١٧٢ « خداى نامه وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس » حمزة ١٥ . « وهو فى حكاية حمل ما فى خداى نامه لم يحكها ابن المقفع ولا ابن الجهم فجئت بها فى آخر هذا الباب ... » حمزة ٤٣ « كتاب خداينامه فى السير » .

(٧) عيون ١/١١٧ .

(٨) عيون ١/٥ « كتاب التاج فى سيرة أنوشروان » الفهرست ١٧٢ .

أخرى كانت شائعة عند الفرس معروفة ، يحافظون عليها ، ورد فيها أخبار عرب العراق وعرب الشام فى جملة ما ورد من أخبار ذات صلة بتأريخهم ، رجع اليها ابن الكلبى وجمهرة من المؤرخين فى تدوين تأريخ الحيرة وعرب العراق[1] .

وعلى أخبار الرواة الاسلاميين الذين استقوا من هـذا المعين الأثر الفارسى فى الرواية ، والنزعة الى العجم . ولما كانت هذه المؤلفات أقدم ما وصل الى أيدى الأخباريين ذهب « كولدتزهير » الى الأثر الفارسى فى ظهور علم التأريخ عند العرب[2] . وقد أيده فى هذا الرأى « بروكلمن »[3] وهو موضوع يحتاج الى بحث فى الوقت الحاضر ، ما دام العلماء لم يقوموا حتى الآن بمقارنة الروايات العربية بالروايات الأخرى ، المبعثرة فى ثنايا كتب التأريخ . وعلى كل فليس فى وسع أحد أن ينكر أثر التحيز الى الفرس فى هذا المدون على أنه تأريخ للمناذرة ولعرب العراق .

ويكاد يكون أكثر ما دون عن « الغساسنة » فى المؤلفات العربية الاسلامية مأخوذا من الروايات المتأثرة بالفارسية ، ومن الكتب الفارسية المترجمة الى العربية ، وتكاد ترجع فى الغالب الى شخص واحد ، تخصص بأخبار الحيرة وملوك الفرس ؛ هو هشـام بن محمد الكلبى ، وهو الذى روى هذه الأخبار اعتمادا على بحوثه الخاصة ، وعلى البحوث والدراسات التى قام بها والده من قبله . ويجب أن نجعل لهذه الملاحظة الاعتبار الأول فى تدوين تأريخ الغساسنة . وقد وردت أخبارهم فى الطبرى مع أخبار ملوك الحـيرة والفرس لهذا السبب ، وأما فى سائر الأصول التأريخية الأخرى ، فهى مقتضبة وقد اكتفى بعضها بايراد جريدة بأسماء الملوك ، وهو عمل ينبئك بقلة بضاعة القوم فى تأريخ عرب الشام . وعلى كل حال ـ فاننا نجد فى كتب الأدب وفى دواوين الشعر عونا لنا فى تدوين تأريخ غسان ، وان كان ذلك كله لا يكفى ، اذ لابد من الاعتمـاد على الأصول اليونانية والسريانية التى كشفت لنا عن نواح مجهولة كما صححت شيئا كثيرا مما ورد فى المصادر العربية من أغلاط[4] .

---

(١) المسعودى : مروج ١/١٤٦ التنبيه والاشراف ٩٢ . « وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى عن عمر كسرى فى كتاب له فى اخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وحدث ... » امروج ١/١٦٩ .

(٢) Brockelmann, Vol, I. P, 143.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أمراء غسان لنولدكه ترجمة الدكتور قسطنطين زريق والدكتور بندلى جوزى (بيروت سنة ١٩٣٣) ص ١ـ٢ .

ولا تخلو روايات ابن الكلبي العراقي الكوفي من أثر التعصب لأبناء قومه المجاورين له على الغساسنة . ولذلك فقد تتعارض رواياته وروايات من اعتمد على المراجع الفارسية ـ العراقية ، مع روايات علماء اللغة والأدب وأخبارهم التي وردت استطرادا عن أهل الحيرة أو الغساسنة ومرجعهم الروايات العربية الخالصة ، ويمكن ادراك اتجاهها وميولها بوضوح ، ولهذا تستحسن الموازنة بين الروايتين . أما روايات أهل المدينة فهي في مصلحة الغساسنة في الأكثر ، وقد كانوا أكثر اتصالا بهم من اتصالهم بآل لخم ، وقد كان شعراؤهم يفتخرون بانتسابهم هم وآل غسان الى أصل واحد ودوحة واحدة هي الأزد . ولهذا يستحسن التفكير في هذه النقطة بالنسبة لروايات أهل المدينة ، ولا سيما حسان بن ثابت الأنصاري ، عن آل غسان .

ومما يؤسف له أن المؤرخين المسلمين لم يغرفوا من المناهل اليونانية والسريانية لتدوين أخبار العرب قبل الاسلام ، مع أنها أضبط وأدق من الأصول الفارسية ، ومن الروايات التي تعتمد على المشافهة بالطبع . وقد كان من عادة اليونان الحاق عدد من المخبرين والمسجلين الرسميين بالحملات لتسجيل أخبارها . وقد وقف بعض المؤرخين على مؤلفات كانت قد ترجمت من الرومية ومن السريانية ، نقلها جماعة من النصارى ونقلوا منها أخبار المجامع الكنيسية وشيئا من عقائد النصارى ، وأخبار ملوك الروم ، كما فعل المسعودي[(١)] وحمزة الأصفهاني ، غير أن هذا النقل كان في دائرة ضيقة ، ولا سيما بالنسبة لعلاقات اليونان والروم بالعرب وانتشار النصرانية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام .

واذا تعمقنا في دراسة القصص والسمر والأيام ، وقارنا ذلك بالنتائج التي حصل عليها المستشرقون من دراسة الأصول اليونانية والرومانية والسريانية والكتابات ، فقد نتوصل الى نتائج طريفة ترينا كيف تحولت الحقائق التأريخية الى شيء من الاساطير . فقد وضعت الروايات العربية مثلا « زنوبيا » أو « زينب » في المرتبة الثانية ، وأعطت الدور الأول لشخصية أخرى دعتها « الزباء » قالت انها أخت « زنوبيا » وقد أخذ الأخباريون اسم « الزباء » من اسم قائد « زنوبيا » الشهير الذي ألقى الرعب في نفوس القبائل والحدود

---

(١) مروج الذهب ، ١/١٨٧ ، ٢٠٣ التنبيه ١٣٢ . « وهذه التواريخ أخذتها عن رجل رومي . » « وقال وكيع : نقلت هذه التواريخ من كتاب ملك من ملوك الروم تولى نقله الى العربية بعض التراجمة » حمزة : كتاب تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص٤٨ ، ٥٢ .

السورية وهو القائد « زبداى » . الذى ترك أثرا عميقا فى نفوس رجال البادية وقبائل الحدود ، رفعه الى الدرجة الأولى فى الرواية . فارتفع بذلك اسم « الزباء » وتقدم على « زنوبيا » وجعلت الروايات ـ أيضا ـ من الثغرة التى عملتها « زنوبيا » فى سور تدمر (حينما أطبقت على المدينة جيوش « أورليان ») للهرب منها ، نفقا يصل قصر الزباء بقصر أختها على ضفتى نهر الفرات ، كما أوجدت من قصة مقتل « أذينة » زوج « زنوبيا » بأيد غادرة فى اثناء ضيافة ، قصة مقتل « جذيمة » بتدبير « زنوبيا » ومؤامرتها فى ضيافتها[١] . وقد أطلقت بعض الروايات على أخت « الزباء » اسم « زبيبة »[٢] . فلهذه القصة اذن أصل كما رأيت ، وفى وسع المؤرخ الوصول الى مثل هذه النتائج اذا ما قام بتحليل تلك القصص وتيسرت له الموارد المساعدة .

وفى طليعة من اشتغل برواية أخبار ما قبل الاسلام عبيد بن شرية ووهب بن منبه ومحمد بن السائب الكلبى وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى .

فأما عبيد بن شرية[٣] فقد كان من أهل صنعاء (فى رواية) أو من سكنة الرقة (فى رواية أخرى) وكان معروفا عند الناس بالقصص والأخبار ، فطلبه معاوية ، فصار يحدثه بأخبار الماضين[٤] . ومن الكتب المنسوبة اليه : كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين ، وقد طبع فى ذيل « كتاب التيجان فى ملوك حمير » المطبوع بحيدر آباد

(١) Brockelmann, G.A.L, I. P, 32. JRAS.XIX 583. 597. A. Müller. Der Islam. I. P. IIf.

ونجد فى قصة « سميراميس » ذكر نفق كهذا النفق المنسوب الى الزباء . ونجد مثل ذلك فى قصص شعوب أخرى .

(٢) « وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة » الطبرى ٢/٣٢ .

(٣) الفهرست ٣٢ ، السجستانى : كتاب المعمرين ٤٠ ، ياقوت : الارشاد ٥/١٠ وما بعدها . Brockelmann, Vol. I. P. 64. Suppl. Vol. I. P. 100 Von Kremer, Südarabische Sage. 16-32. Muh. Stud. Vol, I. P, 183.

(٤) ولتفسير الأمثال العربية القديمة الواردة فى القصص ؛ راجع Muh. Stud. I. P, 182. not. 5. الأغانى ٢١/١٩١ ، ٢٠٦ .

« فأمر به معاوية فأنزله فى قربه وأخدمه وأمر من يجرى وظيفته ووسع عليه وألطفه ـ فاذا كان ذلك فى وقت السمر فهو سميره فى خاصته من أهل بيته وكان يقص عليه ليله ويذهب عنه همومه وأنساه كل سمير كان قبله ولم يخطر على قلبه شىء قط الا وجد عنده شيئا وفرحا ومرحا ـ فاذا كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها ، أمر أهل ديوانه أن يوقعوه ويدونوه فى الكتب ... » أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ص ٣١٢ـ٣١٣ .

دكن بالهند[١] بعنوان « أخبار عبيد بن شـــرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشـعارها وأنسابها » . وقد وضع الكتاب على الطريقة التي تروى بها أيام العرب وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان[٢] وطسم وجديس والتبابعة . وفيه قصص اسرائيلي وشعبي يمثل في جملته السذاجة وضعف ملكة النقد ، ومبلغ علم الناس في ذلك الوقت بأخبار الأوائل[٣] .

وقد حصل « كتاب الملوك وأخبار الماضين » على شهرة بعيدة ، وطلب في كل مكان ، وكثرت نسخه ، ومع هذه الكثرة اختلفت نســـخه ، حتى صعب العثور على نســختين متشابهتين منه[٤] . وقد نقل الهمداني (المتوفى ســنة ٣٣٤ للهجرة) من هـــذه الكتب المنسوبة لعبيد[٥] . والطابع الظاهر على أخبار عبيـــد هو القصص الشـعبي والقصص المتأثر بالاسرائيليات . وأما الشعر الكثير الذي رواه على أنه من نظم التبابعـة وغـيرهم ـ وفيـه قصائد طويلة ـ فلا ندري أمن نظمه أم من نظم أشـــخاص آخرين قالوها على لسان من زعموا أنهم نظموها أو أنها أضيفت فيما بعد الى الكتاب ونسبت الى عبيد ؟ وعلى كل فهي تستحق توجيه عناية الباحثين .

وأما وهب بن منبه فقد كان من أهل « ذمار » وكان قاصا أخباريا ، من الأبنـاء ، ويقال انه كان من أصل يهودي ، واليه ترجع أكثر الاسرائليات المنتشرة في المؤلفـات العربية . وقد زعم أنه كان ينقل من التوراة وكتب بني اسرائيل وأنه كان يقول « قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا »[٦]، وأنه كان يتقن اليونانية والسريانية ، والحميرية وأنه كان يحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقـدر أحد على قراءتهـا . قال

---

(١) طبع سنة ١٣٤٧هـ . ويرى المستشرق كرنكو أن الجامع له ابن هشـــام مؤلف التيجان . راجع ملحوظة ١ ص ٣١٢ .

(٢) Muh. Stud. Vol, 2. P. 204.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ص ٤٨٣ .

(٤) Muh. Stud. 1. P, 182-183. Brocklmann G.A.L. 1. P, 64-65 wüstenfeld Gesch. 5. Lidzbarski, De Propheticis qu. d. legendis arabicis. Leipzig. 1893. 1-2.

(٥) الاكليل (طبعــة الكرملي) ٨/٧١ ، ١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ومواضع أخرى .

(٦) ارشاد الأريب ٧/٢٣٢ .

المسعودى : « وجد فى حائط المسجد[1] لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به الى وهب بن منبه فقال : هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقى من طول أملك ، وتصرت عن رغبتك وحيلك ، وانما تلقى قدمك ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل • وكتب زمن سليمان بن داود »[2] • وفى كتاب « التيجان فى ملوك حمير » رواية ابن هشام نماذج لقراءته ، وهى على هذا النسق •

والذى يهمنا بالطبع من أمر وهب أخباره عن عرب ما قبل الاسلام ، ولوهب أخبار عن اليمن والأقوام العربية البائدة ، أما عن عرب شمال شبه الجزيرة فالظاهر أنه لم يكن له علم بأخبارهم • ونجد رواية وهب عن نصارى نجران وتعذيب « ذى نواس » اياهم وقصة الراهب « فيميون »[3] مطابقة للروايات النصرانية ولما جاء فى كتاب « شمعون الأرشامى » عن هذا الحادث • والظاهر أنه كان قد أخذها من المؤلفات النصرانية أو من الأشخاص الذين كانوا سمعوا بهذه الأنباء • وقد كان وهب يستمد أخباره من النصارى ، ففى رواياته أخبار لابد أن يكون وهب قد أخذها منهم[4] • كما كان يستعين بالكتب ، جاء فى الأخبار أن همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليمانى أبا عقبة الصنعانى الأبناوى ، وهو شقيق وهب بن منبه ، كان يشترى الكتب لأخيه[5] •

---

(١) يعنى مسجد دمشق وذلك فى أيام الخليفة الوليد •

(٢) مروج ٢/١٥٢ (طبعة المطبعة البهية سنة ١٣٤٦هـ) •

(٣) راجع الطبرى ٢/١٠٣ ، أيضا ما كتبته عنه فى الجزء الأول من مجلة المجمع العلمى العراقى فى « موارد تأريخ الطبرى » سنة ١٩٥٠ •

(٤) Ency. Vol, 4. P. 1084. تفسير الطبرى ٣/١٤٧ ، ١٧٧ ، (مولد المسيح وحياته) ١٦/٤٣ (الحمل) • المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن • تأليف كولدتزهير ترجمة على حسن عبدالقادر ص ٨٨ ، تاريخ الطبرى ١/١٠٢ ، تفسير الطبرى ١٦/٤٣ ، مجلة المجمع ١/١٩٠٠٠

(٥) تهذيب التهذيب ١١/٦٧ •

ومن الكتب المنسوبة لوهب « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم[1] ، وقد تناول أخبار التبابعة ، والظاهر أن « كتاب التيجان في ملوك حمير » الذى طبع فى الهند[2] رواية ابن هشام أبى محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى (المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة) قد استند اليه ، بعد أن أضاف اليه أخبارا أخذها من مؤلفات محمد بن السائب الكلبى[3] وأبى مخنف لوط بن يحيى[4] ، وزياد بن عبدالله بن الطفيل العامرى أبى محمد الكوفى المعروف بالبكائى راوية ابن اسحاق[5] . وهو خليط من الاسرائيليات والقصص الشعبى اليمانى ومن مواد أخرى قد تكون من وضعه ، أو من صنعة آخرين ، صنعوها قبله فأخذها من ألسنة الناس ، مثل تلك القصائد والأشعار الكثيرة المنسوبة الى التبابعة وغيرهم . وقد أورد فى الكتاب أسماء أخذت من التوراة ، ذكرها بنصها كما تلفظ فى العبرانية[6] ، وأما سائر الأخبار الواردة فى الكتاب ، فالغالب عليها السذاجة ، والبساطة ، فلا نجد فيها عمقا ولا مادة تأريخية غزيرة كالمادة التى نجدها فى مؤلفات ابن الكلبى ، وفى مؤلفات الهمدانى الذى عاش بعده ولذلك فيمكن عد عبيد بن شرية ، ووهب بن منبه فى طبقة « القصاص » .

---

(١) ياقوت : ارشاد الأريب ٢٣٢/٧ « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك » . وعثر على مجموعة من الأوراق المخطوطة فى خزانة كتب « هايدلبرك » بألمانية ، رأى « بيكر » أنها جزء من كتاب المغازى لوهب بن منبه .
C. H. Becker, Papyri Schott-Reinhardt. 1. 8. Fück, Muhammad Ibn Isháq. P, 4
Ency. Vol, 4. P, 1084-1085.

(٢) فى حيدرآباد دكن سنة ١٣٤٧هـ . وبذيله « كتاب أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » ، وقد مر ذلك .

(٣) التيجان ص ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ومواضع أخرى .

(٤) التيجان ١٢٥ ، ١٨٠ ومواضع أخرى .

(٥) التيجان ٦٦ ، ٧٥ . ومواضع أخرى . راجع عن البكائى : لسان الميزان ٨٣٦/٦ . سيرة ابن هشام (تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد) ١٦/١ ، كتاب الكنى والألقاب ٨٢/٢ لعباس بن محمد رضا القمى ؛ طبع مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٨ هـ .

(٦) Ency. 4. P, 1084. راجع ما كتبه « كرنكو » عن الكتابين كتاب التيجان وكتاب أخبار عبيد فى مجلة « The Islamic Culture » المجلد الثانى بعنوان :
« The Two Oldest Books on Arabic Folklore » . دائرة . ص ٤٨٤ .

ولأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة[١] فضل كبير على دراسات تأريخ العرب قبل الاسلام ؛ فأغلب معارفنا عن هذا العهد تعود اليه . وقد سلك مسلكا جعله فى طليعة الباحثين فى الدراسات الأثرية عند المسلمين ، برجوعه الى الأصول ، واعتماده على المراجع التأريخية متبعا سبيلا تختلف عن سبيل أهل اللغة ، وطريقة اللغويين فى البحث[٢] ، وهو - بطريقته هذه - قريب من طريقة المؤرخين فى تدوين التأريخ .

ولكنه لم يخل مع ذلك من مواطن الضعف التى تكون عادة فى الأخباريين ؛ مثل سرعة التصديق ، ورواية الخبر على علاته دون نقد أو تمحيص . وقد اتهم بالوضع والكذب[٣] ، ولذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، وقالوا عن بعض أسانيده انها سلسلة الكذب[٤] . وذهب « بروكلمن » الى أن ما أتهم عليه ابن الكلبى لم يكن كله صحيحا ، وان البحوث العلمية التى قام بها المستشرقون دلتهم على أن الحق كان فى

---

(١) والده أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبى المتوفى سنة ١٤٦ للهجرة ، من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار والأنساب . الفهرست ١٣٩ ، الأغانى ١٦/٩ ، ٤٨/١١ ، ١٦١/١٨ ، ابن سعد : الطبقات ٢٥٠/٦ ، ابن خلكان : الوفيات ١٣٤/٣ وما بعدها ، ياقوت : ارشاد الأريب ٢٥٠/٧ ، تذكرة الحفاظ ٣١٣/١ تأريخ بغداد ٤٥/١٤ وما بعدها ، الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ١١٦ ، تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ كتاب الأصنام تحقيق أحمد زكى باشا .

Ency. Vol, 2. 689. Muh. Stud. I. 186. Nöldeke, Gesch. der Arab. Und Perser, P. XXVii. ZDMG. Xliii. 116. Brockelmann G.A.L. Vol. I. P. 211.

(٢) Brockelmann, G.A.L. Vol, I. P. 138.

(٣) لسان الميزان ١٩٦/٦-١٩٧ ، تذكرة الحفاظ ٣١٣/١ ، الأغانى ١٩/٩ ، ١٦١/١٨ ، الخطيب ، تأريخ بغداد ٤٥/١٤ ، ارشاد الأريب ٢٥٠/٧ ، ابن سعد : الطبقات ٢٤٩/٦ ، الأنبارى ١١٦ ، « وهذا من أكاذيب ابن الكلبى وانما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه » . الأغانى ١٩/٩ . « وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبى ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم . وانما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روى .» الأغانى ١٦١/١٨ .

(٤) مثل سنده عن أبى صالح عن ابن عباس . ووجد من دافع عنه ؛ ارشاد الأريب ١٥٨/٢ .

جانبه فى كثير من المواضع التى اتهم عليها[١] . ولم يبق من تلك القائمة الطويلة التى ذكرها ابن النديم على أنها مؤلفات ابن الكلبى غير قليل[٢] . وهى فى المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وفى أخبار الأوائل ، وفيما قارب الاسلام من أمر الجاهلية ، وفى أخبار الشعر وأيام العرب ، وفى الأخبار والأسمار والأنساب[٣] .

وهنالك بعض الشبه بين بحوث أبى عبيدة (المتوفى سنة عشر ومائتين[٤]) الذى كان له علم بالجاهلية ومصنفات وبحوث فى القبائل والأنساب[٥] وبين ابن الكلبى فى اتجاهه ومناحيه تتناول بحوث ابن الكلبى - فى الأغلب - الغرض الذى ترمى اليه بحوث أبى عبيدة . غير أن مرجع الفضل اليه ، فى عنايته بتدوين الأخبار التأريخية الخاصة بمدينة الحيرة ، وأسرتها المالكة مستندة الى المصادر والوثائق المكتوبة[٦] . وهناك عدد آخر من العلماء كالأصمعى وسائر من اشتغل بالأنساب واللغة والأدب كان لهم فضل كبير فى جمع أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام ؛ وقد تولدت من شروحهم وأماليهم وكتبهم ثروة تأريخية قيمة لم ترد فى كتب التأريخ .

ونجد فى سيرة ابن اسحاق - التى لم يبق أصلها (مع الأسف) بل نجد شيئا مقتضبا منها فى مثل سيرة ابن هشام وتأريخ الطبرى مادة تخص عرب ما قبل الاسلام . مثل تأريخ اليمن ، وقد أخذها ابن اسحاق من جماعة من الرواة الذين كانوا يعنون بهذا

---

(١) Brockelmann G. A. L. 1-139. Nöldeke, übers, d. Tabari. XXVII. Ency. 2-689.

دائرة ٤٧٣ ، مجلة الأبحاث : السنة ٣ جـ ٢ حزيران ١٩٥٠ ص ١٨٩ - ١٩١ ، .

(٢) الفهرست ١٤٠ ، ارشاد الأريب ٧/٢٥١ ،

Brockelmann. 1. G.A.L. 1. P, 138 Suppl. 1. P. 211 f

(٣) الفهرست ١٤٠ ، وفيات الأعيان ٢/٢٥٨ .

(٤) الفهرست ص ٧٩ « وقيل احدى عشرة وقال أبو سعيد سنة ثمان وقيل سنة تسع . » . « أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى » ، « وقيل كان شعوبيا يطعن فى الأنساب » ياقوت : ارشاد الأريب ٧/١٦٥ .

(٥) Ency. Vol, 1. P. 112. Muh. Stud. Vol, 1. P. 195. Flügel, Die Grammatischen Schulen. PP. 68. Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. P. 103.

(٦) دائرة . ٤٨٥ .

الأمر وبينهم ثلة كانوا من أصل يهودى ؛ مثل وهب بن منبه(١) ، وأبى مالك بن ثعلبة ابن أبى مالك القرظى(٢) ، ومحمد بن كعب القرظى(٣) ، وأمثالهم • كما أخذ عن جماعة من أهل نجران(٤) ، والغالب أنهم كانوا من النصارى فى الأصل • وقد أخذ عن هؤلاء ، ما يخص أمر اليهودية والنصرانية فى اليمن ، وتعذيب « ذى نواس » لنصارى نجران •

ولا أريد أن أطيل على القارىء ، فأعرض له جريدة أسماء من كتب فى الجاهلية القريبة من الاسلام ، فمكانها فى ختام الكتاب • ولهذا السبب رأيت تأجيل البحث فيها وبسط الكلام عليها ، وسأتعرض لها عندئذ بالنقد • ولكن لابد لى من التعرض لمؤرخ جصيف من مؤرخى اليمن جاء بمعارف قيمة من تأريخ بلاده القديم ، أعنى الهمدانى أبا محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة(٥) ، فقد بذل هذا العالم مجهودا يقدر فى تأليف كتبه ـ التى تدل على اطلاع واسع على أماكن اليمن وقبائلها وتأريخها ـ فجاء بمعلومات ساعدت كثيرا فى ضبط تأريخ اليمن القديم • وحاول ـ قدر طاقته ـ وصف الأماكن القديمة ، ومعرفتها ، وقراءة الكتابات التى شاهدها وتفسيرها • وهذه نقطة جديرة بالدرس والعناية ، لم تدرس دراسة علمية حتى الآن ، وهى : هل كان علماء اليمن يحسنون قراءة خط المسند وفهم معانى ما جاء فيه ، والى أية

---

(١) الطبرى ٢/١٠٣ •

(٢) الطبرى ٢/٩٦ ، ١/٩٠٤ ، ٩٠٥ (طبعة دى غويه) •

(٣) الطبرى ٢/١٠٤ • وقد وضعت أحاديث على لسان الرسول فى مدح بعض هؤلاء ؛ أمثال كعب ، ووهب ، ومحمد بن كعب • زعم فيها أن النبى قال : يخرج من الكاهنين رجل يقرأ القرآن قراءة لا يقرأ أحد قراءته • قيل انه محمد بن كعب القرظى وكان من أولاد الكاهنين قريظة والنضير لسان العرب ١٧/٢٤٤ـ٢٤٥ ، ورد اسمه فى مواضع كثيرة من تأريخ الطبرى • راجع فهرسته عمل دى غويه صفحة ٥٢٧ • تهذيب التهذيب ٩/٤٢٠ ، عيون الأخبار ١/٢٠١ ، ٢/٣٤٣ ، ٣/٤ •

(٤) الطبرى ٢/١٠٤ •

(٥) راجع عن الهمدانى : تأريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٤٤ ، ابن القفطى : تأريخ الحكماء « أخبار الحكماء » (طبعة Lippert) ١١٣ ، ياقوت : ارشاد الأريب ٣/٩ ، السيوطى : بغية الوعاة ٢١٧ ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين سنة ١٩٥٠ ص ٦٢ مقالة للسيد حمد الجاسر بعنوان « الجزء العاشر من الاكليل » •
Brockelmann, G. A. L. I-229. Suppl. I-409. Ency. 2-246. D. H. Müller, Südarab. Stud. 170.

درجة كانوا يحسنون ذلك ؟

استعمل الهمدانى فى كتبه بعض الجمل التى تدل على أنه كان يقرأ الخط المسند . مثل قوله « وقرأت فى مسند فى قصر ريده[1] » وقوله « ورأيت فى مسند على حجر فى غربى حائط مسجد ريده مما حمل من ناعط أو تلفم : نمران وعلمان وسوران آلهة همدان أى أرباب همدان[2] » . وأمثلة أخرى تنبىء أن الهمدانى كان يقرأ المسند وكان له ولوع بقراءته . كما أورد أمثلة أخرى تشعر أن غيره من علماء اليمن كانوا يحسنون قراءة المسند كذلك . مثل قوله : وخبرنى أحمد بن الأغر الشهابى من كندة قال : قرأت فى مسند بناعط[3] . أو ؛ وحدثنى محمد بن أحمد الأوسانى أنه قرأ فى مسند بعمران من البون[4] وقوله : وخبرنى مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيوانى قال قرأت مسندا على حجر فى مسجد خيوان[5] ، وغير ذلك . وتحتاج هذه الدعوى الى دراسة طويلة ليس موضعها هذا الكتاب ، والى بحث ـ لم يتهيأ بعد ـ فى المخطوطات الموجودة فى اليمن وفى خزائن الكتب ، والى تفتيش عن الأجزاء الأخرى من كتاب الاكليل ، للوقوف على النصوص التى نقلها الهمدانى وغيره من خط المسند ، والترجمات والتفاسير التى وضعوها لها ، والبحوث التى قاموا بها فى دراسة ذلك الخط ، ومقدار المامهم به .

يظهر من كلام الهمدانى أن جماعة من العلماء فى أيامه كانت تقرأ المسند ، غير أن هؤلاء العلماء كانوا يختلفون بينهم فى القراءة ، وكان سبب ذلك ـ على رأيه ـ اختلاف صور الحروف ، « لأنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويكون الذى يقرأ لا يعرف الا صورة واحدة[6] » وعرف الهمدانى[7] وغيره[8] أن المسند كان

(١) الاكليل الجزء العاشر ص ٢١ . ولم تكن معرفة الهمدانى بجغرافية الأقسام الشمالية من شبه جزيرة العرب مثل معرفته بجغرافية اليمن والأقسام الجنوبية من شبه الجزيرة . Moritz, P, 20

(٢) الاكليل ١٠/١١١ .

(٣) الاكليل ١٠/١٥ .

(٤) الاكليل ١٠/١٦ .

(٥) الاكليل ١٠/١٩ ، ٢٠ .

(٦) الاكليل ٨/١٢٢ « والمسند خط حمير مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم . قال أبو حاتم : هو فى أيديهم الى اليوم باليمن .» لسان العرب ٤/٢٠٦ .

(٧) الاكليل ٨/١٢٢ .

(٨) الفهرست ٨ الجزء الأول من مجلة المجمع العلمى العراقى فى « جمهرة النسب » ٣٤٥ سنة ١٩٥٠ .

يتألف من حروف • وقد عرف كذلك أنهم كانوا يفصلون بين كل كلمة وكلمة فى السطر بخط قائم ، وذكر أنهم كانوا يفرزون كل سطر بخط[١] • غير أنه لم يذكر عدد الحروف • وصرح أنهم « كانوا يطرحون الألف اذا كانت بوسط الحرف مثل ألف همدان وألف رئام فيكتبون رئم وهمدن[٢] ويثبتون ضمة آخر الحروف وواو عليهمو[٣] » •

وقد خصص الجزء التاسع من الاكليل[٤] لأمثال حمير وحكمها باللسان الحميرى ، وحروف المسند • ولذلك فان لهذا الجزء أهمية خاصة لنا لمعرفة مدى وقوف الهمدانى على خط المسند ، وقواعد اللهجة الحميرية ، واللسان الحميرى ، وعلى هذا الجزء يتوقف حكمنا على علم الهمدانى بالحميرية • ولكن الذى نتبينه من الملاحظات العابرة ـ التى سجلها المؤلف فى ثنايا الجزءين المطبوعين ، وفى الباب الذى عقده بعنوان « باب حروف المسند » ، ومن الصور التى رسمها الكتاب والناسخون فى الجزء الثامن من الاكليل على أنها صور حروف المسند[٥] ، (وليس فى مقدور أحد ـ بالطبع ـ ادعاء أنها تمثل الصور الأصلية للنماذج التى رسمها الهمدانى نفسه لفقدان الأصل على وجه الاجمال) أن الرجل كان قد أصاب فى تشخيص كثير من الحروف على الرغم من جهل النساخ بالمسند واعتمادهم على النقش والتصوير حسب • ولربما كان حكمنا غير ذلك لو تهيأت لنا النسخة الأصلية التى كتبت بخط المؤلف ، وأنه أصاب كذلك فى قوله انهم كانوا يفصلون بين كلمة وكلمة فى السطر بخط قائم ، وأنهم كانوا يطرحون الألف اذا كانت بوسط الحرف •

ومن الحروف التى نقشها النساخ فى الجزء الثامن من الاكليل نقشا صحيحا التاء ، والثاء ، والسين ، والطاء[٦] ، وهى أقرب الى الأصل من الأشكال التى رسمت فى

---

(١) الاكليل ٨/١٢٢ •

(٢) الاكليل ٨/١٢٢ (طبعة نبيه) ٨/١٤١ (طبعة الكرملى) • له ملاحظات أخرى فى كيفية الكتابة بالمسند ذكرها فى الجزء العاشر ص ١٦ ، ١٧ •

(٣) المواضع نفسها •

(٤) للوقوف على الأجزاء الأخرى من كتاب الاكليل يستحسن مراجعة مقدمة طبعة نبيه فارس «ح» فيما بعد Ency. Vol, 2. P, 246. Brockelmann, G.A.L. Vol, I. P, 229.

(٥) الاكليل ٨/١٢٢ ، ١٢٣ (نبيه) •

(٦) ١٢٢ ـ ١٢٣ (طبعة نبيه) ١٤٢ (الكرملى) •

الفهرست لابن النديم على أنها مثال القلم الحميرى[1] ، ونقش قسم منها نقشا بعيدا جدا عن الصور الأصلية التى نعهدها للحروف .

وهنالك مسألة أخرى من المسائل التى تدخل فى صلب الموضوع ، وهى هل كان الهمدانى وبقية العلماء الذين كانوا يدعون الوقوف على اللسان الحميرى يحسنون ذلك اللسان ويحسنون تفسيره ؟ أما الذى وصل اليه اجتهادى حتى الآن ، بالاستناد الى المطبوع من مؤلفات الهمدانى ، فهو أنه وان فرضنا أنه كان يحسن قراءة حروف المسند ، وهو على ما يظهر من ترجماته التى ذكرها فيها ، لم يكن ملما باللسان الحميرى ، ولم يتمكن من ترجمة النصوص التى نقلها ترجمة صحيحة ، ولم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها وما قصد منها ، فجعل « تالبا » وهو اسم اله من آلهة اليمن المشهورة ، اسم رجل من الأسرة المالكة لهمدان[2] وجعل « رياما » وهو اسم مكان من الأمكنة المشهورة وكان به معبد للاله « تألب » ، ابنا من أبناء « نهفان » ، ومن أبناء تألب . ولم يبخل الهمدانى عليه ، فوهب له أما قال لها « ترعة بنت بازل بن شرحبيل بن سار بن أبى شرح يحضب بن الصوار[3] » .

و يفهم من النماذج التى قدمها الهمدانى على أنها قرآت وترجمات لنصوص حميرية ، قرأها غيره من العلماء ، أن حظ أولئك العلماء من الحميرية لم يكن أحسن من حظ الهمدانى . خذ هذه العبارة التى ذكرها على أنها قراءة أحمد بن أبى الأغر الشهابى لمسند بناعط « علهان ونهفان ، ابنا بتع بن همدان لهم الملك قديما كان[4] » ، تجد أن الرجل قد عد « علهان نهفان » رجلين هما « علهان » و « نهفان » ، لكن كلمة « نهفان » هى لقب « علهان » الذى عرف به وهو من ملوك سبأ سيأتى ذكره ، وقد كان والده « يريم أيمن » بن « أو سلت رفشان » من همدان وكان له شقيق يقال له « بارج يهركب » « برج يهركب » كما ورد ذلك فى كتابة عثر عليها فى « ريام[5] » . فلم يكن والده

---

(١) الفهرست ٩ . (٢) الاكليل ١٠/١٧ .

(٣) الاكليل ١٠/١٧ ، ١٨ . (٤) الاكليل ١٠/١٦ .

(٥) C. I. H. 315. المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . تأليف اغناطيوس غويدى . من نشريات الجامعة المصرية . القاهرة سنة ١٩٣٠ م ص ٢١ . ورمزه فيما يأتى : غويدى .

اذا « بتع بن همدان » كما جاء فى القراءة •

وأما « بتع » فقبيلة من قبائل همدان ، وأما جملة « لهم الملك قديما كان » فهى لا ريب من قول الشهابى ، وليست بعبارة حميرية • وليس التعبير ـ وان فرضنا أنها ترجمة للأصل ـ من التعابير المستعملة فى الحميرية ، التى ترد فى الكتابات • وحيث اننا لا نعرف المتن الأصلى للنص ، يصعب علينا الحكم فيما اذا كان قريبا من هذا المعنى أو كان شيئا آخر ، عرف منه الشهابى بضع كلمات ثم فسره بهذا التفسير •

ويظهر على كل حال أن قراء المسند (وقد قلت انهم كانوا يحسنون فى أيام الهمدانى قراءة عدد من حروف المسند وربما أحسنوا الحروف كلها) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميرية ، ولا باللسان الحميرى • خذ مثلا على ذلك : « بن » وهى حرف جر ، وتعنى « من » و « عن » فى لغتنا ، قد أوقعتهم هذه الكلمة فى مشكلات خطيرة • فقد تصور القوم عند قراءتهم لها ، أنها تعنى « ابنا » على نحو ما يفهم من هذه الكلمة فى لهجة مكة ، وفسروها بهذا التفسير • ففسروا « بن بتع » أو « بن همدان » وما شابه ذلك « ابن بتع » أو « ابن همدان » والمقصود من الجملتين هو ؟ « من بتع » و « من همدان » وبذلك تغير المعنى تماما ، ومن هنا وقع القوم ـ على ما اعتقد ـ فى أغلاط حين حسبوا أسماء القبائل وأسماء الأماكن ، أسماء أشخاص وأعيان ، وأدخلوها فى مشجرات الأنساب • فاقتصار علمهم على الأبجدية وجهلهم باللغة أوقعهم فى مشكلات كثيرة ، وسبب ظهور هذا الخلط[١] •

وجاء الهمدانى بنصوص أخر ذكر أنها كانت مكتوبة بالحميرية ، مثل النص الذى زعم أن مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيوانى قرأه على حجر فى مسجد خيوان ، وهذا نصه : « شرح ما ، وأخوه ما ، وبنوه ما ، قيول شهران بنو هجر ، هم معتة بدار القلعة »[٢] • وأمثال ذلك من النصوص • ولا أعتقد أنك ستقول : ان هذا نص حميرى ، ولا يسع أمرءا له المام بالحميرية أن يوافق على وجود مثل هذه العائلة عائلة ما ، أو يسلم بأن هذه قراءة صحيحة لنص حميرى • ولا أريد أن أتجاوز على رجل مضى الى ربه ، فلعله كان يحسن قراءة بعض الحروف ، ويتصور أنه أحسن قراءة النص

---

(١) Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah. Leipzig. 1910. P. 2.

(٢) الاكليل ١٠/١٩ •

كله وفهمه ، فجاء بهذه العبارة • وعلى كل حال ، ان كل الذى جاء فى النصوص التى وقفت عليها فى كتب الهمدانى لا يمكن أن يعطى غير هذا الانطباع ، ولعلنا سنغير رأينا فى المستقبل اذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره •

وأفادت « القصيدة الحميرية » لصاحبها نشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣هـ فائدة لا بأس بها فى تدوين تأريخ اليمن[١] ولهذا المؤلف معجم سماه « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »[٢] ضمنه ألفاظا خاصة بعرب الجنوب[٣] • وينطبق ما قلته على الهمدانى على نشوان أيضا • فاذا قرأت كتبه تشعر أنه لم يكن يفهم النصوص الحميرية ولا غيرها ، وان كان يحسن قراءة المسند • وما ذكره فى كتابه شمس العلوم ـ وان دل على حرص على جمع المعلومات ، وعلى تتبع يحمد عليه للبحث عن تأريخ اليمن ولغاتها القديمة ـ يدل على أنه لم يكن يفهم اللغات العربية الجنوبية ولا تأريخها ، وأنه لا يمتاز بشىء عن الهمدانى أو سائر علماء اليمن الذين كانوا يدعون العلم بأخبار الماضين ، وأكثر الذى ذكره فى كتابه على أنه من اللهجات الحميرية والعربية الجنوبية هو من مفردات معجمات اللغة ، ومن لهجات العربية الفصحى[٣] ، خلا ذلك الذى كان يستعمله أهل اليمن وهو قليل اذا قيس بسواه وقد فسر معانيه على نحو ما كان يقصده الناس فى أيامه • ومع هذا فهذا النوع من الكلمات هو الذى نطمع فيه ، لأنه من بقايا اللهجات البائدة وتفيدنا فائدة عظيمة فى تعيين معانى النصوص وشرحها وتفسيرها ، ولعله لم يكثر منها لأنها كانت من كلام العوام ، فأشفق على نفسه من البحث فى لغة العوام •

---

(١) تجد ترجمته فى : ارشاد الأريب ٧/٢٠٦ بغية الوعاة ٤٣٠ •
W. F. Prideaux, The lay of the Himyarites. Sehore, 1879 Von Kremer, Die Himjarische qaside. Leipzig. 1865. Brockelmann, G.A.L. I-301. Suppl. I-527 f. La qasidah himyarite de N. b. S. nouv. ed. Par R. Basset, Alger 1914.

(٢) الاكليل ٨/ث وقيل « شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم » نشر منتخبات منه عظيم الدين أحمد فى سلسلة تذكار « جب » (Gibb Mem) ليدن ، ١٩١٦ • « منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » • وساشير اليه ب : منتخبات
Nicholson, A Literary. P. 13. D. H. Müller, in ZDMG. 29. P, 260. Südarabische Studien, P. 143.

(٣) راجع مثلا مادة هجر منتخبات ص ١٠٨ •

ولم يزد فى شروحه لأسماء الأعيان والأجذام والقبائل والعمائر والأمكنة على ما أورده الهمدانى أو سائر علماء التأريخ وأهل الانساب ، فعد أسماء القبائل مثل همدان أسماء أشخاص لهم أنساب وأولاد وأقرباء ، وأخطأ فى الاغلاط نفسها التى وقع فيها الهمدانى[١] ، فذكر جملا مسجوعة على أنها من وصايا التبابعة وحكمهم[٢] ، وأورد مثل الهمدانى أشعارا كثيرة على أنها من أشعار التبابعة ، وعبارات متكلفة على أنها قراءات لنصوص حميرية مكتوبة بالمسند •

واذا كانت حروف المسند التى رسمها عظيم الدين أحمد ناشر « المختصر من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »[٣] وطبعها فى الكتاب مطابقة لصور الحروف التى رسمها كاتبو هذا الكتاب المفيد ونساخه من نسخة مؤلفه الأصلية فان لهذا النشر أهمية بالغة لأنها تدل على أن الحميرى نشوان بن سعيد صاحب هذا الكتاب كان يحسن قراءة المسند ، وأنه عارف به معرفة تامة ، فلم يخطىء فى رسم حرف واحد • وآسف لأن ناشر الكتاب لم ينشر صورة « فوتغرافية » لشكل الحروف كما جاءت فى المخطوطات[٤] • اذ لنشر هذه الصورة أهمية بالغة فى حكمنا على معرفة أهل اليمن • وجاء فى المتن حين الكلام على المسند : « المسند خط حمير وهو موجود كثيرا فى الحجارة والقصور ، وهذه صورته على حروف المعجم ••• وله صور كثيرة الا أن هذه الصورة أصحها • وأعلم أنهم يفصلون بين كل كلمتين بصفر لئلا يختلط الكلام • وصورة الصفر عندهم كصورة الألف فى العربى • »[٥] وهى الملاحظات نفسها التى أبداها الهمدانى فى الاكليل[٦] • أما الواقع ـ وكما يشاهد فى النقوش اليمانية ـ فهو ان ما ذكره الهمدانى ونشوان بن سعيد الحميرى وقبلهما ابن النديم من وجود صور كثيرة للمسند ، لا يستند الى حقيقة ، نعم لقد وردت بعض الحروف بشكلين أو ثلاثة أشكال ولكنها ليست بعيدة بعدا كليا عن الأصل بحيث يصعب التمييز بينها والتفريق • أما

---

(١) منتخبات ص ٧٥ ومواضع أخرى •

(٢) منتخبات ص ٦٠ •

(٣) ص ٥٢ مادة • سند •

(٤) منتخبات ص ٥٢ •

(٦) وقد نقل نشوان بن سعيد من كتب الهمدانى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق الجزء الأول مجلد ٢٥ كانون الثانى سنة ١٩٥٠ ص ٦٤ •

غالبيتها فقد وردت في شكل واحد . ومبعث هذا القول - في نظرى - هو عدم وقوف العلماء الاسلاميين على المسند وقوفا تاما وعدم رغبتهم في دراسته والتعمق فيه ، اكتفاء منهم بالمسموع وبما توارثوه عن أسلافهم من أشكال المسند التى تحرفت بأيدى الخطاطين وهم قلة بتكرار السنين .

وخلاصة ما يقال عن المؤرخين المسلمين الذين دونوا التأريخ الجاهلى ، أنهم بدلا من أن ينصرفوا الى مراجعة الموارد القديمة ، وتتبع الكتابات ، وتدوين تأريخ عام للعرب مرتبط الأجزاء ، انصرفوا الى رواية أنساب القبائل ، ووصلها بعدنان وقحطان حينا وباسماعيل وأبناء نوح حينا آخر ، وترديد ما ورد في التوراة في هذا الباب ، وتقسيم العرب الى طبقات في مقدمتها طبقة عاد ، وثمود ، وجرهم ، وأميم ، وعبيل ، وغير ذلك من قبائل ورد اسم بعضها في القرآن الكريم ، ودعا المفسرين والاخباريين الى جمع ما كان يتحدث الناس به عنهم ، واللجوء الى أهل الكتاب لأخذ ما ورد في كتبهم عن هذه الأقوام .

وقد لفتت المبانى التى بنيت قبل الاسلام أنظار الأخباريين والمؤرخين وأنظار الجاهليين أيضا اليها ، ولكنهم لم يحاولوا التعمق في تأريخها ، ولا البحث والتنقيب عنها ، ولا دراسة الكتابات التى كانوا يظفرون بها ، وبذل مجهود لحلها ، وقراءتها قراءة صحيحة . وقد اكتفت الغالبية بنسبتها الى عمل داوود أو سليمان ، أو جن سليمان ، والى قوم عاد حينا[1] وتظاهر نفر بالعلم والوقوف على قراءة تلك الكتابات ، وقد دلت قراءتهم المدونة في الكتب على أن عملهم في ذلك لا يزيد على جهل الجاهلين بها .

ان الطابع الظاهر على المدون في الكتب العربية على أنه تأريخ الجاهليين ، تغلب عليه الصبغة الأدبية ، لا الصبغة التأريخية التى تعتمد على النقد والتحليل والتفكير الى حد كبير ، لذلك يكثر فيه التنميق وتزويق الكلام ، والتأثير على طريقة القصص وحديث المجالس والسمر ، وتتغلب فيه الكيفية على النوعية ، والتأثير على الاقناع والنقد والتفكير ، وحديث هذا شأنه هو حديث أدب أكثر مما هو مادة تأريخ ، وشأنه شأن سائر المرويات التى رواها قدماء العبرانيين والاغريق والرومان والفرس ، على أنها تأريخ الأسلاف ، ثم نظر اليها العلم الحديث على أنها مرحلة بدائية ساذجة مرت بها سائر الأمم ، وهى

---

(١) « والعادى الشيء القديم نسب الى عاد » لسان ٤/٣١٧ .

الأساس الذى أنشىء عليه صرح التواريخ .

وقد وصلت الينا هذه المرويات بالواسطة ، أعنى أننا لم نحصل عليها من مواردها الأصلية ، وقد بليت مواردها الأولى ، بل ومواردها الثانية التى نقلت منها فى الغالب ، ولا نكاد نملك من الوثائق الأصلية التى يجب أن نضعها فى المرتبة الأولى فى تدوين التأريخ ، فحالتها مشابهة من هذه الناحية لحالة موارد تأريخ العبرانيين واليونان والرومان(١) .

لقد تجمعت هذه المادة من موارد متعددة ، جمعها العلماء فى القرنين الثانى والثالث للهجرة فما بعدهما ، أى بعد مرور أمد على الجاهلية المتصلة بالاسلام ، وهو أمد كاف لضياع جزء لا يستهان به من أخبار الجاهليين ، كان فيه من أدرك الجاهلية وعرف أخبارها ، وقصصها قد توسد الثرى ، وغاب مع الجاهلية من الوجود . أما من أدركوا الجاهليين ، فلم تكن عندهم للأيام الجاهلية التى سبقت الاسلام حماسة من نشأ فيها ، وارتبطت ذكريات طفولته بها ، وحن اليها ، والانسان ، مهما اعتقد ، لا يستطيع أن يجرد نفسه من ذكريات الماضى ، الذكريات الحلوه والمرة على حد سواء .

فلما انتبه العلماء الى ضرورة تدوين تأريخ الجاهلية ، وجدوا مشقة فى جمعه ، كانت الحوادث قد سبقتهم فى طمس كثير من أخبار الجاهلية ، وكانت الأحوال غير مواتية لمساعدتهم فى جمع الأخبار ، فاضطر من عنى منهم بأخبار الجاهليين الى سد الثغر والفجوات الواسعة فى التأريخ الجاهلى بمساءلة الأعراب ، والبحث عنه فى الشعر القديم ، ومراجعة السمار والقصاص والمعمرين واللغويين ، ورواة أيام القبائل الذين كانت تدفعهم عصبيتهم للقبيلة الى حفظ أيامها وأخبارها ، واضافة المفاخر اليها ، والانتقاص من شأن القبائل المعادية لها ، والمنافسة لها جهد الامكان . ومن هذه المواد تجمعت مادة التأريخ الجاهلى ، يضاف اليها ما حصل عليه نفر من الأخباريين بتتبعهم الشخصى كمحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام ووهب وأمثالهم ، من أخبار ، وهى قليلة ، من مراجعة الموارد المدونة عن تأريخ عرب العراق والشام واليمن .

ومع هذا فلم يصل الينا أكثر ما دون من أخبار الجاهلية فى العصرين الثانى والثالث للهجرة ، اذ فقد بعضه بعد زمن التأليف بقليل وفقد بعض آخر بعد ذلك ،

---

(١) The Arab Heritage, P. 41-42

وحفظت بعض المؤلفات مقتبسات ونصوصا من تلك الكتب البائدة ، ولا يزال بعضها ينتظر من يمن عليه بالاخراج والنشر[1] ، وبعض المطبوع مما يعود الى القديم من التآليف روايات رواها أشياخ عن أشياخ . ومهما قيل فى هذه الطريقة من اطراء ، فانها غير قادرة على أن تأتينا بأدلة مقنعة تثبت أن تكرار الرواية لا يغير بمرور الزمن من المتن الأصلى للمؤلف شيئا من نحو زيادة عليه ، أو نقصان ، أو شرح من الرواة يدخل سهوا فى متن الرواية فى بعض الأحيان .

وتتناول أكثر هذه الأخبار أخبار الوقائع والأيام والأنساب والأحساب ، وهى أمور لها صلة وثيقة بحياة البداوة . وقلما نجد للرواة والأخباريين عناية بأنباء أهل المدر ، الا مكة والمدينة ، لما كان لهما من شأن فى تأريخ نشوء الاسلام ، والا ما جاء عن الحيرة . وقد تفرد بذلك الكلبيان ونفر سنتحدث عنهم فى تأريخ آل لخم ، وقد جاء ذلك متأخرا بالنسبة الى الأمور المتقدمة ، ومستندا الى مصادر أعجمية فى الغالب . ولم يختلف سلوك الأخباريين عندنا عنه عند العبرانيين ، أو اليونان ، أو غيرهم من الذين ظهروا فى مجتمع بدوى ، القبيلة فيه هى القومية ، لا ينظر الفرد الى قومية أخرى أوسع منها ، ولا يرى فى مثل هذا النظام وطنا غير وطن القبيلة ، وهو الأرض التى تضرب القبيلة خيامها عليها ، أو تنشىء أكواخها فيها ، فاذا ارتحلت عنها الى أرض أخرى كانت الأرض الجديدة الوطن الجديد للمواطن القبلى . ولما كان هذا النظام هو النظام الغالب على شبه جزيرة العرب قبيل الاسلام ، فلا غرابة اذا وجدنا الأخباريين يتجهون هذه الوجهة ، ويذهبون هذا المذهب فى رواية الأخبار .

ولم يرو رواتنا أخبار القبائل جميعها ، بل اكتفوا بجمع أخبار القبائل الكبرى ، وقبائل الحجاز ونجد فى الغالب . أما قبائل اليمن وحضرموت وعمان والعروض ، فلم تحظ بالعناية اللازمة . وقد انصرفت همة الأخباريين فى الاسلام الى جمع أخبار قبائل العراق والشام كما يتبين ذلك من ثنايا الروايات وسلسلات الاسناد . ورواة أخبار القبائل هم رجال من القبيلة نفسها ، أو من قبائل لها صلة مودة بتلك القبيلة أو القبائل ، أوتقاطع وعداء ، أو من الموالى فى الاسلام . ومن العلماء الذين أخذوا يستقصون هذه الأخبار لمقاصد علمية ، كالعناية بتفسير كلام الله ، أو الشعر ، أو اللغة وما شابه ذلك .

---

(١) The Arab Heritage. P. 42

ولهذه الطريقة أخطار ، لأنها تعبر عن وجهة نظر واحدة متأثرة بالعاطفة في الغالب ، فالراوى مهما كان متزنا محايدا لا يستطيع أن يتجرد من العاطفة القبلية أى من حسه القومى ، واذا كان القرن العشرون بتقدمه العلمى ونضجه العقلى ، قد عز التجرد فيه من العواطف والميول والأهواء والاتجاهات السياسية والتلفيق فى الوثائق والأسانيد ، فهل يعقل تجرد الرواة من عواطف الاطراء والاشادة بمكارم قبائلهم والغض من شأن القبائل المعادية لقبائلهم ، والتلفيق عليها ؟.

كانت القبائل تتباهى وتتفاخر وتتكاثر ، فلا مناص لها من اضافة المحامد اليها ، ومن الغض من فضائل خصومها ومحامدهم ، لهذا كانت تعد نبوغ شاعر فيها نعمة من نعم الله عليها ، جاء فى المزهر : « ان القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس ، وتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة لذكرهم »(١) . قال ابن سلام : وقد نظرت قريش فاذا حظها من الشعر قليل فى الجاهلية ، فاستكثرت منه فى الاسلام(٢) . ولا يقتصر هذا الاستكثار على الشعر بل تناول كل ما نعرفه من روايات .

لقد حددت هذه العقلية التى تأثر بها أكثر الرواة أفق الأخبار كثيرا ، ووجهتها توجيها محدودا ، وسعت مجالها فى الأمور التى كانت تتفق وطبيعة الحياة السائدة فى ذلك الوقت ، وضيقت فى الأمور التى لم تكن تلائم طبيعة تلك الحياة فأصبح معظمها فى المفاخرة والحماسة والحروب وأخبار الشجعان والأبطال والأيام ، وفى الذم والهجاء ، وقد برع فى هذا النوع الأخير الرواة الموالى الشعوبيون ، الذين كانوا يتعصبون على العرب ، فأضافوا اليه شيئا كثيرا ، وذكروا أشياء كثيرة فى ذم القبائل بعضها لبعض زعموا أنها قالتها ، وتقصوا معايبها ، ووضعوا ذلك فى مؤلفات(٣) ، لذلك يجب الانتباه الى هذه الملاحظة فى تدوين التأريخ .

أما غير ذلك من أمور كالحياة الدينية والاجتماعية والشؤون الثقافية عامة ، فلم تنل العناية اللازمة ، ولا يعقل أن تنال المكانة اللائقة فى مثل تلك العصور والأحوال ، وفى

---

(١) المزهر ٢/٤٧٣ . (٢) طبقات الشعراء ٦٢ .
(٣) مثل كتب المثالب .
Brockelmann, G.A.L. Vol, 2. P, 103, 140. Suppl. 1. P, 162, 212 , 213
الفهرست ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٥

مثل ذلك النوع من التفكير . فالرواة والأخباريون انما كانوا يفهمون تخليد الحوادث أو تدوين التأريخ على النحو الذى فهمه مجتمعهم فى ذلك الحين ، وعلى الشكل الذى كانت ترويه قبائل الحجاز ونجد . ولما لم تكن لديهم حكومة واحدة ولا تأريخ موحد ، أصبح التأريخ قبليا فرديا ، الفرد فيه مقدم على المجموع ، تبرز فيه الأسماء وتمجد الأبطال . وليس للجماعة فيه أثر ، حتى القبيلة لا يحاول الرواة اظهار أثرها الا فى معرض المقابلات بين القبائل ، كالتفاخر ورواية الأيام ، حينئذ يمجد اسم القبائل وتروى مفاخرها ومآثرها ، غير أن هذه المآثر تقترن فى الواقع بترديد مآثر الأفراد ، والاشادة بأعمالهم ، أى أننا نعود فنرى الرواة يطنبون فى الحديث عن الأفراد ، والايجاز فى الحديث عن الجماعة . وهو شىء طبيعى بالنسبة لمنطق الحوادث فى تلك الأيام .

ونحن نعتمد على القرآن الكريم والحديث فى فهم الفكرة الدينية فى الجاهلية المتصلة بالاسلام . أما شعر أمية بن أبى الصلت وأمثاله ممن روى لهم شعر غلب عليه الطابع الدينى ، فيجب أن ندرسه دراسة نقد ؛ اذ ثبت أن كثيرا منه منحول ، وضع عليهم وضعا فى الاسلام . وقد تحدث ابن الكلبى عن الأصنام ، ولكنه لم يتمكن من الاحاطة بأكثرها ، بل ذكر الأصنام المشهورة ، التى كانت تتعبد لها قبائل الحجاز ونجد ، وقليلا من الأصنام المغمورة ، ولم يتطرق مثل سائر الرواة الى عبادة الكواكب عند الجاهليين ، وكانت ــ كما يتبين من النقوش والكتابات والكتب الكلاسيكية ــ العبادة الأساسية عند الجاهليين[1] .

ومع النقص الذى نلاحظه فى المعجمات اللغوية وفى كتب اللغة باغفالها ذكر أكثر اللهجات العربية وعدم الاشارة الى الكلمات المرادفة للكمات التى سجلت فى المعجمات فى الغالب ، أو النص على أنها لهجة القبيلة الفلانية وتعيين المكان الذى كانت تستعمل فيه ، نرى أنها ثروة لا تقدر بثمن بالنسبة لمؤرخ الجاهلية ، ولا أبالغ اذا قلت أنها أهم الموارد العربية ، اذ تساعد على حل الكتابات القديمة ، وبيان معانيها . ولهذا أقيم للمعجمات التى ألفها رجال من اليمن أو من العربية الجنوبية والوسطى ، وتعرضوا فيها للهجات العربية ، أهمية كبيرة فى شرح الكتابات الجاهلية وتوضيحها . وقد ذكرت

---

(١) The Arab Heritage. P. 49

أسماء أصنام وقبائل ، وأشياء غيرها لم تشر اليها الموارد الأخرى ، وهـذا المورد فى تدوين التأريخ الجاهلى لم يقدره قدره أكثر المؤرخين وفـى جملتهم المستشرقون الذين عنوا بدراسة الكتابات العربية الجنوبية أو الصفوية أو الثمودية أو اللحيانيـة وسـائر اللهجات العربية ، فاكتفوا فى الغالب بمقابلة الكلمات بما يشابهها فى اللغات السـامية ، ولا سيما العبرانية ، واستخراج معانيها على وفق ذلك ، أو من مقتضى الكلام الوارد فى النص ، مع أن كتب اللغة قد تذكرها وتعين معانيها بالضبط . وهـذا من الامور التى تساعد على فهم معانى النصوص فهما صحيحا وتكوين فكرة تأريخية عنها .

لم يكن من الممكن اذن فى أحوال كهذه الأحوال قيام المؤرخين بوضع تأريخ عام موحد لشبه جزيرة العرب يتناول تأريخ الحضارة والبداوة ، ولم تكن الأسباب متوافرة وميسورة لمثل هذا التدوين ، فتغلب تأريخ أهل الوبر على تأريخ أهـل الحضر ، وروى على نحو ما كانوا يروونه من رواية ، وكتب على وفق ذلك الروح ، على خلاف ما حدث فى تدوين تأريخ الخلافة ، اذ راعى المؤرخون كون العالم الاسلامى كتلة واحـدة يديره مركز واحد ، فوجهوا عنايتهم الى الحضارة ، وكتبوا تأريخها كما يفهمـه الحضـرى ، وكيف لا يكتب بهذا المعنى ، وقد تغير العالم ، وتنكرت الحكومة للأعراب ، وانقلبت على البادية التى أصبحت تدار ، بعد أن كانت قبل الاسلام تدير سواها وتهاجم حـدود الدول الكبرى ، والمدن والقرى الواقعـة على مشارف البـادية وفى متناول الأعراب غير أنهـا لم تكن دولة واحدة ، وانما دول قبـائل تظهر وتختفى ، وتكبر وتصغر ، بحسـب الظروف السياسية والمناسبات .

اهمال التاريخ الجاهلى :

من الأمور التى تثير الأسف ، تهاون المؤرخين فى تدوين تأريخ شبه الجزيرة قبل الاسلام ، لقد وفق المؤرخون العرب فى كتابة تأريخ الاسلام توفيقا كبيرا ، وفى طريقتهم فى جمع الأخبار واستقصاء الروايات ، وفى رغبتهم فى التمحيص . أما التاريخ الجاهلى ، فلم يظهروا مقدرة فى تدوينه ، بل قصروا فيه تقصيرا ظاهرا ، وهو أمر يدعو الى التساؤل عن الأسباب التى دعت الى حدوثه : هل كان الاسلام قد تعمد طمس أخبار الجاهلية ؟ أو أن العرب عند ظهور الاسلام لم تكن لديهم كتب مدونة فى تأريخهم ولا علم بأحوال أسلافهم ، وكانت الأسباب قد تقطعت بينهم وبين من تقدمهم ، فلم يكن لديهم ما يقولونه عن ماضيهم غير هذا الذى وعوه فتحدثوا به الى الاسلاميين فوجد سبيله الى الكتب ؟ أو أن العرب فـى

الجاهلية كانوا فى جاهلية جهلاء ، ليس لهم علم ولا فن ولا فقه ولا أثر من حضارة وثقافة ، بل كانوا فى بداوة وغلظة وبساطة وفى معزل عن العالم ، وشعب هذا حاله لا يمكن أن يكون له بالطبع تأريخ !

أما القدماء فلم يشعروا بتقصير ما فى ذلك ، لهذا لم يتعمقوا فى البحث عن الجاهلية ، الا بقدر ، وذلك فيما له صلة بالاسلام ، وبالأمور التى كان يحفل بها المجتمع فى ذلك العهد ،ولهذا لا ننتظر منهم جوابا شافيا مقنعا يرضى الباحث الحديث • ولو تعمقت معهم ، وتتبعت كتبهم لوجدتهم يقولون : ليس هذا التقصير تقصيرنا ، ولسنا نجد فى الأمور ما تجدونه أنتم فى أنفسكم من تقصير ، لقد وجدنا الحال على هذا المنوال فدونا ما وصل الينا ، فلا لوم علينا ولا تثريب !

وقد عزا بعض الباحثين هذا التقصير الى الاسلام ، فزعم أن رغبة الاسلام الرسمية كانت قد اتجهت الى استئصال كل ما يمت الى أيام الوثنية فى الجزيرة العربية بصلة ، مستدلا بحديث « الاسلام يهدم ما قبله »[1] ، فدعا ذلك الى تثبيط همم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية ، والى محو آثار كل شىء يتفرع عن النظام القديم ، لم يميزوا بين ما يتعلق منه بالوثنية والأنصاب والأصنام ، وبين ما يتعلق بالحالة العامة كالثقافة والأدب والتأريخ • فعلوا ذلك كما فعل النصارى فى أوربة فى أوائل القرن السادس للميلاد ، فكان من نتائج ذلك ذهاب أخبار الجاهلية ، ونسيانها ، وابتداء التأريخ لدى المسلمين بعام الفيل[2] • ولهذا « كان المؤرخون أو الأخباريون ، الذين يترتب عليهم تدوين أخبار الماضى وحفظ مفاخره ، من الذين ينظر اليهم شزرا فى المجتمع الاسلامى ، وخاصة فى العهد الاسلامى الأول • أما مؤرخو العرب العظام ، فلم ينبغوا الا بعد تلك الفترة ، وحتى هؤلاء فانهم صرفوا عنايتهم الى التأريخ الاسلامى ولم

---

(١) مجلة الأبحاث (ص ١٨٩) السنة الـ ٣ ، الجزء الـ ٢ ، حزيران ١٩٥٠ ، الاكليل : مقدمة نبيه فارس ص (ب) •

(٢) مقدمة نبيه أمين فارس للجزء الثامن من كتاب الاكليل ص (ب) ، قال :« وقد يكون للحديث المنسوب الى النبى أثر فى ذلك • فقد جاء فى الحديث أن « الاسلام يهدم ما قبله » ولا بد أن عنى النبى فى قوله هذا الديانات الوثنية الشائعة فى الجزيرة قبيل ظهوره من عبادة الأصنام والأنصاب وغيرها • أما أتباعه ، فدفعتهم غيرتهم على تثبيت دعائم الدين الحنيف الى عدم التمييز بين الغث والسمين فكادوا يقضون على جميع معالم الثقافة والأدب ••• الخ » •

يدققوا فيما يخص الجاهلية . وبالاضافة الى ما سبق أصبح لكلمة مؤرخ (اخبارى) معنى سيء ، بل أصبحت صفة تفيد نوعا من الازدراء . وقد ألصقت هذه الصفة بابن الكلبى كما ألصقت بكل عالم تجرأ على البحث فى تأريخ العرب قبل عام الفيل . لكن لم يهاجم أحد من المؤرخين بعنف كما هوجم ابن الكلبى . والراجح أن السبب فى ذلك هو انصرافه لدراسة الأشياء التى قرر الاسلام طمسها ، أعنى بذلك الديانات والطقوس الوثنية فى بلاد العرب . »[1] .

وتحتاج هذه الدعوى (وهى صدى لما نادى به جماعة من المستشرقين ، راق نبيه فارس أن يرددها فى مقدمته للجزء الثامن من الاكليل ، وفى مجلة الأبحاث التى تصدرها الجامعة الأمريكية ببيروت) الى أدلة وحجج علمية ، فليس بكاف الاستشهاد ، بجزء من حديث ، وتفسير ناقص لمدلول « الأخبارى » ، وتهمة وجهت الى أحد الأخباريين وهو ابن الكلبى ، أو لغيره ، وتأريخ القوم بعام الفيل لاصدار حكم فى موضوع خطير كهذا الموضوع . أما الكلمة التى استشهد بها نبيه أمين فارس وجعلها دليلا على رغبة الاسلام فى القضاء على معالم الجاهلية ، وكانت فى نظره سببا فى تثبيط همم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية ، فقد استلها من حديث أطول ورد فى معنى آخر يخالف ما ذهب اليه تمام المخالفة لا علاقة له بهدم الجاهلية ، ورد فى صحيح مسلم فى « باب كون الاسلام يهدم ما قبله وكهذا الهجرة والحج » وبعد « باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية » وقد وردت هذه الأحاديث جوابا عن أسئلة الصحابة عن أعمال منافية للاسلام ارتكبوها فى الجاهلية ، هل يغفرها الله لهم أم تكتب عليهم سيئات يحاسبون عليها ؟ فقالوا : « يا رسول الله ، أنؤاخذ بما عملنا فى الجاهلية ؟ . »[2] وقد ورد فى صحيح مسلم بعد هذا الباب باب آخر بهذا المعنى هو « باب بيان حكم عمل الكافر اذا أسلم بعده »[3] .

وما كان ينبغى لنبيه فارس اقتطاع هذا الحديث بهذه الصورة ، أو انتزاع الكلمة منه أو من عنوان الباب ، على وجه يغير مساقه ومعناه ، لهذا وجب اثبات الحديث على نحو ما جاء فى صحيح مسلم لترى كيف ابتعد به هذا الباحث عن حقيقته ومورده ، قال : « حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص ،

---

(١) الأبحاث ، الجزء المذكور (ص ١٨٩) .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٧ من باب الايمان . (٣) صحيح مسلم ١/ ٧٩ .

وهو في سياقة الموت يبكي طويلا ، وحول وجهه الى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه ! أما بشرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكذا ؟ أما بشرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه ، فقال : ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله • انى قد كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) منى ، ولا أحب الى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار • فلما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت النبى (صلى الله عليه وسلم) فقلت : أبسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه • قال : فقبضت يدى ، قال مالك يا عمرو ؟ قال : قلت : أردت أن أشترط • قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لى • قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ وما كان أحد أحب الى من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه اجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ؛ لأنى لم أكن أملأ عينى منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها ، فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فاذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى »(١) • فأية علاقة اذن بين هذا الحديث وبين ما زعمه نبيه فارس يا ترى ؟•

وقد حرم الاسلام أشياء من الجاهلية ، وأقر أشياء أخرى ورد ذكرها فى الكتاب والسنة(٢) ، ولم يرد فى الاسلام ما حرم أقلام الجاهلية ولا الشعر الجاهلى ولا النثر الجاهلى ، ولم يصل الى علمنا أنه أمر بهدم المبانى الجاهلية خلا الأصنام ، أو أنه أمر باحراق كتابات الجاهليين ، أو الاعراض عنها ، أو أنه منع استعمال اللهجات الأخرى التى كان يستعملها الجاهليون ، أو أن علماء الاسلام منعوا رواية أخبار الجاهلية ، بل كل شىء من هذا كان فى الاسلام على خلاف ما زعمه المستشرقون والشعوبيون من أهل زماننا ، وكان فى علماء الاسلام من برعوا فى الأنساب وفى رواية أيام الجاهلية وشعر الجاهلية • وأما أنهم كانوا ينظرون الى « الأخبارى » نظرة سيئة ، فيها شىء من الازدراء ،

---

(١) صحيح مسلم ١/٧٨ « باب كون الاسلام يهدم ما قبله وكهذا الهجرة والحج » •
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ١/٣٩٣ •

على حد دعوى نبيه أمين فارس ، فما كان ذلك لروايته أخبار الجاهلية واشتغاله بجمع تأريخها والتحدث عنها ، وما كان يريدون بلفظة « أخبارى » راوى أخبار الجاهلية وحدها فى أى يوم من أيام التأريخ الاسلامى ، وانما كان ذلك لاغراب الأخباريين فى رواية الأخبار ومبالغتهم فيها وسردهم الاسرائيليات والنصرانيات والشعبيات وغير ذلك من القصص المدونة فى الكتب ، وكذب بعضهم كذبا يخالف أبسط قواعد المنطق ، وما رمى الكلبى بالكذب أو نظر اليه أو الى ابنه نظرة ازدراء لكونهما من رواة أخبار الجاهلية ، بل وثقا فى هذه الناحية وانما ضعفا فى أمور أخرى لا علاقة لها بالجاهلية مدونة فى كتب التأريخ والرجال .

فى القرآن آيات تعرضت للجاهلية ، وأخبار عن أقوام عاشت قبل الاسلام ، وحوادث وقعت فى وقت غير بعيد عن الاسلام ، يظهر منها بجلاء أن ذاكرة القوم لم تكن تعيها كل الوعى ، وان الناس كانوا قد نسوها ، ونسبوا حدوثها الى عصور بعيدة . وقد ذكرهم القرآن بها ، وفى هذا التذكير اشارة واضحة الى أن الناس فى الجاهلية كانوا قد نسوا هذه الأخبار فلم يتذكرها منهم غير القليل .

كذلك تعرض القرآن لذكر الأصنام والأوثان التى كانت تقدسها الوثنية ، وتتعبد لها القبائل ، فذكر أسماء عدد منها ، وروت كتب السيرة والأخبار أوصافها وهيئاتها وأسماء أصنام أخرى لم يرد لها ذكر فى القرآن ، لم تجد فى ذكر أسمائها حرجا ، ولو كان الاسلام قد تعمد طمس الجاهلية والقضاء على معالمها ، لتحرج القرآن وتحرج المسلمون من الاشارة اليها ومن احياء أسمائها ، وبعثها فى ذاكرة الناشئين فى الاسلام .

ومما يجب ذكره هو أنه لا القرآن الكريم ولا كتب السيرة أو الأخبار تعرضت لذكر الأصنام والأوثان العربية الجنوبية ، التي كان لها شأن أى شأن عند المعينيين والقتبانيين والحضرميين والحميريين ، وكان يتقرب الناس اليها يومئذ بالتعبد بتقديم النذور لها ، يرجون معونتها ونصرها فى السلم والحرب كعثتر ، « عثتار » و « عثيرة » و « عم » و « انبى » و « ذات صنتم » و « ذات ظهران » و « ذات رحبان » و « هوكم » و « هوبس » و « شيوم » و « عزيز لات » و « ذات حمى » و « نكرح » و « سين » وغيرها من الأصنام التى كان لها شأن عظيم ، عند عرب اليمن وجنوب شبه جزيرة العرب ، أهملتها هذه الكتب ولم تذكر عنها وعن عبادتها شيئا ، ولا بد أن يكون لهذا النسيان سبب .

وقد قلت فيما سلف ان الهمداني وغيره ممن عنوا بأخبار اليمن ذكروا أسماء بعض الأصنام العربية الجنوبية التي وعتها ذاكرة الأخباريين ولكنهم لم يعرفوا أنها أسماء أصنام ، بل ظنوا أنها أعيان أشخاص أو أسماء أبنية من أبنية الجن ، مثل « تالب » وكان صنما من أعظم أصنام « همدان » ، له مقام عظيم ، ومعبد كبير في مدينة « ريام » يقصده الناس للتبرك وقضاء الحاجات ، وقد نقش اسمه على جدران هيكله وتبرك الناس بذكر اسمه في كتاباتهم . ظن الهمداني أنه اسم ملك من ملوك همدان قال له « تألب ريم » . زعم أنه ابن « شهران »[1] و « المقه » اله سبأ الأكبر ، المقدم عند سبأ على جميع الأصنام ، زعم الهمداني أنه بناء من أبنية الجن ، بني في عهد سليمان[2] .

وقد ذكر ابن الكلبي وغيره أسماء بعض الأصنام التي كانت تتعبد لها بعض القبائل اليمنية الأصول ، وهي أصنام لم نجد لها ذكرا في الكتابات اليمانية أو الحضرمية القديمة المكتوبة قبل بضعة قرون سبقت الاسلام ، مثل « يعوق » ، ذكر ابن الكلبي أن خيوان تعبدت له[3] ، و « نسر » ذكر أن بعض قبائل حمير اتخذته[4] و « مناة » وكانت الأوس والخزرج وهما من أصل يماني على رأي النسابين تتعبد له في جملة من كان يتعبد له من العرب[5] ، و « فلس » من أصنام طيء[6] . وطيء من القبائل التي يرجع النسابون أصلها الى اليمن . وأسماء أصنام أخرى تعبد لها القحطانيون والعدنانيون ليس هذا موضع الكلام عليها .

وفي ظهور أسماء هذه الأصنام الجديدة التي لم يعرفها قدماء العرب الجنوبيين ولم تعرفها الكتابات العربية الجنوبية دليل على حدوث تطور في عبادة الأصنام في اليمن وفي سائر العربية الجنوبية وأن القبائل العربية الجنوبية كانت قد تنكرت لأصنامها القديمة أصنام آبائها وأجدادها ، واتخذت أصناما أخرى ، يظهر أنها وصلت اليها من الشمال . أو أن عبادتها كانت قد شاعت في هذا الوقت ، أي في الفترة التي بين المسيح والرسول

---

(١) الاكليل ١٠/١٧ .

(٢) Ditlef Nielsen, Der sab. Gott. Ilmukah Leipzig. P. 2. D.H. Müller, Burgen und Schlösser. Vol, 2. P. 972.

(٣) الأصنام ١٠ . (٤) الأصنام ١١ .

(٥) الأصنام ١٥ . (٦) الأصنام ١٥ .

فى الحجاز واليمن ، وربما فى نجد وسائر شبه الجزيرة أيضا ، فتزعزع مركز الأصنام القديمة • فلما ظهر الاسلام ، لم يبق لها مكان فى ذاكرة العرب الجنوبيين خلا أسماء عدد قليل منها ، وشبح صنم أو صنمين • ولهذا اختفى ذكر « تالب » صنم همدان صاحب البيت العظيم فى مدينة « ريام » « رئام » والمعبد المشهور الذى كان يرد اسمه كثيرا فى الكتابات الهمدانية ، وخصص بهذه المدينة فكان يقال له « تألب رئام » ، فزالت ذكرى هذا الصنم من ذاكرة قومه مع تعصبهم له ، وبقى معبده معروفا عندهم يحجون اليه ، ويتنسكون عنده[١] • وعرف عندهم برئام أو بيت رئام بعد أن نسوا « تالبا » صنم المدينة الذى لأجله أقيم هذا البيت نسيانا تاما • وقد عرف ابن الكلبى[٢] البيت فقط وكذلك الهمدانى الذى وصفه وذكر مكانته عند الجاهليين ، وقد نسبه الى شخص زعم أنه رئام بن نهفان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان[٣] ، ولم تبق فى الذاكرة عن « المقه » اله سبأ وصنمها المقدم على الأصنام الا ما دون فى الكتب وهو أنه كان بناء من أبنية سليمان ، أو أنه الزهرة فى لغة حمير[٤] •

حدث تنكر اليمانين لأصنامهم القديمة ، قبل الاسلام بقرون ، ولكنه بعد المسيح ما فى ذلك شك ، وسيأتى الحديث عنه فى القسم الخاص بالحياة الدينية عند عرب الجاهلية •

وفى هذا الوقت كانت اليهودية قد وجدت سبيلها الى اليمن بعد اعتداء « طيطس » على القدس وتشتيت شمل اليهود ، فسلك اليهود الطريق التجارى القديم المعروف ، وسكن أناس منهم عند خيبر وفى مكة ، واستقرت طوائف منهم فى اليمن ، وحاولوا بمرور السنين تهويد اليمانين ، وأخذوا فعلا ينشرون تعاليمهم بينهم ويذيعون قصص التوراة عندهم ، حتى تمكنوا من اقناع بعض حكام اليمن بالتهود[٥] •

ووجدت النصرانية سبيلها الى اليمن كذلك من البحر والبر ، وسعت كاليهودية لتثبيت أقدامها فى بلاد العرب ، ووجدت من سمع دعوتها بين العرب ، فتنصرت قبائل ، وشايعتها بعض المقاطعات والمدن ، فلاقت الوثنية مكافحة من اليهودية والنصرانية • وقد

---

(١) الاكليل ٨/٦٦ ، بلدان ٤/٢٨٢ •

(٢) الأصنام ١٢ • (٣) الاكليل ٨/٦٦ •

(٤) Ditlef Nielsen, Der Sab. Gott. P. 2. D.H. Müller : Burgen und Schlösser Vol, 2. P. 972.

(٥) Sab, 4 :; Ohal. 18. Hul. 49a. Yer. Taan. IV. 5, 69b. The Uni. Jew. Eney. Vol, 1. P, 939.

كان هذا الكفاح ، فى رأيى ، من جملة العوامل التى أدت الى محو آثار الوثنية بين القبائل المتهودة والمتنصرة ، والى قطع صلاتها بالماضى على مرور الأيام ونسيانه ، كما أدى الى اضعاف الروابط التأريخية التى كانت تربط بين القبائل الوثنية من جهة ، وبين القبائل التى تهودت وتنصرت من جهة أخرى ، والى حدوث تطور فى ديانة عبادة الأوثان عند العرب أثر على صلات الوثنية الجديدة بالوثنية القديمة تأثيرا بينا .

ومما يؤيد هذا الرأى ما لاحظه المستشرقون من قلة الكتابات التى تعود الى هذه الفترة ، وخفاء أسماء الأوثان القديمة منها خفاء تاما ، وبروز فكرة جديدة فيها ، هى فكرة التوحيد ، كالذى يفهم من بعض الاصطلاحات الجديدة التى ظهرت فى هذا العهد فى مثل عبادة « الرحمن » على أنه اله واحد عام(١) ، وعبادة « ذو سماوى » أى « صاحب السماء » أو اله السماء ، وهى عبارة لم نعهدها على ما وصل اليه علمنا حتى الآن عند عرب قبل النصرانية وفى القرن الأول والثانى للمسيح . وما ذكره ابن الكلبى من أنه « كان لحمير بيت يقال له « ريام » يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح . وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه الى العراق ، قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة ، فأمر بهدم رئام . قال : شأنكما به . فهدماه ، وتهود تبع وأهل اليمن . فمن ثم لم أسمع بذكر رئام ولا نسر فى شىء من الأشعار ولا الأسماء ولم تحفظ العرب من أشعارها الا ما كان قبيل الاسلام . قال هشام أبو المنذر : ولم أسمع فى رئام وحده شعرا ، وقد سمعت فى البقية . »(١) . وفى رواية ابن الكلبى هذه ، وروايات أخرى مماثلة دليل على أن محاولة القضاء على أخبار الوثنية وذكرياتها انما ظهرت قبل الاسلام بقرون ، وأن الاسلام حين ظهر فى شبه الجزيرة كانت أكثر أخبار

---

(١) BOASOR. 83 (1941) P. 22 « A Monotheistic Himjarite Inscription. » by. F. V. winnett Répertoire d' Epigraphie Sémitique = Res. NO. 3431. Glaser. 399. Winckler, « Zur Geschichte des Judentums in Jemen. » . in Altorientalische Forschungen. I. 336.

نصوص :

CIH 6.45. 537. 538. 539. 541. 543. MM. Altsüd. 19. Res 4109. Bose. 13' Res 4069. Stamb. 7608. Res 3904. Asmare 1. C 537 .Ry. 203. Le Muséon LII. P. 51 ff.

الجاهلية القديمة قد طمست ، ولا سيما أخبار اليمن ، التى كانت تعتمد على التدوين ، مما لا يدع مجالا للشك فى أن دخول اليهودية والنصرانية اليهـــا كان من أهم العوامل فى ذلك ، وهو أمر طبيعى بالنسبة الى الانقلابات السياسية والدينية والاجتماعية التى تحاول فى الغالب ، ولا سيما اذا كانت موجهة الى نظام قديم سابق ، اخفاء جميع معالم ذلك العهد وطمسه ، ولهذا وجدنا الأخباريين فى الاسلام حينما حاولوا جمع شتات أخبــار اليمن ، وخاصة أخباريى اليمن الذين كانت تدفعهم عصبيتهم اليمانية الى ذلك دفعا ، لم يجـدوا لهم مادة تختلف عما وجدوه من أخبار العدنانيين ، من قصص شعبى ، وأساطير ، وأشباح من التأريخ مخلوطة بنسيج كثيف من الأوهام والمبالغات .

ثم انه لا يعقل طمس تأريخ الجاهلية ، وذهابه عن الذاكرة ذهابا تاما بمثل هــذه السرعة ، لو كان للجاهلية تأريخ مــدون مضبوط الى ظهور الاســلام . فما كان فى استطاعة المتحمسين لدينهم الذين كان يدفعهم حماسهم الدينى لتثبيت أركان الدين الجديد الى طمس معالم الجاهلية ، ليتمكنوا من محو آثار الجاهلية من ذاكرة الأخباريين ، وعلى الأخص أخباريى اليمن المتعصبين ليمانيتهم تعصبا لا يقل عن تعصبهم للاسلام لو لم تكن ذاكرة الأخباريين نفسها ضعيفة فى هذه المادة ، لم تع من أخبار ما قبل الاسلام أكثر من هذا الذى تمكنت طاقة الذاكرة من حفظه واستيعابه . ولهذا لم يتمكن معاوية بن أبـى سفيان الذى عرف بنهمه فى سماع أخبار الأوائل وأيام العرب من أن يجد عند النـاس علما بأخبارهم أكثر من الذى وجده عند عبيد بن شرية ، وأكثره فى أخبار اليمن . وقد وقفت على نوعية تلك الأخبار . ولم يكن بين معاوية والجاهلية عهد طويل ، وفترة كافية لمحو معالم تأريخ الجاهلية . وقد عرفت أن جماعة من العلماء ، فى طليعتهم ابن عباس وهو رجل محترم الجانب ، معروف المكانة باجماع المسلمين ، كان يتحـدث عن الجاهليـــة ، ويروى أيامها ، ويسرد ما وصل الى علمه من أخبارها ، وأقواله مـدونة ، وله أخبار عن الوثنية والاصنام . ولو كانت رغبة الاسلام الرسمية قد اتجهت الى محو أخبار الوثنية ، لما تحدث ابن عباس عن هذه الأصنام .

ويظهر من مادة رواياته ومن نوع روايات غيره أن أخبار الجاهلية كانت قد طمست فى أيام الجاهلية ، فلم يكن للناس عند ظهور الاسلام علم بما يزيد عن قرن أو قرن ونصف

---

(١) الأصنام ١٢/١٣ ، معجم البلدان ٤/٣٤٥ .

قرن فى أبعد تقدير • ولم يكن محصول علمهم يزيد أو يختلف عن هذا الذى وصل الينا ، وأغلبه محلى مستمد من المشاهدة والسماع ، وطبيعته مما يناسب طبائع الأيام والأنساب • ثم انه قد ثبت أن الرواة فى الاسلام وفى عهد لم يكن بعيدا عن الجاهلية صاروا يضعون الأخبار والأشعار على الجاهليين ، ويدعون أنها أخبارهم وأشعارهم ، ويحاولون جمع ما يمكن جمعه من أيام القبائل والناس ، وقد ذهبوا الى الصحارى يلتمسون علم الأعراب فى هذه الأمور ، ولو كان الاسلام قد نهى عن ذلك ، أو أراد طمس معالم الجاهلية ، لما ركب الرواة هذا المركب ، ولما جدوا هذا الجد فى الطلب ، ولما أقبلوا ذلك الاقبال فى محاولة جمع الشعر الجاهلى واحصائه ، وقد علمت أن أكثره كان قد ضاع قبل الاسلام ، حتى اضطر الرواة الى سد ذلك الفراغ بالوضع والصنعة • هذا ولم يكن ابن الكلبى وحده هو الذى اشتغل بأمر الجاهلية ، فقد ذكر ابن النديم وغيره أسماء عدد آخر ممن اشتغلوا بأمر هذا العهد ، وقد عاش بعضهم فى الجاهلية فلم نجد فى رواياتهم المدونة فى الكتب ما يشير حتى الآن الى أنهم استمدوا علمهم من كتب كانت مدونة ، أو من مصادر كانت على علم غزير بأمر الجاهلية ، ولم تفصح أو تشر أو تلمح الى أن الاسلام كان قد نهى عن رواية أخبار تلك الأيام ، أو أمر باحراق ما كان مدونا فيها عن الجاهلية أو اتلافه ، فذهب لذلك مع الذاهبين •

هذا وما دام الأصل فى الأحكام براءة الذمة ، فلا أرى أن من الصواب فى أيامنا ـ وليس فى أيدينا وثائق أو أدلة علمية مقنعة ـ اصدار حكم قطعى فى موضوع خطير كهذا الموضوع ، ما لم تتهيأ لدينا الأدلة الكافية والوثائق التى يركن اليها فى تعيين أسباب اهمال التأريخ الجاهلى ، فلا بد من التريث والانتظار حتى تتوافر لدينا البراهين الكافية لاصدار مثل هذه الاحكام •

والذى تبين لنا من المؤلفات الاسلامية ، أن الأخباريين والمؤرخين كانوا قد اعتمدوا فى تدوين تأريخ عرب العراق والشام على وثائق مدونة ، وكتب كانت موضوعة ، ولعلهم فعلوا ذلك بالنسبة لتأريخ اليمن فى الجاهلية القريبة للاسلام • وأما بالنسبة لتأريخ الحجاز ونجد والعروض ، فالغالب أنهم أخذوا أخبارهم من طريق المشافهة والسماع ، ويمكن ادراك ذلك بمراجعة هذه الأخبار المدونة فى بطون الكتب ، فسوف تجد فرقا واضحا فى المادة وفى الأسلوب وفى البحث ، يشعرك بما أزعم ، ويشير الى أن ابن الكلبى

وغيره ممن بحثوا فى تأريخ العراق أو الشام أو اليمن انما استعانوا بمصادر مدونة ، وكتب كانت مؤلفة ، يظهر أنها كانت فى الأصل أكثر سعة وتفصيلا من هذا القليل الباقى . ولا ندرى على كل حال كيف كانت تلك الموارد ، وما الذى حل بهـا ، ولكن الذى نستطيع أن نقوله هو أن عددا كبيرا منها كان مؤلفا بالايرانية ، وقد استعان به ابن الكلبى فى رواية أخبارالفرس والعراق والشام ، كما كان بينها مصادر نصرانية استفاد منها الرواة فى رواية أخبار الحيرة والشام واليمن .

هذا ، ولسنا نستطيع أن نجيب عن سؤال نوجهه الى أنفسنا ، وهو : هل كانت الموارد التى اعتمد عليها الرواة والأخباريون بالنسبة لتأريخ العرب قبل الاسلام مختصرة على نحو ما نجده فى الكتب الاسلامية ؟ أو أنها كانت أكثر شرحا وتفصيلا ، غير أن الرواة والأخباريين تعمدوا الاختصار والايجاز ، شأنهم فى ذلك شأنهم فى رواية تأريخ الفرس واليونان والرومان وسائر الشعوب الأخرى ، مع أنهم أطالوا وأطنبوا فى تأريخ الرسل والأنبياء وفى رواية الخرافات والأساطير والقصص الشعبى الذى لا يقبله العقل ؟! ثم ما الذى دفعهم الى هذا الاختصار والايجاز ان كانت الأصول التى اعتمدوا عليها حقا مطولة مفصلة ؟؟ وما الذى دفعهم الى المرور مر الكرام بتواريخ الأمم والملوك قبل الاسلام ، واكتفائهم برواية تأريخ الرسل والأنبياء ، بالاستناد الى كتب أهل الكتاب ؟؟ وما الذى جعلهم يؤثرون رواية الأساطير والقصص على رواية الأخبار التأريخية التى دونها الفرس أو الروم أو الرومان أو العرب عن تأريخهم قبل الاسلام ؟ هل كان الاسلام هو الذى دفعهم الى البحث فى تأريخ الرسل والأنبياء وتفضيله على تواريخ الأمم والملوك باعتبار أن تأريخ الرسل والأنبياء مقدمة لتأريخ الرسالة ؟؟ قد يكون لتأريخ الرسل والأنبياء الأفضلية والأسبقية فى نظر الأخباريين على تأريخ الأمم والملوك ، ولذلك يجب تقديمه على سائر فروع التواريخ الأخرى . ولكن هذا لا يمنع من التبحر فى هذه الفروع ، ولا سيما ما يتعلق منها بسير الملوك ، وقد كان هذا النوع مما يطلبه معاوية وغيره ويرغب فيه . ثم اننا نرى أخبار التبابعة ، وقوم عاد وثمود ، والشعوب العربية البائدة من نوع القصص والأساطير مما يدل على أنها لم تكن مدونة ، وانما وردت حكاية ومشافهة . وقد اشتغل الأخباريون بهذا النوع من الحديث وبحديث قصص الرسل والأنبياء قبل اشتغالهم بتدوين أخبار الأمم والملوك . ولا يعقل منطقيا

تفضيل الأخباريين رواية هذا النوع من الحديث ـ الذي أنكروه فيما بعد وسفهه أكثرهم ـ على رواية الأخبار التأريخية المستمدة من الكتب ، لو كانت لدى الأخباريين الأولين كتب متيسرة ينقلون منها الأخبار ، غير هذه البقية التي استعان بها ابن الكلبي وأضرابه في رواية أخبار العراق والشام واليمن • من الجائز أن يكون لدخول سكان شبه جزيرة العرب في الاسلام ، وللفتوحات الاسلامية ، ولهجرة الناس من بعض المدن الجاهلية العريقة الى المدن التي ظهرت في الاسلام وللانقلاب الفكري الذي حدث بقضاء الاسلام على الوثنية دخل في ضياع ما كان متبقيا من أخبار الجاهلية • ولقد علل علماء العربية ضياع أكثر الشعر الجاهلي بقولهم : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ؛ فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ؛ وذهب عنهم كثير »[1] •

فلم يكن الاسلام نفسه هو سبب ذهاب أخبار الجاهلية ، وتحرج المؤمنين من روايتها ، ومع ذلك فاننا لا نستطيع الآن أن نجيب عن موضوع اهمال التأريخ الجاهلي اجابة علمية مفصلة ما لم تتهيأ لنا الموارد والوثائق والدلائل المقنعة ، ولما تتهيأ لنا •

تدوين التأريخ الجاهلي :

كان المستشرقون أول من نبه الى ضرورة تدوين تأريخ جديد للعرب قبل الاسلام ، فليس من المعقول الاستمرار على رواية هذا النوع البدائي من الأخبار ، على أنه تأريخ الجاهلية • وقد كتبوا فعلا شيئا جديدا لم تعرفه الكتب عن تأريخ شبه الجزيرة قبل ظهور الرسول ، وحلوا سر الخط المسند ، وقرأوا الكتابات قراءة صحيحة أوصلتهم الى نتائج قيمة لم تكن تخطر على بال ، ففندوا فكرة جهل الجاهليين ، وأظهروا أن العرب كانوا أصحاب حضارة وثقافة ، وسخروا من القائلين بعزلة شبه الجزيرة قبل الاسلام ، وأن العرب قبل الاسلام كانوا أمة معتزلة تعيش في صحرائها لا تعرف العالم الخارجي ، ولا يعرفها العالم الخارجي ، لم تتأثر بمؤثرات خارجية ، ولم تؤثر في العالم الخارجي ، وأنها لم تنزل الى العالم الا بنزول الوحي وظهور الاسلام ، ولم تساهم في الثقافة والحضارة ، الا بعد

---

(١) المزهر ٢/٤٧٤ •

الاسلام[1] .

وقد تمسك القدماء بنظريتهم هذه تمسكا غريبا ، وظلوا على رأيهم فى عزلة شبه الجزيرة عن بقية العالم ، فلم يتمكنوا من حل كثير من مشكلات التأريخ الاسلامى ، ولم يستطيعوا الاجابة عن سبب وجود الكلمات الدخيلة في اللغة العربية قبل الاسلام ، ولن يستطيعوا الاجابة عن كيفية وصول الكتابات العربية الجنوبية الى أطراف جزر اليونان ، ومصر ، والبحرين والعراق ، مع وجود العزلة .

وقد فاتهم أن فى القرآن شيئا يفند هذا الرأى ، وأن فيه ما يشير إلى تعقب العرب للسياسة العالمية ووقوفهم على انقسام العالم الى معسكرين ، وعلى الحرب التى وقعت بين الفرس والروم : « الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء »[2] . وفى القرآن وصف للرحلات التجارية التى كانت تقوم بها قريش تنقل بضائع المناطق الحارة الى الروم ، وتنقل بضائع أهل الشام والمناطق الخاضعة للروم الى اليمن والأسواق المتصلة بمكة : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »[3] . وفى كتب الحديث والسيرة رسائل بعث بها الرسول الى قيصر وكسرى والنجاشى حاثا اياهم على الاسلام ، أفكان الرسول يعرف هؤلاء لو كانت شبه الجزيرة فى عزلة وانقطاع عن العالم الخارجى[4] ؟

أظهر المستشرقون أن بلاد العرب كانت متصلة بالعالم اتصالها به فى هذا اليوم ، وأن شعوبها قد شاركوا فى الحياة البشرية كمشاركة الشعوب الأخرى ، وأن التبادل المادي والروحى كان مستمرا بين شبه الجزيرة وبين الشام والعراق[5] وايران ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط والهند وافريقية . وفى ضوء هذه النتائج يجب أن يكتب تأريخ العرب قبل الاسلام .

---

(١) Eberhard Schrader, Die Keilinschriften und das Alte Testament Berlin 1903. P, 136-137.

(٢) سورة الروم ، سورة رقم ٣٠ آية ١ فما بعد .

(٣) سورة قريش ، سورة رقم ١٠٦ آية ١ فما بعد .

(٤) تجد فى هذا الموضوع فصلا كتبه الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الأدب الجاهلى » ص ٧٢ فما بعد (الطبعة الثالثة) .

(٥) Schrader. P, 134.

أدى المستشرقون والسياح خدمات جليلة فى تدوين التأريخ الجاهلى ، فهم أول من غربل الروايات ، وأظهر الشك فى أكثرها ، ونادى بوجوب العناية بتأريخ العرب قبل الاسلام ، وبوجوب استخراجه من أنقاض الجاهلية وبقاياها ، ومن المبانى العادية ، وبالتجوال فى الصحارى والبوادى للحصول على ما يمكن الحصول عليه مما له صلة بتلك العهود السحيقة ، والبحث عن الكتابات لاستنطاقها بعد سكوت طويل ، واستدراجها للتحدث عن شعوب بادت لم يعرف عنها الجاهليون الذين أدركوا الاسلام شيئا .

وقد جاءت عناية علماء الغرب بتأريخ الجاهلية متأخرة ، بالقياس الى عنايتهم بتأريخ الأماكن والشعوب التى كان لها اتصال بحوادث التوراة والانجيل ، كما كانت أكثر الاسفار التى قام بها روادهم أسفارا فردية قام بها أفراد من العلماء ومن الضباط والمغامرين . والأسفار الفردية ، مهما كانت ، لا تأتى بالنتائج التى تنجم عن دراسات البعثات المتخصصة بمختلف الشؤون ، لذلك فاننا نتطلع الى اليوم الذى تتمكن فيه البعثات العلمية الكبيرة من اختراق آفاق شبه الجزيرة ، وتقديم نتائج بحوثها الى العلماء لتدوين تأريخ مرتب لشبه الجزيرة قبل الاسلام ، ولا سيما الى البعثات العلمية العصرية التى تتألف من متخصصين من الناطقين بلغة هذه البلاد ؛ لأن هؤلاء أقدر من غيرهم على فهم اللهجات القديمة ومحتوياتها وروح ذلك التأريخ .

ونستطيع أن نعد العالم الدانماركى « كارستن نيبور Carsten Niebuhr » الذى قام فى سنة ١٧٦١ للميلاد بأمر ملك الدانمارك برحلة الى شبه جزيرة العرب ، أول رائد من رواد الغرب ظهر بعد « الكلاسيكيين » وصف بلاد العرب ، ولفت أنظار العلماء الى المسند والرقم العربية[١] . وقد أثارت رحلته هذه همم العلماء والسياح ، فرحل من بعده عدد منهم لا يتسع المقام لذكرهم جميعا رحلات الى مختلف أنحاء شبه الجزيرة عادت على التأريخ العربى بفوائد جزيلة .

فزار الدكتور « سيتزن Dr Seetzen » جنوبى بلاد العرب ، وتمكن من الظفر

(١) Carsten Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Ländern. Kopenhagen, 1772-1837, 2 Vols.

وهنالك طبعة افرنسية وترجمة انكليزية .

Carsten Niebuhr, Descrption de l'Arabie, Copenhagen, 1773. Voyage en Arabie, Amesterdam, 1774-80.

بصور نصوص عربية جنوبية أرسلها الى أوربة عام ١٨١٠ للميلاد • وهـذه النصوص على قصرها وغلطها ، أفادت(١) فى تدوين تأريخ العرب قبل الاسلام افادة غير مباشرة ؛ لأنها لفتت أنظار المستشرقين اليها والى دراسة التأريخ العربى القديم حتى آل الأمر الى حل رموز تلك الكتابة ومعرفة حروفها •

وتمكن الرحالة السويسرى « ليدويك بركهارد Johann Ludwig Burckhardt» من القيام برحلة الى الحجاز فتزيا بزى مسلم اسمه « ابراهيم بن عبـــدالله » يريد الحج وزيارة مسجد الرسول وقبره • وقد صحب الحجاج فى حجهم ، ووصف موسم الحج وصفا دقيقا ، وكتب عن مكة والمدينة كتابة علميـــة • وقد زار آثار الأنباط وعاصمتهم « البتراء » « الرقيم »(٢) •

وتمكن أحد الضباط الانكليز وهو الضابط « ولستيد James R. Wellsted » من زيارة الأنحاء الجنوبية من شبه جزيرة العرب ، ومن الحصول على صور نصوص عربية قديمـة قصيرة ، ومن استنساخ كتابة حصن « غراب » التى يرجع تأريخهـــا الى سنة ٦٤٠ من تأريخ أهل اليمن ، وتوافق سنة ٥٢٥ للميلاد • وبفضل هـذا الضابط عرف المستشرقون هذا النص(٣) •

وأضاف الرحالة « هوتن T.G. Hutton» عددا آخر من الكتابات اليمانية القديمة

---

(١) Pfannmüller, S, 85. Seetzen, Travels in Yemen 1810. Hommel, explorations in Arabia, in Hilprecht, Explorations in Bible Land, P, 702. Seetzen, Fundgruben des Orients, Vienna, 1811. exploratious وسأرمز اليه بـ

نشر مذكرات « Seetzen » التى أرسلها الى أوربة المستشرقون « Kruse » و « Fleischer » « Heinrichs Müller » فى أربع مجلدات • Reisen Durch Syierien, Palastina, Phönizien, die Transjordan — Länder, Arabia Petraea und unter — Agypten.

(٢) Johann Ludwig Burckhardt, Travels in Arabia. London 1829, Deutsch. weimar 1830. Bd. 1, 2. Burckhardt. Travels in Syria and the holy land, London 1822. notes on the Bedouinsand wahabis, 2 Vols. London 1830. in German, weimar 1831. S.M. Zwemer, Arabia the Cradle of Islam, London. Explorations. P, 703.

(٣) Otto weber, Arabien Vor dem Islam. S, 10. Wellsted, (Lieutenant) — Travele in Arabia, London, 1838. in 2. Vols. Narrativeof a Journey to the ruins of Nakeb el Hajar Journal Roy. Geogr. Soc. VII,, 20. German Translation. By Rödiger. Halle. 1842.

سنة ١٨٣٥م الى ما كان قد عرف سابقا ٠ وجاء « كروتندن Cruthenden » سنة ١٨٣٨م بنقوش أخرى جديدة ٠ وكذلك « الدكتور مكل Dr. Mackell » الذى عاد بخمسة نصوص سبئية فتوسعت بذلك دوائر البحث قليلا ، وتمكن العلماء بفضل هذه النقوش من حل رموز الكتابة العربية الجنوبية[١] ٠

وقد قام أحد الصيادلة الافرنسيين ، وهو « توماس يوسف أرنو Thomas Joseph Arnaud » برحلة الى اليمن موفقة جدا ، اذ تمكن ، بفضل علمه بالعقاقير ، من اكتساب صداقة المشايخ والزعماء ٠ وبهذه الصداقة استطاع أن يتجول فى بعض أنحاء اليمن ومدنها ، ولم يكن ذلك بأمر ميسور للاجنب ، فزار خرائب مأرب ، ومكث فى مدينة « صنعاء » أمدا ، وزار « صرواح » المدينة الاثرية القديمة ، فتمكن بفضل هذه الاقامة والزيارة من استنساخ (٥٦) نصا كتابيا قديما[٢] ٠

وكتب التوفيق لسائح أوربى آخر ، هو الضابط الانكليزى « Coghlan » فحصل على عشرين لوحة برنزية سليمة عثر عليها فى أنقاض مدينة « عمران » عام ١٨٦٠ الميلادى ٠ وقد أرشدت هذه الالواح المعدنية المستشرقين الى ناحية مهمة من نواحى الفن العربى القديم[٣] ٠

وتوصل العلماء ، بعد جهود ، الى حل رموز هذه الكتابة العربية ، فعرفوا منها ـ وكان أغلبها قصيرا ـ أنها تبحث فى موضوعات متشابهة ، وأنها مؤلفة من حروف أطلقوا عليها اسم « الكتابة الحميرية » ، أو « الحروف الحميرية » ٠ وكان الرأى السائد بادىء بدء أنها كذلك ، حتى تبين لهم أن هذه النصوص والنصوص التى جىء بها أخيرا لم تكن جميعها نصوصا حميرية ، بل كان بعضها من النصوص المعينية ، وهى أقدم الكتابات العربية الجنوبية على الاطلاق ٠ وبعضها كتابات سبئية ترجع الى عهد دولة سبأ ، وهى تلى المعينية فى الترتيب ، وتسبق الحميرية فى القدم ٠

---

(١) Cruttenden C.J, Jour of an excursion to San'a the Capital of yemen. Bombay, 1838. Journal of the Royal Geographical Society of London. Vol, III. 276-289. and in the Proceedings of the Bombay Geographical Society, 1838, PP, 39-55.

(٢) Otto Weber, S, 10. Pfannmüller, S, 85. Hitti, P, 51. explorations. P,704. Arnaud, « Rélation d'un Voyage a Mareb » in Journ. Asiat. 1845. 211. 309. 1874. 3.

(٣) Pfannmüller, S, 85. Weber, S, 10

عالج بعض العلماء ممن أولعوا بدراسة النقوش تلك النصوص ، وأعملوا رأيهم فيها حتى تمكن بعضهم من التوصل الى حل رموز بعضها ، مثل العالم « وليم كسنيوس Wilhelm Gesinus» والعالم « رودكر E. Rödiger » والعالم « هاينرش ايوالد Heinrich Ewald» والعالم « ف • فريسنل « Fulgence Fresnel » الذى نشر النصوص التى جاء بها ـ وعددها ٥٦ نصا ، بحروف عربية وحميرية ، فى الجريدة الآسيوية «Journal Asiatique» (١) سنة ١٨٤٥ الميلادية ، الا أن نشره لم يكن متقنا اتقانا تاما • وجاء القسيس « أرنست أوسيندر Ernst Osiander » فأتم ما كان قد بدىء به • ولم يتمكن العلماء الذين عالجوا مشكلة الكتابة العربية الجنوبية من معرفة الحروف كلها ، ولذلك لم يتمكنوا من قراءة أكثر النصوص التى جىء بها الى أوربة ومن فهم معناها • كما أن النصوص المقروءة لم تكن مضبوطة ضبطا تاما ، فاستطاع هذا العالم بجهوده العظيمة قراءة كل النصوص التى جاء بها السياح والعلماء وتعيين أشكال الحروف ووضع أسس متينة لدراسة عرفت بعد ذلك باسم (الدراسة العربية الجنوبية) • وقد استعان العلماء على فهم هذه الكتابات بالدراسات اللغوية وباللغة العربية الشمالية وباللهجة اليمانية وبالمعلومات الجغرافية المدونة فى الكتب العربية ، وبأسماء الملوك والأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى مؤلفات العرب(٢) •

وترسم المستشرق « ليفى «M.A. Levy » أثر (أوسيندر) ، وتتبع أساوبه فى البحث ، وحاول استخراج مادة تأريخية من هذه النصوص التى ترجمت وعرفت • وقد تمكن من نشر ماتركه (أوسيندر) من نصوص عاجلته المنية قبل أن يوفق لاخراجها الى الناس ، فتمكن (ليفى) من تنسيقها وتهذيبها ، وطبعها وعرضها على العلماء(٣) •

وفاق « يوسف هاليفى Joseph Halevy » ، وهو يهودى افرنسى ، كل من تقدمه فى كثرة ما جاء به الى أوربة من نقوش ، وبسعة علمه فى تأريخ اليمن ودراسة النقوش العربية الجنوبية • دخل هذا الافرنسى فى اليمن بهيئة يهودى متسول من أهل القدس

(١) Pfannmüller, S, 85. Fresnel in Journal Asiatique III. Series V . 521. 1838. Lettres Sur hist. des Arabes avant L'islamisme 1853. Fresnel, Recherches Sur Les Inscriptions Himyariques de San'a KH'ariba Marib in : Journ. Asiat IV, Serie to 6, P. 169-237. 1845.

(٢) Pfannmüller, S, 85. Otto Weber, S, 10.

(٣) Pfannmüller, S, 85.

ليتجنب بذلك ما يتعرض له الأجانب وأهل البلاد المسلمون على السواء من أخطار رجال القبائل وقطاع الطرق الذين يأنفون من التعرض لأهل الذمة بسوء •

وقد استطاع بهذه الطريقة من التطواف فى أرجاء اليمن حتى بلغ أعاليهـا مثل « نجران » وأعالى الجوف وهى المنطقة التى كان فيها المعينيون(١) • ووصل فى تطوافـه الى حدود مأرب عاصمة سبأ والى « صرواح » وهو بهذا أول أوربى زار (نجران)(٢)• ولما عاد الى أوربة أحضر معه (٦٨٦) نقوشا جمعها من مواضع مختلفة من اليمن •

وفى سنة ١٨٧٢–١٨٧٤م نشر هذا العالم فى الجريدة الاسيوية «Jaurnal Asiatiqe» ما كتبه عن رحلته الى بلاد اليمن ، وقد ضمن كتاباته وصفـا للأماكن التى حل بهـا والطرق التى اجتازها ، وترجمة لـ (٦٨٦) نصا وهى النصوص التى كان قد جاء بهـا أو استنسخها من أصولها ، ونشر بحثا علميا وانتقادا قيمـا للأبحاث اللغوية والتراجم والنصوص التى سبق أن نشرها العلماء من قبله(٣) •

وكان ممن ذهب الى اليمن شـاب نمساوى اسـمه « سـيكفريد لنكر Siegfrid Langer » استطاع تصوير بعض النقوش واستنساخ قسم من الكتابات فى عام ١٨٨٢ غير أن القدر عاجله اذ قتل هناك ، ففقد البحث فى تأريخ اليمن بوفاته عضوا نشيطا • غير أن رجلا نمساويا آخر عوض عن خسـارة ذلك الشاب ، وهو العـالم « ادورد كلاسر » «Eduard Glaser» وقد قام بأربع رحلات الى اليمن ورجـع بعـدد كبير من النصوص والنقوش وبمادة غزيرة من المعلومات(٤) •

بدأ الرحلة الأولى (فى اكتوبر عام ١٨٨٢م) وختمها فى شـهر آذار (مارس) من سنة ١٨٨٤ ، وكانت الحالة السياسية فى ذلك الوقت مضطربة والأوضاع غير مساعدة والفوضى عامة فى بلاد اليمن ، ولم يكن للحكومة على القبائل من سلطان • ومـع ذلك

---

(١) Halévy, in Bulletin de la Societé de Géographie, 1873. et. 1877. (Voyage). Rapport sur une mission archeologique dan's le Yemen, in Journal Asiatique. Series. 6. Vol, XIX. Josph Halévy, in Journal asiatique 1874. Pfannmüller, S, 86. Hitti, P, 51. Explorations. P, 709.

(٢) Hitti, P, 51.

(٣) Pfannmüller, S, 85.

(٤) O'leary P, 221. Explarations, P. 722. Hitti, P, 51 Pfonnmüller, P, 83. Otto Weber, S. 11.

تمكن من الحصول على (٢٥٠) نقشا رجع بها الى أوربة • أما الرحلة الثانيـــة فكانت فى نيسان سنة ١٨٨٥ ودامت حتى فبراير سنة ١٨٨٦ وقد زار فى أثنائها المناطق الجنوبيـــة الشرقية والمنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب صنعاء حتى مدينة عدن • وقـــد تمكن من جمع معلومات مهمة عن طبغرافية البلاد وأماكنها الأثرية ، وعاد بنصوص معينية مهمـة أصبحت من ممتلكات المتحف البريطانى(١) •

وقام بالرحلة الثالثة فى سنة ١٨٨٧م ومكث فى اليمن الى سنة ١٨٨٨ وكانت رحلته هذه موفقة جدا اذ حصل على آثار ونقوش كتابية كانت على جانب عظيم من الأهمية ، منها أربع مئة نص أخذها من مدينة مأرب عاصمة سبأ ، ومن هذه النصوص نصان عن تصدع سد مأرب يرجع عهدهما الى وقت قريب من ميلاد الرسول ونصوص أخرى من مدينـــة (صرواح) يرجع عهدها الى العصر السبئى ، وهى ذات أهمية كبيرة فى تدوين تأريخ بلاد العرب الجنوبية(٢) •

وكانت رحلته الرابعة ، وهى الأخيرة ، فى ســنة ١٨٩٢م ، وكانت موفقة جـــدا كذلك • اتبع فيها أسلوبا جديدا فى الحصول على صور النصوص ، اذ استعان بالأعراب الذين فرقهم فى مختلف الجهات التى لم يسبقه أحد من الأوربيين الى زيارتها ، بعـد أن علمهم مختلف الطرق فى الحصول على تلك النصوص بطريق الورق الذى يتأثر بالضوء وبطريقة القوالب الجبسية وبطرق أخرى • وقد تمكن بهذا الأسلوب الجديد من الظفر بصور مضبوطة بعض الضبط للكتابات القديمة التى لم يكن بوسعه الذهاب الى أماكنهـا واستنساخها بنفسه ، وقد تمكن بهذه الطريقة أيضا من تصحيح الأغلاط التى كانت فى الصور التى أخذها (هاليفى) عن النقوش الأصلية ، وتمكن أيضا من الحصول على زهاء مئة نص قتبانى أخذها من منطقة خرائب مأرب ، وفى متحف فينا قسـم من الأحجـار المكتوبة التى كان هذا العالم قد جلبها معه فى المرة الأخيرة الى أوربة(٣) •

وقد زار المستشرق « جورج أغسطس والين «George Augustus Wallin»

(١) Otto Weber, S, 11.

(٢) Explorations, P, 721. Mitheilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, Berlin. Beilage der Allgemeinen Zeitung, 1888. nos, 293, and 294. Eduard Glaser's Reise nach Márib.

(٣) Otto webr, S. 12. Pfannmüller, S, 86.

سنة ١٨٤٥ للميلاد أراضى نجد وكتب عنها[١] . وزار الحجاز العالم الشهير « سنوك هرغرونية Snouk Hurgtonje » ، وهو مستشرق هولنـــدى كتب عن أحوال مكة ووصف الحياة فى الحجاز وموسم الحج . وكان قد ذهب اليه سنة ١٨٨٥-١٨٨٦م ، وهو من العلماء المدققين[٢] .

وقــد زار الحجـاز « السـير ريشـــارد برتن Sir Richard Burton » متنكرا بزى مسلم سمى نفسه « عبدالله » ، زار الحرمين وكتب سياحته هذه[٣] .

وتوغلت « آنه بلنت Anne Blunt » سنة ١٨٧٩ فى شمال بلاد العرب حتـى بلغت أرض نجد ، وكانت مولعة بدراسة أحوال الخيول العربية[٤] . واخترق الرحالة الانكليزى « جارلس دوتى » الصحارى العربية وشمال بلاد العرب ، ووضع كتابا مهما وصف فيه أسفاره فى بلاد العرب الصحراوية[٥] . وقد اهتم خاصـــة بدراسة النواحى « الجيولوجية » والجغرافية للبلاد العربية ، ودون ملاحظاته عن الظواهر الجوية وتغـيرات الطقس ، الا أنه لم يغفل عن دراسة طبائع البدو وحياتهـم الاجتماعية وطرق تفكـيرهم وعقائدهم . وقد طبع كتابه ، فى ســـنة ١٨٨٨ ، وترجم الى بعض اللغات الاوربيـــة لأهميته[٦] .

ويعد هذا الرحالة من المتعصبين على الاسلام ، وقد يكون لهذا التعصب سبب ، فقد لاقى من الأعراب وأهل المدن شيئا كثيرا أثر فى نفسه ، فصار يتحامل على المســـلمين ويقسو فى حكمه على الرسول عليه الصلاة والسلام ، الا أنه لم يتمكن مع ذلك من الغض من قيمة المبادئ الأخلاقية التى يتحلى بها . ومما لاحظه على البـــدو ، عدم اهتمامهم بعباداتهم كالصلوات الخمس والصوم ، كما لاحظ من جهة أخرى أن الخوف من وجود اله يكاد يكون أعمق أثرا فى نفوس هؤلاء من الحضر . ولاحظ أيضا أن جذور الوثنية

---

(١) Ency. Brit Vol, 2. P, 171. Exploratians. P 705 Hitti, P, 7

(٢) Ency. Brit. Vol, 2, P, 170 Mekka, De Haag 1888. Explorations, P, 720.

(٣) Richard Burton, Personal Narrative of a Pilgrimage to El—medina and Meccah. London, 1857. in two Vols.

(٤) Lady anne Blunt, A Pilgrimage to Nedj. 2 Vos. London. 1883.
The Bedouins of the Euphrates London. 1879.

(٥) Travels in Arabia Deserta Cambridge. 1888. 2 Vols.

(٦) Charlis M. Doughty. Die Offenbarung Arabiens Paul list Verlag Leipzig. 1937.

القديمة لا تزال راسخة حتى الآن فى نفوس الأعراب وأكثر سكان القرى والمدن ، وقد أظهر هذا الرحالة ميلا عظيما لدراسة حياة البدو وطريقة معيشتهم ، وهو يتشوق الى الصحراء ويحن اليها حنين البدو ، ويتجلى ذلك العطف فى رحلته[(١)] التى تعد من روائع الأدب الانكليزى .

ومن الذين تزيوا بزى المسلمين وذهبوا الى بيت الله الحرام ومدينة الرسول الرحالة الألمانى « فون مالتزن Heinrich Von Malzen » الذى تنكر وظهر بهيئة حاج مغربى ، وكان قد زار بلاد المغرب وتعلم لهجة سكانه وعاداتهم ، فتظاهر فى الحجاز بأنه منهم ، وبعد عودته من الحج وضع رحلته[(٢)] .

ومن الجوابين العلماء « يوليوس اويتنك Julius Euting » ، وقد اهتم خاصة بدراسة أحوال البدو ، وكتب عن الوهابيين والحركة الوهابية[(٣)] . ومنهم الرحالة الجيكوسلوفاكى الأصل « الويس موسل Alois Musil » الذى زار « العربية الحجرية » وكتب عدة كتب عن شمال الحجاز وعن بادية الشام ومنطقة الفرات الأوسط وتدمر ونجد ، ووصف رحلته الى هذه الأماكن ، ووضع فى نهاية كل كتاب من كتبه فصولا علمية قيمة فيها تحقيق تأريخى جليل[(٤)] . ولا بد من ذكر جوابين آخرين مثل « جوسن Antonine Jaussen »[(٥)] و « بـرونوف R. E. Brünnow »[(٦)] وجارلس هوبر

---

(١) Passages from Arabia Deserta, Selected By, Edward Garnett, London. 1949. Pfannmüller, S, 54.

(٢) Von Malzen, Meine Wallfahrt nach Mekka. Leipzig. 1865. Bd I. 2. Bearbeitet Von F. Gansberg Braunschweig 1919. Ders. Reise in Arabien, Braunschweig 1873. Bd, 1.2. Arabica, Parts 4 and 5, Leiden, 1896 and 1898.

(٣) Julius Euting, Tagebuch einer Reise in inner Arabien. Leiden 1896-1914. Bd, I.

(٤) The Northern Hegaz. New York. 1926. Arabia Deserta. New York. 1927. Palmyrena. New York 1928. Northern Negd. New York 1928. the Middle Euphrates. New York 1927. in the Arabian Desert, New York 1930.

(٥) Antonine Jaussen, Coutemes des Arabes au Pays de moab. Paris 1908. Pfannmüller P. 29 Hitti, P, 7.

(٦) R.E. Brünnow und A.V. Domaszewski, Die Provincia Arabia. Strassburg 1904-1909. Bd, I-3.

« Charles Huber »[1] و « برترام توماس » الشـاب الانكليزى المستشرق الذى استطاع فى شـباط سـنة ١٩٣٩م أن يخترق لأول مرة « الربع الخـالى » فكشف بذلك بقعـة من أكبر البقـاع المجهولة فى بلاد العرب[2] • ويضـارعه فى مخاطراته هـذه « فلبى » الذى أطلق على نفسه اسم « الحاج عبدالله فلبى »[3] • وقد ألف هذا الانكليزى المستعرب عدة كتب باللغة الانكليزية وصف فيها أسفاره فى بلاد العرب ، وقد تهيأ له من الفرص ما لم يتهيأ لأوربى آخر ، اذ كان من الملازمين لجلالة الملك عبـدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود والمقربين اليه • وقد مكث الرحالة « راتجن C. Rathjens » بضع سنين فى اليمن وكتب عنها ، وجلب معه عدة كتابات يمانية قديمة الى المانيا وضعت فى « متحف الشعوب فى مدينة هامبرك »[4] •

ومن مستشرقى الطائفة الثانية (أى طائفة أساتذة الجامعات الذين استعانوا بالمصادر السابقة وبأبحاث السياح لدراسـة مختلف النواحى من تأريخ العرب قبل الاسـلام واستخرجوا أسماء الأصنام والأعلام العربيـة الواردة فى المصـادر الأجنبية محرفة وقابلوا بين معتقدات الشعوب السامية وما روى فى الكتب العربيـة من معتقـدات للعرب القدماء اضافة الى الكتب التى ألفها العلماء السابقون) المستشرق « برجه Berger » مؤلف كتاب « جزيرة العرب قبل محمـد فى الآثار L'Arabie avant Mahomet d'apres les Inscriptions Paris 1885 » والمستشرق « كوسـان دى برسـفال » العلامة الافرنسى صاحب كتاب « تأريخ العرب قبل الاسلام «Essai sur l'histoire des Arabes avant L'islamisme, Paris 1847-1848. Reprint. 1902 3 Vols. وهو من الكتب المفيـدة وقـد جاء صاحبه بنتائج مهمـة وبآراء صائبـة فى بعض الموضوعات ، غير أن الكتـاب أصبح قديما ، وفيه نواقص كثيرة ، وهو لا يتفق اليوم مع أساليب البحث الحديثة • وقد اعتمد مؤلفه على المصادر العربية ولا سيما كتاب الأغانى وعلى مصادر أخرى كانت معروفة فى

---

(١) Charles Huber, Voyage dans L'Arabie Centrale. Paris 1885. Ders. in Journal d'un Voyage en Arabie (1883—1884). Paris 1891.

(٢) Arabia Felix : Across the Empty Quarter of Arabia. New York, 1932.

(٣) منها : The Empty Quarter. 1988 the Background of Islam 1947. وكتب أخرى

(٤) C. Rathjens und H. Von Wissmann, Südarabien Reise. 3 Vols Hamburg. 1934. Rathjens Und H. Von Wissmann, «Sanaa;Eine Südarabische Stadtlandschaft,» in : Zeit. der Ges. für Erd. Zu Berlin. Nos, 9-10. PP, 329-58.

ذلك الوقت ، غير أنه لم يتمكن من الوصول الى مصادر كثيرة مهمة ، لأنهـا لم تكن فى متناول يده فى ذلك العهد .

وللمستشرق الايطالى « كيتانى L.Caetani » بحث جيد عن تأريخ عرب ما قبل الاسلام جعله مقدمة لتأريخ الاسلام Principe di Teano; Annali dell' Islam. Milano 1905., Studi di Storia Orientale. Milano 1911

وممن كتب فى حياة العرب قبل الاسلام المستشرق « أوليرى Delacy O'Leary » صاحب كتاب « البلاد العربية قبل محمد »[1] وقد تحدث فيه عن صلات العرب بالمصريين فالآشوريين الى زمن ظهور الاسلام ، وهو كتـاب (مع ما له من فائدة) لا يخلو من هفوات . والمستشرق « جارلس فورستر Charles Forster » وله كتاب مفيد (وان أصبح قديما جدا) فى تأريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها ويستند فى أكثر أبحاثه كأغلب معاصريه الى نظريات التوراة[2] .

وقد كتب المستشرق الألمانى « أوتو ويبر Otto Weber » رسالة صغيرة عن حالة العرب قبل الاسـلام « 1904 » «Arabien Vor dem Islam»

وكتب المستشرقون الذين عنوا بالسيرة النبوية وبالتأريخ الاسـلامى عامة فصولا تمهيدية عن حالة العرب قبل الاسلام ، تعرضوا فيها لمختلف النواحى التأريخيـة ، وهى مفيدة للاطلاع على أحوال الجاهلية .

وهناك من كتب فى موضوع خاص من التأريخ الجاهلى كالمستشرق « دسو » فقد وضع كتـابا عن « العرب فى الشـام قبـل الهجرة Les Arabes avant l'Islam En Syrie والمستشرق الألمانى « تيودور نولدكه » وله كتاب فى « تأريخ الفرس والعرب فى عهد السـاسانيين » .Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden. 1879

وكتاب آخر عن « أمراء غسان » Die Ghassanidischen Fürsten aus dem Hause Cafna's Berlin 1887.

والمستشرق « روتشتاين Rothstein » مؤلف « تأريخ أسرة اللخميين فى الحيرة » Die Dynastie der lachmiden in al-Hira. Berlin 1899. وهو من الكتب المهمـة فى تأريخ الحيرة . وقد استعان مؤلفه بالمصادر العربية والسـريانية واليونانية ، ولا يخلو

---

(١) O'leary, Arabia before Muhammad. London 1927.

(٢) Charles Forster, The Historical Geography of Arbia, Lonbon MDCCCXLIV. 2 Vols.

على كــل حال من الضعف فى بعض مواضعــــه •

ويضاف الى كل ذلك ما كتبه بعض المستشرقين عن الحالة الدينية عنـد العرب قبل الاسلام ، وأهم ما كتب فى ذلك كتـــاب « بركمــن Bergmann » عن أديان العرب فى الجاهلية « De Religione Arabum anteislamica » ، والفصل الجيد الذى كتبـــه المستشرق « ارنست أوسيندر Ernst Osiander» عن ديانة العرب قبل الاسلام فى مجلة الجمعية الآسيوية الألمانيـــة • «Studien uber die Vorislamische Religion der Araber in: Zeitschrift der Deutchen Morgenlandischen Gesellschaft. 7 1853

وقـد بحث هـذا المستشرق فى ديانة العرب قبـل الاســلام بحثـا عميقـا ، وهو أول مستشرق درس هذا الموضوع بعد « Pococke » الذى كان أقدم من درس الوثنية عند العرب دراسة تفصيلية مستقلة فى كتابه المسمى Specimen Historiae arabum. Oxford 1649. • وقد تطرق « أوســيندر » الى البحث فى عبـادة النجوم عنـد العرب وعبـادة الأصنام والأماكن المقدسة فى جنوبى بلاد العرب وعبادة الأصنام فى الحجاز ونجـد ، وتوصل الى أن العرب عبدوا النجوم فى بادىء الأمر ، ثم تطورت الفكرة الدينية عندهم • وعلى الرغم من ذلك ظلت عقيدة عبادة النجوم راسخة فى أدمغتهم •

وأتم دراســـة « أوســيندر » المستشــرق « لودولف كريـل «Ludolf Krehl فأحيا هذه الدراســـة مرة ثانية ، وتطرق الى موضوعات لم يتمكن من سبقه من البحث فيها • وقد ذهب هذا المستشرق الى أن العرب القدماء كانوا من الموحدين فى الأصل ، غير أنهم تركوا التوحيد بعدئذ ، وعمدوا الى عبـــادة النجوم ثم الأصنام فالأحجـــار والأشجار ، وبذلك انحطت الحالة الدينية عندهم ، وفى القرن السادس تأثروا بالديانة اليهودية والمسيحية فى الأماكن التى حدث فيها اتصال بهاتين الديانتين • وعنوان كتــابه « بحث عن ديانة العرب قبـل الاســلام » Uber die Religion der Vorislamischen araber. Leipzig. 1863

وأهم كتاب عن عقائد العرب الوثنيين قبل الاسلام هو الكتاب الذى ألفه المستشرق الألمانى « ولهوزن » عن « بقايا الوثنية عند قدماء العرب » Reste arabischen Heiden-tums.Berlin 1887. 1929.2th ausgabe

---

(١) للاطلاع على المؤلفات التى تعرضت لأسفار السياح فى شـــبه جزيرة العرب ، يستحسن الرجوع الى الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع في اللغات الاوربية • ومنهـا كتاب Explorations in Bible Land During the 19 th Century. by Hilprecht, Edinburgh, 1903. Ecy, Brit, Vol, 2, P, 169 ff.

وقد بحث فى كتابه هذا فى نواح مختلفة من نواحى الحياة الدينية عند عرب الجاهلية وفى الأصنام ، فجمع ما لم يتمكن أحد من قبله من المستشرقين جمعه فى هذا الباب ، واتبع أسلوب المقابلة والنقد فى البحث .

هذا ولا بد من الاشارة الى مجهود عدد من العلماء الذين تخصصوا بالعربيات وعالجوا نواحى عديدة من دراسات الجاهلية ، وأولهم « هومل Fritz Homme » صاحب المؤلفات والبحوث الكثيرة ، والدراسات القيمة فى تأريخ اليمن والعرب الجنوبيين وفى ترجمة الكتابات المعينية والسبئية والحضرموتية ، والقتبانية والحميرية ، وفى الدراسات اللغوية . وهو فى مقدمة من وضع أسس الدراسات العربية الجنوبية ومهد الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين . و « رودوكنانكس «Nikolaus Rhodokanakis» »[1] وهو صاحب جملة مؤلفات فى شرح وحل النصوص العربية الجنوبية ، و « دتلف نيلسن Ditlef Nielsen » الدانماركى من الباحثين فى الكتابات العربية الجنوبية وفى الحضارة العربية ، والتأريخ العربى قبل الاسلام[2] .

كذلك خصص « مورتمن J.H. Mordtmann » و « داوود هاينرش ميلر D.H. Muller» و « ميتوخ Eugen Mittwoch » و « فون فيزمن Von Wissman » و « بيستون C.F.L. Beeston» و « كونتى روسينى C. Conti Rossini » و « ونت F.V. Winnett وركمنس C. Ryckmanns » و « كرومن A. Grohmann » و « ملاكر K.Mlaker » و « أغناطيوس غويدى » و « هوبرت كريمه Hubert Grimme » و « أنوليتمن » وغيرهم قسطا من بحوثهم فى العربيات الجنوبية ، فساعدوا بذلك على تقديم مادة غنية للمؤرخين والباحثين ، وعلى تحسين معارفنا فى اللهجات العربية الجنوبية وقواعدها وفى تأريخ الجاهلية .

لقد قام المستشرقون بنصيبهم فى كتابة تأريخ الجاهلية ، وعلى الحكومات العربية واجب اتمام العمل ، وتيسير الوسائل التى توصل الباحثين الى الأماكن التى يقصدها العلماء وحمايتهم ورعايتهم ، وواجب اعداد طائفة من المنقبين العرب للقيام بهذه المهمة والانفاق عليهم بسخاء ، وانشاء متاحف تحفظ فيها العاديات ، ومنع الناس من التجاوز والتطاول على الأماكن الأثرية ، ومن أحق بالمحافظة على تراث البلاد من أبنائها ؟

---

(١) Nikolaus Rhodokanakis, Katabanische Texte Zur Bodenwirtschaft, 2 Hefte. Studien Zur Lexikografhie und Grammatik des Altsüdarabischen. Der Grundsatz der Offentlichkeit in den Südarabischen Urkunden 1914.

(٢) Handbuch der Altarabischen Altertumskunde Vol, I. 1927. Hamburg.

الفصل الثانى

شبه جزيرة العرب

ليس بين أشباه الجزر واحدة تنيف على شبه جزيرة العرب فى المساحة ، فهى أكبر شبه جزيرة فى العالم[١] ، ويطلق العلماء العرب عليها تجوزا اسم « جزيرة العرب »[٢] . تحيط بها البحار من أطرافها الثلاثة ، ومع ذلك فان الجو البحرى لم يستطع أن يخفف من حدة الحرارة فيها ، ويتغلب على جفافها ، والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل الى أواسط بلاد العرب ، لانزال رحمتها عليها . فان الرياح السمائم ، وهى ذات الحر الشديد النافذ فى المسام ، تتلقى الرطوبة التى تنبعث من البحار بوجه كالح ، عبوس ومقاومة تسلبها قوتها ، وتنتزع الرطوبة منها ، وتمنعها فى الغالب من الوصول الى أواسط شبه الجزيرة[٣] .

وحدها الشمالى خط وهمى يمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب فى خليج فارس ، فيكون النفود الشمالى من الحدود التى تفصل الهلال الخصيب عن شبه الجزيرة . أما من الناحية « الجيولوجية » فان باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن شبه الجزيرة ، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب[٤] .

واذا نظرنا نظرة عامة الى « خريطتها » رأينا أنها أرضون واسعة تمتد من الغرب نحو الشرق ، وهى مرتفعة فى الغرب تسيطر على السواحل الضيقة ، وأن هنالك سلاسل

---

(١) حتى : ١٩ ، حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١ وسيكون رمزه : وهبه .

(٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ٤٧ وسيكون رمزه صفة ، الألوسى : بلوغ الأرب ١٨٧/١ ، معجم البلدان ١٠٠/٣ وسأرمز اليه بـ البلدان . L. D. Stamp, Asia an Economic and Regional Geography,, P, 133. Stamp : وسيكون رمزه

(٣) حتى ١٩ . (٤) حتى ١٦ .

من المرتفعات متصل بعضها ببعض ، تمتد من سورية وفلسطين الى اليمن ، ويقال لهذه المرتفعات جبال « السراة »[١] وهى توازى ساحل البحر الأحمر وتقترب منه فى مواضع عديدة . ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم . أما أقصى ارتفاع لها فيبلغ زهاء ١٢٫٣٣٦ قدم وهو فى اليمن[٢] .

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر ، فانها ضيقة تسيطر عليها هذه المرتفعات ، وتنحدر اليها انحدارا شديدا قصيرا . وسواحلها المهيمنة على البحر صخرية فى أغلب الأحيان يصعب رسو السفن فيها[٣] .

أما الانحدار الى البحر العربى ، وخليج فارس ، فانه يكون تدريجيا طويلا ، ولذلك تكون الأقسام الغربية من بلاد العرب أعلى من الأقسام الشرقية . وتتألف الأرضون الوسطى من هضبة تدعى « نجدا » يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم . وتمتد فى الاقسام الجنوبية من شبه الجزيرة سلاسل من الجبال يتفاوت ارتفاعها ، تسيطر على المنخفضات الساحلية ، وعلى ما يليها من أرضين من جهة البر ، وتتصل هذه بسلسلة جبال اليمن ، وتكثر فيها الأودية التى تفصل بين السلاسل وتأخذ مختلف الاتجاهات من الشمال الشرقى أو من الشمال الغربى الى سواحل البحر حيث تمثل اتجاهات المياه والسيول[٤] ، ويكون أعلى ارتفاع لسلسلة الجبال الجنوبية فى أقصى الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة ، أى فى عمان ، حيث يبلغ ارتفاع الجبل الأخضر زهاء عشرة آلاف قدم[٥] .

وتتكون أغلب الأرضين فى شبه جزيرة العرب من صحارى وسهول تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية لكن قسما كبيرا منها يمكن اصلاحه اذا ما تعهدتها يد الانسان واستخدمت فى اصلاحها الوسائل العلمية الحديثة ، ومن أرضين صالحة للزراعة تستخدم فى الزراعة فعلا لوجود المياه فيها .

---

(١) السراة : أعلى كل شىء وهنالك مواضع عديدة يقال لها سراة مضافة الى القبائل . تاج العروس ١٠/١٧٤ البلدان ٥/٥٩ .

(٢) حتى : ١٦ Ency. Brit. Vol, 2. P, 169.

(٣) Hitti, P, 14.

(٤) Ency. Brit. Vol, 2. P, 169

(٥) Ency. Brit. Vol, 2. P, 169. Hitti, P, 14.

أما الأرضون التى تعد اليوم من المجموعة الصحراوية ، فهى :

١ ـ الحرار أو الأرضون البركانية : ويظهر أنها تكونت بفعل البراكين ، ويشاهد منها نوعان : نوع يتألف من فجوات البراكين نفسها ، ونوع تكون من حممها « اللابة » « Lava » التى كانت تقذفها ، فتسيل الى الأطراف ، ثم تبرد وتتفتت بفعل التقلبات الجوية ، فتكون ركاما من الحجارة البركانية يغطى الأرض بطبقات ، قد تكون سميكة وقد تكون رقيقة ، تتبعثر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض الأصلية .

ويصعب السير فى مثل هذه الأرضين لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها ، وتقل الاستفادة منها فتتحول شيئا فشيئا الى مناطق صحراوية والسائر اليوم فى منطقة « اللجاة » فى جنوب شرقى دمشق يلاحظ الطريق الذى سلكته الحمم المقذوفة[١] .

ويقال للأرض البركانية الحرة ، وجمعها الحرار[٢] ويقال لها اللابة واللوبة[٣] ، وقد وصفها العلماء فقالوا : الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، ويكون ما تحتها أرضا غليظة ، من قاع ليس بأسود ، وانما سودها كثرة حجارتها ، وتدانيها . وتكون الحرة مستديرة ، فاذا كان فيها شىء مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع ، واللابة[٤] واللوبة ما اشتد سواده وغلظ وانقاد على وجه الأرض[٥] . فيظهر

(١) Moritz, Arabien, Studien zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes Hannover 1923. S, 12. وسيكون رمزه : Moritz

قال ياقوت : « اللجاة اسم للحرة السوداء التى بأرض صلخد من نواحى الشام ، فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة » البلدان ٧/٣٢٣ .

(٢) البلدان ٣/٢٥٦ ، تاج العروس ٣/١٣٥ ، ويقال للحرة المنعزلة فى الرمال « بسقة » الطبرى ٣/٢٢١ ، وللنهير الذى يسيل من الحرار « شرج » و « شراج » وأحيانا « سواقى » البلاذرى : الفتوح ١٢ ، المراصد ٢/١٧٥ . المفضليات ص ٢٤٥ ، ٤١٥ .

(٣) لسان العرب ٢/٢٤٢ « لوآبة » « لابة ولوبة » ، المفضليات ص ٢٤٥ ، ٤١٥ .

(٤) البلدان ٣/٢٥٧ ، ويقال « حرة سوداء » راجع الطبرى ٢/٩٥٩ (طبعة أوربة) . وجاء أيضا « حرة رجلاء » صفة ص ٢٠٥ . وقد علل الهمدانى ذلك بقوله « سميت الحرة الرجلاء لأنها ترجل سالكها ولا يقدر فيها على الركوب » صفة ص ٢٠٥ . راجع كذلك معلقة الحارث بيت ٣٨ . وجاء « حرة سوداء » Moritz. S, 11 . وجاء كذلك « حامية » والظاهر أنها من ألفاظ العوام .

وقد كتب العلماء عن « الحرار » كتبا ، مثل « كتاب الحرة » المنسوب لأبى عبدالله محمد الغلابى (الفهرست ص ١٠٨) و « كتاب الحرات » لأبى عبيدة (الفهرست ص ٥٩) طبعة أوربة (٨٠) طبعة المطبعة الرحمانية ، راجع :

Moritz. S, 12. anm. 1. Loth in ZDMG. 22, 365-382

(٥) لسان العرب ٢/٢٤٢ ، وورد أيضاً « لابة سوداء » لوابة ولوبة ، ابن سعد : الطبقات ٢/١ ، ٢٥ .

من هذا أن « الحرار » هى أفواه البراكين ، ولذلك تكون مستديرة • وأما اللابة أو اللوبة فانها المناطق التى غطتها حمم البراكين ، وسالت فوقها ثم جفت وأما الكراع فانها أعناق الحرار[١] •

وتكثر الحرار فى الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب ، وتمتد حتى تتصل بالحرار التى فى بلاد الشام ، فى منطقة حوران ، ولا سيما فى الصفاة[٢] ، وتوجد فى المناطق الوسطى ، وفى المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق • وفى المناطق الجنوبية ، والجنوبية الغربية ، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المندب وعند عدن[٣] • وقد ذكر علماء العرب أسماء عدد منها[٤] ، كما أضاف اليها السياح أسماء عدد آخر عثروا عليها فى مناطق نائية[٥] • ويدرس علماء « الجيولوجيا » توزيعها فى شبه جزيرة العرب بعناية ، وكذلك دراسة أنواع الحجارة التى يكثر وجودها مثل الحجارة الكلسية والغرانيتية والرملية ، وتوزعها ، وبعض الينابيع الحارة فى الأحساء[٦] ، لما فى هذه الدراسات من أهمية بالنسبة الى الشركات الغريبة الغربية ، التى تنوى استثمار الموارد الغنية الكامنة فى الأرض •

وقد اشتهرت بعض مناطق الحرار بالخصب والنماء وبكثرة المياه فيها ، ولا سيما حرار المدينة التى استغلت استغلالا جيدا ومنها « خيبر » فكثرت قراها ، وكثر سكانها ، حتى ميزت على سائر القرى فقيل عنها انها « خير قرى عربية »[٧] ، غير أن ظهور العيون فيها بكثرة ، جعلها موطنا من مواطن الحمى ، اشتهر أمرها فى الحجاز حتى قيل « حمى

---

(١) لسان العرب ٢/٢٤٢ ، ١٠/١٨٢ ، القاموس ٣/٧٨ •

(٢) حتى ١٩ ، صفحة ٢٥٩ Moritz, P, 12. Chr. Phelps Grant, the Syrian Desert, London 1937. P, 122, 297. Alois Musil, in the Arabian Desert, New York. 1930. PP, 3. 21.

(٣) Ency. Brit. 2-174.

(٤) حتى ١٩ ، البلدان ٢/٢٥٩ (مطبعة السعادة ١٩٠٦) •

(٥) Doughty . Arabia Deserta. 2-618-619.

(٦) Ency. Brit. 2-174.

(٧) ابن سعد : الطبقات ١/٥٠ (قسم ٢) (خير قرى عربية خيبر) Zwemer, Arabia P, 23. Moritz. P, 12.

خيبر » و « خيبرية »[1] • واستفاد الجاهليون من الحرار باستخراج الأحجار ـ كأحجار الرحى ـ والمعادن منها ، فكانت موطنا من مواطن التعدين القديمة[2] •

وقد ورد فى مواضع من التوراة ما يدل على أن الكلمة العربية « الحَرّة » قد وردت فى الكتاب المقدس[3] ، وأن اليهود قد عرفوا وجودها[4] • وورد فى الشعر الجاهلى ما يشير اليها كذلك • وكانت احدى الحرار وهى حرة النار فى عهد الخليفة عمر لا تزال ثائرة تخرج النار منها[5] • وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج فى عهد الخليفة عثمان من بعض الجبال القريبة من المدينة[6] • وهذا يدل على أن فعل البراكين فى شبه جزيرة العرب لم يكن قد انقطع انقطاعا تاما •

وكان آخر حدث بركانى فى الحجاز فى سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م) حيث ثارت احدى الحرات فى شرقى المدينة ، واستمر هيجانها بضعة أسابيع ، وقد وصل ما سال من حممها الى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينة التى كان نجاتها من الاعاجيب[7] • وكان أواخر القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين عهد زلازل وثوران براكين فى مناطق آسية الغربية[8] • ومنذ القرن الثالث عشر الميلادى ، لم يبق أثر لفعل البراكين فى مختلف أنحاء بلاد العرب[9] • ويظهر من كثرة الحرار وانتشارها انتشارا واسعا أنها أثرت فى تكوين شبه الجزيرة الطبيعى ، وكانت جزءا من تلك التغيرات التى طرأت عليها حتى آل الأمر الى حدوث هذا الوضع •

---

(١) كأن به ـ اذ جئته ـ خيبرية ... يعود عليه وردها وملالها
قلت لحمى خيبر : استعدى ... هاك عيالى فاجهدى وجدى
وباكرى بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند
البلدان ٣/٤٩٧ ، الحماسة (طبعة فرايتاك) ٦٤ ، صفة ١١٨ ، نقائض جرير ٦٢٠ •

(٢) مثل حرة سليم ، وحرة الرفاع على ساحل البحر الاحمر شمال غربى ينبع ، البلدان : ٣/٢٥٨ ، ٨/٥٢٦ • تاج العروس ٣/١٣٥ ، Moritz, P, 12.

(٣) Moritz, S, 13. أرميا اصحاح ١٧ آية ٦ •

(٤) Moritz, S, 13.

(٥) البلدان ٣/٢٦١ ، Moritz, S, 13.

(٦) الطبرى ١/٢٩٨٢ (الطبعة الأوربية) •

(٧) Moritz, P, 13 حتى ١٩ •

(٨) Moritz, P, 14.

(٩) Moritz, S, 13.

وقد تركت الأصوات المزعجة و « الصيحات » المرعبة والنيران التى كانت ترى من مسافات بعيدة ، وسحب الدخان التى كانت ترتفع من أجواف الأرض و « البريق » الذى كان يظهر من الحرار التى كان عرق الحياة لا يزال ينبض فيها الى أيام الاسلام (مثل « حرة القوس » التى قيل عنها : انها كانت ترى كأنها حريق مشعل[1] و « حرة لبن » التى كان يخرج منها ما يشبه البرق ويسمع منها أصوات كأنها صياح)[2] ، صورة مرعبة فى نفوس الناس ظهر أثرها فى القرآن الكريم فى مواضع عدة منه على سبيل العظة والتذكير .

٢ - الدهناء :

وهى مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر فى الغالب ، تمتد من النفود فى الشمال الى حضرموت ومهرة فى الجنوب ، واليمن فى الغرب ، وعمان فى الشرق[3] . وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة ، تتنقل فى الغالب مع الرياح وتغطى مساحة واسعة من الأرض[4] . ويمكن العثور على المياه فى قيعانها اذا حفرت فيها الآبار[5] .

وقد تصل الأمطار الموسمية الى بعض أجزاء « الدهناء » فتنبت فيها الأعشاب ، وتبقى عادة زهاء ثلاثة أشهر فى السنة ثم تجف . وقد هجر الناس السكنى فى أكثر أقسام الدهناء لجفاف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة ، وخلوها من الماء والمراعى ، وكثرة وجود العواصف الرملية فيها ، ولشدة حرارتها التى يصعب احتمالها فى أثناء النهار ، وأقاموا فى الأمكنة المرتفعة منها ، التى تتوافر فيها المياه وتتساقط عليها الأمطار فتنبت الأعشاب وينتجعها الأعراب . أما الأقسام الجنوبية من الدهناء ، فقد عرفت عند الجغرافيين المحدثين باسم « الربع الخالى » « The Empty quarter »[6]

---

(١) البلدان ٣/٢٥٩ قال عرعرة النميرى :

بحرة القوس وجنبى محفل   بين ذراه كالحريق المشعل

(٢) البلدان ٣/٢٦٠ « لبن » بضم اللام وتسكين الباء الموحدة . قال الشاعر :

بحرة لبن يبرق جانباها   ركود ما تهد من الصياح

(٣) Hitti, P, 15 « الدهناء » بفتح أوله وسكون ثانيه ونون وألف تمد وتقصر ، معجم البلدان ٤/١١٥ ، ١١٦ .

(٤) Ency. Vol, 1. P, 893. Hitti, P, 15. Ency. Bri, Vol, 2. P, 173.

(٥) Handbook of Arabia, Vol, 1. P, 11

(٦) « Terra Incognita » Hitti. P, 15. Ency Vol, 1. P, 893 Philby. the Empty Quarter, London 1933. Bertram Thomas, Arabia Felix P. XXIII. 180 ff. Philby in the Geographical Journal, « The Empty Quarter ». ». 81 (1933) 1-26.

لخلوها من الناس ، وكانت تعرف بمفازة صيهد[١] .

وقد تمكن السائح الانكليزى « برترام توماس Bertram Thomas» من اجتيازها فى (٥٨) يوما ، وهو عمل مجهد شـــاق ، فكان أول أوربى جرء على اجتيــاز هـــذه الارض[٢] .

ويطلق على القسم الغربى من الدهناء اسم « الأحقاف » وهى منطقة واســعة من الرمال بها كثبان اقترن اسمها بقوم عاد « واذكر أخا عاد اذ انذر قومه بالأحقاف »[٣] . وكشف برترام توماس فى الربع الخالى بحيرة من المياه الملحة ، وبقايا حيوانات بحرية مبعثرة . وتبين لدى العلماء أن هذه البحيرة كانت من متفرعات خليج فارس[٤] ، وأن من المحتمل أن هذه الأرضين التى تكثر فيها رواسب قيعان البحر قد كانت فى عهد ما من المنــاطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط ، كما عثر فيه على آثار قديمة ترجع الى ما قبل الاسلام لم يعرف من أمرها شيء حتى الآن[٥] يظهر أنها لأقوام كانت تستوطن هذه المناطق أيام كانت غزيرة المياه صالحة للانبات والخصب . ولا زالت تعد حتى اليوم أرضا مجهولة ، وستأتى الاكتشافات الجديدة لها بمعارف قيمـــة عن تأريخ العرب قبل الاســـلام من غير شـــك .

وتكون « وبار » قســـما من الدهناء ، وكانت من الأرضين المشـــهورة بالخصب والنماء ، وهى اليوم من المناطق الصحراوية ، وبها آثار القرى القديمة التى كانت كثيرة قبل الاسلام . والظاهر أنها كانت موطن الوباريين[٦] ، وهـم الذين دعاهم بطليموس

---

(١) Moritz. P, 15. anm. 3 Ency. 1-370 صفحة ٢١٤ ، البلدان ٥/٤١٩

(٢) Ency. Vol, 1. P, 183. A Handbook of Arabia, Vol, 1. P, 11. Hitti, P, 15.
Bertram Thomas, Arabia Felix Across the empty Quarter of Arabia. London. 1932. the Geographical Journal. 77. (1931) 1-37 "A Journey into Rub' al Khali".
W. Thesiger, in the Geogr. Jour. Across the Empty Quarter » 111. (1948) 1-21. also « A Further Journey Across the Empty Quarter. » CXIII. (1949) 12-45.

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأحقاف ، السورة ٤٦ آية ٢١ .

(٤) حتى ١٧ .

(٥) راجع وصف الربع الخالى فى كتاب « برترام توماس » Arabia Felix, P.P, 180.
Ency. Brit. Vol, 2. P, 173.

(٦) البلدان ٨/٣٩٢ ، Philby, the Empty Quarter. PP, 157. Ency. 1-370.

«Jobaritai» »[١] الذين سنتحدث عنهم • وفى الجهة الشمالية الشرقية من وبار رمال «بيرين» • وكانت من المناطق المأهولة كذلك ، ثم دخلها الخراب[٢] •

٣ ـ النفود :

أما النفود ، فهى صحراء رملية واسعة ذات رمال بيض أو حمر ، تذروها الرياح فتكون كثبانا مرتفعة ، وسلاسل رملية متموجة[٣] • وكانت تعرف قديما باسم « الدهناء » و «رملة عالج» ، ثم تغلب عليها اسم « النفود » وصارت تعرف به[٤] • وتشغل صحراء النفود مساحة واسعة تبتدىء من واحة تيماء ، وتمتد الى مسافة ٤٥٠ كيلومتر تقريبا نحو الشرق ، ويبلغ امتدادها من واحة الجوف الى جبل شمر زهاء ٢٥٠ كيلومتر تقريبا[٥] •

وتعد صحراء النفود من الأماكن المائلة أو المنحدرة ، ويظهر من القياسات (وان كانت قليلة جدا) أن المنطقة الشرقية من النفود أوطأ من مستوى المنطقة الغربية ـ عند خط طول (٢٧) درجة و (٣٠) دقيقة بما يزيد على ١٥٠ متر أى أن هذه الصحراء مرتفعة فى الغرب آخذة فى الانخفاض والميل فى الشرق[٦] •

وقد نتج عن هذا الميل والانحدار المتوالى ، أن الرمال التى كانت الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية تحملها ، تراكمت فى المنخفض وتجمعت فيه ، فأصبحت الحدود الغربية والشرقية لهذه المنطقة مرتفعة بالنسبة اليها ، بحيث صار « الحماد » يشرف عليها اشرافا تاما[٧] •

ويغطى سطح صحراء « النفود » كثبان من الرمال متموجة يبلغ ارتفاع بعضها زهاء (١٥٠) مترا ، ولذلك لا يعد وجه هذه الصحراء مستويا منبسطا • وتأخذ هذه المرتفعات مختلف الأشكال ، فتأخذ فى أغلب الأحيان شكل حذاء الفرس ويكون اتجاهها من الغرب نحو الشرق ، وتكون أبعادها وأعماقها مختلفة ، وتسمى « القعور » • وقد تركت

---

(١) Ency. 4-1073.

(٢) البلدان ٦/٩٩ • Ency. 1-370 صفة ٥١ ، ٨٤ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٥ •

(٣) Moritz, S, 15. A Handbook of Arabia, Vol, 1. P, 11

(٤) Moritz, S, 15 • « رمل عالج » باللام المكسورة والجيم ، راجع البلدان ٦/٩٩ •

(٥) Ency. Brit. Vol, 2. P, 173. Moritz, S,15

(٦) Alois Musil, in the Arabian Desert, PP, 124, 126 Moritz, S, 15

(٧) Moritz, S, 15.

أثرا عميقا فى مخيلة المسافرين ورجال القوافل(١) .

وبعد الأشتية الممطرة تتحول هذه المنطقة الرملية الموحشة الى جنة حقيقية ، فتظهر الرمال وكأنها قد فرشت ببسط خضر يزينها الزهر والشقائق ومختلف الأعشاب الصحراوية ، وينتجعها الأعراب للرعى . وقد تنمو فيها النباتات المرتفعة ذات السيقان القوية كبعض أنواع « الغضى » فتكون أدغالا يحتطب منها البدو ، وقد يحرقونها لاستخراج الفحم منها(٢) . وهذه الأعشاب والنباتات لا تظهر الا فى المنطقة ذات الرمال الحمر « نفود سمرا » أما صحراء النفود البيضاء المؤلفة من رمال نشأت من تفتت أحجار « الكوارتز » ، فانها غير منبتة فى أكثر الأماكن(٣) .

وهذا المنظر الجميل لا يدوم سوى بضعة أسابيع ، ثم يحل الجفاف ، وتهب السمائم فتقضى على كل ما نبت فى هذه الصحراء ، وتهب فى شهر نيسان رياح حارة من الشرق والجنوب ، فتسبب جفاف الأعشاب والنباتات فى أيام قليلة ، فتغدو النفود قطعة من الجحيم فى أيام الصيف لا يجتازها الأعراب الا مضطرين(٤) .

والرأى السائد أن هذه الصحارى تكونت بتفتت الأحجار الرملية بتأثير الرياح والجفاف عليها(٥) . ويؤيد وجود مثل هذه الأحجار فى الشمال الغربى من بلاد العرب هذا الرأى كثيرا ، ويظهر أنه رأى علمى ينطبق على بعض الصحارى انطباقا كبيرا ، غير أنه لا يحل مشكلة مصدر الرمل الأحمر المتكون من أحجار غير رملية والذى يغطى مساحات واسعة من صحراء النفود ، بينما الرمل الناشىء من الأحجار الرملية لا يغطى سوى مساحات ضيقة بالنسبة الى المناطق الأخرى . وهذا يدل دلالة صريحة على أن رمال صحراء « النفود » لم تتكون بفعل تفتت الأحجار الرملية حسب ، بل بعوامل أخرى مثل عامل التقلبات الجوية وتأثيرها فى قشرة الأرض(٦) .

---

(١) Euting, in Zeitschr. d. Geo. für Erdkunde zu Berlin., no.5 Tagebuch I, 144.

(٢) Moritz. S, 16.

(٣) Moritz. S, 16 f. A. Blunt, Pilgrimage to Nejd, 2. 55.

(٤) A Handbook of Arabia. Vol, 1. P, 12. Moritz. S, 17.

(٥) Moritz. S, 17

(٦) المصدر نفسه .

يكون ظاهر التربة الأجرد معرضا لحرارة الشمس والتغيرات الجوية مباشرة ، اذ لا أشجار تحميه ، ولا أعشاب تحافظ على تماسك ذراته وحفظها من تلك التغيرات • فاذا انقطعت الأمطار ، جفت التربة فتفتت تدريجيا ، وتستطيع الرياح أن تعبث فيها بكل سهولة ، وتتمكن الرياح التى سرعتها ١٨ كيلومترا فى الساعة من اثارة الطبقات الرملية الخفيفة والأتربة المتبقية المبعثرة على سطح الأرض •

واذا هبت الرياح بسرعة ٣٣ كيلومترا فى الساعة امتلأ الجو بالغبار • فاذا ازدادت السرعة استحالت الى عواصف ، أثرت تأثيرا كبيرا فى سطح الأرض ، فحملت ما عليه من أتربة ، وعرضت الطبقات السفلى التى كانت تحت هذه التربة لفعل الجو المباشر ، ليحدث لها ما حدث بالطبقة التى كانت فوقها ؛ وهكذا تتحول هذه المناطق الى صحارى وتتكون الرمال حينئذ من التربة المتفتتة لا من تهشم الأحجار الرملية أو الكلسية وحدها(١) •

وتهب مثل هذه الرياح فى الشمال الغربى من شبه جزيرة العرب من نهاية شهر (آذار) مارس حتى نهاية شهر (أيار) مايس ، وتهب فى أغلب الأحيان هبوبا فجائيا ، وتستمر يومين أو ثلاثة أيام ، وتنتهى فى بعض الاوقات برعد وبرق • وعند حدوث هذه الزوابع يغبر الافق ويكفهر وجه السماء ، ثم تهب بعد لحظات عواصف شديدة وأعاصير ، تكتسب الجو لونا قاتما ، وأحيانا مائلا الى الصفرة أو الحمرة بحسب لون الرمال التى تحملها الرياح ، وتختفى الشمس ، وتؤثر هذه « العجاجة » فى النباتات والأشجار تأثيرا كبيرا ، واذا ما استمرت مدة طويلة فانها تسبب تلف قسم كبير من المزروعات(٢) •

وقد أشار الكتاب اليونان والرومان الى هذه الصحراء(٣) ، كما عرفها العبرانيون • ولكلمة « حويلة » « Havilah » ومن معانيها الأرض الرملية(٤) أى تخم بنى اسماعيل(٥) ـ وأولادهم وهم البدو ـ علاقة كبيرة بمدلول صحراء • وقد ذهب بعض علماء

---

(١) Moritz. P, 17 راجع أيضا بحث « دوتى » عن النفود فى كتابه : Arabia Deserta. Vol, 2. P, 656

(٢) Moritz. S, 17

(٣) Mortiz. P, 17. Diodor, 2. 54. Strabo, XVI. 3.

(٤) التكوين ، الاصحاح الثانى ، آية ١١ ، الاصحاح العاشر آية ٧ ، الاصحاح ٢٥ آية ١٨ ، Hastings. P, 333. Ency. Bibl. P, 1973.

(٥) التكوين ، اصحاح ٢٥ ، آية ١٨ •

التوراة الى أنها تعنى المنطقة الصحراوية التى تشمل النفود فى الوقت الحاضر[١] .

وتفصل بين الشام والعراق صحراء واسعة يقال لها « البادية » أو « بادية الشام » أو خساف ، ويقال للقسم الجنوبى منها ـ وهو القسم الذى بين الكوفة والسماوة من جهة وبينها وبين الشام من جهة أخرى ـ « بادية السماوة[٢] » ، ويسميها العامة « الحماد » أو « حماد »[٣] .

الـــدارات :

وفى بلاد العرب « الدارات » ، والدارة : كل جوبة بين جبال فى حزن كان ذلك أو سهل أو رمل مستدير فى وسطه فجوة ، وهى الدورة ، وتجمع الدارة دارات[٤] . فهى أرضون سهلة لينة بيض فى أكثر الأحيـــان ، وتنبت فيها الأعشـــاب والصليان والنباتات الصحراوية[٥] ، ويبلغ عـددها زهاء عشـر دارات ومئـة فى شـــبه جزيرة العرب[٦] .

ولبعض هذه الدارات شهرة ، اذ وردت أسماؤها فى الشعر الجاهلى والاسلامى ، مثل « دارة جلجل » التى ورد ذكرها فى شعر امرىء القيس الكنـدى[٧] ، و « دارة الآرام » وكانت مملوءة من شقائق النعمان كما جاء ذلك فى شعر برج بن خنزير المازنى الذى كلفه الحجاج بن يوسف حرب الخوارج :

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/٣٩٨, Hastings, P, 333. Ency. Bibl. P, 1974. Glaser, Skizze, 2. P. 323 ff E. Meyer, Geschichte des Alterthums. Vol, 1. P, 224. Delitzsch, Friedrich, wo lag des Paradies ? P, 12, 57.
Ency. 1-371.

(٢) البلدان ٥/١٢٠ ، البلدان ٣/٤٣٦ ، Friedrich, wo lag des

(٣) Hitti, P, 15. A Handbook of Arabia, P, 12 Ency. Brit. Vol, 2. P, 173

(٤) البلدان ٤/١٤ ، القاموس المحيط ٢/٢١ . راجع « كتاب الدارات » للأصمعى بعناية أوغست هفنر » فى مجلة المشرق ، السنة الأولى ، الجزء الأول سنة ١٨٩٨ ص ٢٤ وما بعدها .

(٥) البلدان ٤/١٤ .

(٦) القاموس المحيط ٢/٢١ ، البلدان ٤/١٤ .

(٧) البلدان ٤/١٦ ؛ الدارات ، فى مجلة المشرق العدد المذكور ص ٣٦ .

فأبرق وأرعد لى اذا العيس خلفت بنا دارة الآرام ذات الشقائق[١]

الأنهار والأودية :

وتعد بلاد العرب فى الوقت الحاضر فى جملة البلاد التى تقل فيها الأنهار والبحيرات ، ويندر سقوط الأمطار ، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان ، غير أنها كثيرة الأودية ، تسيل فى بعضها المياه عند سقوط الأمطار . وهى فى الغالب طويلة ، تسير فى اتجاه ميل الأرض . أما الأودية التى تصب فى البحر الأحمر أو فى البحر العربى فانها قصيرة بعض الشىء ، وذات مجرى أعمق وانحدار شديد ، والمياه تسيل فيها بسرعة فتجرف ما يعترضها من عوائق ، وتنحدر هذه السيول الى البحر فتضيع فيه ، ومن الممكن الاستفادة منها فى الأغراض الزراعية والصناعية . وقد تكون السيول خطرا يهدد القوافل والمدن والأملاك ، ويأتى على الناس بأفدح الخسائر[٢] .

وتدل البحوث والدراسات التى قام بها السياح والعلماء عن بلاد العرب على أن تغيرا كبيرا طرأ على جوها ، وأن هذا الجفاف الذى يكتنف هذه البلاد فى أزماننا لم يكن على النحو الذى نعرفه فى العصور التى سبقت الاسلام ، وأن ذلك الجفاف أثر تأثيرا كبيرا فى طبيعة شبه الجزيرة ، وفى حالة سكانها ، وقسا عليها ، فقاوم نشوء المجتمعات الكبرى ، وجعل أكثر بقاعها صحارى جردا ، وأثر تأثيرا خطيرا فى تأريخ الأمة العربية وفى حدوث الهجرات .

وليس فى شبه جزيرة العرب نهر واحد بالمعنى المعروف من الأنهار ، وما فيها من جداول لا تصلح للملاحة[٣] . فهى اما قصيرة سريعة الجريان ، منحدرة انحدارا شديدا ، واما ضحلة تجف مياهها فى بعض المواسم .

ويظهر من اتجاهات الأودية ومن وجود العاديات والخرائب ، وآثار السكنى على أطرافها ، والترسبات التى تمثل قيعان الأنهر ، أن هذه الأودية كانت فى الحقيقة أنهارا فى يوم من الأيام ينبض فيها عرق الحياة ، وأنها كانت تضيف عددا كبيرا من الأحياء[٤] ،

---

(١) البلدان ٤/١٥ مجلة المشرق ، العدد المذكور ص ٢٦ .

(٢) حتى ٢٠ ، فتوح البلدان للبلاذرى . الفصل الذى خصصه لأخبار السيول . الطبرى ، والأزرقى فى أخبار السيول .

(٣) حتى ٢١ .

(٤) Bertram Thomas, the Arabs, P, 350

ويؤيد هذا الاستنتاج ما ورد فى كتب اليونان والرومان من وجود أنهار طويلة فى بلاد العرب ، كالذى ذكره « هيرودوتس » من أمر نهر دعاه « كورس » قال عنه انه من الأنهر العظيمة ، وانه كان يصب فى بحر « الاريتريا[1] » ويقصد به البحر الأحمر « وقد زعم أن العرب تقول : ان ملكهم كان قد عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة أنابيب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات تمتد الى الصحراء على مسيرة اثنى عشر يوما من النهر ، فتصب فى مواضع منقورة تستعمل لخزن المياه[2] .

وهناك موضع على مقربة من ساحل البحر الأحمر اسمه « قرح[3] » على مسافة ٤٣ كيلومترا من « الحجر » فى مكان يمر به الخط الحديد الحجازى فى منطقة صحراوية ، وكان فى الأزمنة السابقة من المحلات المزروعة ، وبه بساتين عدة تعرف « ببساتين قرح » ، وعلى مقربة منها « سقيا يزيد » أو « قصر عنتر » كما تعرف به فى الوقت الحاضر على بعد ٩٨ كيلومترا من المدينة . والى شماله « وادى الحمض » الذى يرى بعض العلماء أنه المكان الذى قصده « هيرودتس[4] » .

وذكر « بطليموس » اسم نهر عظيم سماه « Lar » زعم أنه ينبع من منطقة « نجران » أى من الجانب الشرقى من السلسلة الجبلية ، ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقا بلاد العرب حيث يصب فى الخليج الفارسى[5] . ولا يعرف من أمر هذا النهر شيء فى الوقت الحاضر ، ولعله كان واديا من الأودية التى كانت تسيل فيها المياه ، فى بعض المواسم ، أو كان بقايا نهر عظيم ثم أثرت فى مياهه عوامل الجفاف . ويرى « موريتس » أن هذا النهر الذى أشار اليه بطليموس هو وادى الدواسر ، الذى يمس حافة الربع الخالى عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلا من جنوب

---

(١) Herodotus. Vol, 1. P, 214.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Moritz. S,21 . البكرى ٧٨٧ ، المقدسى ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٢ « قرح » بالضم ثم السكون ، البلدان ٧/٤٨ . وكانت من أسواق العرب فى الجاهلية ، وزعم بعضهم أن بها كان هلاك عاد قوم هود ، مما يدل على أنها من المواضع القديمة فى بلاد العرب .

(٤) Moritz. S,21 « اصطبل عنتر » وهبه ٢٠ . والظاهر أنها كانت تعرف بـ « سقيا » وهى من المواضع الجاهلية القديمة ، راجع البلدان ٥/٩٤ .

(٥) Moritz. S,21

شرقي السليل ، وتمده بعض الأودية المتجهة من سلاسل جبال اليمن بمياه السيول[١] ، وتغيض مياهه في الرمال في مواضع عديدة ، فتكون بعض الواحات التي يستقي منها ، ويزرع عليها • ويلاحظ وجود مياه غزيرة في واديه في مواضع لا تبعد كثيرا عن القشرة ، وهذا ما يحمل على الاعتقاد بوجود مجار أرضية تحت سطح الوادي ، وأنه كان في يوم ما نهرا من الأنهار ، غير أننا لا نستطيع أن نتكهن في أمر هذا الوادي أكان نهرا جاريا في وقت بطليموس كما أشار الى ذلك ، أو كان واديا رطب القيعان لم تكن عوامل الجفاف قد أثرت فيه أثرها في الوقت الحاضر • لذلك كانت تمكث فيه السيول والأمطار المتساقطة على السفوح الشرقية لجبال اليمن مدة أطول مما هي عليه الآن[٢] •

وينطبق هذا الاحتمال على الأودية الأخرى ، وهي كما قلت كثيرة ومنها : وادي الرمة ووادي الحمض ، ويعد هذان الواديان من الأودية الجافة ، الا في مواسم الأمطار الشديدة حيث تصب السيول فيهما ، غير أن لهما مجاري أرضية ، تشير الى تلك الحقيقة ، ويمكن الحصول على المياه فيهما بحفر الآبار على أعماق ليست بعيدة عن السطح • وقد تظهر المياه على سطح الأرض في بعض المحلات ، وربما كانا قبل آلاف السنين ، ولعلها ـ الى العصور التأريخية ـ من الأنهر التي تغدق على البقاع الخير والبركات[٣] •

يتكون « وادي الرمة » عند « حرة خيبر » أو « حرة فدك[٤] » من التقاء بضعة أودية ممتدة من الشمال على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ثم تتجه بعد ذلك نحو الشرق ، ثم تأخذ اتجاها جنوبيا شرقيا حيث تتصل « بالجرير » أو «الجريب » كما كان يعرف سابقا[٥] وهو من أوسع فروع وادي الرمة • ويتجه الوادي نحو الشرق حيث يصل الى « بريدة » ، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي فالشرق الى « القصيم » حيث يسمى بعد ذلك « الباطن[٦] » ، ثم يتفرع الى فرعين يخترقان منطقة صحراوية ، ويسير أحدهما في « النفود » حيث يتصل بالدهناء الى أن يصل موضعا قرب البصرة • ويبلغ طول هذا الوادي

---

(١) وهبه ٥٤ •

(٢) Moritz. P,21

(٣) Moritz, P, 21. Philby. in the Geogr, Jour. CXIII. (1949). 86.

(٤) Moritz. S. 22 ويقال له « بطن الرمة » بضم الراء وتشديد الميم ، وقد يقال بالتخفيف • معجم البلدان ٢/٢١٩ •

(٥) « الجريب » بالفتح ثم الكسر • البلدان ٣/٩١ • Moritz, S, 23.

(٦) « البطن » « بطن الرمة » • البلدان ٢/٢١٩ • صفحة ١٤٤ •

نحوا من ٩٥٠ كيلومتر أو أكثر[١] .

وأما مبدأ وادى الحمض أو وادى اضم كما كان يسمى قديما ، فمن جنوب حرة خيبر ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربى الى أن يصل الى يثرب حيث تتصل به أودية فرعية أخرى منها « وادى العقيق » ، ويتصل به كذلك « وادى القرى » ، ويستمد مياهه من السيول التى تنحدر اليه من الجبال ومن العيون التى عند خيبر حيث يصب فى البحر الأحمر فى جنوب قرية الوجه . وعند هذا المصب بقايا قرية يونانية قديمة وبقايا معبد يعرف عند الأهلين باسم « كصر كريم »[٢] ، وهو من بقايا المستعمرات اليونانية القديمة التى كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان ، وللاتجار مع الأعراب ، ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعتقد « موريتس » أن هذا الموضع هو محل مدينة « لويكة كومة Leuke Kome » المشهورة التى وصل اليها « أوليوس كالوس » لما هم بفتح اليمن[٣] ، على حين يرى آخرون أن هذه المدينة هى فى المحل المعروف باسم « الحوراء » . ويبلغ طول وادى الحمض زهاء (٩٠٠ كيلومتر[٤]) .

وهناك « وادى حنيفة » ، وهو من الأودية المهمة كذلك ، يبتدىء من غرب « جبل طويق » ثم يتجه نحو الشرق نحو خليج فارس . وهو مهم ، ويمكن الحصول على المياه فيه بطريقة حفر الآبار ؛ لأن الماء غير بعيد عن قاع هذا الوادى . وأما عند هطول

---

(١) Moritz. S, 23. A Handbook of Arabia, Vol. I P, 10 وهبه ص ٢ . « القصيم » بالفتح ثم الكسر على « فعيل » قال الأصمعى : « وأسافل الرمة تنتهى الى القصيم » . البلدان ٧/١١٦ . « بطن » الحماسة (فرايتاك) ٦٠٨ ، صفحة ١٤٤ ، الدينورى : الأخبار ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ويرى موريتس احتمال كون نهر « بيشون » « Pischon الذى هو أحد أنهار الجنة الأربعة فى التوراة هو وادى الرمة .

(٢) Moritz. S. 23 « اضم » بالكسر ثم الفتح وميم « قال ابن السكيت اضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر . البلدان ١/٢٨١ . وادى « الحمض » البلدان ٢/٣٤٢ .

(٤) Moritz. S, 24 Pauly -- Wissowa, Art. Leuke. Kome

(٣) Moritz. S, 24 « الحوراء » بالفتح والمد كانت بها آثار خرائب قديمة حتى أيام ياقوت الحموى وكانت قد هجرت فى أيامه وكانت ميناء المصريين الى المدينة . البلدان ٣/٣٥٩ .

الأمطار ، فان المياه تجرى اليه من السفوح فتسيل فيه[1] .

وأثر الجفاف المستمر على وجود الواحات والعيون . وقد كانت الأقسام الغربية التى تسيطر عليها السلسلة الجبلية ، سلسلة السراة ، غنية بالواحات التى اكتسبت شهرة بعيدة وبالينابيع المتدفقة ، ثم ظهر الشح فيها فجف ماؤها ، ودرست أكثر الواحات فيها . أما نجد ، فقليلة الواحات فى الوقت الحاضر[2] ، لذلك عمد الناس فيها الى حفر الآبار ولارتفاع سطح الأرض أصبحت بعض الآبار عميقة ، يبلغ عمقها ١٧٠ مترا أحيانا[3] .

وهنالك آبار قديمة اشتهر أمرها قبل الاسلام ، ولقدمها نسبوها الى الجن وعاد والعمالقة[4] ، وأطلقوا على مواضع المياه القديمة بعض مصطلحات تشير الى قدمها ، كقولهم : جفار جاهلية ، وبئر جاهلية وماء قديم جاهلى وآبار عادية وقلب عادية ، كما قالوا للحجارة والصخور حجر عادى وصخرة عادية[5] .

وتدل آثار السدود والنواظم التى ترجع الى ما قبل الاسلام على أن العرب كان لهم علم واسع بتنظيم أمور الارواء والاستفادة من مياه الأمطار والسيول والأنهار ، وتدل كثرة المصطلحات فى اللهجات العربية الشمالية والجنوبية على معرفة القوم بأنواع الآبار والسدود والمساك والنحايت[6] ، وغير ذلك من الوسائل التى استخدمت للحصول على الماء[7] . وقد عثر رجال شركة النفط العربية السعودية الأمريكية حديثا على صهاريج أرضية متصلة بعضها ببعض بأنفاق وعليها فتحات فى مواضع متعددة لاستقاء

---

(١) A Handbook of Arabia, Vol, I. P, 10.

(٢) Moritz. P, 24.

(٣) Moritz. P, 24. Nolde, Reise Nach Inner Arabien. P, 26.

(٤) Moritz. P, 25. « والجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هو التى طوى بعضها ولم يطو بعض ، والجمع جفار ، ومنه جفر الهباءة وهو مستنقع ببلاد غطفان » لسان ٥/٢١٣ ، القاموس ١/٣٩٢ « والقليب : البئر ، أو العادية القديمة منها ويؤنث » القاموس ١/١١٩ .

(٥) Moritz. P, 25. النقائض ٢٨٩ ، ٤٠٢ .

(٦) المراصد ٣/٢٠٥ Doughty. Vol, 2. P, 387. Moritz. P, 27 « وبئر سك وسك ضيقة الخرق وقيل الضيقة المحفر من أولها الى آخرها » لسان ١٢/٣٢٤-٣٢٥ . « والمسك والمساك الموضع الذى يمسك الماء » . اللسان ١٢/٣٧٨ .

(٧) Moritz. P, 24. Doughty. Vol, 2.P, 301

الماء منها ، عثروا عليها فى القطيف وفى الأحساء وفى الفلج ، وأواسط نجد وأماكن أخرى تعد اليوم من المناطق الصحراوية ، كما وجدوا على مقربة منها آثار قرى كانت عامرة ومزارع واسعة ، ولم يكن يعرف العلماء سابقا ان أواسط شبه جزيرة العرب والأقسام الشرقية منها كانت تستخدم هذا النوع من نظم الارواء ، بل كان المعروف أن الصهاريج المربوطة بأنفاق انما كانت تستخدم فى الشام وفى فلسطين وايران والأقسام الشمالية من العراق . وقد اتخذ أصحاب النظرية القائلة بأثر الجفاف فى شبه جزيرة العرب من وجود هذه القنوات للارواء فى مناطق صحراوية دليلا على تأييد نظريتهم فى جفاف جو شبه جزيرة العرب(١) .

وتدل البحوث « الجيولوجية » على امكانية العثور على مياه غزيرة عذبة فى أعماق ليست بعيدة عن قشرة الأرض ، يمكن الاستفادة منها فى تحويل مساحات واسعة من صحارى شبه جزيرة العرب الى أرضين خصبة منبتة ، ولا سيما الأودية ، فقد ثبت أن هنالك مجارى تتجه من غرب بلاد العرب حيث الجبال والنجاد الى سواحل الخليج ، أى فى اتجاه انحدار السطح ، فبعد أن تغوص سيول الأمطار فى الأودية فى المناطق الرملية ، تتسرب فى التراب سالكة فى مجار تكون عند السواحل وفى الأماكن المنخفضة قريبة من أديم الأرض ، وقد تظهر كما فى الأحساء ، وتتفجر عيونا فوارة فى قيعان الخليج على مقربة من البحرين يصل اليها الغواصون بجرارهم ، فيستخرجون منها مياها عذبة صالحة للشرب(٢) . وقد كونت هذه المياه قصصا فى مخيلة الناس عن وجود أنفاق فى الأرض طويلة تتصل بالبحر(٣) .

ان البحوث والدراسات الأولية التى قام بها المتخصصون وعلماء شركات الزيوت تبشر بخير ، وتشير الى امكان تغيير معالم شبه جزيرة العرب فى المستقبل ، وتحقيق ما رددته التوراة عن جنة عدن ، وما ورد فى النصوص القديمة عن وجود الاخشاب الضخمة فى شبه جزيرة العرب . ومن كان يتصور بناء مدن حديثة ومعامل ضخمة ،

---

(١) Boasor. Supplementary Studies, Nos. 7-9 « The Early Arabian Necropolis of Ain Jawan. » (1950). P. 35. ff. 41. K.S. Twitchell, Saudi Arabia, (1947). PP, 44. 51.

(٢) Major Chesman, in Unknown Arabia, London, 1926. P, 9.

(٣) Gerald De Gauary, Arabia Phoenix. PP. 67.

واستخراج الزيوت من مناطق رملية لا يسلكها الا نفر من الأعراب ؟

الجبـــال :

تكون سلسلة جبال السراة العمود الفقرى لشـبه جزيرة العرب ، وتتصل فقراته بسلسلة جبال الشام المهيمنة على البادية ، المتحكمة فيها تحكم الجنود فى القلاع • وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة ، وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل دباغ الذى يرتفع (٢٠٠ر٢) متر عن مستوى سطح البحر[1] ، وجبل وثر ، وجبل شيبان • وتنخفض هذه السلسلة عند دنوها من مكة فتكون القمم فى أوطأ ارتفاع ، ثم تعود بعد ذلك الى العلو حيث تصل الى مستوى عال فى اليمن حيث تتساقط الثلوج على قمم بعض الجبال[2] •

وتمتد فى محاذاة السواحل سلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن ثم تتجـــه نحو الشرق الى أرض عمان ، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعا يتراوح من تسعة آلاف قدم الى عشرة آلاف قدم[3] • وتتخلل هذه السلاسل الجنوبية أودية تمثل اتجاه مسايل الأمطار الى البحر •

وتفصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول سـاحلية ضيقـــة ، فى الغالب ربما لا تتجاوز خمسة عشر ميلا عن سواحل البحر الأحمر[4] • وتكون هـذه السواحل حارة رطبة فى الغالب يتضايق منها الانسان ، وتكون غير صحيـــة فى بعض الأماكن • وكذلك شأن أكثر التهائم ، ويطلق على بعض أقسام التهـائم « الغور » و « السـافلة » لانخفاض بقاعها • وقد ذهب بعض العلماء الى اطلاق تهامة على طول الأغوار الساحلية الممتدة من شبه جزيرة سيناء وبحر القلزم الى الجنوب[5] •

وتكون هذه السلاسل مانعا ـ للأبخرة المتصـــاعدة من البحر الأحمر والبحر العربى ـ من وقوع الأمطار فى أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية ، لذلك كثرت الأودية القصيرة التى تسيل فيها المياه فى هذه المناطق وزادت فيها امكانيات الخصب والزراعة عن البقـــاع التى وراء

---

(٦) Moritz. 5-6.

(٢) حتى ٢١ ، الواسعى تأريخ اليمن ص ٨٠ •

(٣) Ency. Brit. Vol, 2. P, 169.

(٤) Ency. Brit. Vol, 2. P, 169.

(٥) البلدان ٢/٤٣٦ ، ٦/٣١١ ، صفة ٥٤ ، ١١٩ـ١٢١ ، بلوغ الأرب ١/١٨٨ •

السراة حتى الخليج • وتكثر العيون والمياه القريبة من سطح القشرة فى الأحساء ، وفى القطيف ، وفى كلمة الأحساء دلالة على كثرة الماء • ويظهر أنه من تأثير اتجاه خطوط المياه الآتية من الغرب(١) •

وفى نجد ، وهى هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم ، منطقة جبلية تتكون من « الغرانيت » يقال لها جبل شمر ، وهى من مواضع طيء التى اشتهر أمرها قبل الاسلام اشتهارا كبيرا ، وقد عرفت قديما بجبلى طيء ، وتتألف من سلسلتين يقال لاحداهما أجأ وللأخرى سلمى(٢) • وهنالك منابع عديدة للمياه فى شعاب هذه السلسلة وفى السهل الكبير المنبسط بينهما • ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور(٣) • وأما جبل « طويق » فهو مرتفعات تقع فى الوسط الشرقى من نجد وفى جنوب شرقى الرياض ، وتتألف من الحجارة الرملية ، وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية ، وتدل البحوث على أن من الصخور والمواد البركانية ما قذفته البراكين الى هذه الجهات(٤) •

ظهور الجفاف :

يرى العلماء أن جو بلاد العرب لم يكن على النحو الذى نعهده الآن ، وأنه قد تغير تغيرا بينا ، وأن الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة كانت تصل الى أرض الجزيرة وتنزل الغيث عليها ، وأن هذه البقاع الصحراوية كانت فى شطر من العصر الجليدى خضرا عامرة آهلة بالسكان(٥) ، وأن المحيط الهندى أو فرعه ـ وهو الخليج الفارسى ـ كان متصلا بالربع الخالى ، كما أن البراكين كانت حرة طليقة تعيث فى الأقسام التى ذكرناها كيف تشاء • وآية ذلك هذه الترسبات التى شاهدها السياح فى الربع الخالى ، التى تمثل قيعان البحار ، وهذه الخرائب العادية المبعثرة فى مناطق صحراوية ، لا يذهب اليها الناس الا اضطرارا ، والا للبحث والكشف ، وتلك الكتب والمدونات التى تتحدث عن عمار أرضين تعد اليوم من صميم الصحراء • فلا بد أن يكون هذا التبدل المستمر قد وقع بفعل العوامل الطبيعية ، ومنها انحباس المطر ، وهبوب العواصف والرياح كريح السموم ، وهياج الحرات ، وتهدم السدود بعامل من العوامل الطبيعية ، وتبدل طعم المياه ،

---

(١) وهبه ٦٨ • Ency. Brit. 2. P., 174.

(٢) حتى ١٦ • Moritz. 6. Handbook, 1-13.

(٣) وهبه ٦٣ •

(٤) Moritz. P, 6.

(٥) Boasor, Suppl, Studies, Nos 7-9, P. 39. (1950) .

أوتغير مجاريها ، وجفاف الآبار والواحات وينابيع الأنهار بفعل تبدل جيولوجي يطرأ في باطن الأرض ، وما شاكل ذلك من أسباب . فكل هذه تؤثر في القشرة الأرضية ، وفي حالة الساكنين فوقها ، وتجبر الأحياء على التنقل منها الى مواضع تتوافر فيها شروط الحياة .

وتعد المنطقة الواقعة بين العلا و « معون » أو معان ، من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر . وقد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالأشجار ، وكانت مملوءة من الحيوانات المفترسة[1] . وكانت جبال الطائف تمون مكة بالأخشاب الصالحة للبناء والوقود ، وكذلك المنطقة الواقعة بين مكة وعرفة كانت حتى القرن السادس عشر للميلاد مغطاة بالأشجار والعوسج والسلم ، حتى ان اللصوص كانوا يتخذونها مخابىء يهاجمون منها القوافل . وقد عرف وادي القرى ـ الذي لابد أن يكون قد سمي بذلك لكثرة القرى فيه ـ بكثرة بساتينه ومياهه وقراه . وهو طريق عالمي قديم ، تسلكه القوافل القادمة من الشام الى اليمن وبالعكس . أما اليوم ، فقد فقد أكثر قراه ، وجفت أكثر ينابيعه ، واضطرت غالبية سكانه الى الهجرة ، والتنقل من مكان الى مكان ، والعيش عيشة الأعراب[2] . وهنالك أمثلة تأريخية كثيرة ذكرت عن أقوام هلكت ، كعاد وثمود وأصحاب الأيكة ، ومدن ذكرها الكتبة اليونانيون والرومان لم يبق لها أثر ، وكتابات عثر عليها السياح في مواضع صحراوية مهجورة : كل هذه تتحدث عن هذا التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب ، فأدى الى مقاومة الحضارة ، وتحويل الأرضين فيها الى بقاع صحراوية[3] .

ويميل كثير من السياح وعلماء طبقات الأرض ممن جابوا أنحاء شبه الجزيرة الى تأييد القائلين بظهور الجفاف في الألف الثاني قبل الميلاد ، أو قبل الألف الثاني ، ورأى « تويجل Twitchell » أن مستوى سطح الماء قد هبط في شبه جزيرة العرب زهاء « ٢٧ » قدما في خلال ألفي عام ، وانه كان لهذا الهبوط أثر فعال في سطح الأرض[4] ، وفي تأريخ العرب ، غير أن دعوى هبوط مستوى سطح الماء بهذا المقدار من الأقدام

---

(١) Moritz. P, 35.

(٢) ZDMG. 16. 695. Moritz. 31

(٣) Huber, 342. Doughty, I, 389. 405 . 440 Moritz. Sinaikult in Heidnischer Zeit. 57. Moritz. P, 31 ff.

(٤) Twitchell, 44, 51. Boasor. Supplementary Studies, Nos 7-9. (1950). P, 41.

تحتاج الى أدلة وبراهين[١] .

طبيعة أرض شبه الجزيرة ومعادنها :

يتألف ثلثا الأقسام الشرقية من أرض المملكة العربية السعودية ، من طبقات رسوبية يقال لها فى علم طبقات الأرض « Sedimentary Formation » تكون نوعا من الصخور يتأثر ببعض المؤثرات الأرضيـــة ، فتكون من أحسن الأماكن الملائمـــة للبترول والفحم . وتتألف هذه الطبقات الرسوبية فى الدرجة الأولى من الأحجار الكلســـية . وتتكون أرض منطقة آبار البترول عنـــد « الظهران » والمنـــاطق الأخرى التى أصابت شركة البترول العربية السعودية الأمريكية فيها البترول من هـــذا النوع من الصخور[٢] . وتوجد آثار طبقات رسوبية فى المناطق الغربية من شبه الجزيرة المطلة على البحر الأحمر عند جزر فرسان[٣] وجيزان[٤] وصبيا[٥] وأملج[٦] والمويلح[٧] الواقع على مقربة من رأس خليج العقبة ، وضبا[٨] . وحجارة رملية فى العلا فى القسم الشمالى الغربى من شبه الجزيرة بكميات واسعة ، وحجارة بركانية ولا سيما فى مناطق الحرار ، وصخور تكونت بفعل الترسبات المتأثرة بالضغط والحرارة ، وهى التى يقال لها «Metamorphic Formations» وتساعد على تكوين المعادن . وقد وجدت خامات المعادن فى هذه المنطقة[٩] ولكنهـا لم

---

(١) Boasor, Suppl. Stud. Nos. 7-9. P, 41. (1950).

(٢) Twitchell Saudi Arabia, P, 8

(٣) وهبه ص ٤٠ ، البلدان ٦/٣٥٩ ، صفة ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ؛ ٩٨ .
Saudi, P. 8. 63.

(٤) « ميناء صغير على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان » . وهبه ص ٤٠ .

(٥) البلدان ٥/٣٣٧ ، صفـــة ٥٤ ، ٧٣ ، ١٢٠ « صبيا على بعـــد عشرين ميـــلا فى الداخل ، وهى الى الجنوب الشرقى من جيزان ، وكانت عاصمة الادراسة . » وهبة ٤٠ .

(٦) « أملج : قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأمامها تقع جزيرة حسان التى من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع ونخيل ، ومنهـــا تمتـــد طريق فى الداخـــل الى اصطبل عنتر ، احدى محطات سكة حديد الحجاز . » وهبة ١٥ ، ٢٠ .

(٧) قرية وقلعة على بعد ١٥٠ ميلا الى الجنوب من العقبة . وهبة ١٩ .

(٨) الى جنوب المويلح ، المحل الرئيسى لقبيلة الحويطات اتخذها الأتراك مركز دفاع عن الشاطىء . وهبة (١٩) .

(٩) Saudi, P, 8.

تستغل حتى الآن استغلالا تجاريا ، كما أن هذه الخامات والأرضين لم تفحص فحصا فنيا لمعرفة النسب المعدنية فيها .

وتوجد الصخور الرملية في عسير وفي وادي الدواسر ، وتشاهد في منطقة هذا الوادي تلال تتجه من الشمال الى الجنوب تقع الى جنوب « الخماسين » وعلى ارتفاع « ٢٢٠٠ » قدم ، يظهر أنها تكونت من الصخور الرملية « الا يولية » « Aeolian Sandstone » ومن أحجار « الكوارتس » الضخمة ، وقد تضمنت مقدارا من « أكاسيد الحديد » أعطت هذه السلسلة لونا أحمر غامقا . ويتكون هشيم هذه الحجارة على هيئة ألواح صلبة ، وعند قطعها يلاحظ أنها تتكون من طبقات ، ويمكن فصلها على أشكال ألواح ، وقد تكونت على حافات هذه السلسلة وجوانبها أشكال طبيعية مدهشة بتأثير فعل الرياح والرمال عليها .

وتتكون أرض « قرية » من صخور كلسية ، وهناك آبار قديمة تبلغ أعماقها « ٩٠ » قدما حفرت في طبقات أرضية مؤلفة من حجارة الكلس ، تتخللها طبقات من الحجارة الرملية ، غير أنها ليست سميكة(١) . أما أرض « بئر حما » التي يبلغ ارتفاعها زهاء أربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وتقع على الحافات الغربية للربع الخالي ، فانها مؤلفة من الحجارة الرملية الأيولية الحمراء ، وعلى مسافة « ٣٥ » ميلا الى الجنوب الغربي من « حما » موضع يقال له « بئر الحسينية » فيه « بئر » يبلغ عمقها « ١٢٩ » قدما ، وقد حفرت في أرض فيها طبقات سميكة من « الغرانيت » . وتتألف أكثر الأرضين التي تمتد من هذا الموضع الى نجران من حجارة « غرانيتية » . وتظهر الحجارة الرملية في القسم الجنوبي والغربي من هذه المنطقة التي ترتفع زهاء «١٥٠٠» قدم عن مستوى سطح الوادي الموصل الى نجران والذي يرتفع هو نفسه زهاء أربعة آلاف قدم عن سطح البحر . وتتألف مناطق واسعة من اليمن من حجارة رملية ومن الطبقات المترسبة ، أي « Sediments »(٢) .

قلت : ان هنالك مناطق في الحجاز مكونة من طبقات مترسبة تعد من أحسن الصخور والطبقات الأرضية ملائمة للنفط والفحم ، وان هنالك مناطق توجد فيها صخور بركانية ونارية ، وقد تكون أكثرها بعد تغييرات كبيرة وعمليات طويلة من جراء ضغط هذه السلسلة الجبلية الطويلة التي تكون العمود الفقري لشبه جزيرة العرب

---

(١) Saudi, P, 9.

(٢) Saudi, P, 9.

وترتفع زهاء (٩٠٠٠ ـ ١١٠٠٠) قدم عن مستوى سطح البحر فى اليمن على ما تحتها من طبقات . ونجد مناطق واسعة من « اللابات » مبعثرة على طول هذه السلسلة . منها ما هو حديث التكوين ، ويشاهد فى الوقت الحاضر لسان بارز من « اللابة » فى شرقى « أبى عريش »[١] يمتد حتى يتاخم حدود اليمن ، كما تشاهد مناطق أخرى مؤلفة من هذه الحجارة فى مواضع عديدة بين شقيق[٢] وخور البرك[٣] مثلا حيث تصل «اللابة» الى البحر الأحمر فتدخل فيه ، وكذلك فى شمال شقيق عند « جهمة » حيث يوجد بقايا بركان يكون جزيرة فى البحر مقابل هذا الموضع[٤] .

وعلى مسافة اثنى عشر ميلا من مكة جبل يقال له جبل النورة حيث تحرق حجارة الكلس لاستخراج النورة واستعمالها فى البناء[٥] وهذه الحجارة الكلسية هى من الطبقات المترسبة المتحولة . وهنالك أماكن أخرى تكونت من هذه الحجارة يشاهدها المار من جدة الى موضع « مهد الذهب » الذى تستغل الآن مناجمه لاستخراج الذهب ، وتتكون تلال مهد الذهب من الحجارة المترسبة التى تعرضت لتغيرات طبيعية عديدة ، عليها طبقات من حجارة « البازلت » « «Basalt » وفى حجارة المناجم خامات معادن متعددة وفيها حجارة الكوارتس « Quartz »[٦] . وتوجد فى منطقة الطائف صخور « الغرانيت » وفى نهاية هذه السلسلة الجبلية الطويلة التى تنتهى فى اليمن تشاهد لابات الحرار[٧] وبقايا الحرار التى كانت تزعج اليمانيين ، وتقذف بحممها عليهم فى يوم من الأيام فتسومهم سوء العذاب .

وفى أرض اليمن عدد كبير من الحرار ذكر السياح بعضها مثل حرة أرحب ، وتقع شمال « صنعاء » ، ولها لابة أستخرج الناس منها حجارة سودا لبناء البيوت[٨] . وعلى مقربة من « ذمار » حيث تكون الارض بركانية[٩] . وفى القسم الشمالى من

---

(١) أبو عريش فى تهامة على بعد ٧٠ ميلا شمالى اللحية وهبة ٤٠ .

(٢) فى تهامة وهبة ٣٨ .

(٣) البرك وهبة ٣٨ .

(٤) Saudi, P, 10.

(٥) Saudi, P, 10.

(٦) Saudi, P, 10.

(٧) Saudi, P, 10.

(٨) Hugh Scott, in the High Yemen, London 1947. P, 8, 114 ، وسيكون رمزه : Scott

(٩) Scott, P, 113

« وادى أبرد »[١] وفى الوادى بين « صرواح » و « مأرب »[٢] • وقد حمل بعض المستشرقين وجود الحرار فى اليمن بهذه الكثرة وعلى مقربة من المدن القديمة ، على تفسير هلاك بعض المدن كخراب مأرب[٣] و « حقة »[٤] و « شبوة »[٥] بتأثير هياج البراكين • كذلك توجد مناطق الحرار فى العربية الجنوبيـة فى عدن[٦] وحضرموت وعمان[٧] ، وفى الربع الخالى ، وقد استعمل القدماء حجارة البراكين فى البناء ، ولا يزال الناس يستخدمونها فى البناء حتى اليوم ، وقد وجد بين الحجارة المكتوبة عدد من صخور البراكين • وقد استغل الجاهليون بعض الحرار لاستخراج الكبريت منها ، وذكر « نيبور » أن أهل اليمن كانوا يستخرجون الكبريت من جبل يقع فى شرقى ذمار ويظهر أن هذا الجبل هو بركان قديم[٨] •

وتتكون بعض هضاب اليمن من الصخور المتبلورة التى مرت فى أدوار طويلة • ويرى العلماء أنها كانت فى الأصل تحت سطح البحر ، ثم ترسبت عليها طبقات سميكة من المواد الرسوبية حتى تبلورت وتصخرت[٩] • وقد استعملها الجاهليون ولا تزال تستعمل فى النوافذ ، لتقوم مقام الزجاج • وهنالك طبقات طباشيرية وطبقات من صخور رملية غذت المناطق المنخفضة ، وهى تهائم اليمن ، بالرمال • وكذلك المنطقة التى يقال لها الرمل[١٠] ، وتتكون التربة فى تهامة وفى سهل صنعاء من المواد الصلصالية التى تعود الى الأدوار « الجيولوجية » المتأخرة ومن المتكونات « الأيولية » التى حصلت بتأثير فعل الرياح فى الصخور الرملية[١١] ، ويكثر وجود الصخور المتبلورة فى الحجاز

---

(١) Philby Sheba's . P, 389.

(٢) Sheba's. P, 392.

(٣) Sheba's. P, 389

(٤) Scott, P. 195.

(٥) Philby, Geogr. Journal, 92, PP, 127-8. August, 1938. Sheba's. P, 103.

(٦) Stamp, P, 140.

(٧) D.G. Hogarth, The Nearer East, P, 97.

(٨) Scott, P, 114, 237. Niebuhr, Reisebeschreibung. P, 324

(٩) Scott, P, 6-7.

(١٠) Handbook Vol, 1. P, 145-146.

(١١) Scott, P, 8.

وفى العربية الجنوبية كذلك[١] ، وتوجد الصخور والطبقات الرسوبية فى اليمن وفى حضرموت وعمان ، وقد وجدت فى هذه المناطق علائم وجود البترول .

وفى هذه الحجارة والصخور التى تتكون منها تربة شبه الجزيرة خامات معادن ، ومن الممكن استغلال بعضها استغلالا اقتصاديا ، ومن هذه المعادن الذهب . وقد ذكر الجغرافيون العرب اسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب بها ، مثل موضع « بيشة » أو « بيش » ، وقد كان الناس يجمعون التبر منه ويستخلصون منه الذهب[٢] . و « ضنكان » ، وكان به معدن غزير من التبر[٣] والمنطقة التى بين القنفذة و « مرسى حلج »[٤] ويظهر من المؤلفات اليونانية ومن الكتب العربية أن المنطقة التى بين القنفذة وعتود كانت معروفة بوجود التبر فيها ، فكان الناس يشتغلون هناك باستخلاص الذهب منه ، ولهذا رأى « موريتس » أن هذه المنطقة هى منطقة « اوفير » التى ورد ذكرها فى التوراة على أنها كانت تصدر الذهب[٥] .

ويشاهد فى وادى تثليث على مقربة من « حمضة » وعلى مسافة ١٨٣ ميلا من نجران آثار التبر ، ويظهر انه كان من المواضع التى استغلت قديما لاستخراج الذهب منها[٦] . وقد اشتهرت ديار سليم بوجود المعادن فيها[٧] ، وفى جملتها معدن الذهب ، ويستغل اليوم الموضع الذى يقال له « مهد الذهب » ، ويقع الى الشمال من المدينة باستخراج الذهب منه ، وتقوم بذلك شركة تستخدم الوسائل الحديثة[٨] ، ومنطقة

---

(١) راجع عن صخور شبه الجزيرة كتاب : in Unknown Arabia, PP, 421
Stamp, P, 109

(٢) Moritz. P, 105. البلدان ٢/٣٣٣-٣٣٤ الصفة ١٢٧ ، ٢٥٧ .

(٣) الصفة ص ١٢٠ .

(٤) Moritz, P, 110. Glaser Skizze. S, 29.

(٥) Hommel, Grundriss Vol, 1. P, 13 Moritz P, 110.

(٦) The Middle East (Roy. Insti. of inter. Aff.). P, 91 (1950). Saudi, P, 77.

(٧) الصفة ١١٣ . ذكر الهمدانى معادن اليمامة وأماكن أخرى من شبه جزيرة العرب . الصفة ١٥٣ ، ومواضع أخرى .

(٨) « Saudi Arabian Mining Syndicate, Ltd » « شركة التعدين العربية السعودية » ويشمل امتيازها كل أراضى الحجاز ، وتقوم بالبحث عن جميع المعادن وقد بحثت فى منطقة الطائف ، غير انها لم توسع أعمالها كثيرا . تأسست سنة ١٩٣٤م .
Saudi, P, 146, 157. Sheba's, P, 15. The Middle East (1948) P, 248.

« مهد الذهب » من المناطق التى كانت تستغل قديما فى استخراج الذهب •

وتوجد خامات معادن أخرى فى الحجاز منها الكبريت والنحاس والقصدير والحديد[١] ، وتستخرج الأملاح من الصخور الملحية التى فى الحجاز وفى عسير عند جيزان ، ويستخرج الأهلون منها مسحوقا لاستخدامه فى عمل المفرقعات[٢] ، كما أن هنالك مثل هذه الصخور الملحية فى السلف من اليمن • وكانت اليمن تصدر كميات كبيرة منه الى الهند ، ويمكن الاستفادة من هذه الأملاح فائدة كبيرة من الوجهة الاقتصادية حيث يدخل فى كثير من الصناعات •

وفى منطقة رابغ توجد رواسب « البارايت » «Barite » ، وتدل البحوث الأولية على أنه من الممكن استخراج عشرة آلاف طن من « البارايت » فى كل عام[٣] • وتدل الدلائل على ان هنالك منجما قديما فى منطقة رابغ كان يستغل لاستخراج « الكالينه Galena » غير أن النماذج التى فحصت فحصا أوليا دلت على أن هذه المادة قليلة فيها • ويظهر أن هنالك كميات كبيرة من تراب الحديد فى « العقيق » على مقربة من مهد الذهب ، كما شوهدت خامات المعادن فى موضع « برم » جنوب الطائف[٤] وفى موضع « نفى »[٥] ، ولا يستبعد العثور على البترول فى الحجاز فى المواضع المتكونة من الطبقات المترسبة « Sedimentary Formations » وتوجد فى الحجاز الرمال التى تصلح لصنع الزجاج[٦] •

وتستغل أرض الأحساء فى استخراج البترول[٧] ويكثر وجود البترول فى العروض حيث حفرت الآبار فى الكويت والبحرين ، وتدل الدلائل على وجوده فى « القطر » وعمان ، كذلك دلت التحريات على وجوده فى حضرموت فى منطقة « شبوة »[٨] وفى المناطق وراء شبوة الى داخل شبه الجزيرة حيث يحتمل العثور على مناجم للذهب

---

(١) Saudi, P,162

(٢) Saudi, P, 163.

(٣) Saudi, P, 164.

(٤) المصدر نفسه ص ١٦٤ ، « معدن البرم » البلدان ٨/٩٤ •

(٥) « نفى » البلدان ٨/٣٠٨ • Saudi, P, 164.

(٦) وهبة (٢٠) •

(٧) The Midde East (Royal Institute of International Affairs 1950) P. 90.

(٨) Sheba's, P, 103.

كذلك[١] . وتجرى تحريات عن البترول فى محمية عدن وفى اليمن .

ودلت التقارير الأولية على وجود الفحم فى حضرموت فى منطقة شبوة ، وتوجد الصخور الملحية مترسبة فى بطن طبقات الأرض يقتطعها الأهلون ، وتستغل فى الأعمال التجارية ، كذلك توجد هذه الصخور الملحية فى اليمن ، وقد تكونت بفعل العوامل « الجيولوجية » والضغط المتواصل فتحجرت بمرور آلاف السنين عليها . وتكمن جاثمة تحت سطح الأرض فى بعض الأماكن حيث تحفر جوانب التلال للوصول الى قلب مناجم الملح المتحجرة ، وقد يهشم باستعمال المواد المتفجرة « الديناميت »[٢] ، وتستخرج صخوره من بعض المناجم صافية بيضاء كأنهـا البلور[٣] . والى وجود هـذه الصخور الملحية فى كثير من أنحـاء شبه الجزيرة يجب أن يعزى ظهور قصص بنـاء القصور من الملح المنتشرة فى كتب التأريخ والأدب .

ولما كانت أرض اليمن وأكثر الأنحاء الأخرى من شبه الجزيرة ، لم تفحص حتى الآن فحصا فنيا ، ولم تطأها أقدام الخبراء ؛ لذلك فان من الصعب التحـدث عن مواطن المعادن فيها وعن أنواع التربة ، وأثرها فى الحضارة الجاهلية . وقد وجدت مصنوعات حديدية فى اليمن ، كما اشتهرت اليمن بسيوفها فى الجاهلية والاسلام ، غير أننا لا نعرف الآن المواطن التى كانت تستغل لاستخراج الحديد منها ، وقد ذكر الرحالة « نيبور » أنه كان هنالك منجم فى منطقة « صعدة » يستخرج منه الحديد ، وأن هنالك أماكن أخرى كانت تستغل لانتاج هذه المادة[٤] . وذكر أنه سمع بوجود الكبريت فى حرة تقع شرقى ذمار[٥] ، وفى اليمن أماكن غنية بالصخور الملحية ، وهى مشهورة مثل المناجم التى فى « السلف » على مسافة « ٤٠ » ميلا الى الشمال من الحديدة ، وتوجدفى جزيرة « قمران » المقابلة لهذا الموضع مناجم ملحية ، وكذلك فى « اللحية »[٦] وجبل الملح بمأرب وملحه صاف كالبلور[٧] ، واشتهرت اليمن بعقيقها الذى يقـال له أيضـا

---

(١) Sheba's, P, 198.

(٢) Sheba's, P, 99, 114.

(٣) Sheba's, P, 114, 127.

(٤) Scott, P. 114, 237.

(٥) Scott, P, 237.

(٦) Scott, P, 114, 237.

(٧) الصفحة ٢٠١ .

« حجر يمانى » و « بالجزع » Onyx »[1] .

وذكر الهمدانى من معادن اليمن الذهب والفضة ، وقال انه كان يستخرج من « الرضراض » ولا نظير لفضته والحديد ، وكان يستخرج من « نقم » و « غمــدان » و « فصوص البقران » ، وتستخرج من جبل أنس و « فصوص السعوانية » ، وتستخرج من وادى سعوان جنب صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم وظليمة والجمش من شرف همدان ، وحجر « العشارى » وهو الحجر العشارى من عشار بالقرب من صنعاء ، والبلور ، والمسنى الذى يعمل منـه نصب السكاكين والعقيق الأحمر والعقيق الأصفر من الهان والجزع الموشى والمسير ، والشزب يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن وقحفة وغير ذلك[2] .

لقد اشتهرت شبه جزيرة العرب قبل الاسلام بكثرة معادنها ، وبتصدير الحجارة والأخشاب ، حتى خلقت قصصا فى الأدب العبرانى عن ثروتها وغناها فى الذهب ، تتجلى فى قصص داوود وسليمان وبلقيس ، وفى مواضع متعددة من الحكايات الواردة فى أسفار التوراة . ومن المواضع التى ذكرها « العهد العتيــق » على أنها كانت تنتج الذهب « أوفير »[3] . و « شبا Sheba »[4] و « ذو ذهب Dizahab »[5] و « حويلة Havilah »[6] ويكثر فيها الذهب والمقل وحجر الجزع ذكرت على أنهـــا تخم بنى اســماعيل[7] ،

---

(١) Scott, P, 237.

(٢) صفة ٢٠٢ـ٢٠٣ .

(٣) الملوك الأول اصحاح ٩ آية ٢٨ ، اصحاح ١٠ آية ١١ . أيوب اصحاح ٢٨ آية ١٦ . Hommel, Grundriss. Vol, 1. P, 13. Glaser, Skizze. 2, PP. 353-387. Hastings, P, 669 Keane, the Gold of Ophir. P, 112 f.

(٤) حزقيال اصحاح ٢٧ آية ٢٢ ، المزامير المزمور الثاني والسبعون آية ١٥ Kittel, Die Bücher der Könige. P, 89. Glaser, Skizze. 2, P, 357. Sprenger, ZDMG. 1890 PP, 501.

(٥) التثنية اصحاح ١ آية ١ . قاموس الكتاب المقدس ١/ ٤٦١ يرى (بركهارد) أنه موضع « مينا الذهب » بين رأس محمد والعقبة . راجع : Hastings, P, 193. Ency. Bibl. P, 1121

(٦) التكوين اصحاح ٢ آية ١١ـ١٢ . قاموس الكتاب المقدس ١/ ٣٩٨ Hastings. P, 333, 619. Ency. Bibl. P, 1750, 1973.

(٧) التكوين اصحاح ٢٥ آية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١/ ٣٩٨ .

وكل هـذه المواضع فى شـبه جزيرة العرب عـلى رأى أكثر علمـاء التـوراة .
واشتهرت أرض « مـدين » بكثرة الذهب فيهـا والظاهر أنهـا كانت تستخرجه من مناجمهـا[١] ، وهى فى شـبه جزيرة العرب كمـا هو معروف . وورد فى التوراة أن الاسماعيليين كانوا يستعملون أقراط الذهب[٢] . كذلك وردت آيات تشير الى الفضة[٣] والى معادن أخرى فى شبه الجزيرة .

نباتات وحيوانات شبه الجزيرة :

أثر الجفاف على نباتات وحيوانات شبه الجزيرة أثرا كبيرا ، وقد تحولت أكثر المناطق الى بقاع صحراوية ، ونعرف اليوم معرفة جيدة أنها كانت خصبة ذات مياه غزيرة ويرى العلماء الذين قاموا بدراسات التطورات الجوية و « الجيولوجية » التى طرأت على شبه جزيرة العرب ، أن هـذه البلاد كانت فـى عصر « البلايستوسين Pleistocene » خصبة جدا كثيرة المياه ، تتساقط عليها الأمطار بغزارة ، ذات غابات كبيرة وأشـجار ضخمة ، كالأشجار التى نجدها ، فى الوقت الحاضر فى الهند ، وافريقية .

ويرى العلماء أن الأمطار كانت تتساقط فى جميع فصول السنة على شبه الجزيرة، وأن المناطق الصحراوية الحالية كانت تنال نصيبها من هذه الأمطار ، وأن جوها كان خيرا من جو أوربة فى العصور الجليـدية التى كانت تغطى الثلوج معظـم اراضى تلك القارة . ولهذا كانت أواسط شبه الجزيرة وأطرافها مزدهرة مأهولة . ثم أخـذ الجو يتغير فى العالم ، فذابت الثلوج بالتـدريج ، فتغير جو بلاد العرب بالطبع ، حـدث هـذا التغـير فى عصر الـ « Neolithic » أو فى عصر الـ « Chalcolithic »[٤] ولـم يكن هذا التغير بالطبع فى مصلحة شبه الجزيرة ، لأنه صار يقلل من الرطـوبة ويزيد فى الجفاف ، ويحول رطوبة التربة الى يبوسة فيميت الزرع بالتدريج . ويهيج سطح القشرة فيحولها الى رمال وتراب ثم صحارى لا تصلح للانبات ولا لحياة الاحياء .

فاضطر سكان شبه الجزيرة الذين كانوا من الصيادين الى أن يكيفوا أنفسهم بحسب

---

(١) Hastings, P, 619. Ency. Bibl. P. 1751.

(٢) « ثم قال لهم جدعون ، أطلب منكم طلبة أن تعطونى كل واحد أقراط غنيمتـه . لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم اسماعيليون » قضاة اصحاح ٨ آية ٢٤ .

(٣) أخبار الأيام الثانى اصحاح ٩ آية ١٤ . Hastings, P, 619.

(٤) Boasor, Suppl. Nos. 7-9. P, 41 (1950)

الوضع الجديد ، فأخذ ناس منهم يهاجرون الى مناطق ملائمة توائم حياتهم ومزاجهم ، وأخذ ناس آخرون يعتمدون على الزرع وتدجين الحيوانات ، والاكتفاء بصيد ما يرونه من حيوانات تحملت الجو الجديد متنقلين من مكان الى مكان حيث الكلأ والماء . وهكذا تعرضت حياة الأجسام الحية من نبات وحيوان الى تغيرات تدريجية مستمرة فرضها عليها تغير الجو .

وقد أدى انحباس المطر ، وازدياد الجفاف ، ويبوسة الجو الى انخفاض الرطوبة من سطح الأرض ، وهبوط مستوى الماء بالتدريج عن قشرة الأرض وظهور الأملاح في الآبار ، وجفاف بعض الآبار ، فأدى ذلك الى ترك الناس هذه الأماكن ، اذ صعب عليهم استغلالها بالزراعة ، واصلاحها بحفر آبار لا تساعد مياهها الملحة على نمو النبات ، ومعيشة الحيوان . حدث ذلك حتى فى العصور الاسلامية حيث نسمع شكاوى مريرة من هذه العوارض الطبيعية[١] ، وقد تحدث « فلبى » عن هبوط مستوى مياه بعض الآبار التى زارها عام ١٩١٧ م فى الخرج[٢] ، كما تحدث غيره من السياح عن حوادث مشابهة حدثت فى تهامة والحجاز وأماكن أخرى[٣] .

ويعزو علماء طبقات الأرض انخفاض مستوى سطح الماء فى بلاد العرب الى عوامل أخرى اضافة الى الجفاف مثل هبوط درجات الضغط على قشرة الأرض . وقد ذكرت أن « Twitchell » رأى أن الماء قد انخفض زهاء « ٢٧ » قدما عن مستواه الذى كان عليه قبل ألفى عام[٤] . ومن العلماء من يرى أن مستوى سطح الماء فى البحر الأحمر وفى خليج فارس قد انخفض كذلك ، فذهب بعض علماء دراسات التوراة الى ان مستوى سطح الماء فى خليج السويس قد انخفض « ٢٥ » قدما عما كان عليه فى « أيام الخروج » « Exodus »[٥] وذهبت جماعة منهم الى أن هذا الهبوط

---

(١) تجد أمثلة كثيرة وبحثا قيما فى هذا الموضوع كتبه « موريتس » « B. Moritz » فى كتابه : Arabien. Studien Zur Physikalischen und Historischen Geographie des **Landes**.

(٢) Philby, the Heart of Arabia. P, 37, 38. BOASOR. Suppl. Nos. 7-9. P, 41 (1950).

(٣) راجع كتاب « موريتس » المذكور .

(٤) Twitchell, Saudi Arabia, P, 44. 51.

(٥) Boasor, Suppl. Stu. Nos. 7-9 P, 42.

لم يكن كبيرا وانما بلغ زهاء ست أقدام أو أقل من ذلك فى خلال ثلاثة آلاف سنة[١] أما مستوى سطح خليج فارس ، فقد هبط على رأى بعضهم زهاء ١٠-٥ أقدام خلال ألفى عام وأن ماء البحر قد تراجع فى هذه المدة ، ويستدلون على ذلك بوجود السباخ فى الأحساء والقطيف ، وهى على رأيهم من بقايا أثر البحر على الأرض ، وبما ذهب اليه بعضهم من أن الربع الخالى ، وقد عثر فيه على بقايا بحر واسع فى السهل المنخفض الذى يقال له أبو بحر ، كان متصلا بالبحر العربى[٢] . ومهما يكن من شىء فان هبوط مستوى سطح الماء مهما كان مقداره قد أثر فى سطح الأرض .

وقد وجد السياح محارا من النوع الذى يكون فى المياه العذبة وأدوات من الصوان ترجع الى ما قبل التأريخ والعصور الحجرية[٣] وبقايا عظام ترجع الى هذه الدهور فى مناطق صحراوية ويدل وجودها فيها على أنها كانت مأهولة وأنها لم تهمل الا لعوارض طبيعية قاهرة لم يكن من الممكن التغلب عليها ، حولت تلك المناطق الخصبة فى ألوف السنين الى مناطق لا تتوافر فيها شروط الحياة فهجرت .

كما نجد فى الكتب العربية ذكر أشجار ضخمة كانت تنمو فى مناطق لا تنبت أى شىء فى الوقت الحاضر ، وذكر مناطق كانت تحمى يقال لها « الحمى » تخصص بالشيخ فلا يرعاها غيره وغير أصحابه ، مثل حمى « الربذة » وحمى « فيد » وحمى « النير » وحمى « ذى الشرى » وحمى « النقيع » و « حمى ضرية » وهو حمى كليب بن وائل وكان فى ناحية منه قبر يقال انه قبر كليب بن وائل[٤] . فهلاك هذه النباتات لا يمكن أن يعزى الى سوء الأوضاع السياسية وهجرة القبائل والمزارعين الى أماكن أخرى لفساد الادارة فى الأماكن البعيدة حسب ، بل لابد وأن يكون للطبيعة يد فى هذا التحول ونصيب .

ان هذا التغير الذى حدث فى جو شبه الجزيرة فساعد على ازدياد الجفاف وانحباس الأمطار ، قد أباد النباتات ، وقاوم نمو المزروعات ، وعفى على الأشجار الضخمة التى

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) Philby, The Heart of Arabia, P, 31 Dougherty, the Sealand. P, 160.

(٣) المراجع نفسها . مجلة سومر ١٩٤٩ المجلد الخامس ٢/١٢٧-١٢٨ .

(٤) البلدان ٣/٣٤٦ ، ٥/٤٣١ ، صفة ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٩ ، Ency. 3-895,

كانت تعيش من امتصاص جذورها العميقة للرطوبة من أعماق الأرض[١] ، كما أثر فى حياة الحيوان كالأسد الذى قل وجوده فى شبه الجزيرة ، وقد كان على ما يظهر كثير الوجود ، ويدل على وجوده هذه الأسماء الكثيرة التى وضعت له وحفظت فى كتب اللغة[٢] ، وحمار الوحش وقد كان من الحيوانات التى يخرج الناس لصيدها فى الحجاز وفى نجد[٣] ، والنعامة[٤] والرئم أو بقر الوحش ، والفهد ، والغزلان والنمر[٥] .

وليست لدينا الآن دراسات عن ثروة شبه الجزيرة الحيوانية قبل الاسلام ، كما أن العظام التى عثر عليها فى بعض الأماكن من شبه الجزيرة ليست كافية لاعطاء العلماء حكما صحيحا عن الحيوانات التى كانت تعيش فى هذه البلاد قبل الميلاد وفى العصور البرنزية والحديدية والحجرية ، ويمكن معرفة بعض أنواع النباتات والحيوانات التى كان سكان شبه الجزيرة يعنون بزراعتها وبتربيتها ، أو الوحشية منها قبل ألفى سنة قبل الميلاد الى ما بعد الميلاد بمراجعة النصوص القديمة ودراسة الأشكال والتصاوير التى رسمها القدماء فى ألواحهم الكتابية وعلى الجدران للزخرفة والزينة .

أقسام بلاد العرب :

قسم اليونان والرومان بلاد العرب الى أقسام ثلاثة :

(١) العربية السعيدة Arabia Felix

(٢) العربية الصخرية أى الحجرية Arabia Petraea

(٣) العربية الصحراوية Arabia Deserta

وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التى كانت عليها البلاد العربية فى القرن الأول للميلاد . فالقسم الأول مستقل ، والقسم الثانى قريب من الرومان ثم أصبح

---

(١) Moritz, P, 35 ff.

(٢) Moritz P, 40-41. Nöldeke in ZDMG. 49, 713-714.

ابن سيده : المخصص ٨ ، ٥٩ ـ ٦٤ . وقد اشتهرت بعض الاماكن بأسودها مثل « عثر » ، قال الهمدانى : « والى حارة عثر تنسب الأسود التى يقال لها أسود عثر وأسود عتود وهى قرية من بواديها وقد ذكرها ابن مقبل :

جلوسا بها الشم العجاف كأنهم أسود بترج أو أسود بعتودا »

صفة ٥٤ .

(٣) Moritz. P, 42. Wellhausen, Lieder der Hudhailiteu, No. 175. 176.

(٤) Euting 1. 230. Moritz. P, 42.

(٥) صفة ص ٢٠٢ .

تحت نفوذهم ، وأما القسم الثالث فهو البادية الى نهر الفرات(١) .

ولا نستطيع التكهن عن الوقت الذى اصطلح فيه « الكلاسيكيون » على هذا التقسيم فلم يرد ذكره عند « هيرودوتس » . وقد عرفه « سترابون »(٢) ، والظاهر أنه ظهر فى الفترة التى انصرمت بين أيام الكاتبين ، ولم يعرفه العرب(٣) ، مع أنهم عرفوا جغرافية بطلميوس .

العربيـــة السـعيدة : ARABIA FELIX

أما العربية السعيدة ويقال لها ايضا « Arabia Beata » و « Arabia Eudaimon » فى اليونانيــة فهى أكبر الأقسـام الثلاثة رقعـة ، وتشمل كل المنـاطق التى يقال لها شبه جزيرة العرب فى الكتب العربيـة ، وليست لهـا حدود شـمالية ثابتـة ؛ لأنهـا كانت تتبـدل وتتغير على حسب الأوضـاع السياسـية . ويمكن القول انهـا تبـدأ عـلى رأى أكثر الكتـاب اليـونان والرومـان من مدينـة « Heroopolis » على مقربة من مدينة السويس الحالية ، ثم تساير حدود العربية الحجرية الجنوبية ، ثم تخترق الصحراء حتى تتصل بمناطق الأهوار « أهوار كلديا » وقد أدخل بعض الكتاب هذه الأهوار فى جملة العربية السعيدة ، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط الحدود فى جنوبها حيث تتصل بمصب شط العرب فى الخليـج(٤) . وعرفت الصحراء الواسعة التى هى جزء من النفود والتى تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية باسم « Eremos » عند اليونان ، وهى امتداد للصحراء المتصلة ببادية الشام ، والتى يتكون من مجموعها « العربية الصحراوية » فى نظر الكلاسيكيين(٥) .

ولم يذكر « الكلاسيكيون » الأسماء التى نعرفها الان ، أو التى تعارفنا على قراءتها

(١) حتى ٥٦ . زيدان ٣٠ .
Christina Phelps Grant, the Syrian Desert. London. 1937 P, 10 Ch. Forster the Historical Geography of Arabia. in 2 Vols. Vol, 2. P, 109.
وسيكون رمزه : Forster,

(٢) راجع جغرافية « سترابون » Strabo. Vol,. 3. P. 309.

(٣) Forster. 2-109. Edward Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire Vol. 5 P. 209 (Everyman's Library Ed. 1931).

(٤) Ptolemy., VI, 7 : 2, 27. Strabo XVI, 4 : 2. Musil, Arabia Deserta. P, 498.

(٥) Musil, Arabia Deserta. P, 499.

فى الكتب العربية لأقسام شبه جزيرة العرب ، فلا نجد اسم الحجاز مثلا فى الكتب اليونانية أو الرومانية[١] وكذلك لم يذكروا نجدا أو العروض أو اليمامة أو البحرين ، مع انهم ذكروا أسماء مواضع عديدة لا تعد شيئا بالنسبة الى هذه الأقسام ، وحيث اننا لا نجد أسماء هذه الأماكن فى الكتابات العربية الجاهلية التى عثر عليها حتى الان ، خلا اسم « اليمن » الذى ورد فى الكتابات العربية الجنوبية المتأخرة باسم « يمنات » « يمنت » ، فان من الجائز أن تكون هذه الأسماء الخمسة الواردة فى التقسيم العربى لشبه جزيرة العرب قد ظهرت بعد الميلاد ، أو فى الجاهلية القريبة من الاسلام أو فى الاسلام .

ولما كان أكثر معارف اليونان والرومان عن شبه الجزيرة العربية قد وصلت اليهم عن طريق التجار والبحارة الذين كانوا يجوسون البحار للاتجار مع الموانىء ، فاننا نجد أكثر ما جاء فى الكتب الكلاسيكية عن العربية السعيدة يتناول السواحل والمواضع الواقعة على الطرق ، أو القبائل التى كانت تمارس التجارة أو التى تمر الطرق التجارية فى أراضيها ، ولهذه الكتب فضل كبير علينا ؛ لأنها ذكرت فى الجملة أسماء مواضع كثيرة ، وتحدثت عن قبائل وشعوب عاشت فى العربية السعيدة ذهبت مع الذاهبين ولم يعرف من أمر كثير منها فى اقدم الكتب العربية الاسلامية حتى الأسماء .

ومن الشعوب التى ذكرها الكلاسيكيون فى العربية السعيدة : المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحضرميون والحميريون والثموديون وهى من الشعوب المعروفة التى تركت عددا وافرا من الكتابات ، وشعوب أخرى لا نعرف الآن من أمرها شيئا كثيرا مثل « Suelleni » و « Taveni » و « Hemnatae » و « Arreni » و « Araceni » و « Iarendae » و « Alilae » و « Garindae » و « Avalitaei » و « Thimani » و Maranitae وغيرهم ممن سنتحدث عنهم فى القسم الخاص بهم[٢] .

وقد ذكروا كذلك أسماء عدد من القرى والمدن والمشيخات مثل « Aramaue »[٣] ويظهر أنه جبل آرام أو « ارم » من جبال حسمى من ديار جذام[٤] و « Thapua »

(١) Musil, Hegaz P, 309.

(٢) Glaser, Skizze. 2. P, 27 « Garendani » Forster, Vol, 1. P, 130. 132.

(٣) Musil, Hegaz. P. 312. Forster, Vol, 1. P, 75. Moritz. « Auszüge in der Arabia Petraea ». MFOB, III, P. 395. BOASOR. Nr. 73. February 1939. P, 14.

(٤) البلدان ١/١٩٦ .

و « Thabaucha » او « Thapaucha » الذى يشــــير الى « تبوك »[١] و « Makna »
وهو موضع « مقنا » قرب « أيلة » الذى صالح النبى أهله فى غزوة تبوك على ربعما
يصطــادونه وعلى ربع ثمـــارهم[٢] ٠ و « Onne » ، والظاهر أنه موضع « أنا » وهو
يقع بين « العــلا » و « مــدين » يطؤه حجــاج مصر[٣] و « Badeas » وهو موضــع
« بدا » قرب أيلة[٤] ٠ ومواضع أخرى كثيرة تقع فى بقية أنحاء الحجاز وتهامة واليمن
والعربية الجنوبية والعروض ٠ وقد بحث فى تعيين مواقعهــا وتشـــخيصها جمــاعة من
المستشرقين[٥] ، وسأتحدث عنها فى المكان المناسب ٠

العربيـــة الحجرية :

وأما العربية الحجرية ، فتشمل الأرضين التى كان يسكن فيها الأنباط ، وخضعت
لنفوذ الرومان والبيزنطيين ٠ ويطلق ذلك الاسم ـ أى العربية الحجرية ـ على شبه جزيرة
سيناء ، وعلى المملكة النبطية وعاصمتهــا « بطرا » « البتراء »[٦] ٠ وكانت هــذه المنطقة

---

(١) Musil,Hegaz, P, 312.

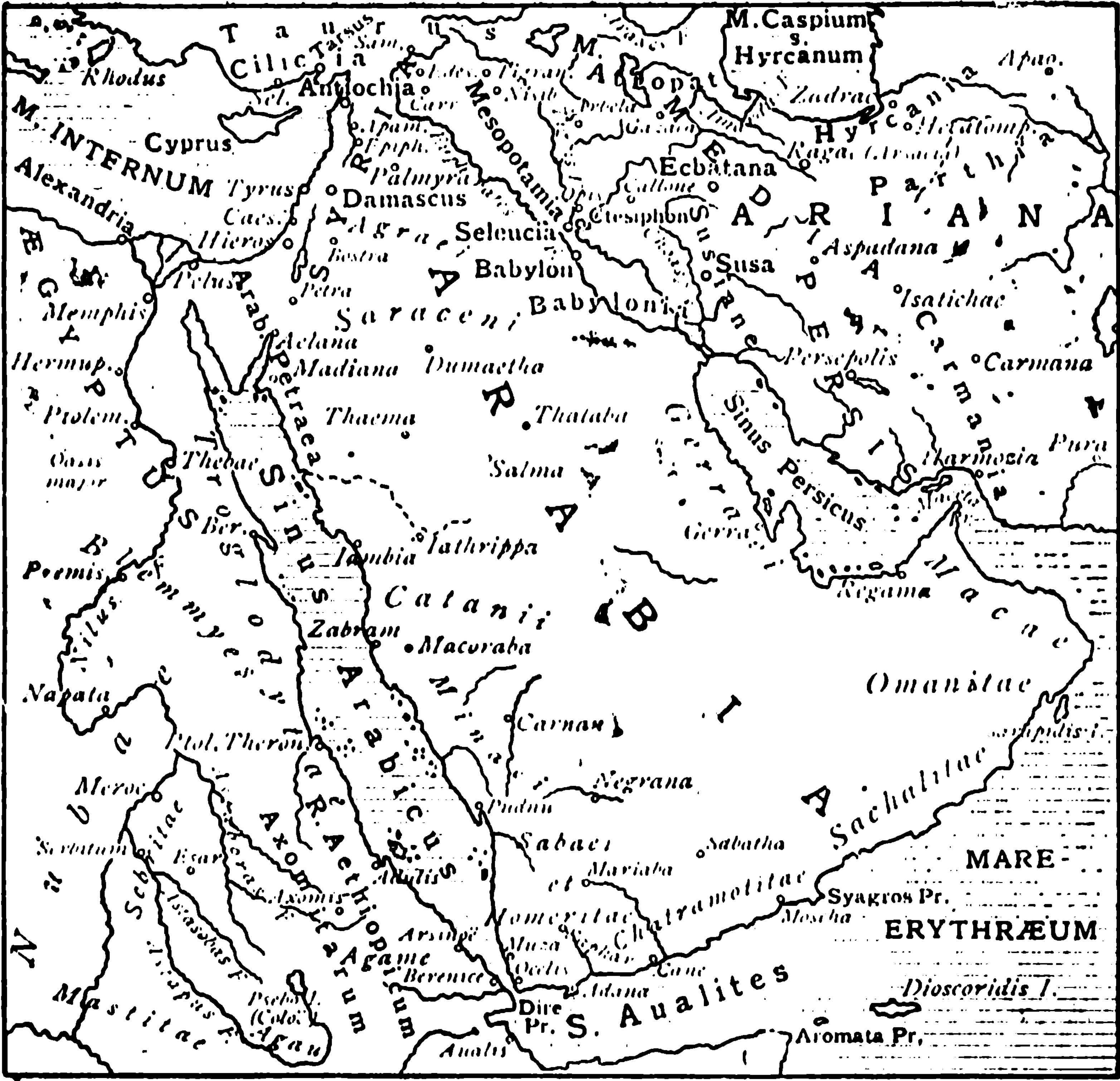
(٢) البلدان ١٢٨/٨ ، البلاذرى فتوح (طبعة دى غوية) ص ٦٠ ،
Musil, Hegaz. P, 114. 312.

(٣) البلدان ٣٤٠/١ ٠ Musil, Hegaz. P, 124. Periplus (ed. Müller). P, 527.

(٤) البلدان ٨٧/٢ ٠ Stephan of Byzantium, Ethnica (ed. Meineke).
Vol, 1. P. 155. Musil, Hegaz P, 135. Ptolemy. VI, 7,30.

(٥) راجع مؤلفات « الويس موسل » ، ففيها تحقيقات مهمة فى هـــذا الموضوع ٠
كذلك كتاب : The Historical Geography of Arabia تأليف « Charles Forster »
فى مجلدين ، وقد ذكر فيه أكثر الكتب « الكلاسيكية » وحاول تعيين الأماكن ، وذكــر
الشعوب والقبائل العربية التى وردت فيها ٠ ولما كانت الموارد التى اعتمد عليها المؤلف
محدودة فى أيام تأليف الكتاب ، وقد عثر على كتابات جديدة ، وتوسع مجال البحث فى
هذا الباب ، فقد أصبح الكتاب قديما ، ووقع فى بعض الموضوعات التى ذكرت فيه الغلط
وحرفت بعض القراءآت للاعلام الواردة فى اليونانية والرومانية وأصلح قراءتها العلمــاء
حديثا ، فيجب الانتباه لهذه الأمور عند الاعتماد على الكتاب ، ومن الكتب التى تدخــل
فى هذا الباب كتاب « كلاسر » وعنوانه :
« Skizze der Geschichte Und Geographie Arabiens »
وقد تعرض لما ورد فى الكتب « الكلاسيكية » بشىء من التفصيل ، ولكنــه أصبح من
الكتب القديمة التى تحتاج الى تصحيح ٠

(٦) Hitti, P, 44



مواضع شبه الجزيرة وقبائلها كما وردت فى كتب الكلاسيكيين

تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب ، ففى عهد الحارث الرابع ملك الانباط « من سنة ٩ قبل الميلاد الى سنة ٤٠ بعد الميلاد » اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية حدود دمشق[(١)] . ولما ضعف أمر الأنباط ، استولى الانبراطور « تراجان » عام « ١٠٦ للميلاد » على هذه المقاطعة وضمها الى المقاطعة التى كونها الرومان ، وأطلقوا عليها اسم « المقاطعة العربية » « Provincia Arabia » أو « المقاطعة الرومانية »[(٢)] . ويظهر من وصف « ديودورس »[(٣)] لهذه المنطقة أنها فى شرق مصر

(١) Hitti, P, 68.

(٢) Hitti, P, 74. Ammianus, P, 29. Gibbon, V-214 Not. 5.

(٣) Diodorus, 11, 48. Musil, Hegaz. P, 309

وفى جنوب البحر الميت ، وجنوبه الغربى وفى شمال « العربية السعيدة » وغربها[١] • وأن الأنباط يقيمون فى الأرضين الجبلية وفى المرتفعات المتصلة بها ، التى فى شرقى البحر الميت ، وفى شرقى وادى العربة ، وفى جنوب اليهودية حتى الخليج العربى « خليج العقبة »[٢] • وأما الاقسام الباقية فكانت تسكنها قبائل عربية قيل لها « سبئية » ، وهى تسمية كانت ـ فيما أظن ـ تطلق عند الكتبة اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة اسماؤها ، التى تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ، ويعنون بذلك قبائل جنوبية فى الغالب •

العربية الصحراوية :

ويقال لها فى اليونانية « Arabia Eremos »[٣] • أما حدودها ، فلم يعينها الكتاب اليونان والرومان تعيينا دقيقا • ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام : بادية الشام[٤] ؛ ويكون نهر الفرات الحد الشرقية لها الى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة • وأما الحدود الشمالية ، فغير ثابتة كذلك ، بل كانت تتبدل بحسب تبدل الاوضاع السياسية • وأما الحدود الغربية ، فكانت تتبدل وتتغير كذلك ، ويمكن أن يقال ان حدودها هى المناطق الصحراوية التى تصاقب الأرضين الزراعية لبلاد الشام • فما كان بعيدا عن امكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم ، عد من العربية الصحراوية[٥] •

ويفهم من « العربية الصحراوية » أحيانا « بادية السماوة »[٦] ، وقد يتوسعون أحيانا أخرى فيطلقونها على جميع البادية كما قلت ، وقد يجعلون حدودها الجنوبية على مقربة من بحيرة النجف أى فى حدود الحيرة القديمة حيث تبدأ بطائح كلدية التى كانت تشغل ساحة واسعة من جنوب العراق • وعرفت عند بطلميوس باسم « Amardocaea » ، وهى تمتد حتى تتصل ببطائح « Maisanios Kolpos» أو « خليج

---

(١) Musil, Hegaz, P, 309.

(٢) Musil, Hegaz. P, 309. Deserta. P, 499.

(٣) Musil, Deserta. P, 497. 511.

(٤) Hitti, P, 44.

(٥) Forster, Vol, 2. P, 110 ff

(٦) Alois Musil, Arabia Deserta P, 235.

ميسنيوس » • الذى يكون امتداد خليج فارس « Persikos Kolpos » • فكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمى عد فى العربية السعيدة[١] •

وقد فهم « ديودورس » من « العربية الصحراوية » المناطق الصحراوية التى تسكنها القبائل المتبدية ، وتقع فى شمالها وفى شمالها الشرقى أرضو مملكة « تدمر » • وأما حدها الشمالى الغربى والغربى حتى ملتقاها بالعربية الحجرية ، فتدخل فى جملة أراض الشام ، وكان يسكن فيها الارميون والأنباط[٢] فعنى بذلك اذن الأرضون الصحراوية البحتة والمناطق القليلة العمران التى يكون الأعراب غالبية السكان فيها •

وتقع فى شمال غربى اقليم بابل وغرب الفرات وفى شمال العربية الصحراوية المتاخمة لكلدية ، الأرضون التى سماها بطلميوس « Auranitae »[٣] أو « Aurana »[٤] ويذكرنا هذا الاسم بحوران • والظاهر أنها المناطق المتصلة بوادى حوران[٥] • وتتاخم العربية الصحراوية منطقة سماها « سترابون » (Maecena) ويظهر أنها « Maisena » نفسها كما كتبها بعض اليونان[٦] • وتقع العربية الصحراوية فى الجهة الشمالية الغربية منها ، والبطائح فى الجنوب الشرقى ، وهى من المناطق المأهولة بالعرب ، تتصل بالخليج وبملتقى دجلة والفرات ، وتدخل فى العربية السعيدة على رأى بعض « الكلاسيكيين »[٧] •

وتقابل العربية الصحراوية ما يقال له « أربى » عند الآشوريين ، و « ماتو أربى » عند البابليين ، و « أربابة » (عربابة) ، عند السريان والفرس •

كانت العربية الصحراوية مأهولة بالقبائل العربية ، والظاهر أن اقامتها بهذه المنطقة

---

(١) Musil, Deserta, P, 500. 503. Stephen of Byzantium, Ethnica. P, 237. (ed. Meineke).

(٢) Musil, Deserta, P, 499. Diodorus, Bibl. hist II, 54.

(٣) Musil, Deserta, P. 500. Ptolemy., V, 14 : 13, 15, 16, 18, 19,. Musil, Palmyrena, P, 229.

(٤) Forster. I-189. 311.

(٥) Deserta. P. 500.

(٦) Deserta, P, 500. « Maesene » « Maecene » Strabo. Vol, 3. P, 189 (Hamilton ed. Bohn's Classical Library). « Massica » Pliny. V. 21.

(٧) Deserta. P. 500.

قديمة جدا ، وليست لدينـا ، يا للأسف ، نصوص كتابيـة قديمة أقدم من النصوص الآشورية التى كانت أول نصوص أشارت الى العرب فى هـذه المنطقة ، وذكرت أنه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك . وأقدم هذه النصوص عهدا هو النص الذى يعود تأريخـه الى سنة ٨٥٤ قبل الميـلاد[1] . وقد ورد فيـه اسـم العرب فى جملة من كان يعارض السياسة الآشورية ، وحيث ان هـذا النص يشير الى وجود مشيخة أو مملكة عربية ، يحكمهـا ملك ، فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا فى هـذا العهد فى هـذه البادية ، بل تشير كل الدلائل الى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد ، وربما كان قبل الألف الثانى قبل الميلاد . وقد كانت هذه القبائل تهاجم أرض ما بين النهرين والشام ، وتكون مصدر رعب للحكومات المسيطرة على الهـلال الخصيب وكانت تتنقل فى هـذه البادية الواسعة ، لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الكلأ والماء والمحل المناسب الذى يلائم طبعها[2] .

أما الروايات العربية ، وهى لا تستند الى وثائق أو نصوص جاهلية ، فقد رجعت وجود العرب فى هذه المنطقة الى ما بعد الميلاد ، ولم يتجاوز بعضها أيام « بخت نصر » ، وهو بالطبع حديث مغلوط فيه .

وذكر الكتـاب اليونان والرومان أسـماء عـدد من القبـائل التى كانت تقيم فى العربية الصحراوية منها :ـ« Cauchabeni »و« Batanaei »و« Scenitae »و« Attala » و « Ausitae » و « Masani » و « Agubeni » و « Raabeni » وقبائل أخرى .

فأما « Scenitae » « Skenitae » فيقصد بها عند اليونان والرومان الأعراب (سكان الخيام) ، وكانوا أصحاب ابل يتنقلون فى البادية[3] .

وتعنى كلمة « Skene » فى اليونانية خيمة[4] ، ولا يقصد باللفظة جماعة معينة ،

---

(١) D.D Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol, I. § 611.

(٢) Forster. Vol, I. P, 347

(٣) Deserta, P, 498. Strabo, 3-204. لغة العرب ، الجزء الثامن من السنة الثامنة ، آب سنة ١٩٣٠ ، ص ٥٨٤ .

(٤) Webester's, New International Dictionary of the English Language, Vol, 2. P. 2216.

وانما تعنى معنى عاما هو أهل البادية الذين يتنقلون بخيامهم من مكان الى مكان ، فيدخلون العراق ، ويذهبون الى الشام ، وقد يستقرون فى مكان فيكونون مشيخة • وكانوا يعتنون بتربية الابل[(١)] ، ويقومون بحماية الطرق التجارية الصحراوية ، ويأخذون الأتاوة من القوافل : كل فى منطقة نفوذه ، ويقومون أيضا بوظيفة حماية الحدود الدولية • ولما كانت هذه القبائل كثيرة العدد متفرقة ، ينافس مشايخها بعضهم بعضا ، استغلت الدول الكبرى هذا النقص فى خدمة مصالحها ، فكانت تضرب بعضهم ببعض ، وتحارب بهم حدود أعدائها فتستفيد •

ولعل هنالك صلة بين كلمة « Scenitae » « Skenitae » وبين اسم آخر معروف بين أسماء القبائل العربية هو « السكون » ، وهم قبيلة عربية ، يقول النسابون انهم من نسل السكون بن أشرس بن كندة ، منهم الأكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل[(٢)] ، وكان له شقيق يقال له بشر بن عبدالملك تعلم الخط بالحيرة ثم أتى مكة[(٣)] • والظاهر أنهم من بقايا القبائل العربية القديمة ، فلعلهم من نسل من تحدثنا عنهم • كما ورد اسم حى من العرب يقال له « سكين » فى شعر النابغة الذبيانى[(٤)] لعل له علاقة بهذه القبيلة •

وأما « **Attala** » ، فلا نعرف من أمرها غير ما ذكره « بلينيوس » من أنها كانت تقطن على مقربة من مدينة « Charax » من المدن الواقعة على مقربة من خليج فارس على الحدود التى تبدأ منها أرض العربية السعيدة • ويقطن فى الشمال الغربى من أرضيها أعراب « Scenitae »[(٥)] • أما « Cauchabeni » (Chauchabeni) ، فكانوا يقطنون فى العربية الصحراوية القريبة من الفرات ، ويرى « موسل » ان لهذا الاسم علاقة باسم « بنى كوكب » أو « الكواكبة » من القبائل البدوية القديمة ، ولها عدة فروع يعيش بعضها مع قبائل عنيزة النازلة على الفرات ، ويعيش بعض آخر مع عنيزة النازلة فى وادى السرحان[(٦)] •

(١) Strabo, Vol, 3. P. 158-159.
(٢) ابن خلدون ٢/٢٥٧ •
(٣) جمهرة ابن حزم ص ٤٠٣ فما بعدها •
(٤) لسان العرب ١٧/٨٢ •
(٥) Deserta, P. 502. Pliny. VI. 125. 142.
(٦) Deserta, P. 504. Forster, Vol, 2, P, 239, Ptolemy, Geography, Vol, 1, P, 1012. (ed. Müller).

ويرى « موسل » أن قبيلة « Batanaei» هى من القبائل الرحالة التى كانت تقضى فصول الصيف فى بلاد الشام . وأما سائر أيام السنة ، فتقضيها في « النقرة »[١] .

وذهب آخرون الى أنهم « Katanaioi » أى « قحطان » وانهم كانون يتنقلون فيصلون الى بلاد الشام ، وهم ـ على هذا ـ أسلاف القحطانيين[٢] .

وعلى مقربة من العربية السعيدة ، قطنت قبيلة « Agubeni » أى « Agabeni »[٣] . وقد ذهب « فورستر » الى أنها قد تعنى « بنى أيوب » وهنالك موضع على نهر الفرات يقال له « نبى أيوب »[٤] . ورأى « موسل » أنها تقطن فى موضع « الجوبة »[٥] .

وقطن الى الشرق من « Agubeni » رجال قبيلة « Raabeni » ، وذهب موسل الى أنها قبيلة « Rambaei » التي ورد ذكرها فى جغرافية « سترابون »[٦] . ولعل بين هذا الاسم وبين اسم موضع « الرحبة » صلة[٧] . وقد ذكر « سترابون » أن « Rambaei » قبيلة بدوية كان عليها ملك صديق للرومان ، ثم انقلب عليهم ، وكان يقطن على مقربة من الجانب الغربى للفرات[٨] .

ونزلت قبيلة « Ausitae » (Aiseitae) فى البادية غرب اقليم بابل على ما يفهم من جغرافية بطلميوس ، وذهب بعض العلماء الى أن لهذا الاسم علاقة بعوص الذين كان منهم أيوب ، وجعل بعض العلماء مواضعهم فى أرض « أدوم »[٩] . وعلى هذا يكون « Ausitae » بمعنى أرض « عوص » .

وعرف البحر الأحمر عند « الكلاسيكيين » باسم « Sinus Arabicus »[١٠] ، أى

---

(١) Deserta, P. 504.

(٢) Deserta, P. 504. Forster. Vol, 1. P. 189. Vol, 2 P, 238-239.

(٣) Deserta,. P. 504.

(٤) Forster. Vol, 2. P, 239.

(٥) Deserta, P, 504.

(٦) Strabo, XVI, 2 : 10. Vol, 3. P, 166 (Hamilton). Dessrta, P. 504.

(٧) Deserta, P, 504.

(٨) Strabo. Vol, 3. P, 166.

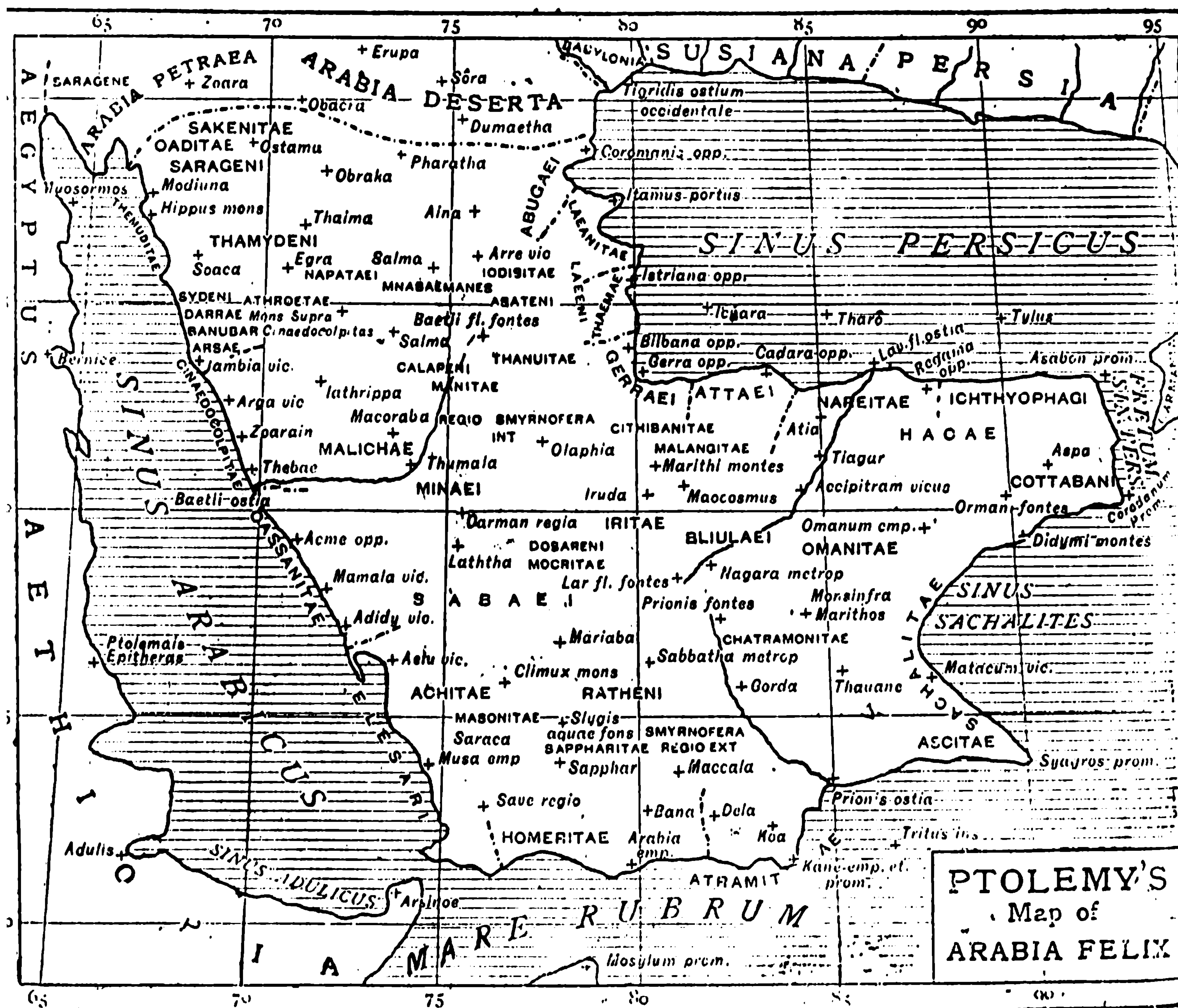
(٩) Forster, Vol, 2. P,. 63.

(١٠) Ptolemy, VI, 7. Pliny, VI, 32, Strabo Vol, 1, P. 47. 50, 55, 56.

« الخليج العربى » أو البحر العربى [١] . وأما خليج العقبة ، فقد قيل له « خليج أيلة » [٢] (Aelanitic Gulf) [٣] .

التقسيم العربى :

هذا التقسيم هو تقسيم الكتاب الكلاسيكيين للعربية ، وخير من كتب منهم فى هذا الموضوع هو « بطلميوس » ، وكان من عادته أنه يبدأ بوصف السواحل أو الأرضين القريبة من البيزنطيين أو الفرس ، ثم يصف ما بعدها فيذكر قراها ومدنها وقبائلها ،



العربية السعيدة كما رسمها بطلميوس

(١) Forster. Vol, 2. P, 470. Strabo. Vol, 3. P, 176, 191.

(٢) البلدان ٧/١٤٥ .

(٣) Deserta, P. 499. Strabo, Vol, 3. P, 176, 191, 201, 254.

الى أن ينتهى الى البادية حيث تقل معارفه عنهـا[١] • وقد ذكرت أننـا لا نستطيع أن نتحدث عن الوقت الذى ظهر فيه هـذا التقسيم بالضبط ، وقلت ان أقدم من ذكره هو « سترابون » ، وان هـذا التقسيم يستند الى اعتبـارات سياسية ، ولا يقوم على أسس جغرافية ، والا فان العربيــة الصحراوية هى امتداد طبيعى للصحراء التى تكون المناطق الشمالية من العربية السعيدة ، وان العربية الحجرية هى جزء من الهضـاب والسلسلة الجبلية التى تصل فلسطين بالحجاز •

ويؤسفنا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر الجاهليين فى أقسام شبه الجزيرة العربية ، ولكننا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر الاسلاميين ، وقد قسموا شبه الجزيرة الى خمسة أقسام : الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ونجد[٢] ، وهى تقـابل « العربية السعيدة » أو ما يقال له « Arabia Proper »[٣] • ويرجع الرواة أقـدم رواياتهم فى هذا التقسيم الى عبدالله بن عباس[٤] •

أما الحجاز فتمتد رقعته فى رأى أكثر علمـاء الجغرافية المسلمين من تخوم الشـام عند العقبة الى « الليث »[٥] ، وهو واد بأسفل السراة يدفع فى البحر فتبدأ عندئذ أرض تهامة[٦] • وقد عد قسم من العلمـاء « تبوك » وفلسطين من أرض الحجاز[٧] • ويقال للقسم الشمالى من الحجاز أرض مدين وحسمى نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم ، التى تتجه من الشمال نحو الجنوب[٨] ، وتتخللها أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل من جهة أخرى[٩] • وكانت تسكنهـا

---

(١) Forster, Vol, 2. P, 113.

(٢) صفة ص ٤٧ـ٤٨ ، البلدان ٢١٨/٣ ، المفضليات ص ٤١٦ •

(٣) Forster, Vol, 2. P. 112-113.

(٤) صفة ص ٤٦ •

(٥) الليث » بكسر اللام ثم اليـاء السـاكنة والثاء المثلثة ـ البـلدان ٢١٨/٣ ، البـلدان ٣٤٦/٧ •

(٦) البلدان ٢١٨/٣ •

(٧) البلدان ٢١٨/٣ •

(٨) البلدان ٤١٧/٧ • Ency. 1-368. A Handbook of Arabia. Vol, 1. 96.

(٩) البلدان ٢٧٦/٣ ، لسان العرب ٢٤/١٥ •

فى الجاهلية قبائل جـذام[1] . ويسكنها فى الزمن الحاضر عرب الحويطات ، ويعتقـد المستشرقون أنهم من بقايا الأنباط[2] .

وتعد « حسمى » من المناطق الجبلية ، وأرضوها خصبة كثيرة المياه ، وكانت من المنـاطق المعمورة ، وبهـا آثار كثيرة ، ومن جبالها جبـل يعرف بارم[3] ، ويرى بعض المستشرقين أن لهذا الجبل علاقة بموضع « ارم » الوارد ذكره فى القرآن الكريم وفى كتب قصص الأنبيـاء والتـواريخ[4] . ويرى « موريتس » أنه موضـع « Aramaua » الذى ذكره « بطلميوس »[5] على أنه أول موضع من مواضع العربيـة السعيدة ، وأنه لا يبعد كثيرا عن البحر ، والذى يقال له « رم » فى الزمن الحاضر[6] .

وتتخلل الحجـاز أودية عديدة ، منهـا وادى اضم الذى ورد ذكره فى أشعار الجاهلية وفى أخبـار سرايا الرسـول[7] ، ووادى نخـال ويصب فى الصفراء بين مكة والمدينة[8] ، والصفراء واد من ناحيـة المدينـة كثير النخل والزرع فى طريق الحـاج سلكه الرسول غير مرة وعليه قرية الصفراء وماؤها عيون تجرى الى ينبع ، وهى لجهينه والانصـار ولبنى فهر ونهـد ورضـوى[9] . ووادى « بدا »[10] قرب أيلـة يتصـل بوادى القرى . ووادى القرى : واد مهـم يقع بين العلا والمدينـة[11] ويمر به طريق القوافل القديم الذى كان شريانا من شرايين الحركة التجارية فى العالم القديم ويقال له « وادى الديدبان »[12] . ويصب فيه واديان هما وادى جزل من الشمال ووادى الحمض

---

(١) Ency. Vol, 1 P. 368. Daughty. Vol, 2 P, 624.

(٢) Ency, Vol, 2. P, 349.

(٣) البلدان ٣/٢٧٧ .

(٤) Mr. Horsfield, in Revue Biblique, XLI (1932). PP, 581-597.; XLII (1933). PP, 405-422. XLIII (1934) P, 572-579. XLIV (1935). PP, 45-78.

(٥) Ptolemy, VI, 7 : 27. B. Moritz in MFOB, III, P. 395 « Ausflüge in der Arabia Petraea ».

(٦) Musil, Hegaz. P, 273.

(٧) البلدان ١/٢٨١ ، صفحة ١٧١ .

(٨) البلدان ٨/٢٧٢ .

(٩) البلدان ٥/٣٦٧ .

(١٠) البلدان ٢/٨٧ .

(١١) Ency. 4-1077.

(١٢) Doughty, Travels in Arabia Deserta (New edition). London 1936. Vol, 1 P, 187.

من الجنوب ، ويلتقي به واد آخر هو وادى التبج أى وادى السلسلة[١] . وكان عامرا جدا تكثر فيه المياه ، وتشاهد فيه اليوم آثار المدن والقرى[٢] ، وقد عثر فيه على كتابات كثيرة لحيانية ومعينية وسبئية وغيرها سنتحدث عنها .

ومن أهم مواضع وادى القرى العلا ، وقد نزله الرسول فى طريقه الى تبوك[٣] . ويقع فى موضع « ديدان » القديم . وبه واحة ونهير صغير[٤] . ومدينة « قرح » وكانت من أسواق العرب فى الجاهلية ، وقد زعم أنها القرية التى كان بها هلاك عاد[٥] . وتبعد عن خرائب « ديدان » بمسافة ثلاثة كيلومترات ، وقد سكنتها قبائل « بلى » من القبائل العربية القديمة[٦] . وهى ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام . ويرى « موسل » أنها هى « العلا » دعيت بهذا الاسم فيما بعد[٧] . ولما سأل « دوتى » الأعراب القاطنين فى هذه الأماكن عن « قرح » ، لم يعرفوا من أمرها شيئا[٨] .

ووجد « دوتى » فى قرى وادى القرى وخرائبه عددا كبيرا من الحجارة المكتوبة بحروف المسند ، وقد اتخذها السكان أحجارا من أحجار البناء[٩] . وعثر فى الخريبة على كتابات بهذا القلم ، وعلى آثار أبنية ومواطن حضارة وعلى ألواح من الحجر كان يستعملها الصيارفة لصف نقودهم عليها ، أو لذبح القرابين[١٠] . كما شاهد موضعا يقال له « اصطبل عنتر »[١١] على قمة جبل شاهق يرنو الى الوادى ولعله معبد أحد الأصنام التى كانت تعبد هناك .

ويتصل طريق الحاج والتجار بمدينة « البتراء » « Petra » ، ومنها تتفرع طرق

---

(١) Ency. Vol, 4. P, 1077.

(٢) « وكان بين سبأ والشام قرى متصلة فكانوا لايحتاجون من وادى سبأ الى الشام الى زاد » . لسان العرب ١٩/٣٨ .

(٣) البلدان ٦/٢٠٧ .

(٤) وهبه ٢٠ .

(٥) البلدان ٧/٤٩ .

(٦) Musil, Hegaz. P, 295. Doughty I-203.

(٧) Musil, Hegaz. P, 295.

(٨) Doughty. I-87.

(٩) Doughty I-203-204.

(١٠) Doughty, I-202.

(١١) Doughty I-204. Musil, Hegaz. P,. 30 f.

تتجه الى مصر أو الشام أو العراق • وذكر « سترابون » أن التجار وأصحاب الأعمال المصريين أو القادمين من حوض البحر المتوسط عن طريق مصر كانوا يسلكون طريق (Heroopolis) الموصل الى « البتراء» ، وكان يسكن جنوب هذه الطريق الفرعية الأنباط والخولانيون (Chaulothaei) و « الأكريبون »[١] • والظاهر أن الطريق العراقية التى تصل الى « البتراء » كانت تمر بتبوك وأكرا وتيماء ، ثم تخترق طريقا صحراويا تمر بالحماد حتى تصل الى بابل[٢] • وهناك اشارات وردت فى الكتب القديمة تشير الى اجتياز هذه المناطق الصحراوية الفاصلة بين العراق والشام • فقد ذكر أن فرعون مصر هرب فى عام ٣٦٢ قبل الميلاد من مصر لتفوق منافسه « نكتنيبس Nektanebos » عليه ، فاخترق الصحراء والتجأ الى بلاط ملك الفرس[٣] ، وأن « بطلميوس بن لوغوس » (Ptolemy Lagus) أرسل مساعدة عسكرية الى « نقتور » السلوقى (Nikator) فى عام ٣١١ قبل الميلاد ، فاجتازت الصحراء وبلغت اقليم بابل فى ثمانية أيام على ابل سريعة الحركة كانت تحمل معها قرب الماء[٤] • ويزعم « أريانوس » صاحب هذا الخبر أنها سلكت الطريق المحصورة بين رأسى الخليج الفارسى والبحر الاحمر[٥] •

وكان الرومان قد فتحوا طرقا عديدة توصل بين الشام و « الكورة العربية » (Provincia Arabia)[٦] تتفرع بعضها فتتجه نحو خليج أيلة « العقبة » • ومن هذه الطرف السكة الرومانية التى أنشأها « طرايانوس قيصر » من « مأدبا » الى « وادى موسى » ، وقد جعل لها أعلاما كتب عليها : فتحت هذه الطريق لتوصل بين حدود

---

(١) Glaser, Skizze. 2. P, 11. « Chaulotaei » Strabo, Vol, 3. P, 189 (Hamilton) « Agraci ». Strabo. 3. P, 189 Strabo, XVI, 4.

(٢) Moritz. P, 31. anm . 1. « Nektanebos ».

(٣) Moritz. P. 31. Diod. 15. 92.

(٤) Arrian, Indica. 43. The Greek Historians. Vol, 2. P, 764. Moritz, P, 31

(٥) Greek Historians. 2-764. « بطلميوس بن لوغوس » الطبرى ١/٧٠٢ ، ٧٠٣ (الطبعة الاوربية) « بطلميوس بن لعوس » حمزة ص ٤٥ •

(٦) للوقوف على أحوال هذه الكورة يستحسن الرجوع الى :
Die Provincia Arabia, Beschrieben Von Rudolf Ernst Brünnow Und Alfred Von Domaszewski; die Römerstrasse Von Madeba über Petra Und Odruh, bis el-'Akaba Unter Mitwirkung Von Julius Euting. Strassburg. 1904.

سورية وسواحل البحر الأحمر[١] . وتتصل هـذه السكك بالطرق الطويلة التجارية التى تخترق الحجاز وتهامة فتصل الى اليمن .

ويصب وادى الحمض جنوبى الوجه ، والوجه قرية صغيرة فى الوقت الحاضر[٢] ، يرى بعض المستشرقين أنها كانت ميناء « الحجر » « مدائن صالح » والى جنوبهـا مدينـة الحوراء موضع « لويكة كومة » (Leuke kome) القديم ، وهو مستعمرة أنشأها اليونان على ساحل البحر الأحمر لحماية السفن[٣] . وكانت مرفأ سفن مصر الى المدينة ثم أفل نجمها وهجرت . وفى سنة ٦٢٦ للهجرة كانت مهجورة وكانت آثار قصورها باقية[٤] .

وفى هذا المكان تنتهى أرض قبائل بلى ، وتبدأ أماكن قبائل جهينه ، وكانت المنطقة التى بين وادى القرى والحجر موضع قبيلة بنى عذرة . وقبائل بلى من القبائل اليمانية على رأى علماء الأنساب . وقد سكنت قرب تيماء بين أرض جهينة وجذام فى المنطقة التى كانت تسكنها قبائل ثمود[٥] .

وتقع يثرب فى أرض بركانية بين حرتين ، وقد اشتهرت بالخصب والنماء ، وفى شمالها جبل أحـــد ، ومن الأماكن التابعـــة لها « قبا » وهى من القرى المعروفة فـــى الجاهليـــة[٦] ، و « العقيق » وهو من أودية المدينـــة وفيـــه قصور ومنـــازل وقرى[٧] و « بطحان » من أودية يثرب كذلك سكنه بنو النضير وتصب فيه مياه عذبة . و « قناة » ثالث أودية يثرب تصل اليه مياه غزيرة عذبة من الحرات[٨] .

تهـامة :

وتبدأ حدود تهامة على رأى بعض الجغرافيين من بحر القلزم[٩] فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتـداد البحر الاحمر[١٠] ، ويقال لتهامة الواقعة فى اليمن

---

(١) المشرق : السنة الثامنة العدد ١٠ أيار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ فما بعدها ، بقلم الأب لويس جلابرت اليسوعى .
(٢) وهبة ص ١٩ .
(٣) Ency. Vol, 1. P, 368. Hegaz. P, 60.
(٤) البلدان ٣/٣٥٩ .
(٥) Ency. Vol, 1. P, 618.
(٦) البلدان ١/١٣٣ ، ٧/٢٠ ، صفحة ١٢٤ .
(٧) البلدان ٦/١٩٨ .
(٨) البلدان ٢/٢١٦ ، البكرى معجم (طبعة السدقا) ١/٢٥٨ البلدان ٧/١٦٦ .
(٩) القلزم بالضم ثم السكون ثم زاى مضمومة وميم . البلدان ٧/١٤٥ .
(١٠) راجع حدود تهامـــة في : البلدان ٦/٣١١ ، صفحة ٥٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، بلوغ الأرب ١/١٨٨ .

« تهامة اليمن » ، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه ، وقد يبلغ عرضها خمسين ميلا فى بعض الأمكنة . وترتفع أرض تهامة الجنوبية الواقعة على البحر العربى ما اتجهت نحو الشرق ، وتتكون فيها سلاسل من التلال المؤلفة من حجارة كلسية ترجع الى العهود الجيولوجية الحديثة أو من حجارة بركانية[١] .

ولانخفاض أرض تهامة قيل لها « الغور » و « السافلة »[٢] . وقد ورد اسم « تهامة » فى النصوص الجنوبية[٣] . ويظهر أن لهذه الكلمة علاقة بكلمة « Tiamtu » التى تعنى البحر فى البابلية ، وبكلمة (Tehom) العبرانية[٤] . غير أنه لم يثبت حتى الآن أن كلمة « تهوم » وجمعها « تهوموت » « Tehemot » كانت تعنى هذا المعنى الذى أراده علماء المسلمين نفسه من تخصيصها بهذه السواحل التى تحدثت عنها[٥] . وعندى أن هذه الكلمة ترجع الى أصل سامى قديم له علاقة بالبحر[٦] ، منه أخذت الكلمة البابلية والعبرانية والعربية وأطلقت فى بادىء الأمر على البحر ثم خصصت بالسواحل كما يفهم ذلك من النصوص العربية الجنوبية ، ثم خصصت فى العربية بمنطقة واحدة هى المنطقة التى نتحدث عنها الآن .

وفى تهامة « مكة » ، وفرضتها « جدة » ، وهى مدينة قديمة قال لها بطلميوس « Macoraba »[٧] « مكربة » ، وفى هذا الاسم ما فيه من الدلالة على التقريب « مقربة » للأصنام قبل الاسلام ، ويذكرنا بكلمة « مكرب » أو « مقرب » التى كانت تطلق على حكام سبأ قبل أن يتبوأوا عرش سبأ ، أى أيام كانوا كهانا ، فكانوا فى نظر المؤمنين مقربين الى الأصنام ووسطاء بين الآلهة والناس . ولابد أن يكون لهذه المدينة وجود قبل أيام بطلميوس[٨] .

---

(١) Ency. Vol, 4. P, 769.

(٢) البلدان ٦/٣١١ ، ٢/٤٣٧ .

(٣) Glaser. 554. 618. Ency. 4-764.

(٤) Schrader, Die Keilinschriften Und das Alte Testament. Neu bearbeitet Von Zimmern Und Winckler. Berlin 1903. P, 492. K. A. T. وسأشير اليه برمز

(٥) K.A.T. P, 492. anm, 2.

(٦) P. Jensen, Keilinschr. Bibl. VI/I. P, 559. Ency. 4-764.

(٧) Ptolemy, Geographie. (ed. Nobbe). VI, Ch. 7. §, 32. Handwörterbuch des Islam. P, 471.

(٨) Ency. 3-437.

وتعد الطائف مصيف مكة ، وتقع على بعد خمسة وسبعين ميلا الى الجنوب الشرقى من مكة على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر[١] على ظهر جبل غزوان[٢] . وهى من المدن الجاهلية القديمة . وقد زعم الجغرافيون أنها كانت تعرف قديما بوج ، وقالوا : ان وجا هو رجل من العماليق ، وهو شقيق أجأ صاحب جبل أجأ أحد جبلي طيء[٣] . ويقصدون بذلك قدم هذه المدينة . والحق أنها قديمة ، وقد عثر فى أراضيها على كتابات ثمودية ، وكذلك فى قرية الوجه[٤] . ولهذه الكتابات ـ على قلتها ـ أهمية كبيرة ، لانها تدل على وجود قوم ثمود فى هذه الأماكن . وتجعل لقول من قال من النسابين ان ثقيفا هم من أصل ثمودى شيئا من القيمة فى نظر العلم .

وتحف بالطائف أودية كثيرة تسيل فيها المياه فى موسم الأمطار ، وحولها عيون ومياه ، وبها آبار كثيرة . ويظهر أن جبالها كانت مكسوة بالأشجار ، وكانت ذات زروع كثيرة ، وكانت تصدر الأخشاب ، وأن سكانها كانوا على جانب كبير من النشاط ، وكان أكثرهم عند ظهور الاسلام من ثقيف ، ولا يزالون يحتفظون بأماكنهم . أما الجبال التى جنوب مكة ، فقد كانت من بلاد هذيل ، سكنتها قبل الاسلام . وقد أقامت قبائل هذيل فى سراة هذيل بين مكة والمدينة ، وجاورت سليما وكنانة ، وكانت تتعبد لسواع ومناة[٥] .

اليمن :

ولم تعين النصوص العربية الجنوبية مدلول كلمة « يمنات »[٦] والأرض التى هى مصداقها . والذى يظهر من كتابة تعود الى أيام الملك « شمر يهرعش »[٧] أنه كان يقصد

---

(١) وهبة : (٣٥) .

(٢) البلدان ٦/٢٨٩ .

(٣) البلدان ٦/١١ ، صفة ١٢٠ .

(٤) Grimme, Die Lösung. P, 22.

(٥) Ency. 2-329. Burchhardt, Travels in Arabia. I, 63-66. 130. Wellhausen, Lieder der Hudhailiten. P,, 105 ff.

(٦) « يمنات » (يمنت) C I 628. C I 353. 407, 430. 431. 438.

(٧) فى الكتب الاسلامية : « شمر يرعش » . الاكليل ٨/٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ (نبيه) . التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها . أخبار عبيد ص ٤٢٨ ، تأريخ الطبرى ١/٥٤٧ ، ٧٩٣ـ٧٩٥ طبعة « أوربة » .

بها منطقة هي أصغر من أرض اليمن الحالية بكثير كما يظهر ذلك من لقبه « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات » . ولما كان الملك شمر يهرعش قد عاش في القرن الثالث للميلاد ، يكون هذا النص اذن أقدم نص وصل الينا حتى الآن ورد فيه اسم « يمنات » ، وآخر نص مدون ورد فيه اسم « يمنات » هو النص المكتوب بقلم المسند ، الذي كتبه « أبرهة » نائب النجاشي على اليمن ، كتبه نيابة عن النجاشي ، وقد تلقب فيه بلقب « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها »[1] . ويعود تأريخ هذا النص الى سنة ٦٥٨ من التقويم الحميري وهي توافق سنة ٥٤٣ للميلاد . ويظهر منه أنه قصد المكان نفسه الذي قصده نص شمر يهرعش .

فاليمن المقصودة في النصوص العربية الجنوبية اذن منطقة صغيرة بالقياس الى رقعة اليمن الحالية . وأما اليمن عند علماء الجغرافية المسلمين ، فهي منطقة واسعة جدا ، تمتد حدودها من تهامة الى العروض[2] . ويظهر أن هذا الرأي قد تكون عندهم من الوضع السياسي الذي كانت عليه العربية الجنوبية عند ظهور النبوة حيث كان الفرس يسيطرون على الأرض الجنوبية من شبه الجزيرة ، فكانت في شبه وحدة سياسية ، وفي صدر الاسلام قسمت أعمال اليمن على ثلاث ولاة : وال على الجند ومخاليفها ، ووال على صنعاء

---

(١) Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch Von Marib. Mith. Vord. AS. Ges, 1887.

(٢) « قال الأصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، وليست بينونة من اليمن . وقيل : حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها الى صنعاء وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود واليمن تجمع ذلك كله ... قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وأثمارها وزروعها والبحر مطيف بها من المشرق الى الجنوب فراجعا الى المغرب ، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين الى ما بين اليمن واليمامة فالى حدود الهجيرة وتثليث وكثبة وجرش ومنحدرا في السراة الى شعف عنز وشعف الجبل أعلاه الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرمل بالقرب من حمضة ، وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة ... قلت : هذا الخط من البحر الهندي الى البحر اليمني عرضا في البرية من الشرق الى جهة الغرب ... » البلدان ٥/٨١ ، ٨/٥٢٢-٥٢٣ ، صفة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، البكري : معجم ما استعجم ١٦/١ ، ابن خرداذبه ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩ . Ency. 4-1155.

ومخاليفها ، ووال على حضرموت ومخاليفها[١] .

ولا يزال عدد كبير من مواضع اليمن يحتفظ بأسمائه القديمة التى كان يعرف بها قبل الاسلام ، ويعود قسم منهـا الى ما قبل المسيح . وسنتحدث عنها فى أثنـاء بحثنا فى الفصول الآتية ، كما يحتفظ عدد كبير من القبـائل بأسمائه القديمة التى تساعدنا فى ضبط الأعلام التى نعثر عليها فى الكتابات . وتتحدث بعض القبائل بلهجات ترجـع الى الألسنة العربية الجنوبية القديمة ، فبعض لغة التهائم قل أن يفهم منها أحد كلاما الا بعد اعادته مرارا . ولكل قبيلة لهجة[٢] . وتتكلم ثقيف بشـمال اليمن فى عســير باللغـة العربية الأصيلة[٣] . ولهذا الاختلاف أهمية فى دراسة تطور اللهجات .

وتخترق « السراة » اليمن من الشمال الى الجنوب حتى البحر ، وتتخللها الأودية التى تنساب فيها مياه الأمطار ، وتمتد بين الهضاب والشعاب فلاة تتفرع من الدهناء من ناحية اليمامة والفلج يقال لها « الغائط » ، وتظهر فى أواسطها « الصيهد »، وتقع بين مأرب وحضرموت[٤] .

وفى شمال منطقة عدن صحراء تتصل بالربع الخالى ، ويخترق الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسـايل مياه ، وأنها من بقـايا أنهـار جفت ، وتسيل فى بعضها المياه عند سقوط الأمطار ، ومنهـا وادى تبن[٥] وهو من بقايا نهر طويل ، له فروع عديدة وتمر به الطريق الرئيسية المؤدية الى اليمن[٦] .

ويخترق حضرموت واد يوازى السـاحل يبلغ طوله بضع مئات من الأميـال ، ويتألف سطحه من أرضين متموجة تتخللها أودية عميقة تكثر فيها المياه ، تحت الارض ، وبعض تلاله مخصبة[٧] .

وفى حضرموت حجارة بركانيـة ومناطق واسـعة يظهر أنهـا كانت تحت تأثير

---

(١) البلدان ٨/٥٢٣ .
(٢) فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتأريخ اليمن ، تأليف الشـيخ عبدالواسـع ابن يحيى الواسعى ، القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٠ .
(٣) المصدر المذكور ص ٢١ .
(٤) صفة ٨٤ ، البلدان ٥/٤١٩ .
(٥) Hugh Scott, in the High Yemen, P, 25. 26.
(٦) Handbook of Arabia, Vol, I. P, 179 f.
(٧) Adolf Von Wrede S, 290. Ency. I-369.
وادى عدم : الهلال ، الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ ص ٦٠٣ .

البراكين • والظاهر أن دورها لم ينته الا منذ عهد ليس ببعيد[١] • ويزرع النـاس فى هذه الأودية حيث يحفرون آبارا فى قيعانها ، فتظهر فيها المياه على أبعاد متفاوتة وهنالك نهر يقال نهر حجر[٢] •

ومن شرق سيحوت تبتدىء سـواحل « مهرة » ، وتعرف عنـد الجغرافيين باسـم « الشحر » • ومعنى كلمة « مهرة » فى العربية الجنوبية القديمة « ساحل »[٣] • ويطلق اليوم اسم الشحر على المينـاء الغربى فقط • وفى « قارة »[٤] مدينـة « ظفار » ، وهى غير ظفار اليمن[٥] • وعند خليج ظفـار كان موضع « Syagro » المشهور عنـد اليونان والرومان[٦] •

ويمتد اقليم ظفار من سيحوث الى حدود عمان ، وهو هضبـة يبلغ ارتفاعهـا ثلاثة آلاف قدم ، تهب عليها الرياح الموسمية ، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التى اشتهرت بها بلاد العرب قبل الاسلام • وتشقها طولا وعرضا أودية تكسوها الأعشاب وتتخللهـا الأشجار • وبها جبال « قرا »[٧] ، ومنحدراتها أرجوانية ، وقد تفتتت الصخور الحمر فيهـا فأكسبت الأودية والسهول لونا أحمر ، وتوجد بهـا النهيرات والعيون ، ويمكن الحصول على الميـاه بحفر الآبار • ولا يزال السكان يحتفظون بعاداتهم القديمة التى ترجع الى ما قبل الاسلام[٨] •

ويظهر أن هذه المنطقة كانت أماكن « القريين » من الشعوب العربيـة الجنوبيـة

---

(١) Ency. I-369. Reise, 287-288.

(٢) تأريخ حضرموت السياسى تأليف صلاح البكرى ١/٣ (القـاهرة ١٣٥٤) • « نهر ميفع » الهلال ، العدد المذكور ص ٦٠٤ ، وقد تحدث صاحب المقال عن الآثار التى رآهـا فى وادى عدم •

(٣) البكرى ٢/١٤١ فما بعدها • Ency. I-369

(٤) وتنمو فى « قارة » نباتات الطيب والأفاويه • in the High Yemen, PP, 147, 148.

(٥) Reise, P. 39.

(٦) Reise, P. 33. Forster, Vol 2. P, 161, 166, 224, 234.

(٧) in the High Yemen, P, 147.

(٨) اليافعى ٢/٢٠١ فما بعدهـا •

القديمة ، وهنالك قبيلة لا تزال حتى اليوم يقال لها « بنو قرا »[١] لعل لها صلة بالقريين . ويتكلم أهل « مهرة » بلهجة خاصة يقال لهـا « المهرية » أو « الأمهرية » ، وهى متأثرة بالجعزية[٢] . كما يتكلم أهل قارة « قرا » بلهجة يقال لها « أحكيلية » ، ويظن أنهـا من اللهجات العربية القديمة .

وتتألف أرض عمـان من أماكن جبليـة ، وهضاب متموجة ، وسهول ساحلية . وأكثر حجارتها كلسية وغرانيتية ، وفيها أيضا حجارة بركانية . والظاهر أنها كانت من مناطق البراكين[٣] . وفى مناطق التلال وفى « جعلان » عيون ومجارى ميـاه معدنيـة أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة . وتوجد آبار فى « الباطنة » وفى المناطق المجاورة للصحراء وفى الأقسام الشرقية من عمان[٤] .

وتتخلل هضاب عمان وجبالها أودية معظمها جاف ، وتكون طرق المواصلات بين الساحل والأرضين الباطنة ، وجوها حار استوائى ، وتتجه الجبـال من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى وأعلى قمة فيهـا هى قمة الجبـل الأخضر ، ويبلغ ارتفاعهـا تسـعة آلاف قدم . والأرضون المحيطة بهذا الجبل خصبة وقابلة للاستثمار[٥] .

وفى عمان مدن قديمة منها « صحار » و « دبا » أو « دما » وكانت من المدن المهمة فى أيام الرسول وهى عاصمة عمان الشـمالية ، كمـا كانت سوقا من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد ونزوة[٦] . والعمانيون من الشعوب البحرية المحبة لركوب البحار ، ولهم صلات وروابط بسواحل افريقية والهند .

ونجد بين العمانيين عددا كبيرا من الزنوج والهنـود والبلوج[٧] . وقـد ذكـر « بطلميوس » اسم موضع سماه « Omanum Emporium » على أنه من الأماكن التابعـة لشعب « Omanitae »[٨] ، وقد ذكر اسم هذا الشعب بين اسمى شـعبين آخرين همـا

---

(١) اليافعى ٢/٢٠٦ فما بعدهـا .

(٢) Reise, P. 33. Leo Hirsch, Reisen in Süd — Arabien, Mahra Land Und Hadramut Leiden 1897. P, 19, 34, 51, 52, 53.

(٣) Handbook, Vol. 1. P, 238. Ency. Brit. Vol. 16. P, 785.

(٤) Handbook, Vol, 1. P, 238. Leo Hirsch, Reisen, P, 183.

(٥) S. H. Steinberg, The Statesman's Yearbook. London. 1948 P, 689.

(٦) البلدان ٤/٣٠ ، ٥/٣٣٩ ، ٨/٢٨١ .

(٧) Steinberg. P, 690. O'Shen R. The Sand Kings of Oman. London, 1947.

(٨) Forster, Vol, 2. P. 180.

«Bliualae» و «Kottabanie»[1] ، وقال عنـــه انه كان يسكن فى الداخـل ويقصـد بطلميوس ـ ولا شك ـ بهذا الاسم اسم « عمان » .

العروض :

وأما العروض ، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها[2] . وأغلب الأرضين فيه صحارى وسهول ساحلية ، ترتفع فى الجهات الغربية عن ساحل البحر . ويمتد مرتفع الصمان الصخرى موازيا لساحل الخليج ، متوسطا بين الأحساء والدهناء . ومن أودية الأحساء وادى فروق فى الجنوب الغربى ، وهو قسم من وادى المياه[3] .

ومن أقسام العروض شـــبه جزيرة « قطر » التى تمتـــد من عمان الى حـدود الأحساء[4] . يشتغل سكانها بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، والظـاهر أنهـا هى (Cataraei) الذى ذكره « بلينيوس »[5] ومعظم أرضيها صحارى ، وتوجـد بها واحات قليلة ، ويزرع السكان فى بعض الأماكن على مياه الآبار[6] . وقد عرفت قديما بأنواع من الثياب والمنسوجات القطرية كانت تصدرها الى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام[7] . والظاهر أن شهرتها هذه ورثتها من الجاهلية ، وأن سوقها كانت من الأسواق المعروفة .

ويلى شبه جزيرة « قطر » الأحساء ، وكان يقـال لهـــذه المنطقة قديمـا هجر والبحرين[8] . والقسم الأكبر من الأحساء سهل صحراوى يرتفع فى الجهة الغربيـة عن ساحل البحر . ويتخلله كثير من التلال ، يتجه بعضها باتجـاه وادى الميـــاه وجبل

---

(1) Glaser, Skizze, 2. P, 256.

(2) البلدان ٣/١٠١ ، ٦/١٦٠ .

(3) وهبة (٦٨) . « الصمان » بالفتح ثم التشديد وآخره نون . البلدان ٥/٣٨٣ .

(4) البلدان ٧/١٢٣ . Steinberg. P, 692.

(5) Ency. Vol, 2. P. 817. Sprenger, Geogr. Arab. P, 116. Glaser, Skizze, Vol, 2. P, 75. Pliny, Natura. Hist., VI. 28 § 147.

(6) Ency. Vol, 2. P, 817. F. Stuhlmann, Der Kampf Um Arabien. P, 177. Palgrave, Travels in Arabia, London 1865. Vol, 2. PP. 232.

(7) البلدان ٧/١٢٣ .

(8) وهبة (٦٨) .

الطف[١] . والمنطقة الساحلية سبخة فى الغالب ، وتكثر فيها الآبار التى لا تبعد مياهها كثيرا عن سطح الأرض . وأغنى مناطق الأحساء منطقة الأحساء والقطيف فى الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون[٢] . وبحذاء هجر فى الجنوب الغربى من مدينة القطيف تقع « العقير » ، وهى الآن ميناء صغير[٣] ، وعلى مقربة منها خرائب عادية يعتقد العلماء أنها موضع « Gerrhaei » المدينة التجارية العظيمة التى اشتهر أمرها وبلغت شهرتها الى اليونان والرومان[٤] . وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وملتقى طرق القوافل التى كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق . وأغرت الطامعين فطمعوا فى الاستيلاء عليها ، وأوحت الى الكتبة « الكلاسيكيين » فكتبوا فيها قصصا من نسيج الخيال[٥] ، وتقع على خليج سماه « الكلاسيكيون » « Sinus Gerraicus »[٦] أى خليج جرهاء .

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة تاروت . وتعد المدينة البحرية الرئيسية فى الاحساء ، يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر ويكثر بها مياه العيون[٧] . وتشاهد عندها خرائب عادية يستدل منها على أن هذه المدينة كانت ذات تأريخ قديم ربما يعود الى آخر عهد من عهود العصر النحاسى .

وفى هذه المنطقة يجب أن يكون موقع مدينة « بلبانا » (Bilaena) (Bilbana) (Bilana) احدى مدن « الجرهائيين » (Gerraei)[٨] ومواطن قبيلتى « Gaulopes » و « Chateni » على سواحل خليج سماه « بلينيوس » (Sinus Capeus) « خليج كبيوس » . ويرى « شبرنكر » أنه « خليج القطيف »[٩] ، ويذكرنا اسم قبيلة Chateni

---

(١) « الطف » بالفتح والفاء مشددة . البلدان ٦/٥١ . وهبة ٦٨ .

(٢) وهبة (٦٨) . Handbook, Vol, 1. P, 298

(٣) وهبة ٧٢ــ٧٣ ، البلدان ٦/١٩٨ . Handbook, Vol, 1. P, 308, Chesman PP. 27

وكانت هجر قصبة بلاد البحرين البلدان ٨/٤٤٦ .

(٤) « الجرعاء » . Forster, Vol, 2. P, 217 « Gerraei » Glaser. Skizze. 2. Vol, 75.

(٥) Strabo, Vol, 3. P. 186, 187.

(٦) Forster. Vol, 2. P, 217.

(٧) Forster, Vol, 1., P. 196, 197, 291. Vol, 2. P. 220 مقالة « كورنوال » (Cornwall) فى مجلة : National Geographical Magazine. Aprill 1948.

(٨) Forster, Vol, 2. P, 216 Glaser. Skizze. 2. P, 74.

(٩) Ency. Vol, 2. P, 821.

باسم « الخط » ، ويطلق فى العربية على سيف البحرين كله[1] ، وربما كان « كيبيوس » الذى سمى الخليج به هو تحريف « Cateus كيتيوس » الذى يشير بكل وضوح الى اسم « القطيف »[2] .

وأما جزيرة « تاروت » الصغيرة التى فى هذا الخليج ، فالظاهر أنها جزيرة « Thar »أو « Taro »او « Ithar » فى جغرافية بطلميوس[3] . وفيها مدينة دارين ، ويظهر أنها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة ، ولعلها كانت معبدا للاله « عشتاروت » اشتهرت به ثم حذف المقطع الأول من اسم الاله اختصارا وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين ، وهما « تاروت » .

والقسم الأكبر من أرضى الكويت منبسط ، وأكثر السواحل رملى ، عدا بعض الهضاب أوالتلال البارزة . وفى المحلات التى تتيسر فيها المياه تتوافرالزراعة ، وأكثر مايزرع هناك النخيل . وليس فى الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد أو نهير يقال له « المقطع » يصب فى البحر . ومشكلة ماء الشرب من أهم المشكلات فى هذه الامارة ، لأن ماء أغلب الآبار ملح أجاج ، ولذلك يضطر الأغنياء الى جلب المياه من شط العرب[4] . ومن أشهر مدن هذه الامارة مدينة « الكويت » وهى العاصمة ، وهى على ساحل الخليج ، و « جهرة » وهى فى منطقة زراعية خصبة ، ذات آبار على مقربة من خليج الكويت[5] . ويظن أن الخندق الذى أمر بحفره « سابور ذو الأكتاف » ليحمى السواد من غزو الأعراب كان ينتهي في البحر عند « خليج كاظمة » فى شمال الامارة[6] .

وأرض الكويت مثل سائر أرض العروض كانت موطن شعوب قديمة ، فيظهر أن « Bukäe» أو « Abucaei » أو « Abukae » ، وعاصمتهم مدينة « Coromanis » هم أسلاف بنى عبدالقيس ، وأن « Coromanis » المصدر اللغوى الذى اشتق منه

---

(١) البلدان ٣/٤٤٩ ، المفضليات ص ٢٤٥ .

(٢) Forster, Vol, 2. P, 216.

(٣) Forster. Vol, 1. P, 298, 301. Vol, 2. P, 216, 217, 220. Glaser, Skizze 2. P, 76.

(٤) وهبة ص ٧٦ . Handbook. Vol, 1. P, 285. Ency. Vol, 2, P, 1173.

(٥) Handbook. Vol, 1. P, 296. « الجهرة » وهبة ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ومواضع أخرى .

(٦) Ency, Vol, 2. P, 1173.

« القرين » الاسم القديم للكويت[١] .

ولعل « Idicare » هي « قارة » من مواضـــع الكويت[٢] وأن « Jucara » هي « الجهرة » من أخصب مناطق الكويت في الوقت الحـاضر ومن المواضع المأهولة قبـــل الاســـلام[٣] .

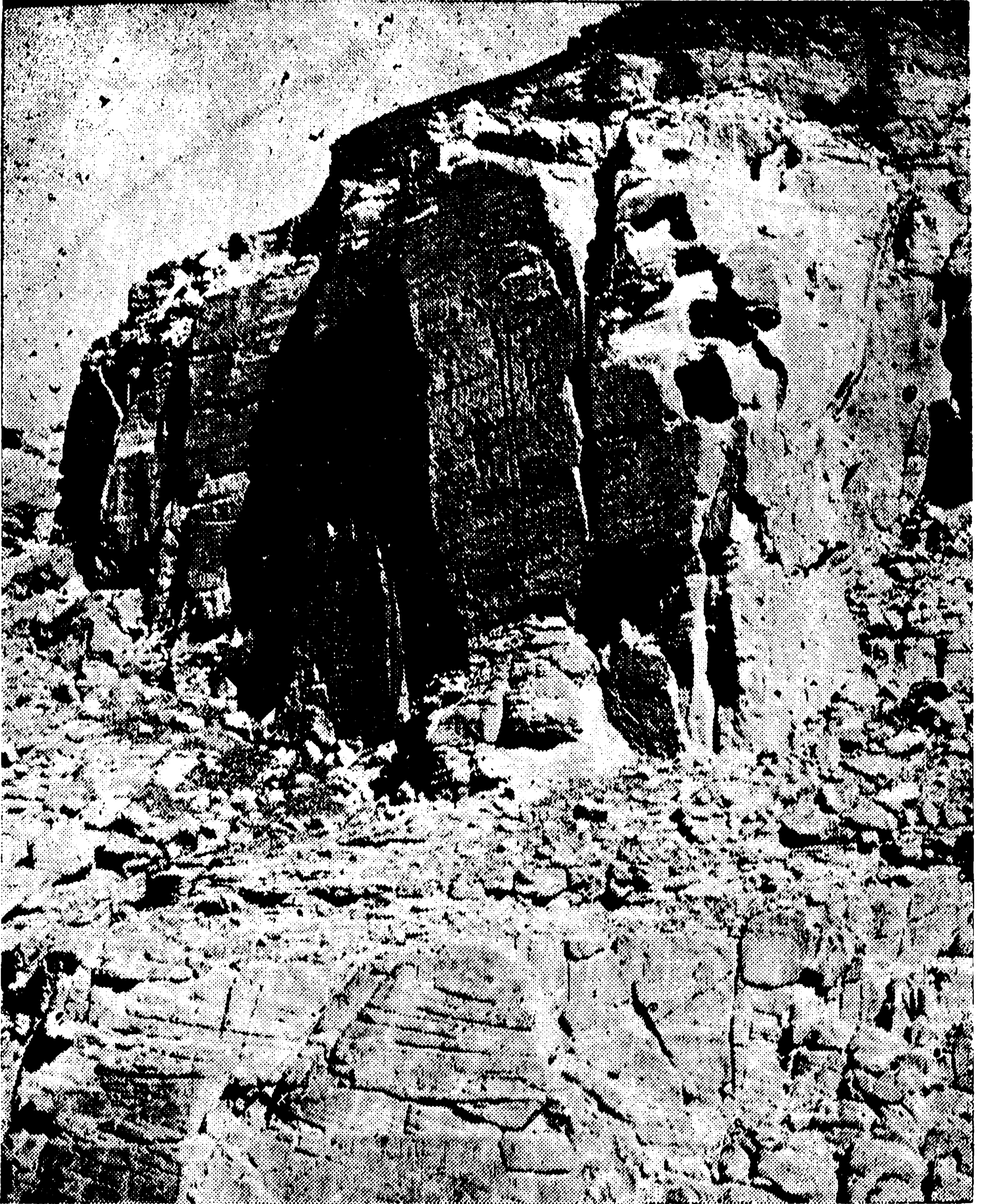
اليمـامـــة :

وأما اليمامة فكانت تعرف بجو أيضا[٤] ، وقد عدها ياقوت من نجد[٥] وقاعدتهـا « حجر » تقع في وسط بلاد العرب . وقد اشتهرت في الكتب العربية بأنها موطن طسم وجديس ، وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الاسلام . منها قرية « منفوحة » ، وبها قبر كان ينسب للشاعر الأعشى[٦] . وسدوس من المدن القديمة وبها الآن آثار كثيرة ، وقد عثر فيهـا على تمثـال يبلغ قطره ثلاث أقـدام ، وارتفـاعه ٢٢ قدمـا[٧] . والقرية[٨] وعلى مقربة منها بئر ، قال الهمداني ـ وهو يتحدث عنهـا ـ : « فان تيامنت شربت ماءا عاديا يسمى قرية ، الى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد تجر »[٩] . والظاهر أن هذا الموضع كان من المواضع الكبيرة المعروفة ذكر ياقوت وغيره أن اليمامة « كانت تسمى جوا والقرية »[١٠] ولا يعقل تسمية اليمامة بالقرية لو لم يكن لهذا الموضع شهرة .

وقد نشر « فلبي » وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية الأمريكية صورا فوتغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقـال له « قرية الفـأو » على الطريق

---

(١) Forster. Vol, 2. 213. تأريخ الكويت ١/٢٣ لعبدالعزيز الرشيد (بغداد ١٩٢٦)
(٢) Forster. Vol, 2. P, 214. وهبة ص ٧٩
(٣) Forster. Vol, 2. P, 214.
(٤) صفة ١٦١ ، البلـدان ٨/٥١٦ ، « واليمـامة القرية التي قصبتهـا حجـر كان اسمها فيما خلا جوا . وفي الصحاح كان اسمها الجو » . لسان العرب ١٥/١٣٥ .
(٥) البلدان ٨/٥١٦ . (٦) البلدان ٨/١٨٢ ، صفة ١٦٢ .
(٧) وهبة ص ٥١ . راجع وصف « فلبي » لسدوس في كتابه :
Arabia of the Wahabis. P. 77.
(٨) البلدان ٧/٧٦ ، ٧٧ . (٩) صفة ص ١٥٢ .
(١٠) البلدان ٨/٥١٦ . وقد نزل بها بنو سدوس بن شيبان بن ذهل ، ولذلك قيل لها « قرية بني سدوس » . قال ياقوت : « قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل وفيها منبر وقصر يقال ان سليمان بن داوود عليه السلام بناه من حجر واحـــد من أوله الى آخره ، وهي أخصب قرى اليمامة لها رمان موصوف ، وربمـــا قيل لهـا القرية . » . البلدان ٧/٧٦ ، كذلك ٥/٤٦ .



صورة أخرى من الصور التي أخذت لآثار قرية الفأو في المملكة العربية السعودية . وقد أهداها لي صديقي « الدكتور جورج ماثيوس » صورت في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ .

الموصلة الى نجران • ويقع على مسافة (٧٠) كيلومترا من جنوب ملتقى وادى الدواسر بجبل طويق ، وعلى مسافة (١٢٠) كيلومترا من شرقى « نجران »[1] • وعلى ثلاثين ميلا من جنوب غربى « السليل » فى وادى الدواسر[2] ، كما وجدوا آثار أبنية ضخمة يظهر أنها بقايا قصور كبيرة ، ووجدوا كهفا منحوتا فى الصخر مزدانا بالكتابات والتصاوير واسعا يقول له الناس هناك « سردبا » أو « سردابا » • وعند هذا الموضع عين ماء وآبار ماء قديمة ، وقد كتب اسم الصنم « ود » بحروف بارزة كما يظهر فى الصورة المنشورة فى هذا المكان • وتدل كل الدلائل على أن الموضع الذى تتغلب عليه الطبيعة الصحراوية فى الوقت الحاضر كان مدينة ذات شأن[3] •

ولم أعثر ــ ويا للأسف ــ حتى الآن على تحقيق علمى لاسم هذا المكان ، ولعل « فلبى » أو غيره قد كتب عنه ، وذكر اسمه القديم ، ولم يصل خبره الى حتى الآن ، غير انى أرى أن هذا المكان الذى يقال له « قرية الفأو » أو « القرية » فى الوقت الحاضر ، هو الموضع الذى تحدثت عنه أى « القرية » أو « قرية بنى سدوس بن ذهل بن ثعلبة » كما سميت فى الكتب العربية[4] • وكان لأهميته يطلق اسمه وهو « القرية » على اليمامة بأسرها ، فالاسم والأوصاف الواردة فى هذه الكتب تنطبق على هذا المكان ، فهو على قرن

---

(١) The Geographical Journal, Vol, CXIII. June 1949. PP. 86-92. Le Muséon, LXII (1949), 1-2. PP, 87.
Sheba's Daughters, P, 430. The Empty Quarter, P. 17-177.
راجع أيضا ما كتبه « فلبى » فى بعض مؤلفاته عن هذا الموضع •

(٢) كتاب من الدكتور « جورج ماثيوس » تأريخه ٣٠ أغسطس ١٩٥٠م فى تعيين وضع المكان • « قرية موضع فى جنوب نجد ، فى الطريق بينه وبين نجران ، ويبعد عن نجران ٣٤٣ كم وعن الأفلاج الواقعة فى جنوب نجد « ٣٨٣ » كم [الأفلاج تبعد عن الرياض ٢٧٣ كم] ويقع بينها وبين الأفلاج العقيق ــ الموقع الذى ذكره الهمدانى فى صفة الجزيرة ، وأشار الى وجود جالية أجنبية فيه فى العهد القديم تشتغل بالتعدين ، وأشار الى معبد منحوت فى الصخر فى تلك الجهة • وبلغنى أن فى الجبال القريبة من « قرية » هذه ــ كتابات ونقوشا وصورا كثيرة • وقد مر بها المستر فلبى ، وتبعد عن العقيق ٩٤ كم فى جنوبه • ويبعد العقيق عن الأفلاج ٢٨٠ كم تقريبا » • كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ • « العقيق مدينة فيها مائتا يهودى ونخل كثير وسيوح وآبار • » صفة ١٥٢ • البلدان ٦/١٩٨ •

(٣) The Geographical Journal, CXIII. June 1949. P, 90. Philby, Sheba's Daughters. P, 430.

(٤) صفة ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ • البلدان ٥/٤٦ ، ٧/٧٦ ، ٨/٥١٦ •

جبل ، وفيه قصر مبنى بصخر منحوت ، وعلى مقربة منه آبار وعين ماء ، وهو على الطريق التى تصل العروض ونجدا بمنطقة نجران .

وقد ورد فى الكتب العربية اسم « الفأو » ويقال له الآن « فاو » بتخفيف الهمزة ، و « فو » ، أى باسقاط الهمزة . قال ياقوت : « فأو بعد الفاء همزة ساكنة ثم واو صحيحة .. قال أبو عبيد : الفأو ما بين الجبلين .. قال ذو الرمة :

حتى انفأ الفأو عن أعناقها سحرا

انفأ ــ انكشف ... قال الأزهرى : الفأو فى بيت ذى الرمة طريق بين قارتين بناحية الدو بينهما فج واسع يقال له فأو الريان ، وقد مررت به »[1] . وأما « السليل » فيقع الى الجنوب الشرقى من وادى الدواسر ومنخفضات المقرن والى جنوبه فيما وراء المرتفعات تمتد أطراف الصحراء[2] .

والكتابات التى عثر عليها فى « القرية » ذات أهمية ، لأنها أول كتابة باللهجات العربية الجنوبية عثر عليها فى هذه المواضع ، وتعود الى ما قبل الميلاد . وعثر فيها على مقابر ، وأدوات وقطع فخارية ظهر من فحصها أنها تعود الى القرن الثانى قبل الميلاد[3] . ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود الى السبئيين . والظاهر أن هذا الموضع هو بقايا مدينة قديمة كانت تتحكم فى الطريق التجارية التى تخترقها القوافل التى تقصد الخليج الفارسى والعراق من اليمن عن طريق نجران . وفى هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن تخربت قبل الاسلام . وقد ذكر الهمدانى أسماء كثيرة قال عنها انها من طسم وجديس ، أو من عاد ، أو من أعمال سليمان بن داوود ، أو من عمل جن سليمان[4] .

ورأى « برترام توماس » أن آبار « العويفرة » القريبة من القرية هى موضع « أوفير » « Ophir » الوارد ذكره فى التوراة والذى اشتهر بالذهب ، والطواويس ؛ وأن الاسم العربى القديم هو « عفر » ، وقد تحرف بالنقل الى العبرانية واليونانية فأصبح Ofar « أو « Ophir » ، وهذا الموضع قريب من مناجم الذهب[5] . وعلى كل حال

---

(١) البلدان ٦/٣٣٦ .

(٢) وهبة ص ٥٤ .

(٣) The Geogr. Journ. Vol. CXIII. June 1949. P, 92.

(٤) صفة ص ٤٠ وما بعدها .

(٥) The Empty Quarter, P, 177. Bertram Thomas, Arabia Felix. P, 163.

فان هذه الأرضين ويبرين ووبار وغيرها هى من المناطق التى يستحق الالتفات اليها وتجريد البعثات العلمية للتنقيب فيها ودراسة أحوالها والتطورات الطبيعية التى طرأت عليها .

والظاهر أن عامل الجفاف قد أثر كثيرا فى اليمامة وفى أواسط شبه الجزيرة ، فحول أكثر أرضيها الى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد فى الكتب أنها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومراع . ومن أوديتها « العرض » الذى يخترق اليمامة من اعلاها الى أسفلها ، ولما كان من الأودية الخصبة ، كثرت فيه القرى والزروع[١] . وهو واد طويل لعله من بقايا نهر قديم . و « الفقى » فى طرف عارض اليمامة ، تحيط به قرى عامرة تسمى « الوشم »[٢] و « وادى حنيفة » و « عرض شمام »[٣] ، وفى اليمامة مرتفعات مثل « جبل شهوان » تخرج منه عيون ومياه[٤] ، و « عارض اليمامة » ويبلغ طوله مسيرة أيام وتكون عند سفوحه الآبار[٥] . وتعد « الافلاج » من المناطق التى تكثر فيها المياه وتصب فيها أودية العارض وفيها السيوح الجارية والجداول التى تمدها العيون . وقد ذكر الهمدانى من سيوحه « الرقادى » و « الأطلس » و « نهر محلم » ، قال : ويقال انه فى أرض العرب بمنزلة نهر بلخ فى أرض العجم[٦] . وطبيعى أن يكثر فيها وجود الخرائب العادية التى تعود الى ما قبل الاسلام . وقد وصف الهمدانى بعض التحصينات القوية فقال عنها : انها من عاديات طسم وجديس ، مثل « حصن مرغم » و « القصر العادى » بالأثل[٧] ، ويرجع فلبى الخراب الذى حل باليمامة الى العوامل الطبيعية ، ومنها فيضان وادى حنيفة[٨] .

نجـــد :

نجد فى الكتب العربية « اسم للأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن ،

---

(١) البلدان ٦/١٤٦-١٤٧ ، ٨/١٨٢ . صفة : ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ويقال له أحيانا عرض حجر .
(٢) « الوشم » بالفتح ثم السكون البلدان ٨/٤٢٤ ، صفة ١٦٣ .
(٣) البلدان ٦/١٤٧ .
(٤) البلدان ٧/٣٨٦ .
(٥) البلدان٦/٣٨٩ ، « عارض » « عارض‌اليمامة » البلدان ٦/٩٣ « العارض » وهبة ٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ومواضع أخرى صفة ص ١٦٣ .
(٦) صفة ص ١٦٠ .
(٧) صفة ص ١٦٠ .
(٨) Ency. Vol, 4. P, 1155. Philby, The Heart of Arabia, Vol, 2. P, 31-34.

وأسفلها ، العراق والشام»[١] . وحد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز ، وما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجـد الى أطراف العراق وبادية السماوة[٢] . وليست لنجد فى هـذه الكتب حدود واضحة دقيقة ، وهى بصورة عامة الهضبة التى تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لهـا فى الانكليزية « The Heart of Arabia »[٣] . وتتخلل هـذه الهضبة أودية وتلال ترتفع عن سطح هذه الهضبة بضع مئات من الأقدام ، وتتألف حجارتها فى الغالب من صخور كلسية ومن صخور رملية ومن صخور غرانيتية فى بعض المواضـع . وأعلى أرضيها هى أرضو نجد الغربية المحاذية للحجاز ، ثم تأخذ فى الانحدار كلمـا اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض .

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاثة :

(١) منطقة وادى الرمة ، تتألف أرضيها من طبقات طباشـيرية فى الشـمال وحجارة رملية فى الجنوب ، وتغطى وجه الأرض فى بعض أقسامها طبقـات مختلفـة السمك من الرمال . وتتخللها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفـة ، ولكنها ليست بعيدة فى الجملة عن سطح الأرض ، وتتسرب اليها المياه من المرتفعات التى تشرف عليها وخاصة من جبل شمر[٤] ، ومن الحرار الغربيـة التى تجود على الوادى بالمياه . ويختلف عرض وادى الرمـة فيبلغ زهاء ميلين فى بعض المحلات ، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء (٥٠٠) ياردة ، وتصل مياه السيول الى ارتفاع تسعة أقـدام فى بعض الاوقات[٥] .

(٢) المنطقة الوسطى ؛ وهى هضبة تتألف من تربة طباشيرية ، متموجة ، تتخللها أودية تتجه من الشمال الى الجنوب . وبها « جبل طويق » ، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية ، وحجارة رملية ، ويرتفع زهاء (٦٠٠) قدم عن مستوى سطح الهضبة . وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه فى مواسم الأمطار ، فتصل الى الربع الخالى ؛ حيث تغور فى الرمال . ويمكن اصلاح قسم كبير من هذه المنطقة ، ولا سيما الأقسـام

---

(١) البلدان ٨/٢٥٨ فما بعدها .
(٢) صفة ص ٤٨ .
(٣) K. S. Twitchell, Saudi Arabia, P, 6 Stamp, P, 137.
(٤) وهبة ص ٦٠ .
(٥) Handbook, Vol, I, P, 349.

الواقعة عند حافات وادى حنيفة[١] .

(٣) المنطقة الجنوبية وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدريج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى الى الصحارى فى اتجاه الجنوب . وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار ، مثل « الحريق » و « الخرج » ، ويرى الخبراء أن مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادى حنيفة . ومن مناطقها المشهورة « الأفلاج » و « السليل » و « الدواسر » ، وفى جنوب هذه المنطقة تقل المياه ، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحقاف .

ويقسم علماء العرب نجدا الى قسمين : نجد العالية ، ونجد السافلة . أما العالية فما ولى الحجاز وتهامة[٢] . وأما السافلة فما ولى العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات لا سيما فى « الشربة » جنوب « وادى الرمة » وفى « وجرة »[٣] .

---

(١) Ency. Vol, 3. P,, 894. Handbook, Vol, I. P, 349.

(٢) البلدان ٨/٤٠١ ، تأريخ نجد ص ٨ .

(٣) Ency. Vol, 3. 895. Philby, The Heart of Arabia, I, 115.

الفصل الثالث

صلات العرب بالساميين

الســـاميون :

لاحظ المعنيون بلغات الشرق الأدنى وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والآشورية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارمية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها ، فهى تشترك أو تتقارب فى جذور الأفعال ، وفى تصاريف الأفعال ، وفى زمنى الفعل الرئيسين ، وهما : التام والناقص ، أو الماضى والمستقبل ، وفى أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والأعداد وبعض أسماء أعضاء الجسم[١] ، وفى تغير الحركات فى وسط الكلمات الذى يحدث تغيرا فى المعنى ، وفى التعابير التى تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين[٢] ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الأقوام ، وأطلقوا على ذلك الأصل أو الوحدة « الجنس السامى » « Shemites» «Semites » و « Semitic Race »[٣] ، وعلى اللغات التى تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب « اللغات السامية » Semitic Languages[٤] .

---

(١) حتى ص ١٠ James Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol, II. PP. 378 (1934). Zimmern, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen. Berlin, 1898. P, 82 ff.

(٢) Ency. Brit. 20. PP, 315-317.

(٣) Leland W. Parr, An Introduction To The Anthropology of the Near East. Amsterdam 1934. P, 43.

(٤) Hommel, Grundriss, Vol, 1 P, 17. Ency. Brit. Vol, 20 PP, 314. Eichhorns Geschichte der Neueren Sprachenkunde, 1 abt. Gött. 1807.

و « سامى » نسبة الى سام بن نوح الوارد ذكره فى التوراة[١] ، دخلت الى الأوربيين بالترجمة اللاطينية للتوراة[٢] ، وأطلقها العالم النمساوى « Sehlozer »[٣] لأول مرة على تلك الشعوب التى زعم أنها تنحدر من صلب « سام Shem » ، أطلقها عام ١٧٨١ للميلاد فشاعت منذ ذلك الحين ، وأصبحت عند العلماء علما لهذه المجموعة من الشعوب[٤] .

وقد أخذ « آيشهورن Joh. Gotter Eichhorn » هذه التسمية فأطلقها اصطلاحا على الشعوب الآسيوية الغربية المقيمة فى الهلال الخصيب وفى شبه جزيرة العرب ، وسعى لتعميم استعمالها بين العلماء[٥] . وقد أطلقت فى أيامه على الارميين والكنعانيين والعرب[٦] . وفى عام ١٨٦٩ للميلاد قسم العلماء اللغات السامية الى مجموعتين : المجموعة السامية الشمالية ، والمجموعة السامية الجنوبية[٧] . وتتألف المجموعة الشمالية من العبرانية والفينيقية والارمية والا شورية والبابلية والكنعانية . وأما المجموعة الجنوبية ، فتتألف من العربية والحبشية[٨] . وعم استعمال هذا الاصطلاح بينهم وأصبح موضوع « الساميات » من الدراسات الخاصة عند المستشرقين تقوم على مقارنات وفحوص « أنتولوجية » و « بيولوجية » فضلا عن الدراسات التأريخية واللغوية والدينية[٩] .

ولا يستند التقسيم الوارد فى التكوين للبشر ، الى أسس علمية أو عنصرية

---

(١) التكوين ، الاصحاح العاشر ، آية ١ ، ٢١ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٥٣١ .
(٢) حتى ص ٩ .
(٣) « August Ludwig Schlözer »راجع : Hommel, Grundriss, 1. P, 76
(٤) Ency. Brit. 20. PP, 314. The Universal Jewish Encyclopedia Vol, 4. P, 473. Hastings. P, 845.
(٥) Eichhorn, Geschichte der Neueren Sprachenkunde 1 abt. Götltngen, 1807. Sprachen der Semiten in Westasien. S, 403-672.
(٦) Hommel, Grundriss, 1. P, 76 Eichhorn, P, 405.
(٧) Hommel, Grundriss, 1 P, 76. Eberhard Schrader, in De Wette, Lehrb. der Hist. Krit einl. ins A.T. 8 aufl. Berlin 1852. S. 76.
(٨) Theodor Benfey, Geschichte der Sprachwissenschaft München 1869. P, 693. Stade, Lehrbuch der Hebräischen Grammatik, Leipzig. 1879. S, 2.
(٩) S.H. Hooke, The Origins of Early Semitic Ritual. London. 1938. Hommel, Grundriss, 1. PP, 84.

صحيحة ، بل بنى ذلك على اعتبارات سياسية(١) فحشر فى السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين « Elam» و « لود »(٢) « Lud » « Ludim » وأقصى منها جماعة كان من الواجب ادخالها فى هذه الزمرة مثل الفينيقيين والكنعانيين(٣) . ويرى « بروكلمن » أن العبرانيين كانوا قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام لأسباب سياسية ودينية(٤) ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية(٥) .

وقد قسم علماء الساميات اللغات السامية الى مجموعات جعلها قسم منهم أربعا هى المجموعة السامية الشرقية ومنها البابلية والآشورية والمجموعة الشمالية ، ومنها الأمورية والارمية ؛ والمجموعة الغربية ، ومنها الكنعانية والعبرانية والموآبية والفينيقية ؛ والمجموعة الجنوبية ، ومنها المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والأمهرية(٦) . ويلاحظ أن واضعيها لم يراعوا فى وضعها التطورات التأريخية التى مرت بها هذه اللغات مراعاة تامة .

وقد اندفع العلماء بعد اعترافهم بنظرية الجنس السامى يبحثون عن المهد الأصلى للساميين(٧) . وقد ذهبوا فى ذلك مذاهب ، فرأى نفر منهم أن أرض بابل كانت المهد الأول للساميين ، ورأى آخرون أن جزيرة العرب هى المهد الأول لأبناء سام ، وذهب فريق ثالث الى أن افريقية هى وطن الساميين الأقدم لما لاحظوه من وجود صلة بين اللغات السامية والحامية ، وذهبت جماعة أخرى الى أن ذلك الوطن هو فى أرض « الأموريين » بينما نظر آخرون الى أرض أرمينية على أنها وطن الساميين الأول . وهكذا تعددت

---

(١) George Aaron Barton, Semitic and Hamitic Origins. London 1934. P, I. وسأشير اليه بـ Barton

(٢) التكوين ، الاصحاح العاشر ، آية ١ فما بعدها . Hastings. P, 845. Ency. of Relig. and Ethi. Vol, II PP, 378.

(٣) Barton, P, I. Hastings. P, 845.

(٤) السامية ٢ Brockelmann, Sprachwissenschaft. P, 15.

(٥) السامية ٢ .

(٦) Ency. Brit. 20-316. Gesenius, Geschichte der Hebräischen Sprache Und Schrift. Gobineau, Graf Arthur, (Germ. tran). Die Ungleichheit der Menschenrassen, Berlin. P, 180.

(٧) Hommel, Grundriss, I. P, 80.

آراؤهم ، ولكل فريق حجة وبرهان •

أما القائلون بأن الموطن الأصلي للشعوب السامية هو أرض بابل أو مكان آخر في العراق ، فانهم من المتأثرين برواية العهد القديم ، القائلة بأن أقدم ناحية عمرها بنو نوح هي أرض بابل[1] • ومن أشهر القائلين بها أو المدافعين عنها « فون كريمر » و « كويدى » ، وقد كتب كل واحد منهم في بيان وجهة نظره وفي الطريقة التي توصل بها الى هذا الرأي[2] • فتوصل « فون كريمر » الى رأيه هذا من دراسة الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية ، وقد زعم في الأخير أنه رأى أن اسم « الجمل » هو اسم تشترك فيه جميع اللغات السامية • أما النخيل وأسماء التمور أو النعامة ، فانها ليست مشتركة بين هذه اللغات • ولما كان الموطن القديم للجمل هو الهضبة المركزية التي في آسية على مقربة من نهر سيحون ونهر جيحون ، فقد عدت هذه المنطقة الموطن الأصلي للساميين الذين اضطروا بعد ذلك الى تركها واجتياز ايران والمناطق المأهولة بالشعوب « الهندو أوربية » ، والالتجاء الى بابل التي أصبحت أقدم وطن لهم[3] •

وسار « كويدى » على هذه الطريقة التي سار عليها « فون كريمر » في دراسة الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات ، ولكن بصورة مستقلة عنه ، فتوصل الى هذه النتيجة : وهي أن اقليم بابل هو الموطن الأول للساميين ، وان قدماء الساميين وأجدادهم الأوائل كانوا يسكنون في الأرضين الواقعة في جنوب بحر قزوين وفي جنوب شرقيه قبل مجيئهم الى أرض بابل[4] •

ونشر « هومل » في عام ١٨٧٩ للميلاد رأيه في الموطن الأصلي للساميين ، فذكر أن اقليم بابل هو الموطن الأصلي للجنس السامي ، ثم بين بعد ذلك أن هذا الموطن هو في

---

(١) السادية ٤ حتى ١٠ ، راجع رأي جرجي زيدان في مجلة الهلال الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ص ٣١٦-٣١٧ •

(٢) Barton, PP, 2. Ency. of Relig. and Ethi Vol, II P, 379.

(٣) Von Kremer, Semitische Culturen Entlehnungen aus Pflanzen Und Thierreiche. in Das Ausland. Vol, IV, Note I. Und. 2.

(٤) Guidi, Della Sede Primitiva dei Popoli Semitici. Roma 1879 Wright, Comparative Grammer of the Semitic Languages. P, 5. Barton. P, 3. Hommel, Grundriss, I. P, 80.

شمال العراق ، ثم رجع مرة أخرى الى رأيه الأول[١] . وعنده أن قدماء المصريين كانوا من أصل سامي تفرع من هذه الشجرة ، وان المصريين أخـــذوا حضارتهم من البابليين الذين استوطنوا مصر واستعمروها[٢] .

وعارض « نولدكه » هذه النظرية التى تعتمـــد على المقابلات والموازنات اللغوية معارضة شديدة مبينا أن من الخطأ الاعتماد فى اثبات حقائق علمية كهذه على جملة كلمات لم يثبت ثبوتا قطعيا أن جميع الساميين أخذوها من العراق ، وأورد جملة أمثلة اختلف فيها الساميون مع أنها أجدر المعانى بأن يكون لها لفظ مشترك فى جميع اللغات السامية[٣] .

وأما القائلون بأن الموطن الأصلى لجميع الســاميين هو جزيرة العرب ، فكان من أولهم « شبرنكر » عام ١٨٦١م . فقد رأى أن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما منطقـــة نجد ، هو المكان الذى يجب أن يكون موطن الساميين ، وهو الذى جهز الهلال الخصيب بالسكان وطبعه بهذا الطابع السامى . من هذا المخزن خرجت طبقات من البشر بعضهـــا فوق بعض ، وسكنت فى هذه الأرضين التى اتسمت بالسمة السامية ، ولا تزال تحتفظ بسمتها هذه حتى اليوم[٤] .

وأيد هذه النظرية « سايس » الذى قال : ان جميع الروايات والآثار السامية تشير الى أن جزيرة العرب هى الوطن الأول الذى ظهر فيه الساميون[٥] . وأيدها آخرون من العلمـــاء أمثـــال « أبرهرد شـــرادر »[٦] و « دى كوية »[٧] و « هوبرت كرمة »[٨]

---

(١) Barton, P, 3. Hommel, Die Namen des Säugthiere bei den Südsemitischen Völkern, Leipzig. 1879. P, 406. DieSemitischen Völkcrn Und Sprachen. 1881. Vol, 1. P, 20. 63.

(٢) Barton, P, 3. Hommel, Grundriss, 1. P, 10-11.

(٣) Nöldeke, Semitischen Sprachen, Leipzig. 1887, P, 3 ff. 2 ed. 1899. Ency. Brit. 9 th. ed. Article. Semitic Languages.

(٤) Barton, P, 4. A. Sprenger, Das Leben Und Lehre des Mohammad, Berlin. 1861 Vol, 1. PP, 241. Alte Geographie Arabiens, 1875. PP, 293.

(٥) Sayce, Assyrian Grammer, 1872. P, 13. Barton. P, 4.

(٦) Eberhard Schrader, in ZDMG. XXVII, (1873). 397-424. « Die Abstammung der Chaldaer Und die Ursitz der Semiten. »

(٧) De Goeje, Het Vaderland der Semitische Volken. Barton, P, 5. Wright, Comparative, Grammer of the Semitic Languages, P, 8.

(٨) Barton, P. 5. Hubert Grimme, Mohammed, Weltgeschichte in Karakterbildern,,1904, PP, 6-8.

و « كارل بروكلمن »[1] و « كينك »[2] و « جون • ل • ماير »[3] و « كوك »[4] •
ومال الى ترجيحها « دتلف نلسن » من الباحثين فى التأريخ العربى قبل الاسلام[5] •

ويمكن تلخيص البينات التى استند اليها هؤلاء العلماء لاثبات نظريتهم هـــذه فى الأمور الآتية[6] :

(١) لا يعقل أن ينتقل سكنة الجبال والزراعون من حياة الحضارة والاستقرار الى البداوة ، بل يحدث العكس • ولما كانت الشعوب السامية قد قضت فى أطوارها الأولى حياة بدوية ، فلا بد أن يكون وطنها الأول وطنا صحراويا ، وجزيرة العرب تصلح أن تكون ذلك الوطن أكثر من أى مكان آخر •

(٢) وثبت أن معظم المدن والقرى التى تكونت فى العراق أو الشام انما كونهـا عناصر بدوية استقرت فى مواضعها ، واشتغلت فى اصلاح أرضيها وعمرانها ، واشتغلت بالتجارة ، فنشأت من ذلك تلك المدن والقرى • ولما كانت أكثر هذه العناصر البدوية قد جاءت من جزيرة العرب ، فتكون الجزيرة قياسا على ذلك الموطن الذى غذى الشـــرق الأدنى بالساميين ، وأرسل عليها موجات متوالية منها •

(٣) ثم ان هنالك أدلة دينية ولغوية ، وتأريخية وجغرافية ، وكل هذه تشـــير بوضوح الى أن جزيرة العرب هى مهد السامية ووطن الساميين[7] •

ولم يوافق على هذه النظرية طائفة من علماء الساميات ، وعندهم أن هذا كله لا يدل يقينا على أن الجزيرة العربية كانت هى المهد الأصلى للأمم السامية ، وأنه من المحتمل أن يكون موطن السامية الأول فى مكان آخر ، وهـــذا المكان قد يكون افريقيـــة أو

---

(١) Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprache, Berlin, 1908. 1, 2.

(٢) L.W. King, History of Sumer and Akkad, London, 1915, P. 119.

(٣) John L. Meyers, in Cambridge Ancient History, Cambridge, 1923, 1. 38. Barton, P. 6.

(٤) S.A. Cook, in Cambridge Ancient History, I, 192 f.

(٥) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarbischen Altertumskunde, 1, Kopenhagen, Paris, Leipzig. 1927. P, 47. 55.

(٦) من القـــائلين بأن جزيرة العرب هى مهد الســـاميين « روبرتسن سميث » Kinship and Marriage in Early Arabia, P, 178.

الهلال نيسان ١٩٠٦ ج ٧ سنة ١٤ ص ٣٩٩ •

(٧) Barton. P, 5.

أرمينية . ومن هؤلاء الذين قالوا ان افريقية هى الوطن الأول للساميين « بلكريف » ، وقد بنى نظريته هذه على وجود تشابه فى الملامح ، وفى الخصائص الجنسية ، وصلات لغوية بين الأحباش والبربر والعرب دفعته الى القول بأن الوطن الأصلى للساميين هو افريقية(١) .

وذهب الى هذا الرأى نفسه « جيرلند Gerland » مستندا الى الدراسات « الفيزيولوجية » مثل تكوين الجماجم ، والبحوث اللغوية . وقد زعم أن شمال افريقية هو الموطن الأصلى للساميين ، وادعى ان الساميين والحاميين من سلالة واحدة ودوحة تفرعت منها جملة فروع ، منها هذا الفرع السامى الذى اختار الشرق الأدنى موطنا له(٢) .

وهنالك نفر آخر من العلماء أيدوا هذه النظرية ودافعوا عنها أو استحسنوها مثل « برتن »(٣) و « نولدكه »(٤) و « موريس جسترو »(٥) و « كين » و « ربلى »(٦) وغيرهم . ولكنهم اختلفوا فى تعيين المكان الذى نبت فيه الساميون أول مرة فى القارة الافريقية ، واختلفوا كذلك فى الطريق الذى أوصل الساميين الى شبه جزيرة العرب(٧) . فاختار « برنتن » شمال غربى افريقية ، ولا سيما منطقة جبال « الأطلس » فجعلها الموطن الأصلى للساميين(٨) .

---

(١) Ency. Brit. 9 the ed. Article « Arabia » Barton. P, 6. Ency. of Relig. and Ethi. Vol, 11. P, 380

(٢) Ency. of Reli. and Ethi. Vol, 11 P, 380. Barton P, 6. Iconographic Ency. Art. « Ethnography ».

(٣) Bertin, Journal of the Antropological Institute, XI, 431 ff. (1882) Barton. P, 6.

(٤) Nöldeke, Die Semit. Sprache, P, 9. Ency. Brit. 9 the. ed. and 11 the ed. 1911. Article. « Semitic Languages ». Ency. of Relig. and Ethic. Vol, 11. P, 380.

(٥) Barton. P. 7. Brinton, The Cradle of the Semites, Philadelplhia. 1890. and his Races and Peoples, New York. 1890, P, 132.

(٦) Barton. P, 7. A Sketch of Semitic Origins, Social and Religious, ch. 1. New York. 1901.

(٧) Barton. P, 6-7. C.U. Ariens Kapper and Leland W. Parr. An Introduction to the Anthropology of the Near East. Amsterdam. 1934. P. 47.

(٨) Barton. P, 7. Brinton, Cradle of the Semites, Philadelphia, 1890. Races and Peoples. New York, 1890,. P. 132. Ency. of Relig and Ethi. Vol. 11 P, 380.

واختار آخرون افريقية الشرقية موطنا أول للساميين للعلاقات « الأثنولوجيـة » الظاهرة التى تلاحظ على سكان هذه المنطقة والساميين[١] ، وزعموا أن الساميين سلكوا فى عبورهم الى آسية أحد طريقين : اما طريق سيناء حيث هبطوا فى العربيـة الحجرية وأناخوا فيهـا مدة ثم انتشـروا منهـا[٢] ، واما طريق المنـدب حيث دخلوا العربيـة السـعيدة من مواضع مختلفـة من الحبشـة ومن أرض (Punt)[٣] وهى « الصومال الحديثة[٤] » . وقد أكسبتهم اقامتهم فى بلاد العرب خصائص جديدة ، ووسمتهم بسمات اقتضتها طبيعة الوطن الثانى ، ولكنها لم تتمكن من القضاء على الخصـائص الأولى التى تشير الى الوطن الأول قضاءا تاما[٥] ، ولا على الصلة بين اللغات الحامية والسامية . التى تشير الى الأصل المشترك كذلك .

وهـذه النظرية لا تخلو ـ على الرغم من دفاع بعض كبار علماء اللغات والأجناس عنها ـ من ضعف ، ومن مواطن ضعفها أنها غضت الطرف عن الاعتبارات التأريخية ، واستسلمت لدراسات لم يكتب لها النضج بعد ، فمن الممكن مثلا ارجاع ما لاحظه علماء اللغات من وجود صلات لغوية بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة الى عوامـل الهجرات السامية من شبه جزيرة العرب وعن طريق سيناء الى افريقية ، مثـل هجرة الهكسوس ، وهم من أصل سامى جاؤوا الى مصر من بلاد العرب . وقد ثبت أيضا من

---

(١) حتى ص ١٠ .

(٢) Barton, P, 6. Journal of the Anthro. Insti, XI, 431.

(٣) قياسا على طريقة تعريب الأسماء الأعجمية الى العربية يجب تعريب « Punt » « بفنط » ، وقد عربها بعضهم بكلمة « فوط » وتقابل كلمـة « فوط » كلمـة « Put » أو « Phut » الواردة فى التوراة على أنها مسكن ابن حام الثالث ، غير أن علمـاء التوراة لم يتفقوا حتى الآن على تعيين موضع « فوط » ، فذهب بعضهم الى أنهـا فى نواحـى طرابلس الغرب « ليبيا » ، ورأى آخرون أنهـا بين مصر و « كوش » ، أى السـودان أو الحبشة ، وربما كانت نوبيا الجنوبية ، وهنـالك آراء أخرى ، فلا أرى من الصحيح تسمية « Punt » بفوط نظرا الى هذا الاختلاف . راجع عن « فوط » أرميا ، اصحاح ، ٤٦ آية ٩ وحزقيال اصحاح ، ٢٧ آية ١٠ و ٣٠ آية ٥ و ٣٨ آية ٥ ، ناحوم اصحاح ٣ آية ٩ . قاموس الكتاب المقدس ٢/١٨٨ . Hastings. P, 777. Ency. Bibl. P, 3984. عربت فى ترجمة « تاريخ العرب » للدكتور حتى « بفوط » ص ٤٢ .

(٤) حتى ص ٤٢ .

(٥) Barton, P, 8.

تحقيقات العلماء أن كثيرا من الأسماء المصرية القديمة التى كانت تطلق على الأقسام الشرقية من الديار المصرية هى أسماء سامية • واذا سوغ علماء النظرية الافريقية لأنفسهم الاستدلال على افريقية الساميين من وجود القرابة اللغوية بين اللغة المصرية مثلا واللغات السامية ، فان من الممكن ارجاع هذه القرابة الى اثر تلك الهجرات السامية فى اللغة المصرية •

وأما تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند ، فلا يكون دليلا على هجرة الساميين من افريقية عن طريق الحبشة الى جزيرة العرب ؟ اذ يجوز العكس ، وقديما هاجر الساميون من العربية الجنوبية الى الحبشة • والساميون هم الذين كونوا دولة « أكسوم » التى كانت تتكلم باللغة « الجعزية » وهى لغة سامية ، كما أن قلمها الذى يشبه القلم المسند هو وليد القلم العربى الجنوبى • وكتابات « يها » المكتوبة بالمسند ، فى حد ذاتها دليل على أثر العرب الجنوبيين فى الافريقيين « الكوشيين » ، وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة الى كتابات السبئيين[١] ، كما يمكن اعتبار تشابه أسماء بعض الأماكن القديمة فى الحبشة مع نظائر لها فى اليمن ووجود معبد فى الحبشة خصص للصنم « المقه » اله سبأ العظيم[٢] ، وأمور أخرى دينية ولغوية وأثرية ، واعتراف الأحباش بأنهم من نسل ملكة سبأ « بلقيس » « ماقدة »[٣] من « سليمان الحكيم » ، وأن « حبشت » التى أخذ الأحباش منها اسمهم فى اللغة العربية هى مقاطعة تقع فى العربية الجنوبية على رأى أكثر العلماء[٤] ، وأن « الأجاعز » أصحاب اللغة الجعزية أقدم من هاجر من اليمن الى الحبشة • ووجود صلات قديمة بين الساحلين الافريقى والعربى ، اذا نظرنا الى كل هذه الأمور نظرة علمية دقيقة ، نجد أنها تجعل أمام القائلين بأن أصل الساميين من افريقية صعوبات ليس من السهل التغلب عليها ، ولا سيما اذا أضفنا اليها الأثر الذى تركته اليهودية والنصرانية فى الأحباش وفى الشعوب الكوشية

---

(١) Müller, Epigraphische Denkmäler aus Abessinien. Glaser, Die Abessiner in Arabien Und Africa. München. 1895.

(٢) Ditlef NIELSEN, Der Sabäische Gott Ilmukah. P, 1. D.H. Müller. Epigraphische Denkm. S, 57.

(٣) Ency. Vol, 1. P, 720. E. LITTMANN, The Legend of the Queen of Sheba in Tradition of Axum. in Bibliotheca Abessinca.

(٤) Ency. Vol, 1. P, 119. Conti Rossini, Note Sugli Habashat. Roma, 1905.

الأخرى ، فقرب ثقافتها من الثقافة السامية وأثر فى لغتها ، وهو أثر يجب أن يقــام له وزن عند بحث هذا الموضوع •

ومن القائلين ان المهد الأصلى للساميين هو أرض ارمينية ، « جون بيترس »[١] ، وحجته فى ذلك أن هــذا المحل هو أنسب مكان يتفق مع رواية التوراة فى الطوفان ، وهو المحل الأصلى للأمم السامية والآرية[٢] • ثم ان الأنف الحثى يشبه كل الشبه الأنف العبرانى ، وفى هذه الســمة دلالة على المكان ، وقد نسى أن العرب - وهم من الساميين - لم يرزقوا هذا الأنف[٣] •

وذهب « كلى » الى أن الوطن الأصلى للساميين هو أرض « أمورو » « Amurru » « الأموريون » ، وتشمل هذه الارض ، فى رأيه ، الشام ومنطقة الفرات[٤] • من هذه المنطقة هاجر الساميون ، وقد توصل الى نظريته هذه من الدراسات اللغوية[٥] • ولكنها لا تستند فى الواقع الى أدلة قوية • والأموريون هم من الشعوب السامية القديمة التى سكنت فى فلسطين والشام واقليم بابل[٦] •

ظهر الساميون على مسرح الوجود فى الألف الثالثة قبل الميلاد[٧] ، وقد استقروا فى هذه الأرضين التى اصطبغت بالصبغة السامية ، وهى الهلال الخصيب وشــبه جزيرة سيناء وشبه جزيرة العرب ، حيث تعد اليوم المواطن الرئيسية للعناصر السامية •

الموجات الســـامية :

تصور العلماء الذين قالوا ان الجزيرة العربية هى مهد الجنس السامى ، بلاد العرب كخزان هائل يفيض فى حقب متعاقبة تبلغ الواحدة منها زهــاء ألف عام ، بمــا يزيد عن

---

(١) Journal of the American Oriental Society, XXXIX, 243-260. Barton, P, 8.

(٢) السامية ٤ •

(٣) Barton, P, 8.

(٤) Barton, P. 8. A.T. Clay, Amurru, the Home of the Northern Semites, Philadelphia, 1909. The Empire of the Amorites, New Haven, 1919. Ency. of Relig. and Ethi. 11-380.

(٥) Barton, P, 9.

(٦) Hastings. P, 27. Ency. Bibl, P. 146. Meissner, Altbab. Privatrecht, No. 42. Schrader, K.A.T. P, 178 ff.

(٧) Simon Dubnow, Weltgeschichte des Jüdischen Volkes, Bd, 1. P, 3.

طاقته من البشر الى الخارج ، يقذف بهم على صورة موجات قالوا لها الموجات السامية[١] .

وقد علل القائلون بنظرية الهجرات السامية من بلاد العرب سبب هـذه الهجرات بعدم استطاعة شبه الجزيرة قبول عدد كبير من السكان يزيد على طاقتها ، فلا يبقى أمامهم غير سلوك طريق الهجرات الى الأماكن الخصيبة فى الشـمال . وقـد كانت الطرق الساحلية من أهم الطرق التى أوصلت المهاجرين الى أهدافهم .

رأى « كيتانى » أن الجفاف الذى حل ببلاد العرب فحول أكثر أرضيها الى صحارى جرد كان العامل الأول فى هذه الهجرات . رأى أن جو بلاد العرب قبل ألفى سنة ، أو ثلاثة آلاف سنة ، أو أكثر من ذلك ، لم يكن على الشكل الذى نلاحظه الآن ، وأن تغيرات وتطورات طبيعية طرأت على الجزيرة كانت نتيجتها ظهور هـذا الجفاف ، وهى تطورات استغرقت أمدا طويلا[٢] . وقد أيد هـذا الرأى ودافع عنـه السـير توماس أرنولد[٣] .

ورأت « المس النـر كردنـر Miss Elinor Gardiner » التـى قامت بأبحـاث « جيولوجية » فى حضرموت فى عامى ١٩٣٧ - ١٩٣٨ أنه لم تحـدث فى الأقسـام الجنوبية من شبه جزيرة العرب تغيرات « طبوغرافية » و « جيولوجية » و « جوية » كبيرة منذ عصر الـ « Palaeolithic » (وينتهى حوالى سنة ١٠٠٠٠ قبل الميلاد) حيث كان الجـو مشبعا بالرطوبة[٤] .

لقد لفت كيتانى أنظار العلماء الى هذه الظاهرة المهمة : ظاهرة التغير الذى طرأ على جو بلاد العرب ، والجفاف الذى حل بها فى أواخر الدورة الجليدية الاخيرة[٥] . ففى

---

(١) حتى ص ١٣ .

(٢) المقتطف : جزء يوليو ١٩٤٤ ص ١٢٣ ، الجزء الثانى من المجلد الخامس بعد المئة « جو جزيرة العرب وأثره فى الهجرات السامية » للدكتور رفيق التميمى ، وسأشير اليه بـ المقتطف

Musil, Negd, P. 304. Caetani, l'Arabia Preistorica e l'essi Camento della Terra, and l'Arabia e gli Arabi dei Tempi Storici, Constituting. Chapter, 2. PP, 51-288.

(٣) The Caliphate, PP. 23 [1924]

(٤) Background, P. 9.

(٥) Nabih Amin Faris, The Arab Haritage. P. 28-29.

الوقت الذى كانت فيه معظم النواحى الأوربية وشمالى آسية تغطى أرضيها الثلوج ، كانت جزيرة العرب ذات جو معتدل وأمطار غزيرة ، وأشجار وزروع . وكانت هضبة ايران تغطيها الثلوج التى تحول دون تكوين مواطن صالحة للأحياء ، ثم أخذ الجو يتغير فى بلاد العرب ، ففقد الجو فيها رطوبته وسارت بصورة مستمرة وبطيئة نحو الجفاف منذ أكثر من أربعة عشر ألف سنة ، فأثر ذلك بالطبع فى حياة سكانها وفى حياة حيواناتها ونباتاتها ، فانقرض ما لم يتمكن من تكييف نفسه مع المحيط ، وظهرت الحاجة الى الهجرات ، فكانت الهجرات التى نتحدث عنها الآن[1] .

أما الأنهار التى كانت مملوءة بالمياه الغزيرة التى تنساب اليها من المرتفعات والجبال ، فقد قلت مياهها ثم غاضت وجفت قيعانها وتركت لنا آثارها ، وهى الأودية[2]، مثل وادى الحمض ووادى السرحان ووادى الرمة ووادى الدواسر وغير ذلك من الأودية التى كانت أنهارا ، وكان بعضها عظيما فى وقت من الأوقات[3] .

تصور كيتانى بلاد العرب فى الدورة الجليدية الأخيرة جنة ، بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا فى رسم تلك الصورة البديعة فى مخيلة كتاب التوراة عن « جنة عدن » . وجنة عدن المذكورة فى العهد القديم هى هذه الجنة التى كانت فى نظر كيتانى فى داخل بلاد العرب[4] ، غير أن الطبيعة قست عليها فأبدلتها صحارى ورمالا ، حتى اضطر أصحابها الى تركها والارتحال عنها الى أماكن تتوافر فيها ضروريات الحياة على الأقل ، فكانت الهجرات السامية الى العراق والشام ومصر والمواطن السامية الأخرى . وكانت هذه الهجرات قوية وعنيفة بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، فدخل الهكسوس أرض مصر ، وهاجر العبرانيون الى فلسطين[5] ، ثم أعقب ذلك عدد من الهجرات .

---

(١) المقتطف ص ١٢٦–١٢٧ . راجع مقال السيد طه باقر فى مجلة سومر : الجزء الثانى ، المجلد الخامس ١٩٤٩ ص ١٢٣ فما بعدها بعنوان « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب » .

(٢) Bertram Thomas. The Arabs. P, 350.

(٣) Musil, Negd, P. 305. Caetani, Studi dic Storia Orientale,. Vol, 1. P. 64-66 80, 243. Vol, 2. PP, 53. 65.

(٤) Caetani, Studi, PP. 129-131.

(٥) Musil, Negd, P, 311. Caetani,. Studi 185, 186, 188, 192, 277..

كذلك سبب ظهور « الجفاف » هجرة الحيوانات من بلاد العرب أو موتها ، وتلف النباتات والأشجار ، ويعتقد « كيتانى » أن الفيلة والحيوانات الضخمة التى يندر وجودها اليوم فى بلاد العرب كانت موجودة فيها بكثرة ولا سيما فى أرض « مدين » ، وكان الصيادون يخرجون لاصطيادها وأكل لحومها(١) • وقد جاء بأمثلة لتأييد رأيه من كتب الكلاسيكيين(٢) • وقد قسم « كيتانى » بلاد العرب الى قسمين : غربى ، وشرقى • أما القسم الغربى ، فهو الذى على ساحل البحر الاحمر الشرقى ، وفيه سلاسل جبلية ومرتفعات • وأما القسم الشرقى ، فالأرضون التى تأخذ فى الانحدار والميل ، وهى عند السفوح الشرقية للجبال ، وتمتد الى نهر الفرات وخليج فارس • وقد كان سكان المناطق الغربية فى مستوى راق من المدنية ، وكان لهم نفوذ كبير فى المناطق الشرقية ، وسلطة على سكانها الذين كان يغلب عليهم الفقر • وقد كان فعل الجفاف أشد وأسرع فى الأرضين الشرقية منه فى الأقسام الغربية ، لذلك بدأت الهجرات من هذه المناطق قبل المناطق الغربية ، وظهرت فيها البداوة بصورة أوضح من ظهورها فى الأرضين على ساحل البحر الأحمر والمتصلة باليمن وبلاد الشام • ولما توسعت منطقة الجفاف وأخذت الرطوبة تقل فى جو بلاد العرب الغربى ، ظهرت أعراض الصحراوية فى تلك الأرضين كذلك ، واضطر السكان الى الهجرة منها الى مناطق أخرى(٣) •

كانت نجد هى المنبع الذى فاض منه معين السامية على رأى جماعة من العلماء • وقد خصص بعضهم أرضا معينة من نجد زعم أنها كانت المحل الذى نبت فيه الساميون ، وذهب آخرون الى أن العروض ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها هى الموطن السامى القديم • ويستشهدون على ذلك ببعض الروايات والدراسات التى قام بها العلماء فكشفت عن هجرة بعض الأقوام كالفينيقيين وغيرهم من هذه الأماكن •

وذهب « فلبى » فى دراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب الى أن الاقسام الجنوبية من شبه الجزيرة هى الموطن الأصلى للساميين • فى هذه الأرضين نبتت السامية ، ومنها

---

(١) Musil, Negd, P, 308.

(٢) Strabo, Geography, XVI, 4, 18. Periplus, [Müller Edit] PP, 177-179.

Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 43 f.

(٣) Musil, Negd, P, 311. Caetani, Studi, P, 210,

هاجرت ، بعد اضطرارها الى ترك مواطنها القديمة لحلول الجفاف بها الذى ظهرت بوادره منذ عصر « البالئوليتيك Palaeolithic »(١) .

أرسلت العربية الجنوبية فى رأيه موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التى استقرت فيها . هاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة ، حملت معها آلهتها وأولها الاله « القمر » وحملت معها ثقافتها وخطها الذى اشتقت منه سائر الاقلام ، ومنه القلم الفينيقى ، وطبعت تلك الأرضين الواسعة التى حلت بها بهذا الطابع السامى الذى ما زال باقيا حتى اليوم(٢) . وقد أخذ فلبى رأيه هذا من الدراسات التى قام بها العلماء الأوربيون لأحوال جزيرة العرب ومن الحوادث التأريخية التى تشير الى هجرات القبائل من اليمن نحو الشمال .

وقد لاقت نظرية « كيتانى » هذه رواجا بين عدد كبير من المستشرقين ، واعتدها « السير توماس أرنولد » من أهم النظريات التى اكتشفها المؤرخون الحديثون بالنسبة للتأريخ العربى(٣) ، غير أن المستشرق « الويس موسل » يرى أنها لا تستند الى أسس تأريخية ولا الى أدلة علمية ، وأن القائلين بها قد بالغوا فيها مبالغة كبيرة ، ويرى أنه ما دامت البحوث « الجيولوجية » التى قام بها العلماء فى مراحلها الأولى ، وقد جرت فى مناطق محدودة ، حتى أن أكثر مناطق شبه الجزيرة لم تفحص فحصا علميا فنيا ، حتى الآن ، فلا يصح الاعتماد على فرضيات وبناء آراء ثابتة عليها . ولهذا فهو يرى أن الأدلة الجيولوجية التى استشهد بها « كيتانى » ضعيفة وغير كافية ، فهى لا تستحق مناقشة ، واكتفى بمناقشة الأدلة التأريخية(٤) .

يرجع « موسل » سبب الهجرات ، وتحول الأرضين الخصبة الى صحارى ، الى عاملين هما : ضعف الحكومات ، وتحول الطرق التجارية(٥) . فضعف الحكومات ينشأ عنه تزعم الشيوخ ، وانشقاقهم على الحكومات المركزية ، ونشوب الفتن والاضطرابات ونشوب الحروب ، وانصراف الحكومة والشعب عن الأعمال العمرانية ، وتلف المزارع والمدن ، وتوقف الأعمال التجارية وحصول الكساد ، وانتشار الأمراض والمجاعة ،

(١) Philby, The Background of Islam. Alexandria. 1949. P, 9.
وسأشير اليه بـ Background.
(٢) Background. P, 9-12.
(٣) Alois Musil, Negd. P, 304. The Caliphate. [1924] PP. 23.
(٤) Musil, Negd. P,. 304.
(٥) Musil, Negd, P,317. 319.

والهجرة الى مواطن أخرى يأمن فيها الانسان على نفسه وأهله وماله • فخراب سد « مأرب » مثلا لا يعود الى فعل الجفاف الذى أثر على السد كما تصور ذلك « كيتانى »[١]، بل يعود الى عامل آخر لا صلة له بالجفاف ، هو ضعف الحكومة فى اليمن ، وتزعم « الأقيال » و « الأذواء » فيها ، وتدخل الحكومات الأخرى فى شؤون العربية الجنوبية كالحبشة والفرس ، مما أدى الى اضطراب الأمن فى اليمن وظهور ثورات داخلية وحروب كالذى يظهر من الكتابات التى تعود الى النصف الثانى من القرن السادس للميلاد[٢] ، فألهى ذلك الحكومة عن القيام باصلاح السد ، فتصدعت جوانبه ، فحدث الانفجار ، فخسرت منطقة واسعة من أرض اليمن مورد عيشها الأول ، وهو الماء ، ويبست المزارع التى كانت ترتوى منه ، واضطرت القبائل وأهل القرى والمدن الواقعة فيها الى الهجرة الى مواطن جديدة • وتصدع السد بسبب ضغط الماء على جوانبه[٣] ، دليل فى حد ذاته على فساد نظرية الجفاف[٤] •

ويرى « موسل » أن التقدم الذى حدث فى البلاد العربية بعد القرن التاسع عشر دليل آخر على فساد نظرية « كيتانى » ، فقد ظهرت مدن حديثة ، وعمرت قرى ، وشقت ترع ، وحفرت آبار ، وعاش الانسان والحيوان والنبات فى مناطق من العراق وسورية ولبنان وفلسطين والمملكة الأردنية كانت تعد من الأرضين الصحراوية[٥] • فلم يكن « الجفاف » هو المانع من عمارة هذه المناطق ، والسبب فى تكون هذه الصحارى ، بل السبب شىء آخر هو ضعف الحكومات وانصرافها عن العمارة وعن المحافظة على الثروة الطبيعية وضبط الأمن ، ووقوفها موقف المتفرج تجاه قطع الناس للأشجار واستئصالها لاستخراج الفحم منها ، أو لاستعمال أخشابها فى أغراض أخرى[٦] ، وتقاتل القبائل بعضها مع بعض ، هذا وان من الممكن اعادة قسم كبير من الأرضين الجرد الى ما كانت عليه ، اذا ما تهيأت لها حكومة قوية رشيدة ، تنصرف الى حفر الآبار ، واقامة السدود ، وغرس الجبال ، وانشاء الغابات ، والاستفادة من مياه العيون •

---

(١) Musil, Negd, P, 309. Caetani, Studi. 267. 296.

(٢) Corpus Inscriptionum Semiticarum. [1911]. Part 4, Vol, 2. Nos. 384. 540. 541.

(٣) Musil, Negd, P, 310. Corpus. Inscr. Semi No. 540, 11. 54-64.

(٤) Musil, Negd, P. 310.

(٥) Musil, Negd. P. 310.

(٦) Musil, Negd. P. 318.

ويرى « موسل » أيضا أن ما ذكره « كيتانى » عن الأنهار فى شبه جزيرة العرب مسألة لا يمكن البت فيها الآن ، لقلة الدراسات العلمية[١] . كما أن ما ذكره عن انعدام أجناس من الحيوانات من شبه جزيرة العرب[٢] ، ليس مرده الى الجفاف وعدم احتمال تلك الحيوانات الجو الجديد ، فهلكت ، أو هاجرت الى مواطن جديدة ، بل مرده فى نظره الى اعتداء الانسان عليها ، وقتله اياها . ودليله على ذلك أن الحيوانات التى ورد ذكرها فى كتب « الكلاسيكيين » لا تزال تعيش فى المناطق التى عينها أولئك الكتاب ، ولكنهـا بقلة . كذلك نجد الهمدانى وغيره يذكر وجود الأسد[٣] وحيوانات أخرى فى مواضع قل فيها وجودها الآن ، وهذا مما يشير الى أن هذه الحيوانات لم تنقرض أو تقل بفعل تبدل الجو ، بل بفعل اعتداء البشر عليها . واعتداء البشر على الحيوان ، شر من اعتداء الطبيعة عليه[٤] .

ولا يوافق « موسل » على نظرية « كيتانى » فى هجرة القبائل العربية من الجنوب الى الشمال ، أو من الشرق الى الشمال . وقد رأى « كيتانى » كما سبق أن ذكرنا تقسيم شبه جزيرة العرب الى قسمين : قسم غربى ، وهو الممتد من فلسطين الى اليمن ، وينتهى بالبحر العربى ، وتكون حدوده الشرقية « السراة » ، والغربية البحر الأحمر وباب المندب . وقسم شرقى ، وهو ما وقع شرق « السراة » الى الخليج والبحر العربى[٥] . وقد ظهر الجفاف على رأى « كيتانى » فى القسم الشرقى قبل الغربى ، ولهذا صار سكانه يهاجرون منه بالتدريج الى مواطن جديدة تكون صالحة للاستيطان مثل العراق والشام ، كما صار سببا لظهور الصحارى الشاسعة فى هذا القسم بصورة لا نعهدها فى القسم الغربى[٦] .

ويرى « موسل » أن هذا تقسيم لا يستند الى أسس طبيعية ، ولا جغرافية ، ولا الى آراء « الكلاسيكيين » ، أو علماء الجغرافية العرب ، أو غيرهم[٧] ، وأنه مجرد رأى لا يمكن أن يكون حجة لاثبات مثل هذا الرأى .

و « لموسل » رأى فى الهجرات ، يرى أن ما قاله « كيتانى » وغيره عن

(١) Musil, Negd. P. 305.

(٢) Caetani, Studi. P, 60 ff. 87 ff.

(٣) Musil, Negd. P, 309.

(٤) Musil, Negd. P, 309.

(٥) Musil, Negd. P, 311.

(٦) Musil, Negd P. 311 Caetani, P. 210 f

(٧) Musil, Negd P. 311.

الهجرات من شبه جزيرة العرب ، من اليمن أو من نجد الى الأطراف ، قول لا يستند الى دليل تأريخي قوي . فليست لدينا حتى الآن براهين كافية تثبت ـ على حد قول موسل ـ أن أصل « الهكسوس » أو « العبرانيين » مثلا من شبه جزيرة العرب [1] . كما ان ما ادعاه « كيتاني » عن استمرار الهجرات من شبه الجزيرة من الألف الثالث أو قبل ذلك قبل الميلاد الى القرن السابع بعد الميلاد قول لا ينطبق مع المنطق . فلم ظلت هذه الهجرات مستمرة الى أن توقفت بعد القرن السابع للميلاد ؟ أزادت الرطوبة وتحسن الجو ؟ أم أن القبائل الكبيرة كانت قد تجزأت الى قبائل صغيرة وعشائر وأفخاذ فأصبح فى امكانها العيش بعض الشيء فى محال صغيرة ، لا تحتاج الى مراعى شاسعة ولا الى مياه غزيرة ؟ فلم تدفعها الحاجة منذ هذا العهد الى الهجرة فى شكل موجات كبيرة . وهل كان الجفاف هو المانع من مهاجمة حدود الانبراطوريتين البيزنطية والساسانية اللتين كانتا قد سدتا أبواب شبه الجزيرة على أهلها فلم تسمحا للقبائل بتخطى هذه الحدود ؟ ويرى أن ما ادعاه « كيتانى » من أن الجفاف والجوع حملا قبائل اليمن على الهجرة الى الهلال الخصيب حيث نزلت فى أرضين كانت خالية مهجورة على أطراف الفرات والشام ، فألفت حكومتى « المناذرة » و « الغساسنة » ، قول لا يؤيده ما جاء فى الكتب « الكلاسيكية » وفى المصادر « السريانية » من أن تلك الأرضين كانت عامرة آهلة بالسكان تمر بها الطرق التجارية العالمية . ويرى « موسل » أن الحكومتين « اللخمية » و « الغسانية » انما ظهرتا بعد سقوط حكومة « تدمر » ، وقد أسس الدولتين مشايخ من أهل الهلال الخصيب ، ولم يكونوا مهاجرين وردوا من الجنوب [2] أو من العروض على نحو ما تدعيه الرواية العربية .

ويأخذ « موسل » على « كيتانى » تصديقه الرواية العربية عن هجرة القبائل ونظريتها فى الانساب [3] ، واعتدادها من جملة الأدلة التى تثبت نظرية « الجفاف » [4] ، ويرى أنها ـ مع التسليم بصحتها ـ تنطبق على الوضع الذى كان فى القرن السابع للميلاد وفى الجاهلية القريبة من الاسلام ، وأنها رواية تستند الى خبر مسموع لا يصح أن يكون سندا فى اثبات الهجرات لما قبل الميلاد ، ويمكن تفسير انتساب القبائل ـ على حد

---

(١) Musil, Negd, P. 311.

(٢) Musil, Negd P. 312 Musil, Kusejr 'AMRA, PP. 131-147.

(٣) Caetani, PP. 268-272.

(٤) Musil, Negd P. 312.

قول موسل ـ بصورة أخرى ، هو أن العرب الجنوبيين كانوا قد هيمنوا فى الجاهلية وقبل الاسلام بقرون على الطريق التجارية التى تصل الشام باليمن وعلى الطرق التجارية الأخرى ، وكانت لهم حاميات فيها لحماية القوافل من غارات الأعراب . فلما ضعف أمر حكومات اليمن ، استقلت هذه الحاميات ، وكان كثير من أفرادها قد تزاوجوا مع من كان يجاورهم من القبائل ، واتصلوا بهم . ولما كان لليمن مقام عظيم وشرف بين القبائل ، انتسب هؤلاء الى اليمن ، وصاروا يعتبرون أنفسهم مهاجرين يتصل نسبهم بنسب اليمن . ومن هنا نشأت ، على رأى « موسل » ، أسطورة الأنساب ! ثم جاء علماء الأنساب فى « المدينة » و « الكوفة » فسجلوها على أنها حقيقة واقعة ، ومنهم انتقلت الى كتب التأريخ ، فتوسعت وتضخمت فى الاسلام (١) .

ويدعى « موسل » أنه لو كانت هنالك هجرات حقا لرأينا أثرها فى لغة القبائل النازحة الى الشمال وفى عقيدتها الدينية وفى ثقافتها وفى أساطيرها وفى قصصها الشعبى ، ولوجدنا على الأقل اشارة فى الكتابات العربية الجنوبية التى تعود الى ما قبل الاسلام . ولكننا لا نجد شيئا من ذلك ، وهذا ما يفند رأى القائلين بالهجرات ، وبأن أصل كثير من القبائل التى كانت تقيم فى شمال شبه الجزيرة ، ومن هؤلاء الغساسنة والمناذرة ، هم من اليمن (٢) .

ويعترض « موسل » أيضا على دعوى « كيتانى » (٣) وغيره من المستشرقين ممن زعموا أن الفتح الاسلامى هو آخر هجرة سامية قذفت بها شبه جزيرة العرب الى الخارج ، وأنها كانت بسبب الجفاف والجوع ؛ ويرى أن ما جاء فى هذه الدعوى لا يتفق مع الحقيقة ، وأن ما ذكره « كيتانى » عن عدد نفوس الحجاز مبالغ فيه ، وأن الجيوش التى اشتركت فى فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية حسب ، بل كانت فيها قبائل عراقية وشامية نصرانية ساعدت أبناء جنسها العرب مع اختلافها مع المسلمين فى الدين ، وحاربت الروم والفرس ، ولذلك فليست الفتوحات الاسلامية هجرة من شبه الجزيرة الى الخارج على نحو ما تصوره « كيتانى » بدافع الفقر والجوع (٤) .

---

(١) Musil, Negd P. 312. (٢) Musil. Negd, P. 313.

(٣) Muisl, Negd, P, 313. Caetani, Studi, P, 307.

(٤) Musil, Negd,, P. 313-314.

وفى اعتراضات « موسل » على « كيتانى » ومن قال بالجفاف ، بعض الحق ؛ فقد بالغ أولئك فى نظريتهم ، وذهبوا مذهبا لا يتفق مع الشواهد التأريخية . غير أننا لا نستطيع أن ننكر ، من جهة أخرى ، التطور الذى حدث فى « جو » وفى « جيولوجية » شبه جزيرة العرب ؛ فقد دلت التحريات - وان كانت قليلة - على حدوث هذا التطور كما تدل البحوث (التى قام بها العلماء فى الأرضين الافريقية المقابلة لشبه جزيرة العرب وفى ايران وآسية الصغرى) على حدوث هذا الشىء ، غير أننا مع ذلك نميل الى الاقتصاد فى الحديث عن هذا الموضوع ، والوقوف فيه ما دامت البحوث العلمية الفنية قليلة ؛ فقد يجرنا التوسع فى الحديث الى الوقوع فى المزالق ، والخروج عن جادة العلم .

اللغة السامية الأولى :

تدفعنا هذه النظريات التى قالها العلماء عن القرابة اللغوية التى نراها فى مجموعة اللغات السامية ، وعن اشتراكها فى كثير من أسس النحو والصرف ، الى التفكير فى أن جميع هذه اللغات تفرعت من أصل واحد ومن لغة واحدة هى أم اللغات السامية « Ursemitisch » . ويدفعنا ذلك الى البحث عن أقدم النصوص المدونة فى اللغات السامية ، وعن الخصائص الأساسية المشتركة بين كل هذه اللغات ، للوقوف على اللغة السامية الأولى التى انقرضت وبقيت آثارها فى هذه الجذور التى غذت اللغات السامية القديمة منها والحديثة بالخصائص السامية ، وعن أقرب الفروع التى انفصلت من الأم .

لقد بحث المستشرقون فى هذا الموضوع ولا يزالون يبحثون فيه ، فمنهم من وجد أن العبرانية أقدم اللغات السامية وأقربها عهدا بالأم (١) ، ومنهم من رأى أن العربية على حداثة عهدها جديرة بالدراسة والعناية (٢) ؛ لأنها تحمل جرثومة السامية ، ومنهم من رأى القدم للآشورية أو البابلية (٣) ، وهناك من رأى غير ذلك . وبالجملة ، لم يدع أحد من العلماء أنه توصل الى تشخيص لغة « سام » ، وتمكن من معرفة اللغة التى تحدث بها مع أبيه « نوح » أو مع أبنائه الذين أنسلوا هذه السلالات السامية !

وكان من جملة العوامل التى ألهبت نار الحماسة فى نفوس علماء التوراة والساميات للبحث عن اللغة السامية الأولى أو أقرب اللغة السامية اليها ، القصص الواردة فى

---

(١) السامية ص ٦ . (٢) السامية : ص ٦ ، حتى ص ٨ .

(٣) Carl Brocklemann, Vergleichende Grammatik der Semitichen Sprache, Berlin, 1908. Zimmern, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen. 1898.

التوراة عن سام وعن لغات البشر ، والطوفان وما شاكل ذلك ، ثم وجد المستشرقون المعاصرون أن البحث فى هذا الموضوع ضرب من العبث ؛ لأن هذه اللغات السامية الباقية حتى الآن هى محصول سلسلة من التطورات والتقلبات لا تحصى مرت بها حتى وصلت الى مرحلتها الحاضرة ، كما أنها حاصل لغات ولهجات منقرضة . واللغة السامية القديمة لم تكن الا لغة محكية زالت من الوجود ، دون أن تترك أثرا . ومن الجائز أن يهتدى العلماء فى المستقبل الى لغات أخرى كانت عقدا بين اللغات السامية القديمة التى لا نعرف من أمرها شيئا وبين اللغات السامية المعروفة . والأفضل هو أن ننصرف الآن الى دراسة اللغات السامية والموازنة بينها ، لنستخلص المشتركات والأصول . ومتى تتكون هذه الثروة اللغوية ، يسهل البحث فى اللغة السامية [١] ، كما تستحسن الموازنة بين هذه اللغات وبين اللغات التى ظهرت فى القارة الافريقية مثل المصرية القديمة والبربرية والهررية وبقية اللهجات الحبشية ، لتكوين فكرة علمية عن الصلات التى تربط بين الحاميين والساميين وكانت من جملة العوامل التى دفعت بعض العلماء الى القول بأن أصل الجنسين واحد كان يقيم فى قارة افريقية .

وقد شغل علماء العرب أنفسهم بموضوع اللغة السامية أو لغة سام بن نوح بتعبير أصح ، فذهب أكثرهم الى ترجيح السريانية على سائر اللغات [٢] ، وان التفت بعضهم الى ضرورة تقديم العربية فقالوا : كان اللسان الأول الذى نزل به آدم من الجنة عربيا ، الى أن بعد العهد وطال ، فحرف وصار سريانيا . وهو يشاكل اللسان العربى الا أنه محرف [٣] . وقد أدركوا كما أدرك المستشرقون تلك الصلات التى كانت بين اللغات السامية فقال المسعودى : « وانما تختلف لغات هذه الشعوب « أى شعوب جزيرة العرب » من السريانيين اختلافا يسيرا » ، وذهب الى أبعد من ذلك فقال : « ان جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ولسانها واحد [٤] » .

وقد أخذ علماء العرب نظريتهم هذه من أهل الكتاب ، ولما كانت السريانية هى لغة الثقافة والمثقفين ، ولغة يهود العراق وأكثر أهل الكتاب فى جزيرة العرب فى ذلك العهد ، فلا يستغرب اذن قول من قال ان السريانية هى أصل اللغات التى تفرعت من لسان سام بن نوح .

---

(١) السامية : ص ٨ .
(٢) المزهر ١/٢٠ ، التنبيه (ص ٦٨).
(٣) المزهر ١/٢٠ .
(٤) التنبيه (ص ٦٨) .

العقلية السامية :

وتحدث المشتغلون فى التأريخ الثقافى وفى « علم الأجناس » عن عقلية خاصة بالشعوب السامية قالوا لها « العقلية السامية » كما تحدثوا عن عقلية « آرية » وعن عقليات أخرى ، وحاولوا وضع حدود لأوصاف العقلية السامية ورسم صورة خاصة بها تميزها عن صور العقليات البشرية الأخرى . وقد أسرف من أولع بهذا البحث وغالى حتى خرج عن الأساليب العلمية وابتعد عنها كثيرا .

وقد شاعت هذه النظرية نظرية خصائص العقلية السامية فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وهى تستند قبل كل شيء الى العواطف والنزعات أكثر من استنادها الى المنطق والعلم . ومن أشهر مروجيها الفيلسوف الافرنسى « رينان Ernest Renan » (١٨٢٣–١٨٩٢م) و « كراف كوبينو Graf Arthur Gobineau» (١٨١٦–١٨٨٢ م) وهو من القائلين بتمايز العنصريات البشرية وبتفوق بعضها على بعض وبسيادة العقلية الآرية على سائر العقليات [١] . و « هوستن ستيوارت شامبرلن Houston Stewart Chamberlin » (١٨٥٥–١٩٢٧م) صاحب كتاب « أسس القرن التاسع عشر » [٢] .

فالسامية ، كما رأيت ، اصطلاح قصد به الشعوب التى تكلمت وتتكلم بلغات ترجع الى أصول لغوية مشتركة . وقد فهم بعضهم منه جنسية بالمعنى « الانتروبولوجى » وضعوا لها خصائص ومميزات جسمية ، وعلامات فارقة تميزها عن الجنسية الآرية ، وألفوا فى ذلك عددا كبيرا من المؤلفات . ولكن الملاحظ أن بين الأقوام التى تنسب الى السامية فروقا بارزة فى الملامح كما هو بين العبرانيين والارميين والعرب فى شكل الجمجمة والأنف ، فمن الواجب التفريق بين الاشتراك فى الخصائص اللغوية والاشتراك فى الخصائص الجسمية ، وعدم الخلط بين السامية اللغوية والسامية كجنس ذى خصائص ومميزات جسمية وروحية تميزها عن الأجناس البشرية الأخرى [٣] . فمن الممكن ارجاع هذه الأصول اللغوية المشتركة الى عوامل غير عوامل الدم مثل الاتصال الروحى ، والتأريخى ، كالذى يلاحظ اليوم بالنسبة لزنوج أميركة الذين يتكلمون الانكليزية مع أنهم من أصل افريقى معروف . وفى الجملة ان موضوع الأجناس موضوع حديث لم

---

(١) Essai sur l'inégalité des Races Humaines.

(٢) Housten Stewart Chamberlain, Die Grundlagen des Neunzehnten Jahrhunderts. 2. Bde. ويقع فى جزءين .

(٣) Hans Günther, Rassenkunde des Deutschen Volkes. München 1934. S. 5.

تكتمل دراسته بعد ، ومن الخير لنا أن نترك البحث فيه حتى تنتهى الدراسات والبحوث الأثرية واللغوية و « الانتروبولوجية » •

العـرب :

لابد لنا من تحديد معنى كلمة « العرب » ، اذ على تحديد هذا المعنى يتوقف بحثنا فى تأريخ من ستشملهم هذه اللفظة • ولو كان الموضوع تأريخ العرب الاسلاميين ، لما احتجنا اليه • أما والبحث هو تأريخ العرب الجاهليين ، أى الذين عاشوا قبل الاسلام ، فلا مناص لنا من هذا التحديد ، وقد يبدو هذا القول غريبا ، لوضوح معناها عند الناس ، ولكن هذه الغرابة ستزول بعد الوقوف على تطور هـذه الكلمة واختلاف مدلولها بمرور الزمن •

بحث علماء العربية فى أصل لفظة « العرب » و « العربية »[(١)] ، ولكن بحثهم هذا هو من نوع تلك البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تستند الى أساس من العلم ، ولا تعتمد على نصوص جاهلية مدونة ، فأما المستشرقون فقد تتبعوا تأريخ الكلمة ، وتتبعوا معناها فى اللغات السامية ، وبحثوا عنها فى الكتابات الجاهلية وفى كتابات الآشوريين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم ، فوجدوا أن أقدم نص ورد فيه اسم « عرب » هو نص آشورى يعود الى أيام الملك « شلمنصر الثانى » ملك آشور[(٢)] • وقد تبين أن هذه الكلمة لم تكن تعنى عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى ، بل كانوا يقصدون بها مشيخة كانت تحكم فى البادية المتاخمة للحدود الآشورية كان حكمها يتوسع ويتقلص فى البادية تبعا للظروف السياسية ولقوة شخصية الشيخ ، وكان يحكمها ملك يقال له « جنديبو » « جندب » ، وكانت صلاته سيئة بالآشوريين •

ولما كان من الصعب ضبط كيفية النطق بهذه الكلمة من النصوص الآشورية التى لم تكن تحرك المقاطع ، فقد اختلف العلماء فى كيفية النطق بهذه الكلمة ، فقرئت « Arbi » و Urbi » و « Arabi » و « Aribu » و « Aribi » و « Arub »

---

(١) المزهر ١/٣٠ فما بعدها ، القاموس ١/١٠٢ • اللسان ٢/٧٥ فما بعدها ، المقتطف (١٩٢٦) المجلد ٦٨ ج ٢ ص ١٤٦ ، ج ٣ ص ٢٩١ فما بعدها •

(٢) Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the rise of Islam. P, 3. Hitti, History of the Arabs. P, 37. The Jewish Encyclopedia, New York. 1902. P, 41.

الى غير ذلك (١) . والظاهر أن صيغة « Urbi » كانت من الصيغ القليلة الاستعمال ، ويغلب على الظن أنها استعملت في وقت متأخر (٢) ، وأنها كانت تعنى الأعراب ، على نحو ما يقصد من كلمة « عربى » و « أعربى » في لهجة أهل العراق لهذا العهد . وهي تقابل كلمة « عرب » التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأى بعض المستشرقين (٣) . وعلى كل حال فان الآشوريين كانوا يقصدون من كلمة « أربى » على اختلاف أشكالها مشيخة من الأعراب كانت تحكم في البادية تمييزا لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في أسياف البادية (٤) .

ووردت في الكتابات البابلية جملة « ماتوا أربى Matu A-Ra-Bi » ، ومعنى « ماتو » أرض في الآشورية والبابلية ، فيكون المعنى « أرض أربى » « أرض العرب » أو « العربية » (٥) . وجاء في كتابة «بهستون» « بيستون » « Behistun » (٦) « لدارا الكبير »

---

(١) Erich Ebeling und Bruno Meissner, Reallexikon der Assyriologie erster Band. Berlin und Leipzig 1922. P. 125. وسأرمز اليه بـ Real. Lex

(٢) Ency. Bibl. P, 273. Fr. Delitzsch, wo lag das Paradies ?. P. 295, 304. E. Schrader, Keilinschriften und Geschichtsforschung PP. 100.

(٣) Ency. Bibl. P, 273. Schrader, Keilinschriftliche Bibliothek, Sammlung Von Assyr. und Bab. Texten in Umscrift und übersetzung. 2, 84.

(٤) Ency. Bibl. P, 273.

(٥) W. Muss Arnolt, Assyrisch — Englisch — Deutsches Handwörterbuch. Berlin 1903. P. 616. Winckler, AOF. Bad, 2. S, 465 The Sculptures And Inscription of Darius The Great on the rock of Behistun in Persia, London. 1907 P. XIviii. (Matu) A-ra-bi P, 161. راجع النص البابلي لكتابة « داريوس الكبير » في « بهستون » ، وسأرمز الى الكتاب بـ Sculp.

(٩) « بهستون » و « بيستون » (Bisutun) Sculp. P. XI. « بهستون (بالفتح ثم الكسر) : قرية بين همدان وحلوان ، واسمها ساسبانان ، بينها وبين همدان أربع مراحل ، وبينها وبين قرميسين ثمانية فراسخ . وجبل بهستون عال مرتفع ممتنع لا يرتقى الى ذروته ، وطريق الحاج تحته سواء ، ووجهه من أعلاه الى أسفله أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهه وملس ، فزعم بعض الناس أن بعض الأكاسرة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق ليدل به على عزته وسلطانه ، وعلى ظهر الجبل بقرب الطريق مكان يشبه الغار ، وفيه عين ماء جار ، وهناك صورة دابة كأحسن ما يكون من الصور زعموا أنه صورة دابة كسرى المسماة شبديز وعليها كسرى ، وقد ذكرته مبسوطا في باب الشين » البلدان ٢/٣١٥ (طبعة وستنفلد) ١/٧٦٩ . « شبداز بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وآخره زاى ، ويقال شبديز بالياء المثناة من تحت ... منزل بين حلوان وقرميسين في لحف جبل بيستون ، سمى باسم فرس كان لكسرى . » وقد وصف ياقوت الحموى الموضع ، وذكر آراء الناس فيه والقصص التي كانت تروى عن الصور . البلدان ٥/٢٢٨ .

« داريوس »[١] « اربابة » « عربابة » « Arabaya »[٢] فى النص الفارسى المكتوب باللغة الاخمينية ، وفى النص المكتوب بلهجة أهل « السوس » (Susian)[٣] (Susiana) وهى اللهجة العيلامية لغة عيلام « Ar] Payab (M) » ، وتعنى « Arpaya » « العربية » ، أى بلاد العرب . و « M} Arpaya » فى صيغـــة الجمع سكان العربية[٤] ، وأما فى النص البابلى ، فقد ورد « ماتو اربى » كما هو فى البابلية ، ومقصد دارا من « Arabaya » هو « العربية » أى المعنى نفسه الوارد فى النصين الآخرين .

وردت كلمة « Arabaye » بعد ذكر بابل وآشـــور « Thura » وقبل مصـر « Mudraya »[٥] ، وهذا مما يدل على أن مفهوم « العربية » فى ذلك الوقت كان يشمل منطقة واسعة تمتد من اقليم آشور وبابل حتى حدود مصر ، أى أنها تشـمل جميع البـادية الفاصلة بين العراق والشام وتدخل فيها شبه جزيرة سيناء[٦] ، أى كل المنطقة الواقعـة فى شمال شبه جزيرة العرب فى اصطلاح أكثر علماء الجغرافية عند العرب ، أو « العربية السعيدة » فى لغة الكتبة « الكلاسيكيين » .

وتدل لفظـــة « Arab' » فى العبرانيـــة على البـداوة ، أى أنهـــا تعطى معنى « بدو » أو « أعراب » أو « البادية » أو « ساكن البادية » وهى لا تعين قومية صاحبها .

---

(١) يعرف فى الكتب العربيـــة بـ (دارا) . كتاب تأريخ سـنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٢٠ ، مروج الذهب ١/١٩٦ ، ٢٤٥ . « دارا الكبير » « دارا الأكبر » تأريخ الطبرى ١/٦٨٧ ، ٧٠٦ ، ٧١٩ . « طبعة أوربة » .

(٢) Sculp, P, XIviii, 161. Ency. Bibl. P, 273. Hastings. P. 46.

(٣) Sculp. P. XIII. « السوس (بضم أوله وسكون ثانيه وسين مهملة أخرى بلفظ السوس الذى يقع فى الصوف) : بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال عليه السلام قال حمزة : السوس تعريب الشوش بنقط الشين ، ومعناه الحسن والنزه والطيب ... قال ابن المقفع : أول سور وضع فى الأرض بعد الطوفان سور الســـوس وتستر ، ولا يدرى من بنى السوس وتستر والأبلة . وقال ابن الكلبى : السوس بن سام بن نوح . » البلدان ٥/١٧١-١٧٢ .

(٤) Sculp. P. XIviii, 95. 212.

(٥) كذا فى النص الفارسى ، و « ak] Shurap ai » لآشور ، و « (M) Muzzariyap aiak » لمصر فى نص لهجة السوس . و « Matu Ash — Shur » لآشور ، و « Matu Mi — Sir » « ماتو مصر » لمصر فى النص البابلى . Sculp. P, 4, 95, 161

(٦) Ency. Bibl, P, 273. Hastings. P. 46.

وهو المعنى الأصلي لهذه الكلمة في جميع فروع اللغات السامية . ولم تتخصص الكلمة عند العبرانيين الا في العهود المتأخرة [١] ، ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر « اشعياء Isaiah » مثلا قصد بها البداوة والأعرابية كالذي جاء « ولا يخيم هناك أعرابي » [٢] و « وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين » [٣] . فقصد بـ « Arab » في هذه الآية الأخيرة العزلة والوحشة والبداوة ، ولم ترد اسم علم في التوراة الا منذ أيام « أرميا » فما بعد [٤] . فورد في سفر أرميا « وكل ملوك العرب We'eth Kol Malke ha-'Arab » [٥] ، وهو ما يفهم منه العلمية والتخصيص . أما آية « في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية » [٦] ، وهي من الآيات الواردة في « أرميا » كذلك ، فلا يمكن التثبت من المقصود بها كل التثبت ، وهل تعني كلمة « أعرابي » شخصا منتميا الى قوم معينين هم العرب فهو « عربي » تمييزا له عن غيره من أبناء القبائل التي كانت تعيش في البادية ، أو هل هي بمعنى بدوي من أهل الوبر تمييزا له عن أهل المدر [٧] ؟ فهي كلمة عامة على نحو ما وردت في موضع من سفر أشعيا يعود تأريخه الى أواخر أيام سبي بابل ، وهو : « ولا يخيم هناك أعرابي » [٨] « Arabi' » حيث قصدت أعرابيا أي بدويا [٩] ، والظاهر أن كلمة « عراب » (Aarb) الواردة في « مسا ها عراب » (Massa Ha ' Aarb) ، وهي من الآيات المتأخرة وقد جعلت اسم علم ، انما أصبحت كذلك من النص اليوناني الذي أصابه شيء من التصحيف والتغيير بالنقل [١٠] .

ان صيغة كلمة « عرابي » (Arabi') هي أقرب الى الصيغ الارمية منه الى العبرانية (عربي) (Arbi') . أما صيغة الجمع ، وهي « عربيم » (Arbim') من « عربئيم » « Arbi 'im' » ، فانها أقرب الى الاستعمال العبراني منه الى الارمي [١١] .

---

(١) حتى ٥٣ . Ency. Bibl. P. 272. Hastings. P, 46.

(٢) الاصحاح الثالث عشر ، آية ٢٠ .

(٣) اصحاح ٢١ ، آية ١٣ .

(٤) Ency. Bibl. P, 272.

(٥) اصحاح ٢٥ ، آية ٢٤ .

(٦) اصحاح ٣ ، آية ٢ .

(٧) Ency. Bibl. P. 272. Hastings. P, 46.

(٨) اصحاح ١٣ ، آية ٢٠ .

(٩) Ency. Bibl. P, 273.

(١٠) Hastings. P, 45.

(١١) The Jewish Ency. Vol, 2. P. 41. Hastings. P, 46.

وبالجملة فان الأسفار القديمة من التوراة كانت تقصد بهـــذه الكلمة البدو ، ولم تكن تقصد بها قبيلة معينة أو شعبا معينا هو الشعب العربى . أما القبائل المستوطنة ، وحضـر شبه جزيرة العرب ، فقد كانت تدعوهم بأسماء قبائلهم أو بأسـماء الأماكن التى كانوا يقطنون بها ، ولهذا لا نجـــد اسم « عرب » فى قائمة أنســـاب الشعوب المذكورة فــى التوراة[1] . وانما نجد أسماء شعوب عربية ذكرت فى هذه القائمة ، وهذا مما يدل على أن كلمة « عرب » لم تكن تعنى فى الأسفار القديمة من التوراة سوى البداوة والأعرابية على نحو ما قصد بها فى سائر فروع السامية .

ومما يلاحظ أن العبرانيين استعملوا كلمة « عرابة » (‘Arabah) التى قـد تسبق بأداة التعريف « ها » ، فيقال « هاعرابة » « Ha ’Arabah » فى اللغة العبرانية القديمة ، لتـدل على أهل « العربة » الصحراء ، وهو الوادى الممتـــد من البحر الميت أو من بحر الجليل الى خليج العقبة[2] . وتعنى الكلمة فى الأصل « الجفاف » وحافة الصحراء ، أى معـانى لهـا علاقة بالبداوة . وكان يقيم فى هـذا الوادى قبـائل بدوية شـملتها كلمـة « عرب » . وهذا مما يدل على أن هذه الكلمة كانت تعنى ســكان البادية حسب . وان تعميم كلمة « العرب » على سكنة شبه الجزيرة انما جاء متأخرا بعـــد احتكاك العبرانيين بالقبائل التى كانت تقيم فى البادية ثم تغلبت على الأقوام التى كانت تتــاخم الاسرائيليين احتكاكا مباشرا ، تلك القبائل التى كانت من صميم البادية ، وتألفت من جرثومة العناصر التى كانت تحمل لقب « عرب » . فلما تغلب هـــذا العنصر على الأقوام الأخرى وعلى سكان المدن والقرى ، أى الحضر ، واستقر هو نفسه فى الأرض وتكونت له السيادة ، تغلب هذا النعت الذى نعت به على غيره ، وصار علما عليه وعليهم ، وعلى بقية سكان البادية وشبه الجزيرة ، فما أقبل القرن الثالث قبل الميلاد حتى صار هذا اللفظ يطلق على سـاكن شبه الجزيرة كائنا من كان فى الشمال وفى الجنوب عند العبرانيين[3] .

وقد عرف علماء العربية هـــذه الصلة التى بين كلمـــة « عرب » و « عرابة » أو « عربة » ، فقالوا : « انهم سموا عربا باسم بلدهم العربات . وقال اســحاق بن الفرج :

---

(١) قاموس الكتــاب المقـــدس ٢/٨٨ . السامية ١٦٤ .
Ency. Bibl. P. 271. Hastings. P. 45.

(٢) السامية ١٦٤ . Ency. Bibl, P, 271.

(٣) حتى ٥٣ .

عربة باحة العرب ، وباحة دار أبى الفصاحة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام »[1]
وقالوا : « وأقامت قريش بعربة فتنخت بها وانتشر سائر العرب فى جزيرتها ، فنسبوا كلهم الى عربة ؛ لأن أباهم اسماعيل صلى الله عليه وسلم بها نشأ وربل أولاده فيها فكثروا . فلما لم تحتملهم البلاد ، انتشروا ، وأقامت قريش بها »[2] . وقد ذهب بعضهم الى أن عربة من تهامة [3] . وهذا لا ينفى على كل حال وجود الصلة بين الكلمتين .
ونجد فى هذه الرواية العربية المتأثرة برواية التوراة وأقوال أهل الكتاب اقرارا بما جاء فى التوراة وما أيده علماء العهد القديم بعد ذلك من أن كلمة العرب انما شاعت وانتشرت بعد ضعف الاسماعيليين وتدهورهم وتغلب الأعراب « عرب » عليهم ، حتى صارت مرادفة لكلمة « اسماعيليين » ، ثم تغلبت عليها فصارت تشملهم وبالجملة فان الاسماعيليين كانوا قبائل بدوية كذلك ، وكانت هذه القبائل تقيم فى المناطق التى أقامت فيها قبائل « العرب » ، وحيث أن كلمة (اسماعيليون) هى أقدم عهدا من كلمة (عرب) على ما يظهر من دراسات نصوص التوراة ، فمن الجائز أن تكون كلمة (عرب) التى تؤدى معنى كلمة (اسماعيليين) قد وصلت الى العبرانيين من الشرق ، أى من الآشوريين والبابليين ، حيث نجد الكلمة قد ظهرت عندهم بعد ورودها فى نصوص آشور وبابل التى كانت تنعت قبائل البادية بعرب على نحو ما ذكرت . وبذلك اتصل نسب العرب بالاسماعيليين ، وصاروا يعدون من أبناء اسماعيل .

لم تكن معلومات العبرانيين حسنة عن العرب ، ولم تتكون عندهم فكرة عنهم وعن قوتهم الا بعد ضعف القبائل التى كانت تقاوم العبرانيين وفنائها ، كالاسماعيليين والعمالقة « عماليق » والمدينين ، عندئذ تمثلت قوة القبائل العربية المقيمة فى البادية فى مخيلة العبرانيين ، حيث صاروا يهاجمون العبرانيين ويضغطون عليهم ، فصاروا ينظرون اليهم نظرة عداء وحقد ، وزادت معارفهم عنهم منذ سنة (٧٠٠) قبل الميلاد فما بعد ، ولهذا السبب وردت فيهم هذه الآيات فى التوراة [4] .

وجاء فى « نحميا » : « ولما سمع سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجشم

---

(١) اللسان ٢/٧٧ ، القاموس المحيط ١/١٠٢ .
(٢) اللسان ٢/٧٧ . (٣) اللسان ٢/٧٦ .
(٤) Hastings. P, 46.

العربى ، هزأوا بنا واحتقرونا ، وقالوا : ما هـذا الأمر الذى أنتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون ؟ » (١) . ويعود تأريخ تدوين هـذه الآية الى القرن الخامس قبل الميـلاد . و « جشم » هو « كشيم » «Geshem» أو « Gashmu » ، ويحتمل أن يكون من «Gushamo» وهو شيخ قبيلة عربية ، أو رئيس من رؤسـاء العرب الذين كانوا يقيمون فـى جنوب يهودا ، أو انه كان من العرب الذين أقاموا فى السامرة أيام سرجون (٢) .

ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أخذ النبط يضغطون على الأدوميين ويخرجونهـم من أرضيهم ، وفى نهاية القرن الرابع كانوا قد استقروا فى منطقة « أدوم » واتخـذوا « بطرا » « البتراء » عاصمة لهم (٣) . وقد فرق الكتاب الأول من « المكابيين » بينهـم وبين العرب . أما الكتاب الثانى ، فقد عدهم من العرب (٤) ، وعد أرض النبط من بلاد العرب ، وأدخل « بولس » الرسول شبه جزيرة سيناء فى العربية كذلك (٥) .

وفى التلمود أريد بالعرب الأعراب كـذلك ، أى المعنى نفسـه الذى ورد فى الأسفار القديمـة من التوراة ، وجعل (العربى) فى بعض المواضع مرادفة لكلمـة (اسماعيلى) (٦) . ويغلب على الظن أن كلمة « Orebim » تعنى (العرب) ، أو أناسا من العرب كانوا يعيشون فى أماكن معينة ؛ اذ لا معنى لتفسيرها بـ « غربان » كمـا هو المقصود من المعنى اللغوى لهذه الكلمة (٧) .

ولم تعين التلمود ولا المدراش حدود بلاد العرب ومواضعها بالضبط ، بل تحدثتـا عن ذلك حديثا عاما دون تخصيص (٨) . ومما يجدر ذكره أن الأوصاف التى ذكرت فى هذين المرجعين عن العرب تدل على أنهما كانا يقصدان فى الغالب القبائل العربيـة

---

(١) نحميا اصحاح ٢ آية ١٩ .

(٢) Hastings. P.291.

(٣) Hastings. P, 46.

(٤) المكابيين الثانى ٥ ، ٨ . Ency. Bibl, P. 271. Hastings, P, 45. The Jew. Ency. Vol, 2. P, 41

(٥) رسالة بولس الى أهل غلاطيـة ، الاصحاح الأول ، آية ١٧ « بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضا الى دمشق » الاصحاح الرابع ، آية ٢٥ : « لأن جبل سيناء فـى العربية » رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس ، آية ٣٢ .

(٦) موعيد قطان ٢٤ أ .

(٧) Hul. 5 a Jew. Ency. Vol, 2. P, 41. القضاة ، اصحاح ٧ ، آية ٢٥ ترجمت بكلمـة « غربان » .

(٨) Jew. Ency. Vol, 2. P, 43. Erubia 19 a.

الشـــمالية ، كالذى جاء أن قســـما من القبــائل كانت تتــاجر بالنفط « Naphtha » وبالجلاود [١] .

وقد أكـــد « التلمود » ما جاء فى التوراة من وجود وشـــائج قربى بين العرب واليهود [٢] ، والذى يفهم من المواضع التى ورد فيها ذكر العرب فى « التلمود » وفى « المدراش » أن صلات اليهود السياسية بالعرب لم تكن مستقرة ، بل كانت تتبدل ولا سيما بالنسبة للأعراب ، أى على نحو ما ورد فى التوراة .

وأول من ذكــر العرب فــى آداب اليـــونان هو « Aeschylus أســـكيلوس » (٥٢٥–٤٥٦ ق.م) عند الاشارة الى ضابط عربى اشتهر فى جيش « أحشويرش » [٣] « Xerxes » ، غير أنه لم يكن يعرف عن بلادهم شيئا فتصور أن العربية على مقربة من القفقاس [٤] . ثم تلاه « هيرودتس » (نحو ٤٨٤–٤٢٥ ق.م) ، وهو خير من سلفه فى معارفه عن العرب ، وقد قصد بـ « Arabae » شبه جزيرة العرب كلها ، وقد أدخل فيها جزءا من الأرضين المصرية التى هى فى شرقى وادى النيل [٥] .

وقد أطلق « أكسينوفون » لفظة « Arabae » على المنطقة التى حـــددها نص الملك « داريوس » نفســـه ، وذكر أن ملك الفرس كان قد عـــين حاكمـــا على « فينيقيـــة » و « العربية » ، ويعنى بذلك جنوب سورية ، أى فلسطين والصحراء المتاخمة لها وصحراء بادية الشام [٦] . وكان ملك الفرس قد عين حاكما آخر على سورية وآشور .

والذى يفهم من أقوال هـــذا الكاتب أنه كان يقصـــد بالعربيـــة بادية الشـــام ، وخاصة تلك البادية الواسعة التى تتصل حدودها الشرقية بحدود الانبراطورية البارثية الغربية [٧] . وقد أدخل فى تلك المنطقـــة الصحراء التى فى شرق نهر « الفرات » الفاصلة بين « بابل » و « الجزيرة » [٨] .

---

(١) Tosefta, Ber, IV, 16. Midrash, Gen. R. IXXXIV, 16. The Jewish Ency. Vol, 2. P, 43.

(٢) ان العرب واليهود ينتمون الى عنصر واحد. Shab. 11 a شبث ١١ أ .

(٣) حتى ٥٧ .

(٤) Ency. Bibl, P, 273.

(٥) Ency. Bibl, P, 273.

(٦) Ency. Bibl. P, 273. Xenophon. Anab. VII, 8, 25.

(٧) Ency. Bibl. P, 273.

(٨) Xenophon, Anab. I, 5, 1. Ency. Bibl. P, 273. Hastings, P, 46. Xenophon. Anab. VII, VII, 25.

وقد عرفت هذه المنطقة عند الكتاب السريان باسم « 'Arab » منذ القرن الثالث للمسيح فما بعد (١) . وهى فى الحقيقة موطن القبائل العربية الدائمى منذ عرفت هذه المنطقة (٢) . ويعرف القسم الشرقى ، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس ، باسم « Beth 'Arabaya » « بيت عرباية » أو « با عربايــة Ba 'Arabaya » « باعربايا » ومعناها « أرض العرب » ، وقد استعملت هذه الكلمة فى المؤلفات اليونانية المتأخرة (٣) . وتدل أقوال الرسول « بولس » على أن شبه جزيرة سيناء داخلة فى البلاد العربية ، وقد أدمجت هذه المنطقة بمنطقة الأنباط فى « اقليم العربية Provincia Arabia » أيام « كورنليوس بالما Cornelius Palma » حاكم سورية فى عام ١٠٥ للميلاد تقريبا (٤) .

وقد وردت فى جغرافية سترابون كلمة « أرمبى Erembi » ومعناها اللغوى الدخول فى الأرض أو السكنى فى حفر الأرض وكهوفها ، وقد أشار الى غموض هذه الكلمة وما يقصد بها ، أ يقصد بها أهل « طرغلودية Troglodytea » أم العرب ؟ ولكنه ذكر أن هناك من كان يريد بها العرب (٥) ، وأنها قد كانت تعنى هذا المعنى عند بعضهم فى الأيام المتقدمة ، ومن الجائز أن تكون تحريفا لكلمة « Arabi » فأصبحت بهذا الشكل .

ووردت فى الكتب اليونانية كلمة « Saracenes » « Saraceni » وفى اللاطينية « Saracenus » (٦) ، وقد عنى بها قبائل عربية كانت تقيم فى بادية الشام (٧) ، وفى شبه جزيرة سيناء (٨) ، وفى الصحراء المتصلة بأدوم (٩) . وقد توسع مدلولها بعد

---

(١) Ency. Bibl. P, 273. Hastings. P, 46.

(٢) Hastings. P, 46.

(٣) Ency. Bibl. P, 273. Schrader, Keilinschr. Und Gesch. S, 100 ff. Delitzsch, wo lag das Paradies ? S, 295.

(٤) Hastings. P, 46. Ency. Bibl. P, 274.

(٥) Strabo, Vol, 3. P, 215.

(٦) Forster, Vol. 2 P. 9 Webester's New International Dictionary of English Language. Vol. 2 P. 2216. Ency. Brita. Vol, 19 P. 987.

(٧) Ency. Brita. Vol, 19. P. 987.

(٨) Forster, Vol, 2 P. 9 Ptolemy, 5, 16 Ency. Vol, 4. P, 155.

(٩) Forster, Vol, 2. P, 20 f.

الميلاد ، ولا سيما فى القرن الرابع والخامس والسادس ، فأطلقت على العرب عامة ، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخى هذا العصر قلما استعملوا كلمة « عرب » فى كتبهم مستعيضين عنها بكلمة « Saraceni »[١] . وأقدم من ذكرها هو « ديوسقوريدس » « Dioscurides of Anazarbos » الذى عاش فى منتصف القرن الأول للميلاد[٢] . وشاع استعمالها فى القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب ، وأحيانا على جميع المسلمين[٣] .

وقد استعملها بعض المؤرخين فى القرن الرابع مثل « Eusebius » و « Hieronymus » مرادفة لكلمة « اسماعيليين » « Ishmaelites » الواردة فى التوراة الذين كانوا يعيشون فى البرارى فى « قادش » فى منطقة برية « فاران » أو مدين حيث جبل « حوريب »[٤] ، ويظهر أن هذه القبائل هى التى كان يقال لها « اشماعيليون » ثم قيل لها « هاجريون » « Hagerenes » ثم دعيت « Saracenes »[٥] .

ولم يذكر الكتبة اليونان والرومان والسريان تعليلا لتسمية « Saraceni » و « Sarakenoi » ولم يلتفت أحد الى تعليل أصله الا بعد النهضة العلمية الأخيرة ، ولذلك اختلفت آراؤهم فى التعليل ، فزعم بعضهم أنه مركب من « سارة » زوجة ابراهيم ولفظ آخر ربما هو « قين » ، فيكون المعنى « عبيد سارة »[٦] . وقال آخرون : انه

---

(١) Ency. Vol, 4 P. 156.

(٢) Ency. Vol, 4. P. 155 Bretzl, Botanische Forschungen des Alexanderzuges. S. 282.

(٣) Ency. Vol, 4. P, 155.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ١/٣٩٥ .

(٥) Ency. Vol, 4. P. 156 Eusebius, (ed Schoene) II. 13 = Chron. Pasch., 94, 18.

(٦) الهلال : السنة السادسة ، الجزء الثامن (١٥ ديسمبر) ١٨٩٧ ، ص ٢٩٦ . Ency. Vol. 4. P, 156. المشرق : السنة السابعة ، الجزء ٧ ، ص ٣٤٠ . حيث رأى « الأب أنستاس مارى الكرملى » أن « Sarrasins » من « سرحة » وهو مخلاف باليمن ، وعلى هذا فهم « السرحيون » . « وسمعتهم يقولون : سراكنو ، سراكنو ، ومعناه المسلمون » رحلة ابن بطوطة ٢/٤٤١ (طبعة أوربة) . تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار : تهذيب رحلة ابن بطوطة بقلم أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك . (بولاق ١٩٣٤) ١/٢٨٨ : « قل لهذا السركنو يعنى المسلم » ص ٢٩٣ . « وكانت الروم تسمى العرب سارقيوس ، يعنى ذوى سارة بسبب هاجر أم اسماعيل » ابن الأثير : الكامل ١/١١٧ .

مشتق من « سرق » ، فيكون المراد من كلمة « Saraceni » « سراكين » « السراقين أو السارقين » اشارة الى غزو العرب وكثرة سطوهم [(١)] . أو من « Saraka » بمعنى « Sherk » « شرق » [(٢)] . على أنها مقاطعة تقع شرق أرض النبط . وقال « ونكلر » : أنه من « شرقو » ، وتعنى « سكنة الصحراء » ، أو « أولاد الصحراء » . وقد ورد هذا فى نص يعود الى أيام « سرجون » [(٣)] . ويرى آخرون أنه تصحيف « شرقيين » أو « شارق » [(٤)] على نحو ما يفهم من كلمة « قدمونى » (Qadmoni) الواردة فى التوراة [(٥)] بمعنى شرقى أو أبناء الشرق « Bene Kedem » « Bene Qedhem » [(٦)] ، وكانت تدل خاصة على القبائل التى رجع النسابون العبرانيون نسبها الى « قطورة » [(٧)] . وان للكلمة علاقة بما يطلق الآن على بعض العرب من اسم « شرقية » أو « شروكية » و « شروك » باصطلاح أهل العراق .

وقد مال الى هذا الرأى الأخير أكثر من بحث فى هذه التسمية من المستشرقين ، فعندهم أن « سرسينى » ، أو « سركينى » ، أو « Sarakenoi » من « شرق » كما أن « Bene Kedem » من « Kedem » العبرانية التى تعنى فى العربية « الشرق » ، وأن « قدمونى » و « Bene Kedem » تترجم عن معنى « Saraceni » تماما [(٨)] . وان اليونان والرومان استخدموا فى لغتهم الاصطلاح الذى استعمله العبرانيون نفسه حينما أطلقوا على القبائل البدوية الاسماعيلية التى كانت تقيم الى شرق « موآب » و « عمون » وفلسطين وسكنة بادية الشام « قدمونيين » أى « الشرقيين » ، فأطلقوا عليهم هذا الاسم كما كان ينطق به عند تلك القبائل ، ولكن بشىء من التصحيف ، حتى أصبح بهذا الشكل المذكور [(٩)] .

---

(١) الهلال : السنة ٦ ج ٨ (١٨٩٧) ص ٢٩٦ .
(٢) Musil, Deserta, P, 311 Stephen of Byzantium, Ethnica P, 556 (Meineke)
(٣) Ency. Vol, 4. P, 156 Winckler, Altorient. Forschungen, II, Ser, I. 77-76.
(٤) الهلال : الجزء المذكور ، ص ٢٩٦ .Ency. Vol, 4. P, 156 مجلة لغة العرب : الجزء ٤ من السنة ٧ (١٩٢٩) ص ٢٩٣ .
(٥) التكوين : اصحاح ١٥ ، آية ١٩ .
(٦) قاموس الكتاب المقدس ٢/٢٠٦ .Hastings. P, 512
(٧) التكوين ٢٥ ، آية ١ــ٦ .Hastings. P, 512
(٨) Musil, Deserta. P, 494.
(٩) Musil, Deserta. P, 494 ff. Hastings. P, 512. Ency. Bibl. P, 2652.

وأما الذين قالوا انه من « سارقين » أى من « سارة » زوجة ابراهيم ومن « قين » بمعنى « عبد » ، والمعنى هو « عبيد سارة » [١] ، فقد تأثروا برواية التوراة . وليست لأصحاب هذا القول أدلة غير هذا التشـــابه اللفظى الذى نلاحظه بين « سرسينى » وبين « سارة قين » وهو من قبيل المصادفة والتلاعب بالألفاظ ولا شك ، وغير هذه القصـــة الواردة فى التوراة قصة « سارة » التى لا علاقة لها « بالسرسين » .

قال « فورستر » وقد ورد اسم أرض قيل لهـــا « أرض ســـارة » وجبـــال عرفت بجبال « ســـارة » . جاء فى الســـفر الخامس من أســـفار « المكابيين » ذكر قبائل كثـــيرة العدد ذائعة الشهرة كانت تسكن فى منطقة تقع بين أرض « ســـارة » (Sarah) وبين أرض قال لها « Hegiaz » [٢] . ويذكرنا هذا الاسم الثانى باسم « الحجاز » . وحيث أن عهد تدوين هذا الكتاب يعود الى القرن الأول للميلاد ، فيكون أقدم اشـــارة وردت الى اسم الحجـــاز هى هذه الاشارة الواردة فى ســـفر المـــكابيين . ويظهر من وصف موضع أرض « سارة » المذكورة فى « المكابيين » أنه نفس المنطقة التى أشار العهد القديم الى أنها موطن « القدمونيين » وأشارت كتب « الكلاسيكيين » الى أنها أرض « السرسيين » . وذكر « بطلميوس » اسم موضعين سمى أحدهما « Saracena» « Sarakene » [٣] ، وسمى الآخر « Saraka » [٤] . أما الأول ، فمنطقة تقع فى العربية الحجرية خلف جبال سماها « الجبال السود » ، وتمتـــد من خليج « فاران » الى « اليهودية » على جانب « مصر » [٥] . وأما الموضع الثانى ، فمكان فـــى اليمن [٦] . كما ذكر « اســـطيفان البيزنطى » « Stephanus Byzantinus » موضعا سماه « Saraka » على أنه فى العربيـــة الحجرية على مقربة من الأنبـــاط ، وســـكانه من « الســـرسينى » [٧] . وجاء فى مؤلف « برديصان » اسم قبيلة عربية سماها « Sarakoya » مع قبيلة أخرى هى قبيلة « طيوية »

---

(١) لغة العرب ج ٤ من السنة ٧ ص ٢٩٤ .

(٢) Forster, 2. P, 17.

(٣) Forster, 2, P, 13. 15. 17. 19. 20. 22. 30.

(٤) Forster, 2, P, 9. 10. 11. 27. 153. « Saraca ».

(٥) Ency. Vol, 4. P, 155.

(٦) Forster, 2. P, 9. 10. 11. 27.

(٧) Forster, 2. P, 11. 13. 14. 28. Musil, Deserta, P, 491. Stephen of Byzantinum Ethnica (Meineke), Vol. 1, P. 556.

« Tayoye » (١) وهى قبيلة طىء . وقد اتخذ المستشرقون من تشابه هذه الأسماء مع اسم « Saraceni » و « Sarakenoi » دليلا على اشتقاق التسمية اليونانية اللاطينية من هذه الأسماء .

وأما « Scenite » التى ترد فى الكتب « الكلاسيكية » أيضا ، فانها تعنى سكان الخيام ، وقد أخذت من كلمة « Skene » بمعنى الخيمة فى الاغريقية (٢) ، وأطلقت خاصة على أعراب بادية الشام . وذكر « سترابون » أن « Scenitae » كانت نازلة على حدود « سورية » الشرقية (٣) ، كما ذكر أنهم كانوا يقيمون فى منطقة تقع شمال « العربية السعيدة » (٤) . وهم سكان الخيام (٥) . ونجد « سترابون » يفرق فى جغرافيته بين « البدو » وبين « Scenitae » تفريقا ظاهرا ، ويميزهم عن غيرهم بأنهم كانوا سكان خيام (٦) . وهذا مما يشير الى أن هذه الكلمة كانت تطلق عنده على سكان الخيام حسب ، حتى انه فرق فى بعض مواضع كتابه بين « Scenitae » وبين « العرب » (٧) ، وقال عنهم فى موضع آخر : انهم يمثلون بصورة عامة « بدو » العراق (٨) ، وانهم يعتنون بتربية الابل (٩) . وتحدث عن ساحل « Maranitae » فقال : انه مأهول بالفلاحين وبـ « Scenitae » (١٠) ، ويقصد بهم الأعراب الذين لا يسكنون الا الخيام ويعيشون على تربية الابل ، ويشبه حالهم على ما يفهم من أقوال « سترابون » حالهم الآن

---

(١) Ency. Vol, 4. P, 156. Kethaba de Namose d'Athrawatha (ed. Cureton). P. 6. وص ٢٤ من الترجمة .

(٢) Webester's, New International Dictionory of the English Language. Vol, 2. P, 2233.

(٣) Strabo, XVI, 2 : 2. Vol, 1. P, 63. 196. 441 Vol, 2. P, 219, 252; Vol, 3. P. 160, 166, 185, 190, 204. (Hamilton).

(٤) Strabo, Vol, 1. P, 196. أشكر حضرة صاحب المعالى توفيق وهبى على تقديمه لبعة (Hamilton) لجغرافية « سترابون » الى وتركها عندى مدة طويلة .

(٥) Strabo, Vol, 1. P, 441.

(٦) Strabo, Vol, 1. P, 441. Vol, 2. P, 219. 252.

(٧) Strabo, Vol, 3. P, 166.

(٨) Strabo, Vol, 3. P, 166. Musil, Palmyrena. P, 209.

(٩) Strabo, Vol, 3. P, 190.

(١٠) Strabo, Vol, 3. P, 204.

حيث يقول أنهم كانوا قد انقسموا الى مشيخات صغيرة • وفى العراق (١) أقامت فى مواضع شحيحة المياه ، ويشبه حالها حال القبائل الآن ، وهو أمر يؤسف له ، فلو كانت هذه القبائل قد وحدت كلمتها لما استطاع الفرس أو البيزنطيون أو الدول الأجنبية أن يسيطروا عليهم ، ويضيموا الشعب العربى •

وعرف العرب عند الايرانيين والارميين بـ « Taiy » و « Tayayo » ، وهى من اسم « طيء » القبيلة العربية الشهيرة ، وكانت هذه القبيلة تسكن على مقربة من الايرانيين ، واحتكت بهم كثيرا ، لذلك صار اسمها يرادف كلمة « عرب » (٢) • وأول اشارة الى هذه القبيلة تعود الى القرن الثالث للميلاد حيث ورد ذكرها مع الـ « Saraceni » على أنها تمثل الأعراب (٣) • وهذه القبيلة هى « Tayoye » التى ذكرت من قبل أن « برديصان » ذكر اسمها مع قبيلة « Sarakoye » •

وأطلق الارميون فى العصور النصرانية على العرب « Tayoye » ، ومن هذا الأصل نفسه « طيء » أخذ العبرانيون كلمة « طيعة » التى أطلقوها فى عهد التلمود على « العرب » (٤) ، ومن هذا الأصل كذلك أخذت كلمة « Tazik » « تأزك » و« Tashik » و « Tadgik » التى أستعملت فى اللغة الفارسية للدلالة على العرب ، وقد أستعملت كلمة « تازى » أخيرا بمعنى « الفرس » أو « الايرانيين » تمييزا لهم عن الاتراك (٥) • ونجد اللغة « الفهلوية » « Pahlawi » قد استخدمت كلمة « تاجك » « Tachik » للدلالة على العرب ، وهى تقابل فى الأرمنيــة « تجك » « Tachik » ، وفى الصينية « تشى » « Tashi » • وقد قيل لسكان آسية الوسطى الذين دخلوا فى الاسلام بهذه التسمية (٦) ، فأطلقها الاتراك على المسلمين • ولما كان أكثرهم من الايرانيين ، صارت كلمة « تجك » « Tedgik » تعنى « ايرانيا » فى اللغة التركية •

---

(١) Strabo, Vol, 3. P, 185.

(٢) Ency. Vol, 4. P, 598.

(٣) Ency. Vol, 4. P, 598. Cureton, Spicil. Syr., P. 16. Nöldeke, in ZDMG. IXIX., 713.

(٤) The Uni. Jew. Ency. Vol, 2. P. 43. Margoliouth, P, 57.

(٥) Ency. Vol, 4. P, 598.

(٦) Ency. Vol, 4. P, 598.

ولكلمة « تأزى » فى الفارسية معنى « صحراوى » من « تأز » « Taz » بمعنى الأرض المقفرة الخالية ، ولذلك نسب بعضهم كلمة « تأزى » الى هذا المعنى فقالوا انها أطلقت على العرب لما اشتهر عنهم بأنهم صحراويون (١) .

ولم ترد كلمة « عرب » فى النصوص العربية الجنوبية بمعنى « العرب » ، أى القومية الخاصة التى تشمل أهل الوبر والمدر وجميع سكان شبه الجزيرة . انما ورد فى هذه النصوص كلمة هى : « أعرب » بمعنى « أعراب » كالذى ورد : « وأعرب ملك خضرموت » (٢) ، أى « وأعراب ملك حضرموت » (٣) ، « وأعرب ملك سبأ » بمعنى « وأعراب ملك سبأ » (٤) ؛ وكالذى ورد فى نص « أبرهة » نائب ملك الحبشة على اليمن (٥) . ففى كل هذه المواضع ومواضع أخرى وردت بمعنى « أعراب » . أما أهل المدن والمتحضرون ، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم وكانت مستقرة فى الغالب . وقد وردت كلمة « عرب » فى النصوص علما لأشخاص (٦) .

وليست لدينا كتابات من النوع الذى يقول له المستشرقون « كتابات عربية شمالية » ، فيها اسم « العرب » ، غير النص الذى يعود الى « امرىء القيس بن عمرو » . وقد ورد فيه « مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج وملك الأسدين ونزروا وملوكهم وهرب مذحجو ... » (٧) ، أى « امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم

---

(١) الرسالة : جزء ٦٥٤ ، سنة ١٩٤٦ ، تعليق بقلم « ح.م.ع » من النجف على كلمة « تاجك » ، وكنت قد كتبت عنها فى الرسالة قبل هذا الجزء .

(٢) لما كان المسند لا يعرف الحركات ، صعب علينا قراءة الكلمات قراءة صحيحة ، فتجوز قراءة كلمة « أ ع ر ب » مثلا « أعرب » ، وتجوز قراءتها « أعراب » .

(٣) نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها بقلم الدكتور خليل يحيى نامى (ص ٩٢) ، النقش ٧١ ، سطر ٢ . وسأشير اليه بـ نشر .

(٤) نشر (ص ٩٣) نص رقم ٧٢ و ٧٣ .

(٥) Glaser, Zwei Inschriften über den dammbruch Von Marib. S, 33. Ency. Bibl. P, 275.

(٦) نشر (ص ٨٩) نص ٦٩ . Ansaldi, Cesare il Yemen, nella Storia. e Nella leggenda. Roma 1933. Nr. 17. Ansaldi. 69. Ryckmans. in Le Muséon. Vol. I Part. 3 (1937) Nr. 180.

(٧) Ephemeris, 2-35. Nabia, P, 4 Plate. 2.

الذى حاز التاج ، وملك الأسديين ونزارا وملوكهم ، وهزم مذ حجا ...»[1] .

ولورود كلمة « العرب » فى هذا النص أهمية كبيرة ، غير أننا لا نستطيع الجزم بأنه قصد من « العرب » المعنى المفهوم من هذه الكلمة الآن ، بل يظهر أنه قصد بها « الأعراب » أى الذين كانوا يتنقلون والذين كانوا يقطنون فى البادية على نحو ما يقوله أهل الحضر عن أهل الوبر ، حيث يقولون عنهم « عرب » وللواحد « عربى » أى أنه ليس من سكان المدن ، وأنه ليس بحضرى .

ولا يستطيع أحد الجزم بتعيين الوقت الذى استعمل فيه العرب أنفسهم كلمة « العرب » علما عليهم : بدوهم وحضرهم ، على أنه علامة فارقة تميزهم عن بقية الأقوام ، لعدم وجود نصوص مدونة لدينا تبين بجلاء أن العرب حضرهم وبدوهم كانوا يسمون أنفسهم « عربا » ، والنص الوحيد الذى لا يمكن أن يشك فى صحته انسان هو القرآن الكريم ، فهو أول نص فى العربية لا يعلق به غبار الشكوك والظنون استعمل الكلمة علما . ولهذا رأى « د.ه.ملر » أن الرسول هو أول من خصص الكلمة وجعلها علما لقومية سكان شبه الجزيرة[2] . وهو يشك فى صحة ورود كلمة « عرب » علما لقومية فى الشعر الجاهلى وفى الأخبار المدونة فى الكتب[3] . غير أن هذا الرأى فى نظرى رأى ضعيف لا يستند الى دليل ، اذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوما بهذا المعنى لو لم يكن لهم سابق علم به ؟ وفى الآيات دلالة واضحة على أن القوم كان لهم ادراك لهذا المعنى قبل الاسلام ، وأنهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربى ، وأنهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية : « أ أعجمى وعربى ؟ قل . هو للذين آمنوا هدى وشفاء »[4] . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا »[5] . « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا »[6] . ففى هذه الآيات وآيات أخرى غيرها[7] دلالة على أن

---

(١) السامية ١٩٠

(٢) D.H. Müller, in Neue Freie Presse. (1894) 20 the April. Ency. Bibl. P, 274.

(٣) الأغانى ٩/١٠ ، ١٠/١٤٢ ، ١٢/١٥٦ « قرى عربيات » « طفلة عربية » شرح ديوان امرىء القيس للسندوبى (ص ١٦٧) ، ديوان حسان بن ثابت .

(٤) سورة فصلت رقم ٤١ آية ٤٤ .

(٥) سورة الرعد رقم ١٣ آية ٣٧ .

(٦) سورة الأحقاف رقم ٤٦ آية ١٢ .

(٧) سورة يوسف آية ٢ ، سورة طه ١١٣ ، سورة الزمر آية ٢٨ ، سورة الشورى آية ٧ ، سورة الزخرف آية ٣ .

الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لسانا عربيا ، وفى ذلك دليل على وجود الحس بالقومية قبيل الاسلام .

وما ذكرناه عن استعمال العرب لكلمة « العرب » علما عليهم ينطبق كذلك على العلمية بالنسبة لشبه الجزيرة ، فلم يصل الينا حتى الآن نص ما مكتوب بلهجة من لهجات شبه الجزيرة يفهم منه أن الجاهليين كانوا يطلقون على شبه جزيرتهم تسمية خاصة ، على حين أن النصوص اليونانية واللاطينية أطلقت على بلاد العرب « العربية » ، وقسمتها الى أقسام ثلاثة ، ولا يمكن بالطبع تصور اطلاق الجاهليين على شبه الجزيرة اسم « العربية » أو « البلاد العربية » أو « بلاد العرب » أو ما شاكل ذلك من أسماء الا اذا تصورنا أنهم كانوا يطلقون على أنفسهم عموما فى الشمال والجنوب فى الشرق والغرب « عربا » .

الاقلام العربيـــة :

عرف علماء العربية نوعين من الأقلام التى استعملها عرب قبل الاسلام : القلم الذى دون به الوحى وأصبح لهذا السبب أبا للخطوط التى ظهرت وتفرعت فى الاسلام ، وقلما رسميا للمسلمين . والقلم المسند . غير أننا لا نعرف الأسماء التى كان يطلقها الجاهليون ، أو الصحابة من بعد ، على هذين القلمين أو غيرهما مما كان مستعملا فى ذلك الوقت . وكل ما نعرفه أن العلماء أطلقوا على القلم الأول « القلم العربى » أو « الخط العربى » حينا و « الكتاب العربى » أو « الكتابة العربية » حينا آخر تمييزا له عن القلم الثانى ، وهو المسند [1] .

ولهم روايات فى منشأ الخط العربى الذى دون به الكتاب . وأما فى منشأ المسند فلا رأى لهم فيه ، وكل ما عرفوه عنه أنه كان خط حمير ، وأنه كان يغاير هذا الخط الذى كتب به الوحى ، وان استعماله كان قاصرا على أهل اليمن . ونستطيع تلخيص وجهات نظرهم فى منشأ الخط العربى فى أمور عدة :

١ ـ كان منشأ الخط فى اليمن ، ثم انتقل منها الى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ، ومنهم تعلمه أهل الأنبار ، ومنهم تعلمه جماعة نقلوه الى الحجاز [2] . فالأصل ، على رأى

---

(١) الفهرست : ص ٦ فما بعدها .

(٢) روى أنه قيل لابن عباس : « معاشر قريش ، من أين أخذتم هذا الكتاب العربى قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، تجمعون منه ما اجتمع ، وتفرقون منه ما افترق =

هؤلاء ، هو القلم المسند وكان كما يقولون بالغا مبلغ الاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف [1] .

٢ ـ كان قلم « الجزم » فى نظر بعض العلماء أساس القلم العربى . وقد سمى بالجزم ، لأن « مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وهم من طىء من « بولان » ، سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة . فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الاعجام [2] . وقد اقتطع مرامر الخط من المسند فسمى الجزم ، لأنه جزم أى اقتطع ، ولذلك قيل له الجزم قبل وجود الكوفة ، فتعلمه منهم أهل الأنبار ، وتعلمه منهم أهل الحيرة وسائر عرب العراق ، وتعلمه من أهل الحيرة بشر بن عبدالملك أخو أكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل ، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم فى بلاد العراق ، فتعلم حرب منه الكتابة ،

= مثل الألف واللام ؟ قال : أخذناه من حرب بن أمية . قيل له : فممن أخذه حرب ؟ قال : من عبدالله بن جدعان ، قيل : فممن أخذه ابن جدعان ؟ قال : من أهل الأنبار ، قيل : فممن أخذه أهل الأنبار ؟ قال : من أهل الحيرة ؛ قيل : فممن أخذه أهل الحيرة ؟ قال : من طارىء طرأ عليهم من اليمن من كنده . قيل : فممن أخذه ذلك الطارىء ؟ قال من الخلجان بن الوهم كاتب الوحى لهود عليه السلام ! » المزهر ٢/٣٤٩ ، تأريخ الأدب لحفنى ناصف ٦١ـ٦٢ .

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٤٩ : « كان الخط العربى بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف . وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباءالتبابعة فى العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة ، لقصور ما بين الدولتين . وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر . يقال ان الذى تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن حرب ، ويقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدرة » .

(٢) الفهرست ص ٦ : « مرامر اسم رجل من أهل الأنبار يقال انه أول من وضع الهجاء العربى فانتشر فى الأنبار ثم فى الحيرة ثم فى الناس بعد ذلك . قال :

كتبت أباجاد وآل مرامر   وسودت أثوابى ولست بكاتب

أباجاد : أى حروف أبجد ، وآل مرامر : أى حروفه التى جمعها . ويقال : ان أول من كتب وجمع حروف الهجاء حمير بخطها المعروف ، ثم فصله رجل من طىء بالخط العربى » . منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ص ٩٨ .

ثم سافر معه بشر الى مكة فتعلم منه جماعة من أهلها ، فلهذا أكثر الكتاب فى قريش [1] .
فهذه الرواية هى كالرواية السابقة ترجع أصل الخط العربى الذى دون به الوحى الى العراق ، وترى أن العراقيين تعلموا الكتابة من أهل اليمن وتختلف عن السابقة اختلافا يسيرا فى الفروع .

٣ ـ رأى نفر من العلماء أن أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أياد أهل العراق ، وكانوا يكتبون ، ورووا فى ذلك شعرا زعموا أن أمية بن أبى الصلت قائله ، منه :

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم [2]

فهذه الرواية ترجع علم الحجازيين بالكتابة الى العراق كذلك ، ولا تذهب أكثر من ذلك .

٤ ـ أول من وضع الكتاب العربى اسماعيل ، وضعه على لفظه ومنطقه موصولا ، حتى فرق بينه ولده هميسع وقيذر [3] .

٥ ـ أول من وضع الكتاب العربى نفيس ، ونضر ، وتيماء ، ودومة . هؤلاء ولد اسماعيل ، وضعوه مفصلا ، وفرقه قادور بنت ابن هميسع بن قادور [4] .

٦ ـ أول من وضع الخط العربى « أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت » ، وهم قوم من الجبلة الأخرة ، وقيل : انهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أد ، فكان « أبجد » ملك مكة وما يليها من الحجاز ، و « كلمن » و « سعفص » و « قرشت » ملوكا بمدين ، وقيل : ببلاد مضر [5] ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم ، وهى الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين فسموها الروادف [6] . فترجع هذه الرواية أصل الخط الى جماعة من أهل مدين ، أى الى شمال الحجاز ، لا العراق .

٧ ـ هنالك من روى أن النفر الثلاثة من طىء ، وهم : مرامر وأسلم وعامر ، انما وضعوا الخط فى العربية قياسا على هجاء السريانية [7] . وهذه النظرية هى أقرب

---

(١) بلوغ الأرب ٣/٣٦٨ ، المزهر ٢/٣٤٦ .
(٢) بلوغ الأرب ٣/٣٦٩ .
(٣) المزهر ٢/٣٤٢ .
(٤) الفهرست ٧ .
(٥) المزهر ٢/٣٤٨ .
(٦) الفهرست ٦ ، العقد الفريد ٤/٢٤٢ .
(٧) العقد الفريد ٤/٢٤٢ .

النظريات الى رأى أغلب المستشرقين .

يظهر من هذه الروايات ومن روايات أخرى أن علماء العربية ذهبوا الى أن الخط لم يكن أصيلا فى الحجاز ، وانما دخله من اليمن أو العراق أو من أرض مدين .

وأما جمهرة المستشرقين المعاصرين الذين عنوا بدراسة تطور الخطوط السامية ، ومنشأ الخطوط العربية ، فقد رأوا أن الخط العربى الذى دون به القرآن أخذ من خطوط أخرى فى زمن غير بعيد من ظهور الاسلام ، ويستدلون على ذلك بأنه لم يوجد من الآثار التى كتبت بهذا الخط قبل الاسلام الا شىء قليل ، لأنه كان فى أول أطواره ومبدأ نموه ؛ وبأن أغلب حروفه وأشكاله مشابهة لحروف الخط النبطى المتأخر وأشكاله ، وذلك يدل على أن كتبة الخط العربى الشمالى قد اقتبست خطها من الخط النبطى المتأخر الذى كان يستعمله النبط (١) ، وتولد من القلم الارمى المتفرع من الفينيقية على رأى المستشرق « هومل » (٢) . والذى استعمل فى « تيماء » وبين النبط الذين كانوا يقيمون فى أعالى الحجاز وفى شبه جزيرة سيناء (٣) . وقد حول هذا القلم العربى الأول المقتبس من الخط النبطى المتأخر فى الاسلام الى الخط المستدير المعروف بالنسخ تمييزا له عن الخط الثانى الذى تفرع من ذلك القلم كذلك ، وهو الخط ذو الزوايا المعروف بـ « الكوفى » الذى تطور فى الكوفة واستعمل فى كتابة القرآن وفى الوثائق الرسمية القديمة وفى الآثار والنقود (٤) . وهنالك خطوط أخرى تفرعت من هذا الخط الجاهلى الاسلامى جد الخطوط الاسلامية ، منها الخطوط التى ظهرت فى بلاد الحجاز كمكة والمدينة والطائف وعثر المستشرقون على نماذج منها محفورة فى الصخور ، وهى نماذج لابد من دراستها لمعرفة تطورها وعلاقتها بالخطوط الأخرى .

وسند القائلين بهذا الرأى ودليلهم هو عدد من الكتابات عثر عليها السياح ، كتبت بلهجة غير بعيدة عن اللهجة العربية التى نزل بها القرآن ، وبحروف مرتبطة ، وبالقلم النبطى المتأخر الشبيه جدا بأقدم الخطوط العربية ولا سيما الكوفية منها (٥) . وقد استعمل هذا

---

(١) السامية : ١٩٦ . Ency. Brit, Vol, I. P. 684.

(٢) Grundriss, I. P. 157.

(٣) Ency. Brit. Vol, I. P, 684.

(٤) Hitti, P. 70 Grundriss, I. P. 157. Ency. Brita. Vol, I. P. 684.

(٥) السامية : ١٨٩ .

القلم النبطى المتأخر		القلم العربى القديم	
٤	٣	٢	١

نمـاذج من القلمين النبطى المتـأخر والقلم العربى القديم
يمثل العمود « ١ » نماذج من الحروف العربية المستعملة فى القرن الأول للهجرة ويمثل العمود « ٢ » نماذج من حروف كتابتى زبد وحران . وأما العمودان « ٣ » و « ٤ » فيمثلان نماذج من كتابة النمارة وبطرا .

القلم فى « البتراء » « الرقيم » وفى شبه جزيرة سيناء • ومن مميزاته ارتباط بعض حروفه ببعض وكتابة بعض الحروف فى نهاية الكلمة بشكل يختلف عن رسم الحروف التى من نوعها المستعملة فى أوائل الكلمة أو أواسطها •

ولهذه الكتابات على قلة عددها أهميـــة كبيرة لدى العلماء ، لما لها من خصـــائص ومميزات لغوية تفيد فى دراسة تطور اللهجات فى شبه جزيرة العرب ، وفى دراســـة تطور القلم العربى • وقد تكون مقدمة لعدد آخر من الكتابات المكتوبة بهذا الخط •

وأقدم هذه الكتابات الكتابة التى يقال لها « كتابة أم الجمال » الأولى ويعود تأريخها الى سنة ٢٥٠ للميلاد • وقد وضعت شاهدا على قبر « فهر بن سلى » مربى « جذيمـة » جذيمة ملك تنوخ « تنوح » ، وعثر عليها فى موضع يقـــال له « أم الجمال » فى جنوب حوران من أعمال شرق الأردن [١] • ويعتقد « ليتمان » أن تأريخ هذا النقش لا يبعد كثيرا عن تأريخ كتـابة أخرى هى كتابة النمارة • ونجد فى هـذه الكتابة حروفا غـــير مرتبطة وحروفا مشابهة لبعض حروف الخط الكوفى • وقد كتبت بالارمية ، ومع ذلك فان لها أهمية لوجود أسماء عربية فيها ولأن القبائل العربية الشمالية كانت تستعمل الارمية فى الكتابة [٢] •

وتلى كتابة أم الجمال الأولى فى الزمن كتابة النمارة ، وقد عثر عليهـا المستشرق الفرنسى « دوسو M. Rene Duasaud » فى « النمـارة » فى الحرة الشرقيـــة من جبل الدروز ، و « النمارة » قصر صغير كان للروم • وجدها على قبر امرىء القيس الأول ابن عمرو ملك العرب المتوفى فى يوم ٧ بكسلول من ســـنة ٢٢٣ • المقابلة لســـنة ٣٢٨ للميلاد • وقد دونت سنة الوفاة ، وهى سنة تأريخ الكتابة كذلك وفقا لتقويم « بصرى »

---

(١) السامية : ١٣٩ « سنة ٢٧٠م » خليل يحيى نامى : نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها (ص : ١٢٠)

De Vogué, Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques. Pl. 15. 11.

(٢) الســـامية : ١٤٠ مجلة ســومر م ٣ ج ١ ، كانون الثـانى ١٩٤٧ ، ص ١٣٠ ،

Nabia, 4. Littmann, Nabataen Inscriptions From the Southern Hauran. (Princeton University expeditions to Syria. in 1904-1905 and 1909). PP. 37-40. Cantineau, Nabatéen et Arabe (Institut d'etudes Orientales, Annales 1. 1934-1935) P. 72-79.

«Bostra» [١] ، وهو التقويم الذى كان يستعمله عرب هذه الأطراف ونبطهـا . وتعـد هذه الكتابة أول كتابة وأقدم كتابة عثر عليها حتى الآن مدونة باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن ، وان كتبت بالقلم النبطى المتأخر وبأسلوب متأثر بالارمية [٢] .

وعثر على كتابة فى خرائب « زبد » بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقى حلب ، كتبت بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ، يرجع تأريخها الى سنة (٥١٢) للميلاد (٨٢٣ للتقويم السلوقى) [٣] . والمهم عندنا هو النص العربى ، ولا سيما قلمه العربى . أما من حيث مادته اللغوية ، فان أكثر ما ورد فيه أسـماء الرجال الذين سعوا فى بنـاء الكنيسة التى وضعت فيها الكتابة [٤] . وقد قرأ العالم « Lidzbarsky » الكلمـة الأولى منه « بسم » أما الكلمة الثانية فهى « الاله » ، فأصبح مطلع النص : « بسم الاله » فاذا كانت القراءة هذه صحيحة ، تكون لكلمة « بسم الاله » أهميـة كبيرة فى موضوع الفكرة الدينية . أما العالم « ليتمان » ، فقد قرأ الكلمة الأولى منـه « بنصر » ، فتكون فاتحة النص : « بنصر الاله » [٥] . وهذا النص العربى لا يخلو من الأثر الارمى فيه .

وعثر المستشرقون فى حران اللجا فى المنطقة الشمالية من جبل الدروز على كتابة أخرى مـدونة باليونانيـة والعربية قيل لهـا « نقش حران » ، وقـد وضعت فوق باب كنيسة ، وصاحبها « شرحيل بن ظلمو » « ظالم » ، ويعود تأريخ الكتابة الى عام « ٤٦٣ » من « الأندقطية الأولى » ، وتقابل سنة (٥٦٨) للميلاد [٦] . أما النص العربى ، فقد

---

(١) Fritz Hommel, Grundriss der Geographie Und Geschichte des alten Orients, München 1904. Vol, 1. P, 155.
وسأشير اليه بـ Grund
Dussaud, Les Arabes en Syrie, PP. 34-35 Nabia. P. 4.

(٢) Grund. 1. P. 155. Revue Archéologique, 3ı Série, XLI (1911, 11), P. 411.

(٣) Grund. 1, P. 156, Edwuard Sachau, Eine dreisprachige Inschrift aus Zebed : Monatsbericht der Preussiche Akademi der Wissenschaften. Berlin 10Febe. 1881, S. 169-190, zur Trilinguis Zebedaea : ZDMG. 36 (1882). S. 345-352.

(٤) السامية : ١٩١ . Lidzbarsky, Handbuch der Nordsemit. Epigraphik, Weimar, 1898, P. 484, Ephemeris, Giessen, 1902. Vol, 2. P. 35.

(٥) السامية : ١٩١ Anno Littmann, in Rivista degli Studi Orientali, 1911. P. 195.

(٦) السامية ١٩٢ . Nabia, P, 5. Dussaud, Mission. PP. 324. Grund, P, 156, Schröder in ZDMG. 38, (1884) PP. 530,



صورة حجر كتب عليه « صور ونفس عجلم بن سعدلت « لات » قرين ولقمعن عثتر شرقن ذى خرشنهو » . ويظهر أنه من أحجار القبور ، وقد توسل صاحب القبر وهو « عجلم بن سعدلات » الى الآله عثتر شرقن الشارق بانزال العقاب على من يغيره عن مكانه ويصيبه بأذى .

أرخ بسنة ٤٦٣ أيضا ، وأضيف الى هذا التأريخ عبارة « بعد مفسد خيبر بعم « بعام » » ، ومعنى هذا أن حدثا تأريخيا كان قد وقع قبل هذا التأريخ بسنة صار الناس هنالك يؤرخون به ، فأرخ النص العربى به • ويرى « ليتمان » أن ذلك يعنى وقوع غزو على « خيبر » ربما قام به أحد ملوك غسان (١) •

وتعد الكتابة التى عثر عليها فى موضع « أم الجمال » وقيل لها كتابة « أم الجمال الثانية » تفريقا لها عن كتابة أم الجمال الأولى أحدث ما عثر عليه من كتابات بهذا القلم الذى نتحدث عنه ، وباللهجة الشمالية القريبة من لهجة القرآن • وهى لا تحمل تأريخا • غير أن من عالج أمرها من المستشرقين يرى أنها تعود الى القرن السادس للميلاد (٢) ، ولغتها قريبة من اللغة العربية المعروفة ، كما أنها متحررة عن النبطية والارمية الى حد كبير •

وعثر فى اليمن على بعض كتابات نبطية لعلها من آثار التجار النبط الذين كانوا يذهبون الى اليمن بقصد التجارة ، ولا سيما فى القرنين الأولين للميلاد ، حيث أصبح لهم نفوذ واسع فى الأسواق التجارية ، وصاروا يقومون بنقل تجارة الهند وبلاد العرب الجنوبية الى مصر والشام وحوض البحر المتوسط ، ويستعملون خطهم فى تدوين أعمالهم التجارية فسبب انتشاره بين العرب الذين كانوا فى الحجاز وفى الأقسام الشمالية من شبه جزيرة العرب ، وبين عرب الشام والعراق ، ولوحظ ان احدى هذه الكتابات كتبت بالقلم النبطى المتأخر الذى يشبه القلم الذى استعمل فى نقش « فهر بن سلى » (٣) • ومن الجائز أن يكون صاحب هذه الكتابة من النبط الذين استوطنوا اليمن ، كما أن من الجائز أيضا أن يكون من اليمانين الذين تعلموا الكتابة بهذا القلم الذى أخذ ينتشر بعد الميلاد ، لأنه أسهل فى الاستعمال من المسند الذى يحتاج الى دقة فى الرسم • غير أن العلماء لم يتمكنوا من العثور على عدد كاف من الكتابات المدونة بهذا القلم ، تكفى لاصدار حكم علمى عن وقت دخول الخط النبطى المتأخر الى اليمن ومدى انتشاره بين الناس • ولما كان القلم النبطى المتأخر قد ظهر بعد الميلاد على رأى أكثر العلماء ، يكون هذا الخط قد

---

(١) السامية : ١٩٢ . A. Littmann, in Rivista degli Studi Orientali 1911. P, 195.

(٢) Nabia, P. 5. Pl. 15. Littmann, in Zeitschrift für Semitistik Und Verwandte Gebiete (Leipzig. 1922), VII, 197-204.

(٣) نشر نقوش ص ١٢٠ •

وصل الى اليمن بعد الميلاد بالطبع بالاتصال التجارى والقوافل التى كانت تقوم برحلاتها بين اليمن والشام مارة بمناطق نبطية كتبت بهذا الخط وبواسطة النصرانية التى وجدت لها سبيلا الى اليمن .

أما المسند ، فقد اشتهر عند علماء العربية بأنه خط حمير ، ولذلك قال له بعضهم « الخط الحميرى » ، و « القلم الحميرى » [1] ، كما قال له المستشرقون فيما بعد . وهى تسمية مغلوطة على كل حال ؛ لأن الحميريين لم يكونوا أول من أوجد هذا الخط ، لقد سبقهم فى استخدامه السبئيون والمعينيون وأقوام عربية أخرى ، وربما استخدمته شعوب أخرى أقدم من هذه عهدا . قال ابن خلدون فى مقدمتــه : « كان لحمير كتابة تسمى المســند ، حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون من تعلمهـــا الا باذنهم . ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية » [2] . وقد بقيت جماعة من اليمن تكتب بهـــذا الخط وهى فى الاســـلام [3] .

والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطى المتأخر وهو أقدم الأقلام التى عرفت فى شبه جزيرة العرب حتى الآن . وقد أظهرت الاكتشافات الحديثـــة ، ان النظرية القديمة التى كانت ترى أن استعمال القلم الحميرى كان قاصرا على اليمن حسب ، لم تكن صحيحة ، وانه على العكس كان مستعملا فى مناطق نائية بعيدة عن اليمن . بل لقد تجاوز حدود بلاد العرب قبل المســيح ، فعبر الى مصر ، حيث عثر فى موضــع « قصر البنات » على طريق « قنا » على كتابات بهذا القلم [4] ، كما عثر على كتابة بهـــذا القلم كذلك بالجيزة كتبت « فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس » ، وهى ليست بعد سنة (٢٦١) قبل الميلاد بأى حال من الأحوال [5] . وعثر على كتابات

---

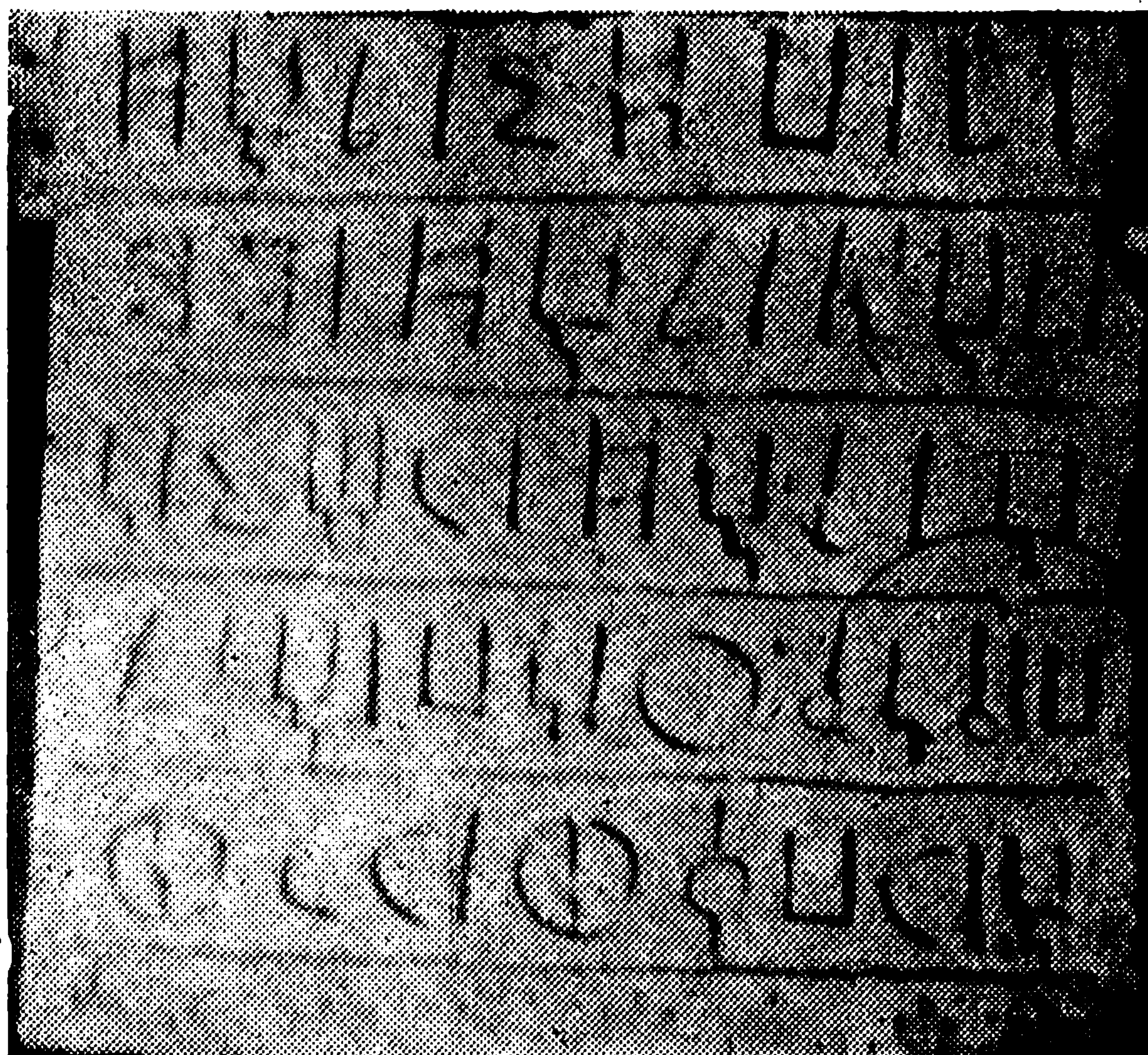
(١) « القلم الحميرى » الفهرست (ص ٨) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٤٩) .

(٣) لسان العرب ٤/٢٠٦ .

(٤) Le Muséon, LXII, 1-2 (1949) P, 56. M.A.S. Tritton, Nous Signale deux Graffites Pupliés par A.E.P. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts, London and Edinbourg. 1909. Pl. IV, fig. 13 et 14. H. A. Winckler. Rock Drawings of Southern — Upper Egypt. 1. London 1928. Site 1, P. 4. Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII. (1935). P, 228-229. J. Leibovich, Les inscriptions Protosinaitiques, Le Caire 1934.

(٥) Boasor. Number 73. February 1939. "The Place of the Minaeans in the history of Pre — Islamic Arabia" by. F.V. Winnett. P. 7.



شاهد قبر رجل اسمه « ايليا » أهدانيه السيد حمد الجاسر



تمثال عثر عليه في الأحساء • هدية السيد حمد الجاسر

بالمسند فى جزيرة « ديلوس » (Delos) من جزر اليونان [١] .

ولا يمكن تصور وجود هذه الكتابات فى هذه الجزيرة البعيدة ، لو لم تكن هناك صلات بين شبه جزيرة العرب وبين اليونان . ولعل الأيام تكشف عن نصوص أخرى فى أماكن حول البحر المتوسط أبعد من جزيرة « ديلوس » ترينا كيف أن النظرية القديمة التى وضعت جزيرة العرب فى عزلة عن العالم لم تكن تستند الى علم .

وذكر السائح الانكليزى « لوفتس William Kennett Loftus » أنه لاحظ فجوة فى « وركاء Uruk » فى العراق ، فبحث فيها ، فتبين له أنها كانت قبرا وجد فى داخله حجر مكتوب بالمسند ، فيه : ان هذا قبر « هنتسر بن عيسو بن هنتسر » [٢] .

ولهذه الكتابة المدونة بالمسند ، أهمية كبيرة جدا ؛ لأنها أول كتابة وجدت بهذا الخط فى العراق . وهى تشير الى الروابط الثقافية التى كانت بين اليمن والعراق ، والى وجود أشخاص فى هذا المكان كانوا يستعملون المسند ، سواء أكانوا عراقيين أم يمانين .

أما فى الحجاز ، فلم تعرف الروايات العربية أنه كان يستعمل المسند استعمال حمير وأسلاف الحميريين ، وأنه كان قلم الحجازيين قبل الميلاد . وقد وصل هذا القلم الى فلسطين وربما وصل الى الشام ، فقد عثرت بعثة علميـة قامت بأعمال الحفر فى ميناء « عصيون جابر Ezion Geber » [٣] على جزار عليها كتابات بحروف المسند رأى بعض العلماء أنها معينية ، تفصح عن الأثر العربى فى هذا الميناء المهم الذى حاول سليمان أن يجعله ميناء اسرائيل على البحر الأحمر .

---

(١) الجزء نفسه (ص ٧) .

(٢) Travels and Researches in Chaldaea and Susiana, by William Kennett Loftus, London. MDCCCLVII, P. 233.

أشكر الأستاذ الفاضل السيد يعقوب سركيس الذى تفضل فأعارنى هذا الكتاب .

Corpus Inscriptionum Semiticarum, IV, as No.699.

(٣) Ency. Bibl. P, 1472 (Ezion Gaber) Boasor, Number 75. October 1939.
« The Second Campaign at Tell — El Kheleifeh Ezion — Geber : Elath » by, Nelson Gluelk. P. 19. Number. 71, PP. 15, Revue Biblique XLVIII. 1939. PP. 247. Asia, May, 1939, P. 294. لم يعين موضع المكان بالضبط ولا يبعد كثيرا عن « أيلة Elath » على خليج العقبة ومنهم من يظن أنها كانت عند « عين الغديان » التى هى على بعد عشرة أميال من البحر فى قعر « وادى العربة » . وكان « خليج العقبة » على ما يظن بعض العلماء يمتد قديما الى هذا الموضع . قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٦) .

وكشفت العروض ونجد وأماكن أخرى فى جنوب نجد عن سر كان العلماء يبحثون عنه في شوق ، فقدمت للعلماء عددا من الكتابات المدونة بالمسند ، وبذلك ثبت عمليا أن « المسند » كان معروفا قبل الاسلام فى كل شبه جزيرة العرب ، وربما كان القلم العام للعرب قبل المسيح ، أى قبل ظهور أقلام أخرى ولدت على ما يظن بعد الميلاد . ففى سنة ١٩١١ للميلاد عثر « الكابتن شكسبير Cap. W. H. Shakespear »[١] على كتابتين بالمسند فى موضع « حنا »[٢] وفى خرائب « ثج » « ثأج » التى تبعد خمسين ميلا تقريبا عن ساحل الخليج وزهاء مئة ميل من شمال غربى القطيف[٣] . وقد نشر ترجمة الكتابتين المستشرق « ماركليوث »[٤] . وعثر بعد ذلك على كتابة أخرى فى موضع « ثج » (ثأج)[٥] دخلت فى ملك أمير الكويت ، وقد نشر ترجمتها « ركمن Ryckman »[٦] وهى حجر قبر لشخص من قبيلة « شذب » . وعثر على كتابة أخرى فى هذا الموضع ، وقد بلغ عدد ما عثر عليه فى هذا المكان أربع كتابات[٧] .

---

(١) Boasor. 102 (1946) P. 4.

(٢) « حنا : لعل صوابها « الحناة » ـ واحدة الحناة بتسهيل الهمزة كما هى عادة عرب هذا الزمان فى الكلمات المهموزة . والحناة : موضع يقع غرب بلدة الجبيل ـ المعروفة قديما باسم « عينين » الواقعة على البحر الشرقى « الخليج الفارسى » . وتبعد الحناة عن الجبيل ٨٣ كيلومترا ـ وتقع على ممر الطريق منه ومن الظهران والأحساء ولمن يقصد الكويت أو العراق أو نجدا . » كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ . « عينين » . البلدان ٦/٢٥٨ .

(٣) « ثأج (بالجيم) : قال الغورى : يهمز ولا يهمز عين من البحرين على ليال . وقال محمد بن ادريس اليمامى ثاج قرية بالبحرين » البلدان ٣/٢ . « ثج » هى « ثأج » وهى التى وردت فى الشعر العربى القديم وفى ياقوت مهموزة . ولكن العرب فى هذا العهد لا يهمزونها . وثاج : موضع فيه سكان وزروع قليلة ، يقع بقرب الحناة فى الجنوب الغربى منها بمسافة لا تتجاوز عشرة كيلومترات . » كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ .

(٤) Douglas Carruthers, « Captain Shakespear's last Journey » in The Geographical Journal, LIX (1922), 321-323. Corpus Inscriptionum Semiticarum, Nos. 984-985.

(٥) « ثاج : قرية بالبحرين » البكرى : معجم ما استعجم ١/٣٣٣ (طبعة مصطفى السقا) .

(٦) Ryckman, in Le Muséon. L. P. 239 f. Ry. 155.

(٧) Le Muséon, Vol, L. P. 237. 2 Ry. 155.



صورة فلاح يحرث ، وقـد كتب على أعلاها : « نصب يحمد قشفنقن وخرت وخـل » ٠

وعثر عمال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية « أرمكو » فى أثناء الحفر على مقربة من « عين جوان » « جون » [1] عام ١٩٤٥ للميلاد على حجر مكتوب تكسرت بعض أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، اتضح بعد أنه حجر قبر لامرأة يقال لها « جشم بنت عمرت » « عمرة » بن تحيو من أسرة « عور » (آل عور) من قبيلة « شذب » [2] .

واستخرج « كورنول P. B, Cornwall » لوحا مكتوبا بالمسند كان مدفونا فى أحد بساتين القطيف ، دفنه أصحاب البستان ، وقد ذكر أنه نقل من جزيرة « تاروت » أو من موضع لا يبعد كثيرا عن القطيف ، وقد وجد أن هذا اللوح هو مثل الألواح التى عثر عليها قبلا ، شاهد قبر ، وضع على قبر رجل يقال له « ايليا بن عينى بن شصر من أسرة سمم من عشيرة ذال من قبيلة شذب » [3] ، ويرى بعض المستشرقين أن صاحب القبر كان نصرانيا ، عاش فى القرن الخامس أو السادس للميلاد .

وعثر على شاهد قبر آخر مدون بالمسند ، هو شاهد قبر « شبام بنت صحار بن عنهل بن صامت » من قبيلة « يدعب » ، وجد على مقربة من القطيف [4] . و « يدعب » بطن من بطون قبيلة « شذب » . ويظهر أن قبيلة « شذب » كانت من القبائل المعروفة فى العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، ولا تحمل الكتابة تأريخا ، ويرى الذين درسوها أنها تعود الى القرن السادس للميلاد . وأما الرقم الذى ذكر فى نهاية النص وهو رقم (٩٠) ، فالظاهر أنه يشير الى عمر صاحبة القبر [5] .

هذا ما عثر عليه من كتابات بالمسند فى العروض . وأما فى أواسط شبه الجزيرة وفى داخلها وفى الأماكن التى لم يكن يتصور العثور فيها على أثر لحضارة ، فقد عثر

---

(١) « عين جوان ـ الصواب جاوان » . وتقع جاوان فى داخل الرأس المعروف حديثا باسم « رأس تنورة » فى الجهة الشمالية منه على ساحل البحر ، بعد مدخل الرأس ببضعة كيلومترات . وكانت عينه تسقى نخيلا وزروعا ولكن ماؤها قل ، حتى زالت مزروعاتها . » كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠م .

(٢) Boasor. Number. 102. April 1946. P. 4. « A Himjaritic Inscription from the Persian Gulf Region » by F. V. Winnett. Boasor. Supplementary Studies Nos. 7-9. « The Early Arabian Necropolis of Ain Jawan » by Richard Lebaron Gulf. 1950.

(٣) Geograchical Journal. Vol. CVII. 1-2. 1946. « Ancient Arabia : explorations in Hasa, 1940-1941. By. P. B. Cornwall. P. 44. » .

(٤) Geogr. Jour. CVII, 1-2. (1946). P. 45. (٥) المصدر نفسه .

فيها على كتابات بهذا القلم كذلك ، ولهذه الكتابات أهمية كبيرة ؛ لأنها أول وثيقة تأريخية لا يتطرق اليها الشك ، ترد الينا عن هذه المناطق التى لم يرد لها ذكر مفصل عند المؤرخين السابقين ، ولأنها أول دليل عملى يثبت انتشار هذا الخط فى أواسط شبه الجزيرة . عثر « فلبى » فى هذه المناطق على فخار وآثار أرسلها الى المتحف البريطانى ظهر أنها تعود الى القرن الثانى قبل الميلاد ويظن من فحصها أنها من آثار السبئيين(١) . وأظن أنها غير سبئية ؛ لأن لهجتها لهجة أخرى تختلف عن لهجة السبئيين كما عثر على كتابات وصور ، وبقايا مقابر وعظام . وقد صور « فلبى » بعض الكتابات ، وصور بعضا آخر رجال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية الذين وصلوا الى هذه المواضع للبحث عن البترول . وقد وصلت تصاوير عدد منها الى العلماء فنشروا نصوصها وترجماتها ، مثل كتابات « القرية » أو « قرية الفأو » التى سبق أن تحدثت عنها (٢) . وقد وجد اسم الصنم « ود » مكتوبا بحروف كبيرة بين تلك الكتابات (٣) ، وحيث أن هذه الكنوز الثمينة انما عثر عليها ظاهرة على سطح الأرض ، وحيث انها لم تفحص الكهوف فحصا دقيقا ، ولم تنظف من الأتربة والرمال التى فى داخلها ، فاننا نأمل العثور على أشياء ثمينة ذات بال بالنسبة للتأريخ الجاهلى اذا اهتمت الحكومة العربية السعودية بهذا الأمر ، وقامت بتجهيز بعثة علمية من المتخصصين بالأثريات العربية ، أو سهلت للعلماء وللبعثات سبل الوصول اليها ، وحافظت على تلك الآثار من التلف وعبث العابثين .

ووجد « فلبى » كهوفا ومقابر فى مواضع أخرى من « وادى الفأو » ، وقد وجدت حيطان بعض الكهوف « سردب » « سرادب » مكسوة بالكتابات و « الوسم » والتصاوير المحفورة . ويظهر أن أبنية ضخمة كانت فى هذه الأماكن (٤) .

وعثرت شركة « أرمكو » على رأس نحت من الحجر فى « القرية » كتب عليه بالمسند أنه (ثار ونفس علزان « علزن » بن قلزان « قلزن » غلونيان « غلونين ») (٥) ،

---

(١) Geogr. Jour. CXIII. (1949) P. 21. « A Further Journey across the Empty Quarter » by, W. Thesiger.

(٢) المصدر نفسه ص ٩١ .

(٣) Geogr. Journ. CXIII (1949). P. 91.

(٤) Geogr. Journ. CXIII (1949). P. 90-91 Le Muséon. LXII, 1-2 (1949) P. 87 ff.

(٥) Le Muséon. LXII, 1-2 (1949). P. 87-88 Philby — Qariya 1. Philby 221 a.

أى « صورة وقبر علزان بن قلزان الغلونى » . كما وجدت كتابات بهذا القلم عند جبل عبيد وفى حصن ناطق وفى شمال موضع «خشم كمدة » على مسافة « ١٠٠ » كيلومتر من شمال قرية الفأو فى وادى الدواسر (١) ، وفى « وادى هبن » (٢) على (١٢٠) ميلا شمال شرقى عدن (٣) ، وفى « عين قرية » على (٣٠) ميلا تقريبا من شمال « زفر » وفى « منخلى » فى جنوب خشم العرض حيث يعتقد البدو أن هذا الموضع هو بئر من آبار عاد (٤) .

لم يفسر علماء العربية سبب تسمية « المسند » مسندا ، وقد قرأت لاسرائيل ولفنسون تعليلا لتسمية هذا القلم مسندا ، فقال : « والخط المسند يميل الى رسم الحروف رسما دقيقا مستقيما على هيأة الأعمدة . فالحروف عندهم على شكل العمارة التى تستند الى أعمدة . وعلى العموم فان لحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الأعمدة فى عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن .

من أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لايجاد حروف على هيأة الأعمدة ، أى أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند الى أعمدة .

وقد تنبه علماء المسلمين الى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظ المسند ؛ لأن حروفها ترسم على هيأة خطوط مستندة الى أعمدة » (٥) .

وهو رأى سبقه اليه « ليدزبارسكى Lidzbarski » اذ أشار الى أثر العمارة والأعمدة فى شكل هندسة حروف الخط المسند (٦) . وهو تفسير يشبه تفاسير الأخباريين واللغويين للأسماء والأعلام التى لا يعرفون من أمرها شيئا ، فيلجأون الى الخيال ليبتكر لهم سببا وتعليلا يناسب الكلمة ، ويتصورون عندئذ أنهم قد أوجدوا السبب ، وأن من يأتى بعدهم سيكتفى بذلك ويأخذ به .

---

(١) Le Muséon. LXII, 1-2 (1949). PP. 99 Philby — Wadi Dawasir. I.

(٢) هكذا ورد فى مجلة Le Muséon « Haban » بدون نقطة أو علامة تحت حرف « H » تدل على أنه « حاء » ، ولعل الكلمة « الحبن » وهو موضع ذكره الهمدانى فى صفة جزيرة العرب (ص ٦٨) .

(٣) Le Muséon, LXII, 1-2 (1949). P. 103.

(٤) Geogr. Journ. CXIII (1949). P. 31. 34.

(٥) تأريخ اللغات السامية (٢٤٣-٢٤٤) .

(٦) Hommel, Grundriss. Erste Hälfte. P, 146. Lidzbarski Ephemeris, I, S, 114 ff.

وكذلك كونت كلمة « المسند » فى مخيلة « اسرائيل ولفنسون » ولدى المستشرق « M Lidzbarski » فكرة استناد خطوط الحروف وقيامها بعضها الى بعض استناد المبانى ، وقد وجدا من مبانى اليمن وقصورها ما قوى هذا الخيال عندهما ، مع أن كلمة « المسند » التى تطلق فى المؤلفات العربية الاسلامية على خط أهل اليمن قبل الاسلام لا علاقة لها بالقصور والمبانى واستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها الى بعض . وانما تعنى شيئا آخر ، تعنى خط « حمير » لا أكثر ولا أقل . وكلمة « مسند » فى العربية الجنوبية تعنى « الكتابة » مطلقا ، وقد وردت فى مواضع متعددة من الكتابات والنقوش ، فورد مثلا « سطروا ذان مسندان » « سطرو ذن مسندن » ، وترجمتها : « سطروا هذه الكتابة »[(١)] ، وتؤدى كلمة « سطرو » المعنى نفسه الذى يرد فى لغتنا ، وهو : « سطروا » [(٢)] . وأما « ذن » أو « ذان » ، فانها تعنى « هذا » أو « هذه » . فكلمة « مسند » تعنى فى العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط أو الكتابة فى لغة القرآن ، ولم تكن مخصصة عند اليمانيين بخط حمير ، أو غير حمير ، وانما حدث هذا التخصيص فى المؤلفات الاسلامية فصار فيها « المسند » اسم علم لخط حمير وحده . ولا ندرى بالطبع متى حدث ذلك : أحدث فى الجاهلية المتصلة بالاسلام أم فى الاسلام ؟

واذا كان هذا التخصيص قد وقع فى الاسلام ، فاننا لا نستطيع أيضا التكهن عن الوقت الذى ظهر فيه هذا التخصيص ؛ لأننا لا نملك مصادر اسلامية تشير الى هذا ولا مؤلفات من صدر الاسلام يمكن أن نجد فيها ما نبحث عنه .

يتألف المسند من تسع وعشرين حرفا ، وأبجديته مثل الأبجديات السامية الأخرى من حيث انها تتألف من الحروف الصامتة ولا حركة فى الكتابة فيها ولا ضبط فى أواخر الكلمات ولا علامة للسكون أو للتشديد . ويفصل بين الكلمة والكلمة التى تليها فاصل هو خط مستقيم عمودى . وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما فى اللغات

---

(١) Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch Von Marib, Ein Beitrag Zur Geschichte Arabiens in 5 Und 6 Jahr. Nach Chri. in Meth. der Vorder Asia. Ges. 1887.

(٢) وورد فى الكتابات اليمانية « اسطرن » ، وتعنى « أسطرا » كما تعنى كلمة « مسند » كتابة ووثيقة . نشر نقوش سامية لخليل يحيى نامى (ص ٧٩ ، ١٠٣) .

العبرية	السينائية	العربية الجنوبية	الفينيقية	راس شمرا	اليونانية المتأخرة	اللاتينية	العربية
א					A	A	ا
ב					B	B	ب
ג					Γ	CG	ج
ד					Δ	D	د
ה					E	E	هـ
ו					Y	FV	و
ז	(?)				I	...	ز
ח					θ	H	ح
ט	... ?				⊗	..	ط
י					ʃ	I	ي
כ					K	...	ك
ל					L Λ	L	ل
מ					M	M	م
נ					N	N	ن
ס					Ξ	X	...
ע					α	O	ع
פ					Γ	P	ف
צ					...	...	ص ض
ק					Ϙ	Q	ق
ר					P	R	ر
ש					Σ	S	س ش
ת					T	T	ت

نماذج لقسم من الأبجديات

الأوربية[١] ، وتقرأ الكتابة من اليمين الى اليسار ، وتقرأ فى بعض الأوقات من اليسار الى اليمين على طريقة الكتابة اللاطينية ، ويمزج بين الطريقتين أحيانا فيكتب من اليمين الى اليسار ، فاذا انتهى السطر كتب من اليسار الى اليمين ثم من اليمين الى اليسار وهكذا ، على شكل حلزونى .

ومما يلاحظ على الكتابات المعينية أنه لم يطرأ عليها تغيير كبير فى العهود التى مرت بها . أما الكتابات السبئية ، فيمكن التمييز بين القديم منها والمتأخر فى الأسلوب ، وفى شكل الكتابة . وللكتابات الحميرية مميزات أخرى منها اشتمالها على تأريخ الكتابة والزخرف[٢] .

وفى القرن التاسع عشر وما بعده كشف المستشرقون النقاب عن أقلام أخرى لم يعرفها علماء العربية ، هى : القلم الثمودى ، والصفوى ، واللحيانى . والظاهر أنها كانت قد اندثرت قبل الاسلام ، فلم يبق لها ذكر فى مخيلة الجاهليين الذين أدركوا الاسلام . أما القلم الثمودى ، فقد عثر على كتاباته فى أعالى الحجاز ، وعلى مقربة من الوجه وفى الطائف ، وفى « ريع الزلالة » عند السيل الكبير على طريق الطائف مكة[٣] . وفى « حائل » وأماكن أخرى من نجد وفى اليمن[٤] وفى هضبات شبه جزيرة سيناء وفى

---

(١) غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . القاهرة ١٩٣٠ (ص ٣) . تأريخ العرب (مطول) الترجمة العربية (١/٦٨) بيروت ١٩٤٩ .
Höfner, Altsüdarabische Grammatik, Leipzig. 1943.

(٢) راجع عن الكتابة المعينية : Weber. P, 12. Pfannmüller, P, 86
Hommel, Mitt. Vorderas. Ges. Berlin 1897. Heft. 3. P. 258-272. Mordtmann, Beiträge Zur Minäischen Epigraphik. Weimar. 1896.

(٣) Le Muséon, LXII, 1-2. 1949. P, 103. « عقبة الزلالة ، الواقعة بين مكة وبين الطائف وهى ثنية ينحدر منها القادم من الطائف على « السيل الكبير » الموضع المعروف قديما باسم « قرن المنازل » وتبعد عن هذا الموضع خمسة كيلومترات تقريبا ، وتقع فى شرقيه ، وتسمى الآن « الريع الصغير » وقد شاهدت بقربها بينها وبين السيل الكبير جبلا فيه كتابات كوفية قديمة . وحدثت بأن فلبى رأى فى تلك الجهة تمثالا من الصخر منحوتا فى الجبل يمثل رجلا واقفا ، وانه أطلع على كتابات قديمة فى تلك الجهة . » كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠م .

(٤) نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب . القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) .

الصفاة شرق دمشق وفى مصر وفى شرقى الأردن [١] . وأما القلم الصفوى ، فقد عثر عليه فى منطقة الصفاة شرقى الشام [٢] ، وفى بادية الشام ، ولا يعنى هذا أن هنالك قبائل كانت تسمى قبائل صفوية ، بل هو اصطلاح أطلقه المستشرقون على الخطوط التى وجدت فى ناحية الصفاة ، وهى تشتمل على كتابات قريبة من كتابة لحيان وثمود [٣] . وأما القلم اللحيانى ، فقد عثر عليه فى أعالى الحجاز ، ويوجد فيه حروف الذال والثاء والغين والضاد وأفعل التفضيل وعلامة التنبيه التى هى من الخصائص البارزة للغة العربية [٤] .

والموطن الرئيس للكتابات اللحيانية هو منطقة العلا ، ولا سيما موضع « الخريبة » والصخور الواقعة الى شرقه ، حيث عثر فيها على مئات الكتابات التى تعود الى شعب « لحيان » [٥] .

وحروف الصفوية والثمودية كحروف العربية الشمالية عددا . وأما الحركات ، فليس لها علامات لا للفتح ولا للكسر ولا للضم ولا للاشباع ولا لاتحاد الفتحة والواو والياء [٦] (أى الامالة Diphthong) ولا للروم . ولذلك تجابهنا صعوبات كبيرة فى

(١) Hubert Grimme, Die Lösung des Sinaischriftproblems. Die Altthamudische Schrift. Münster 1926. E. Littmann, Entzifferung der Thamudenischen Inschriften. 1904. Ch. Huber, in Journal d'un Voyage en Arabie. 1883-1884.

(٢) E. Littmann, Zur Entzifferung der Safa Inschriften. Leipzig. 1901. R. Dusaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam. 1907. سومر العدد الثانى تموز ١٩٤٦ ص١٣٧ وما بعدها . مقال بعنوان الكتابات الصفوية بقلم المسيو م. رودنسون . راجع كذلك مقال « هاردنك G. L. Harding » فى الجزء الثاني من المجلد السادس (١٩٥٠) من مجلة سومر « القسم الانكليزى » ص١٢٤ بعنوان : «Safaitic Inscriptions in the Iraq Museum» وقد نشر ترجمة كتابات صفوية فى حيازة المتحف العراقى .

(٣) السامية (١٧٥) .

(٤) السامية (١٧٧) . F. V. Winnet, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions. Toronto, 1937.

(٥) Ency. Vol. 3. P, 26. Müller, Epigraphiche Denkmäler aus Arabien. XXXVII, 1889. Jaussen and Savignae, Mission archeologique en Arabie, 1. Paris 1909, P. 263-271. Vol, 2. P, VIII-XIV. 27-77. 361-534. Lidzbarski, Ephemeris für Semit, Epigraphik, II. 23-48, 345-361, III. 214-217.

(٦) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية : الجزء الثالث ، سنة ١٩٣٦ (ص ٢٤٧ـ ٢٥٠) .

الأقلام الصفوية والثمودية واللحيـانية والعربية الجنوبية والعبرانية

٥	٤	٣	٢	١
א				
ב				
ג				
ד				
ד̄				
ה				
ו				
ז				
ח				
ח̄				
ט				
ט̄				
י				
כ				
ל				
מ				
נ				
ס				
ע				
ע̄				
פ				
צ				
צ̄				
ק				
ר				
ש				
ת				
ת̄				

عبرانى مسند لحيــانى ثمودى صفوى

محاولتنا قراءة الكلمات والجمل قراءة صحيحة شأن العربية الجنوبية وأكثر اللهجات السامية الأخرى واللهجات العربية الشمالية • ويحتاج القارىء ــ لهذا السبب ــ الى مران طويل ودراسات للهجات الأخرى الحية والى معرفة الأساطير والعقائد عند الشعوب السامية لضبط كلمات هذه اللهجات المنقرضة ، ومعرفة معانيها • فمن الضرورى ــ على كل حال ــ دراسة جميع هذه اللهجات العربية الشمالية والجنوبية القديمة منها والحديثة للوقوف على أصل العربية وتأريخها •

ويرى العلماء أن الأقلام الثلاثة المذكورة ، وهى الثمودى والصفوى واللحيانى ، قد اشتقت من المسند ؛ فان التشابه فى أشكال حروف هذه الأبجديات والأبجدية العربية الجنوبية كبير جدا ، وان اختلفت فى تعدد أشكال الحرف الواحد عن المسند • والظاهر أنها تفرعت منه فى القرون الأخيرة قبل الميلاد بعد تزعزع كيان الحكومات المركزية فى اليمن وظهور حكومات مستقلة فى الأرضين التى كانت خاضعة لحكم معين وسبأ •

والأبحاث التى قام بها المستشرقون عن الخط العربى قبل الاسلام ، لا تزال فى مراحلها الأولى ، ولا يمكن فى نظرى نضج هذه البحوث والوصول الى نتائج علمية مرضية ، الا اذا قام المتخصصون بالتنقيب تنقيبا علميا فى شبه الجزيرة كلها ، وهذا ما يستغرق بالطبع وقتا طويلا • ولا يستبعد أن يتوصل المنقبون الى معرفة أبجديات وأقلام قد تكون أقدم عهدا من هذه الأقلام التى تحدثت عنها ، وقد يجدون ما يغير كل النظريات المعروفة عن ظهور « الخط » عند البشر ، وقد يتوصلون الى معرفة حلقات مفقودة فى سلسلة تطور الخط البشرى • ولذلك فعندى أن الاعتماد على الذى عثر عليه من كتابات جاهلية فى وضع نظريات عن الخطوط العربية وتعيين نشأتها وتأريخها وعلاقتها بالأبجدية أو الأبجديات البشرية الأولى ، هو نوع من الظن لا يفيد علما فى هذا الوقت •

للعلماء الذين اشتغلوا فى موضوع نشوء الخط عند البشر ، والقلم الأول الذى تفرعت منه سائر الأقلام ، نظريات فى تأريخ الكتابة وظهورها ، وفى المراحل التى مرت عليها من أول عهد مرت فيه وهو عهد الكتابة الصورية « Pictography »(١) الى وصولها الى مرحلة الحروف • وهذه النظريات مع أنها مرت بمناقشات وبحوث وتحددت حتى أصبحت معروفة عند علماء الخطوط ، لم تستقر حتى

---

(١) Ency. Brit. Vol, I. P. 677.

(١) . وقد أدى العثور على بعض الكتابات المدونة بخطوط قديمة مثل كتابة الملك « ميشع Mesha » ملك موآب الذى عاش حوالى ٨٥٠ قبل الميلاد (٢) . وكتابات أخرى عثر عليها فى قبرس وفى شبه جزيرة سيناء فى « سرابيط الخادم » ، ويرجع تأريخها الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد(٣) . وكتابة الجبيل « ببلس » « Gebal » « Byblus »(٤) « ولوحات رأس شمرة » « اليغاريتية » (Ugarit) التى ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد(٥) وأمثالها ، الى احداث تغيير وتحوير فى نظريات العلماء القديمة عن تطور الخطوط . ولذلك فليس بمستبعد أن يجىء يوم قد تظهر فيه أبجديات لا نعرف من أمرها شيئا تبدل كل هذه النظريات التى قيلت عن منشأ الخط .

ومن العلماء من رأى أن الأبجدية الأولى انما ظهرت فى العراق فى « كلديا » ، بتأثير عبادة النجوم ، ومن تلك الرموز التى وضعها الكهنة للنجوم أخذت الأبجدية الأولى ، وتفرعت الألفباء السامية الغربية التى صارت أما لمجموعة من الأبجديات ، ومن قائلى هذه النظرية والمدافعين عنها المستشرق « هومل » الذى أنكر أن تكون مصر هى المهد الأول للكتابة (٦) .

---

(١) للتوسع فى هذا البحث ، تستحسن مراجعة الموارد الآتية :
Faulmann, illustrierte Geschichte der Schrift. 1880. Isaac Tayler, The Alphabet 1883. Grundriss, 1. PP. 97. Gustav Hinrichs, Ursprung des Griech. Alphabets. 1886. Ency. Brit. Vol, 1. PP. 677. Philippe Berger, Histoire de l'ecriture dans l'antiquité. E. Clodd, The Story of the Alphabet.

(٢) السامية ص ١٠٦ Ency. Brit. Vol, 1. P. 679. مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : ج ٤ مجلد ٢٥ (١٩٥٠) ص ٦١٩ اكتشف هذه الكتابة « كليرمون ــ غانو » سنة ١٨٦٩ .

(٣) Hitti, P, 70. Hans Bauer, Zur Entzifferung der Neuentdeckten Sinaischrift, Halle. 1918. Butin and Lake in the Harvard Theol. Review. January 1928, April 1932. JAMES A. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 165.
وسيكون رمزه : Arabia وقد اكتشف خطا مشابها له فى فلسطين راجع : W.R. Taylor, in the Journ. Palastine or. Soc. 1930 PP. 17. 79.

(٤) Dussaud, in Syria, 1924. PP. 135. Tirrey, Journ. Ame. or. Soc. 1935. PP, 269.

(٥) Hitti, P, 70. Claude F. A. Schaeffer, The Cuneiform Texts of Ras Shamra Ugarit, London 1939.

(٦) Grundriss, 1. PP. 97. Geschi. Bab. Und Assy. PP, 50.

ومن العلماء من يرى أن الأبجدية الأولى هى وليدة « الهيروغليفية » ، وأن الذين أوجدوا الأبجدية انما أخذوها منها ، أخذوا من المصريين فكرة التدوين وفكرة الاختزال كما اختزل الكتاب المصريون الذين ابتكروا « الهيروغليفية » كتابتهم من الكتابة المصرية الصورية التى كانت تعبر عن معان ، وأوجدوا منها المقاطع التى سهلت أمر اداء المعانى والقراءة تسهيلا كبيرا ، فكان المصريون أول من علم البشر نظرية التدوين وفكرة الاشارة الى المعانى ومقاطع الكلمات بصور واشارات • فاختزل مبتكروا الأبجدية الكتابة « الهيروغليفية » ، وأوجدوا من المقاطع حروفا ، كونت الأبجدية الأولى ، الأبجدية التى أصبحت نموذجا لسائر الأبجديات ، فمنهم من تقيد بها وحافظ على الشكل الأصلى للحروف كما وضعت فى الأصل ، ومنهم من غير فيها وحرف ، ومنهم من أضاف اليها أو نقص منها ، وبالجملة ، لما كان الفضل للسابق ، فان فضل نشوء فكرة التدوين عند البشر يرجع الى المصريين (١) •

وقد ظل رجال العلم الحديث أمدا طويلا يرون أن الأبجدية « الفينيقية » مشتقة من « الهيروغليفية » ، ويذهبون الى أن الفينيقيين الذين كانوا أول من عمم طريقة للكتابة بالحروف الهجائية قد أخذوا أصولها من مصادر مصرية • الا أن الهوة التى كانت تفصل بين الكتابتين ظلت كبيرة ، فكان من الصعب عليهم ايجاد تعليل معقول لوجودها ، واعطاء جواب علمى مقنع عن المراحل التى قطعت بين « الهيروغليفية » و « الهجائية الفينيقية » ، حتى ظهرت كتابة عثر عليها فى شبه جزيرة سيناء قيل لها « كتابة سيناء » ، فقالوا عنها انها الحلقة المفقودة التى تسد تلك الثلمة • ويعود تأريخ كتابة سيناء الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد ، فهى أقدم عهدا من كتابة « أحيرام » التى عثر عليها فى « جبيل » (كبال قديما وبلس فى اليونانية) بما يناهز ستة قرون (٢) •

ومن القائلين بهذا الرأى « Martin Sprengling » ، فهو يرى كسائر أصحابه القائلين بهذه الفكرة أن العمال الذين كانوا يشتغلون فى مناجم طور سيناء انما اهتدوا الى

---

(١) Ency. Brit. Vol, I. P, 680. Hubert GRIMME, Die Lösung des Sinaischrproblems. P. I. Lösung : وسيكون رمزه A. H. GARDINER, « The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet », in « The Journal of Egyptian Archaeology » 1916.

(٢) حتى (٩٢-٩٣) • Lösung P, I.

التدوين بالحروف الأبجدية من الفكرة المصرية فى التدوين ، تلك الفكرة التى أوجدت للمصريين الكتابة بالمقاطع ، « الهيروغليفية » . وقد علمت هذه الفكرة المصرية أولئك العمال أصول اختزال المقاطع ، فاختزلوها واكتفوا بالحروف الأولى من أسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كونت الأبجدية « الطورسينائية »[1] ، « أخذوا مثلا صورة « رأس ثور » عن الهيروغليفية ، فأغفلوا لفظها فى اللغة المصرية ، وأطلقوا عليها ما يقابله فى لغتهم الخاصة ، ثم صارت هذه العلامة ألفا عملا بقانون الأكروفونية (القاضى بالاعتماد على الحروف الاولى من أسماء الصور وترك الباقى منها) . وعلى هذا القياس سار السينائيون فى معالجة صورة « بيت » ، فأطلقوا عليها ما يقابلها فى لغتهم ، ثم اعتمدوا على الحرف الأول من اسمها فى لغتهم وهو الباء وهكذا دواليك »[2] . فتكونت منها أبجدية تتألف من اثنين وعشرين حرفا أصبحت نموذجا لبعض الأبجديات مثل الأبجدية العبرانية[3] .

وقد انتشرت هذه الأبجدية من « طورسيناء » الى الشرق فوصلت الى الشام وشبه جزيرة العرب ، وصارت أصل الأبجديات فى هذه الأماكن غير أنها لم تستعمل فى العراق ، حيث كانت الكتابة المسمارية ، ولا فى مصر ، حيث كانت الكتابة « الهيروغليفية » . وقد تغيرت أشكالها باستعمالها الطويل ، وتحرفت بمرور الزمن ، وتبدلت الأسماء التى وضعها كتاب شبه جزيرة سيناء لحروفهم ، كما تبدلت من حيث الترتيب وبذلك تولدت منها أقلام جديدة[4] .

ويرى بعض العلماء أن الخط الكنعانى قد اشتق من الخط الهيروغليفى أيضا لوجود شبه بين الحروف الكنعانية وبعض الصور الهيروغليفية . ورأى بعض آخر أنه مشتق من الكتابة المسمارية[5] . ورأى آخرون أنه اشتق من الأبجدية « الطورسينائية » ، اذ يصعب تصور اشتقاق الخط الكنعانى من « الهيروغليفية » رأسا ، لبعد ما بين الكتابتين ، وان كان هنالك شبه بين بعض حروف الكنعانية والصور « الهيروغليفية » . ومن الخط

---

(١) Martin Sprengling, The Alphabet : its rise and Development from the Sinai Inscriptions. Chicago, 1931, The Universal Jewish Ency. Vol, I, P. 198.

(٢) حتى ص ٩٣ .

(٣) The Univers. Jew Ency. Vol, I. P, 202.

(٤) The Uni. Jew. Ency. I. P. 198. (٥) السامية (٩٩) .

الكنعانى تولدت بعض الأقلام السامية المتأخرة ، وعليه اعتمد الخط العبرانى القديم فى رأى بعض العلماء (١) ، أو على الخط الفينيقى فى رأى فريق آخر .

وطائفة أخرى رأت أن وطن « الألفباء » الأولى جزيرة قبرس أو جزيرة « كريت » حيث عثر فيهما على نماذج قديمة للكتابة اتخذوها حجة يستند اليها فى هذا الرأى . ولما كان الفينيقيون هم أول من استخدم الأبجدية ومنهم تعلمها اليونان وغيرهم فى رأى غالبية العلماء ، زعم أصحاب هذه النظرية أن الفينيقيين انما أخذوا الأبجدية من الفلسطينيين « Philistines »(٢) الذين هاجروا من جزيرة « كريت » واستقروا فى سواحل فلسطين التى عرفت باسمهم « فلسطية » « Philistia » ، ثم أطلقت على المنطقة التى قيل لها « فلسطين » كلها(٣) . وفى طليعة هؤلاء القائلين بهذه النظرية العالم « Sir Arthur Evans »(٤) .

وقد عثر المستشرق « M. Claude Schaeffer » المعروف بتنقيبه عن النصوص « اليغاريتية » « Ugarit » فى شهر « نوفمبر » من عام ١٩٤٩ على آجرة صغيرة من الصلصال المفخور بالنار حجمها ٥ سنتمترات فى ١٥ ملمترا فى موضع « رأس الشمرة » الواقع على مسافة عشرة أميال من شمالى اللاذقية ، ظهر أنها على صغرها وتفاهتها البادية عليها من أهم ما عثر عليه من نصوص . فهذه الآجرة الصغيرة التى لا تلفت اليها الأنظار هى لوح فى غاية من الأهمية كتبت عليه الأبجدية « اليغاريتية » المؤلفة من ثلاثين حرفا ، وهى على الرغم من صغر حروفها مكتوبة كتابة واضحة بخط قوى جلى . وقد كان العلماء يبحثون عن هذه الأبجدية بكل شوق ، والظاهر أن أحد الطلاب كتبها على هذا اللوح ، ويرجع عهده الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (٥) .

---

(١) للاطلاع على تطور الخط العبرانى ، تستحسن مراجعة المقال الذى كتبه « H. Tur — Sinai » « Torczyner » فى مجلة « The Jewish Quarterly Review » N. S. XII (1950). 83-109. 159-179.

(٢) Ency. Brit, Vol, 1. P, 680.

(٣) Hastings. P, 672. Ency. Bibl. P, 3534.

(٤) Ency. Brit. Vol, 1. P, 680.

(٥) The Glascow Herald. Saturday March 4 Th. 1950. Manchester Guardian Weekly. March 23 rd. 1950. P. 13. Boasor. Nr. 118 April, 1950. P. 12. راجع وصف هذه الآجرة الصغيرة والأبجدية « اليغاريتية » فى مجلة المجمع العلمي العربى بدمشق : ج ٤ مجلد ٢٥ (١٩٥٠) ٦٢٠ وما بعدها .

وهذه الأبجدية « اليغاريتية » مكتوبة كتـــابة اسفينية ، ولذلك رأى بعض الذين بحثوا فى « اليغاريتية » أنها وليدة الكتابة « المسمارية » • ورأى بعض العلماء أنها متـأثرة بالهيروغليفية من حيث تكوين الحروف الصامتة • وأما من ناحية الرسم ، فأنها متـــأثرة بالكتابة « المسمارية » (١) • وتتألف من ثلاثين حرفا ، فهى تتضمن جميع الحروف فى الأبجديات السامية الشمالية الغربية المكونة من اثنين وعشرين حرفا صامتا • ونجد أنها أوردت هذه الحروف على ترتيب الأبجدية الارمية والعبرانية ، خلا أنها وضعت خمســة أحرف أخرى لم ترد فى العبرانية بين هذه المجموعة ، فتكون منها سبعة وعشرون حرفا تضاهى الأبجدية الكنعانية ، ثم أضاف اليها كتبة « اليغاريتيـــة » أحرفا أخرى ، فأصبح مجموع الحروف ثلاثين حرفا ، تألفت منها الأبجدية « اليغاريتيـــة » (٢) • ولا يعلـــم بالضبط حتى الآن أ هذه الأبجدية أقدم عهدا أم الأبجدية الفينيقية •

ومهما يكن من شيء فانها فى نظرى حلقة جديدة من الحلقات المفقودة التى يبحث عنها العلماء ، تفيد كثيرا فى معرفة تطور الخط البشرى ، وفى توضيح اتجـــاه الخطوط وتفرعها من الكتابات الثلاث أو من كتابات أخرى قد يعثر على آثارها فى مستقبل الزمان •

نرى مما تقدم أن آراء علماء الخط تكاد تتفق على أن مخترعى الأبجديات أخذوا فكرتهم فى ايجـــاد الحروف من العراق ، أو من مصر ، أو من جزيرة كريت ؛ وأنهـــم وجدوا صعوبة فى الكتابة على الطريقة المسمارية التى تستدعى حفظ ما لا يقل عن خمس مئة مقطع صوتى ليتمكن الانسان من الكتابة والقراءة بهـــا بصورة صحيحة ، أو على الطريقة المصرية « الهيروغليفية » التى تحتاج الى مهـــارة خارقة ومعرفة كبيرة ليتمكن الانســـان من الكتابة بها ، أو على طريقـــة كتـــابة أهـــل « كريت » « Minoan Script » التى تمثل طريقة سهلة ومختصرة بالنسبة الى الكتابتين المذكورتين • وهى مع ذلك لـــم تكن سهلة على نحو ما تتصور ، اذ كانت مؤلفة من خمسين ومئة علامة صوتية خفضت فيما بعد

---

(١) The Glascow Herald. Saturday March. 4. 1950. Boasor. Numr. 118. (April 1950) P. 12.

(٢) BOASOR. Number. 118. (April 1950) P. 12. Le Museon, LIX, (1946) 1-4. PP. 95. C.H. Gordon, Ugaritic Crammer. The Present Status of the Linguistic Study of the Semitic Alphabetic Texts from Ras Shamra. Analecta Orientalia, 20. Roma, 1939, P. 69. §. 9, 2. Claude F. A. Schaeffer, The Cuniform Texts of Ras Schamra Ugarit. London. 1939.

الى اثنتين وستين (١) • ولكنها لم تصل الى المرحلة الأخيرة من مراحل الكتابة ، وهى مرحلة الحروف وهى أهم مراحل الكتابة ولا شك ، فجال فى ذهن أولئك المخترعين الأذكياء خاطر لم يمر ببال من سبقوهم من الكتبة الذين وصلوا الى مرحلة التدوين بالمقاطع الصوتية ، هو اختزال هذه المقاطع والاكتفاء بالحروف الأولى منها وتسميتها بأسماء هذه الحروف • وقد وفقوا فى ذلك توفيقا كبيرا ، وأوجدوا للبشرية اختراعا من أعظم المخترعات التى أوجدها العقل الانسانى • أما أولئك المخترعون ، فلم يتمكن العلماء من الاتفاق عليهم : أ هم الفينيقيون ، أم الطورسينائيون ، أم غير أولئك وهؤلاء من الشعوب ؟ وقد تراوح عدد هذه الحروف من العشرين الى الثلاثين بحسب الخصائص الصوتية للغات (٢) •

ويستدل من وحدة أسماء الحروف فى اختلاف الأبجديات على وجود أصل مشترك لا نعرفه حتى اليوم ، تفرعت منه كل الأبجديات السامية واللاطينية ، وعلى أن لأسماء الحروف علاقة وثيقة بالصور وبالكتابة الصورية ، فان أسماء الحروف كما يظهر من معانيها هى أسماء وضعت لأشياء ، فاسم الحرف الأول ، وهو « الألف » ، يعنى « ثورا » ، ولذلك مثل فى « الهيروغليفية » وفى كتابة « طورسيناء » بشكل رأس ثور • وأما الحرف الثانى ، وهو « الباء » أو « Beth » ، فانه يعنى « بيتا » ، وقد صور فى « الهيروغليفية » وفى كتابة « طورسيناء » بشكل يصور مقدمة بيت • وأما الحرف الثالث ، وهو « الجيم » ، فانه يعنى « Gimel » أى « الجمل » ، وصورته لا ترمز الى الجمل رمزا تاما • وأما حرف « الدال » ، فيقال له « دالت » « Daleth » ، ومعناه « باب » • وأما حرف « الهاء » ، فانه من « he » بمعنى « شباك » • وأما « الواو » ، فهو يشير الى « وتد » • وأما « الزاى » ، فانه من « زين » بمعنى « سلاح » • وأما « الحاء » ، فانه من « حيت » بمعنى « حائط » • وأما « الياء » ، فانه من « يود » بمعنى « يد » أو « يد مفتوحة » • وأخذ حرف « الكاف » من « كاف » بمعنى « كف اليد » أو « يد مقبوضة » • وأما حرف « اللام » ، فانه من « لمد » « لامد » ومعناه « عصا لضرب الثور » • وأما « الميم » ، فانه

---

(١) مقال لمراسل جريدة « Glascow Herald » نشر فى جزء السبت ، ٤ آذار (مارس) ١٩٥٠ بعنوان : « New Light on Origin of Alphabet »

(٢) The Uui. Jew. Ency. Vol, I. P, 202-203.

من « ميم » بمعنى « ماء » . وأما « النون » ، فانه من « نون » وتعنى « سمكة » فى لغتنا . وأما حرف « السين » ، فهو « سامخ » وتعنى « آلة » ؟ يعتمد عليها كالعصا . وقد أخذ حرف العين من « عين » أى المعنى نفسه الذى يفهم منه فى العربية ، وأخذ الفاء من « فم » « بم » « Pe » « Pum » بمعنى « فم » ، وحرف الصاد من « صادى » « Tzade » بمعنى صياد ، وحرف القاف من « قوف » « Kof » بمعنى « الرأس الى الخلف » ، وحرف الراء ، من « ريش » بمعنى « رأس » ، وحرف الشين من « شين » بمعنى « سن » . وأما التاء ، فمن كلمة « تاو » « تو » بمعنى علامة أو « صليب » [1] ، وهكذا .

ويرى المستشرق « وايل Weil » أن الترتيب الذى يرد للحروف العربية على طريقة « أبجد هوز حطى ... الخ » هو ترتيب أخذه العرب من النبط أو اليهود ، وقد أخذه النبط والعبرانيون أنفسهم من القلم الارمى ، وتشير هذه الطريقة بكل جلاء الى اشتقاق القلم العربى من القلم النبطى المتفرع عن الخط الارمى [2] . أما الترتيب الذى عند الكنعانيين ، فهو هذا الترتيب مع زيادة الأحرف التى أقتضى وجودها فى طبيعة لغتهم . ويرى بعض العلماء أن العبرانيين أخذوا ترتيبهم هذا من الكنعانيين [3] .

وقد وضع علماء العربية بعد « قرشت » التى يمثل حرف « التاء » فيها آخر حروف الأبجدية الحروف التى لم ترد فى ترتيب « أبجد هوز » ، ويقال لها « الروادف » [4] . وأما نظام ترتيب الحروف عند العرب الجنوبيين فلا نستطيع أن نتحدث عنه ؛ لأننا لما نعثر على كتابة تضمنت الحروف حسب من أول حرف الى آخر حرف . ولما كانت الأبجديات السامية قد وردت فى معظم اللغات السامية على ترتيب واحد تقريبا فبدأت بحرف « الألف » ثم الباء وهكذا ، فلا يستبعد أن يكون ترتيب الأبجدية العربية الجنوبية على هذا النمط كذلك . ونلاحظ أن حرف الألف هو الحرف الأول فى الأبجديات السامية والآرية ، ويليه الحرف الثانى وهو الباء مما يشير الى وجود أصل واحد لهذه الأبجديات . وليس فى مقدور أحد حتى الآن أن يذكر اسم أول شعب أطلق على الحروف هذه الأسماء التى سميت بها وما تزال تستعمل ، كما أننا لا نستطيع أن نؤكد

---

(١) The Uni Jew. Ency. Vol, I. P. 202 f.

(٢) Ency. Vol, I. P, 68-69.

(٣) السامية ص ١٠٢ .

(٤) Ency. Vol, I. P, 68.

أن هذه الأسماء كانت معروفة منذ الوقت الذى اخترعت فيه الكتابة لم تتغير ولم تتبدل ، ولا أخال أحدا يستطيع ادعاء ذلك ، اذ يجوز أن تكون هذه الأسماء المتعارفة قد وضعت بعد ، وغابت عنا أسماء الحروف الأصلية كما وضعها مخترعو الحروف •

ويظهر من الروايات العربية القديمة أن كتاب الجاهلية وصدر الاسلام كانوا يسيرون فى تعلم الكتابة على طريقة « أبجد هوز » ، أى على طريقة النبط والعبرانيين والعرب المقيمين فى الأقسام الشمالية من الحجاز وفى شمال شبه الجزيرة ، ويجب ألا يستبعد ذلك ، لما ورد فى الكتب العربية من أن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من الحيرة أو الأنبار أو المدينين ، أى من الشمال • وأما الترتيب السائر اليوم فى كتابة الحروف العربية مبتدئين فيه بالألف ومنتهين بالياء ، فيظهر أنه اسلامى متأخر ، وقد وضع على ما يخيل الى لتيسير حفظ أشكال الحروف للطلاب ؛ لأنه راعى الجمع بين الحروف المتشابهة ، ولم يتجنب مع ذلك الترتيب المراعى فى نظام « أبجد هوز » تجنبا تاما •

ذكرت أن أكثر المستشرقين رأوا أن القلم العربى الذى دون به القرآن الكريم ، أخذ من القلم النبطى المتأخر • أما المسند ، فقد رأى كثير منهم أنه اشتق من الأبجديات السامية الشمالية كذلك(١) • وذهب بعضهم الى أنه تفرع من الأبجدية السينائية • ومنهم من قال ان الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت من نفس الأصل الذى أوجد الخط الفينيقى ، فهى لذلك من أقدم الأبجديات المعروفة (٢) • ونحن اذا أنعمنا النظر فى شكل الأبجدية الطورسينائية والمسند ، نجدها لا تتشابه الا فى رسم حرفين أو ثلاثة (٣) • وتتكون الأبجدية الطورسينائية من اثنين وعشرين حرفا كالفينيقية والعبرانية • أما الأبجدية العربية الجنوبية ، فتتألف من تسعة وعشرين حرفا ، أى بزيادة سبعة أحرف على أبجدية طورسيناء •

ورأت جماعة من علماء العربية الجنوبية أن المسند قد أخذ من القلم الفينيقى(٤) ، وأصحاب هذا الرأى هم من أولئك القائلين أن الأبجدية الفينيقية هى أقدم الأبجديات وأم الأبجديات • ولكننا اذا أنعمنا النظر فى رسم حروف الأبجديتين ، نجد التشابه بينهما فى هيأة الحروف ورسمها ليس كبيرا ، كما أن الأبجدية العربية الجنوبية تزيد

---

(١) BOASOR, Number 118, April 1950, P, 13.
(٢) Background, P, 11.
(٣) Ency. Brit. Vol, 1. P, 680.
(٤) Lidzbarski, Ephemeris, Vol. 1. P. 109 ff. Arabia P, 164,

عليها فى سبعة أحرف ، وهذه الأحرف الزائدة لا تختلف عن الأحرف المشتركة بين الأبجديتين فى هندسة الرسم والشكل • فلعل الأبجديتين قد تفرعتا من أصل واحد [١] •

وزعم فريق آخر أن المسند مشتق من القلم الكنعانى ، وأن المعينيين تعلموا الخط من الكنعانيين فى أثناء اتجارهم معهم فى بلاد الشام ، وينكر علماء العربية الجنوبية هذا الرأى • ويرى بعضهم أن المسند أقدم عهدا من الأبجدية الكنعانية ، وأن الكتابات العربية الجنوبية أقدم زمنا من أقدم الكتابات الكنعانية ، فلا يصح اذن القول بأن المسند مشتق من القلم الكنعانى • ومما يلاحظ على الأبجديتين أن الكنعانية يعوزها من الحروف : ذ ، ض ، ظ ، س (سامخ) ، ث ، غ • ولكن الأبجديتين تشتركان اشتراكا تاما فى الحروف : ج ، ط ، ل ، ن ، ع ، ش ، ق ، ت ، و • وتختلفان فى بعض الحروف اختلافا كبيرا ، وليس بمستبعد أن تكون الأبجديتين قد تفرعتا من أصل واحد [٢] •

ولاحظ المستشرقون مشابهة كبيرة بين عدد من الأقلام التى عثر عليها فى شبه جزيرة العرب ، وبين المسند ، كما وجدوا هذه المشابهة بين عدد من الأقلام التى استعملت فى غير شبه الجزيرة والمسند ، وبعد مقابلات بينها ودراسات ذهبوا الى تفرع أكثرها من المسند • أما الأقلام التى عثر عليها فى شبه جزيرة العرب وتفرعت كلها من القلم العربى الجنوبى ، فهى القلم الثمودى واللحيانى والصفوى ، وكتابات أخرى كتبت بلهجات محلية عثر عليها فى الأقسام الشمالية الغربية من شبه الجزيرة فى الجوف ، وفى الحجر ، وفى العلا ، وفى مناطق أخرى من شبه الجزيرة كجبل شيحان ، وكوكبان ، وجبل شمر ، لها بعض الخصائص والمميزات اللغوية ، كاستعمال « ها » أداة للتعريف • والظاهر أن خط هذه الكتابات كان مستعملا بين السواد فى الأمور الشخصية [٣] •

---

(١) Grundriss. Vol, 1. P. 145-146. (٢) السامية : (٢٤٢) فما بعدها •

(٣) Grundriss, Vol, 1. P. 147. Transactions of the 9 the Intern. Congr. of Orientalists. Vol, 1. (London. 1893). P. 86-95. « über die Protoarabischen Inschriften ». Aufs. Und Abh. P. 41. 161. Südarab. Chrestom. P. 6. Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Nejd. London 1881. Vol, 2.

وهذه الأقلام المذكورة كلها متأخرة عن المسند ، وتعود تواريخ قسم كبير منها الى بضعة قرون قبل الميلاد ، ومنها ما يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد .

ومما يلاحظ على هذه الأقلام اختلاف صور أكثر الحروف فيها ، فقد تكون للحرف صورتان ، وأحيانا ثلاث صور ، غير أن هذا الاختلاف ليس كبيرا فى الغالب بحيث يتعذر معه تمييز أشكال الحرف الواحد ، ولا نجد فيها الوضوح والبساطة التى نجدها فى المسند ، كما لا نجد فيها هذه الخطوط المستقيمة المنقوشة بدقة وعناية فى الكتابات المعينية أو السبئية أو الحضرمية أو القتبانية أو الحميرية ، فكأن كتابهم كانوا يرون العجلة فى الكتابة والاسراع فى التسطير لضيق الوقت ، لذلك لم تكن حروفهم دقيقة واضحة .

وأما الأقلام التى تشبه حروفها حروف المسند ، واستعملت عند أقوام ليسوا من العرب عاشوا فى أقطار لم تكن من شبه جزيرة العرب ، فمنها القلم الحبشى القديم ، وقد عثر على كتابات به فى منطقة « يها Jeha » ، وهى تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية ، وقلمها هو القلم السبئى القديم[1] ، وفى « أكسوم Aksum » وتعود الى القرن الرابع للميلاد[2] ، وكتابات نصرانية كتبت باللهجة الجعزية . « Ge'ez » وتعود الى القرن الخامس للميلاد[3] . وقد استعملت فى هذه الكتابات الجعزية الأصوات مع الحروف ، وبذلك اختلفت عن الأبجديات السامية التى استخدمت الحروف الصامتة حسب ، وذلك باضافة شيء يشبه الحركات فى صلب الحروف يقرأ معها ولا تفهم هى بدونها[4] . ومع ذلك احتفظت بالأشكال الأصلية للحروف العربية الجنوبية ، ولم تبتعد عنها كثيرا . ويمكن ادراك أثر المسند فى الكتابة الحبشية المستعملة فى الوقت الحاضر دون كبير عناء . وقد استعمل الأحباش القدماء الكلمات السبئية فى لغتهم ، حتى ذهب العلماء الى أن لغة الكتابات الحبشية الجعزية التى عثر عليها فى يها وفى أكسوم انما هى سبئية يتخللها عدد من الكلمات الحبشية[5] . وهذا يشير بالطبع الى أثر الثقافة العربية فى الحبشة وفى

---

(١) السامية ص ٢٥٦ .

(٢) Grundriss, I. P. 148.

(٣) Grundriss, I. P, 148. D. H. Müller, Epigr. Denkmäler aus Abessinien, Wien 1894. Tafel II, IV.

(٤) السامية (ص ٢٥٧) . Grundriss, I. P, 148. Glaser, Die Altabess. Inschr. Von M., in ZDMG.Bd. 50 (1896) S, 463. Die Abessinier in Arabien Und Afrika, München 1895. S. 168.

(٥) السامية ص ٢٥٧ .

السواحل الافريقية المقابلة لبلاد العرب ، وهو أثر سوف نعرج عليه ونتحدث عنه •

وذهب كثير من المستشرقين الى أثر المسند نفسه أو بالواسطة فى عدد من الأقلام الأخرى ، منها كتابات عثر عليها فى افريقية « Meroitische Schrift » فى احدى اللهجات الكوشية أو النوبية (١) • والخط البربرى القديم الذى يعود الى أيام قياصرة رومة (٢) • والقلم البراهمى الهندى « Brahma Script » أو « Devanagari Alphabet » حيث نلاحظ شبها كبيرا بين حروف هذا القلم والمسند • ولا يستبعد أثر المسند فيه ؛ لأن العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جدا (٣) •

يظهر مما تقدم أن المسند كان ـ على خلاف ما يتصور ـ القلم الرئيس فى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن شبه الجزيرة كانت تكتب به على ما يظهر قبل المسيح ، وأن أقلاما أخرى تفرعت منه قبل المسيح وبعد المسيح ، لأسباب لا تزال غير واضحة ، وقد تكون لأشكال الحروف التى تتطلب دقة فى الرسم علاقة بذلك ، فمال الكتاب الى ابتكار أشكال مرنة لا تحتاج الى عناية فى الرسم ، فاستخدموها فى الكتابة لسهولتها • ومنهم من مال الى الكتابة النبطية المتأخرة التى نرى فيها ميزة المرونة واتصال قسم من حروفها بعضها ببعض •

وبالجملة فان هذه الآراء لا تزال حدسا ، ومن الخير الانتظار حتى يعثر على نصوص أخرى تكون سندا للباحثين فى البحث •

العرب ولغاتهم :

ولست بمذيع لك سرا اذا قلت لك ان سكان البلاد « العربية » كانوا يتكلمون بلغات عديدة ولهجات كثيرة ، وقد عرف ذلك الكتبة « الكلاسيكيون » وغيرهم • ذكر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريترى Periplus Mare Erythrae » أن سكان سواحل البحر الأحمر الذين كانوا يقيمون بين مدينة « Leuke Kome » « البيضاء » وميناء « Muza » وهو « مخا » اليوم يتكلمون بلهجات مختلفة ولغات متباينة ، قل منهم من

(١) Rich. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten Und Aethiopien, abt. VI, Bl. 1-11. in Bd. XI. Grundriss. 1. P. 149.

(٢) Grundriss, 1. P. 149.

(٣) Grundriss, 1. P. 149. Isaac Taylor, The Alphabet, Vol, 2. P. 314. Georg Bühlers, Indian Studies 3. « On The Origin of the Indian Brahma Alphabet, Wien, 1895. P. 2. Ency. Brita. Vol, 1. P. 683,

يفهما عن الثانى ، وبعضها بعيد عن بعض بعدا كبيرا [(١)] . وقد عاش مؤلف هذا الكتاب فى القرن الأول للميلاد ، والساحل الذى تحدث عنه هو ساحل الحجاز ، كما عثر فى الحجاز أيضا على نصوص معينية ولحيانية وثمودية وغيرها ، وهى مختلفة بعضها عن بعض ، ومختلفة أيضا عن « العربية » لغة القرآن الكريم .

وأصبح اليوم من الأمور المعروفة أن أهل اليمن وحضرموت وعمان كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم وعن اللهجة التى عثر على نصوص قليلة منها ، وقد مر ذكرها وقلنا ان المستشرقين قالوا لها « نصوص عربية شمالية » ، كما أنها تختلف عن لهجة ثمود ولحيان ، وهى تختلف بعضها عن بعض بعض الاختلاف . وقد فنيت ، ولا شك ، لهجات كثيرة فلا نعرف من أمرها شيئا . وقد بقيت بعض اللهجات العربية الجنوبية القديمة فى الاسلام وقد أشار اليها العلماء كالهمدانى [(٢)] ، ولا تزال بعضها حية يتكلم بها حتى اليوم .

وعند ظهور الاسلام كانت هنالك لهجات أيضا ، دعاها علماء العربية « لغات » . وقد دونوا أسماء عدد منها [(٣)] ، وهى لغات قبائل أكثر مما هى لغات أمصار وأقطار ، ولم يتعمق علماء اللغة ــ يا للأسف ــ فى درس الفروق ومواضع الاختلاف الرئيسة التى كانت بين هذه اللهجات . كما أن ما ذكروه لم يتناول لهجات جميع شبه الجزيرة ، ولا سيما لهجات الأقسام الشرقية والشرقية الجنوبية من شبه جزيرة العرب . وما ذكروه لا يكفى لاعطاء حكم عن علاقة هذه اللهجات بعضها ببعض ، ولا عن وضعها قبيل الاسلام . وقد عرفوا أن بين بعض هذه اللهجات ولهجات الجنوب بونا كبيرا ، كالذى ذكروه من أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا »[(٤)] ، وكالذى ذكروه عن ابن جنى من أنه كان يقول كذلك « وبعد فلسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار » [(٥)] ، الى غير ذلك . ولكنهم لم يحاولوا التعمق فى ذكر تلك الفروق والمقابلة بين وجوه الاختلاف فى نحو هاتين اللغتين وصرفهما .

ويظهر أن الاختلاف بين لهجات العرب عند ظهور الاسلام لم يكن كبيرا جدا بين

---

(١) The Periplus of the Erythrean Sea. §. 24.

(٢) صفة (١٣٤) .

(٣) المزهر ١/٢١٠ ، ٢٢١ .

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٨٠) ، فى الأدب الجاهلى (ص ٨٠) .

(٥) الخصائص (١/٣٩٢) .

القبائل ، وأن شيئا من التقارب فى الألسنة كان قد ظهر بين عرب شبه الجزيرة قبيل الاسلام ، وأن ما ذكروه من وجود « لغات » لم يكن بالمعنى الذى نفهمه من معنى اللغة ، ولا سيما بالنسبة لعرب الحجاز ونجد ، وانما كان ذلك فى مسائل لا علاقة لها بالأصول ، كالذى ذكروه « أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولنى السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد باللفظ ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، ثم قال : آلمدية تريد ؟ (وأشار اليها) ، فقيل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم السكين ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها الا يومئذ »[1] ، وكالذى روى من « أن زيد بن عبدالله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير ، فألفاه فى متصيد له على جبل مشرف ، فسلم عليه وانتسب له ، فقال له الملك : ثب ، أى اجلس ، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل ، فقال ستجدنى أيها الملك مطواعا ! ثم وثب من الجبل ، فهلك . فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة . فقال : أما انه ليست عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر . أى فليتعلم الحميرية . »[2] . وأمثلة أخرى تشير الى مثل ما أشار اليه هذان المثلان ، وان كان على بعضها آثار الصنعة والتكلف . وأما ما روى من أن الرسول قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف »[3] ، أو « نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف »[4] ، واختلاف الصحابة فى القراءات ، وجزع الصحابة من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، فانه كله لم يقصد به أن الصحابة اختلفوا بينهم اختلافا كبيرا فى الآيات وفى القواعد ، وانما كان اختلافهم فى مسائل صغيرة غير ذات بال . وقد بحث فى ذلك المفسرون ، وتعقبه العلماء مما يدل على أن الاختلاف لم يكن بهذا المعنى الذى يفهمه من لا علم له بالتفسير وبالكتب الاسلامية القديمة ، وانما كان أكثره بسبب وجود اختلاف بسيط بين الصحابة فى اللهجات . وقد خشى المسلمون منه كى لا يكون ذلك سببا فى اختلافهم فى رواية كتاب الله وتفضيلهم قراءة هذه اللهجة على تلك ، فتتعدد نسخ القرآن بين الناس .

---

(١) فجر الاسلام (١/٦٢) . (٢) المزهر (١/٢٥٦) .

(٣) الاتقان (١/٦٢) .

(٤) المزهر (١/٢٥٧) . جامع البيان فى تفسير القرآن « تفسير الطبرى » طبعة بولاق ١٣٢٣هـ (١/٩) ، يستحسن مراجعة الفصل الجميل الذى كتبه الطبرى فى هذا الموضوع . الخصائص (١/٤٠٤) .

العربية الشمالية والعربية الجنوبية :

واصطلح المستشرقون على رجع اللغات التى ظهرت فى شبه جزيرة العرب الى أصلين : أصل شمالى يقال للغات التى تعود اليه « اللغات أو اللغة العربية الشمالية » ، وأصل جنوبى يقال للغات التى ترجع اليه « اللغات أو اللغة العربية الجنوبية » .

ولم يشرح العلماء الأسباب التى ساقتهم الى هذا التقسيم شرحا وافيا ، ولم يحاولوا مناقشته ، بل قل منهم من بحث فى سره وعلته ، فدرجوا عليه حتى اليوم دون تعليل أو انتقاد ، ومضوا على أن هناك لهجتين (١) . وقد حاكاهم فى ذلك من عنى بهذه البحوث من العرب المعاصرين دون مناقشة كذلك ولا تفكير فى الأسباب التى تدعو الى هذه المحاكاة ، بل ذهبوا كما ذهب أولئك الى وجود لغتين : « احداهما كانت قائمة فى الشمال وهى التى نريد أن نؤرخ آدابها ، والأخرى كانت قائمة فى الجنوب وهى التى تمثلها الحميرية والسبئية والمعينية ،(٢) وعنوا بالجنوب اليمن بصورة خاصة ثم حضرموت فبقية العربية الجنوبية ، وأما الشمال فالحجاز ونجد خاصة وبقية شمال شبه الجزيرة (٣) .

وأرى أن هذا التقسيم التقليدى للهجات العرب انما خطر ببال المستشرقين من النظرية العربية الاسلامية التى ترجع العرب الى أصلين : أصل عدنانى ، وأصل قحطانى . فأما الأصل العدنانى فتنتمى اليه القبائل الحجازية وهى شمالية ، وأما الأصل القحطانى فتنتمى اليه القبائل اليمانية ، والقبائل التى تزعم أن أصلها من اليمن وهى جنوبية بالنسبة الى الحجاز . فأخذوا بهذه الفكرة وساروا عليها ، ثم ازدادت رسوخا فى أذهانهم بعد عثورهم على الكتابات المعينية والسبئية والقتبانية والحضرمية والحميرية وغيرها فى اليمن بالمسند ، وعلى كتابات بخط يخالف هذا الخط وبلهجة تخالف هذه اللهجات فى شمال شبه جزيرة العرب وفى الحجاز .

وأما الحق ، فان هذا التقسيم تقسيم لا يقوم على أساس من العلم ، ولا يستند الى أسس جغرافية ، بل هو تقسيم تقليدى متوارث لا غير ، والا فهنالك لهجات ثمودية وصفوية ولحيانية ما الذى سيكون مقامها فى هذا التقسيم ؟ هل تعد شمالية أم تعد جنوبية ؟ فاذا عددناها شمالية فانها تختلف عن هذه اللهجة التى تعارفنا على أنها اللهجة الأصلية الشمالية ، ولا يصح ادخالها فى مجموعتها ، وهى تختلف عنها فى النحو

---

(١) السامية ص ١٦٣ .

(٢) فى الأدب الجاهلى ص ٩٢ .

(٣) فى الأدب الجاهلى ص ٩٢ .

والصرف • وان قلنا انها جنوبية خالفنا المعنى المفهوم من الشمال والجنوب ، ووجب علينا أن نفترض أن أصل هؤلاء من الجنوب ، ثم هاجروا الى الشمال ، ولكننا لا نملك دليلا محسوسا على هذا ، وليس فى لهجاتهم ما يدل على أنهم هاجروا من الجنوب ، كما أن بين لهجاتهم ولهجات الجنوب ما بين لهجاتهم ولهجات الشمال •

واللهجات الجنوبية ـ على رأى المستشرقين ـ هى : المعينية ، وهى أقدم هذه اللهجات ، والسبئية ، والقتبانية ، والحضرمية ، والحميرية ، والأوسانية ، وقد حصلنا على معرفتنا بها من النقوش • وتختلف هذه اللهجات اختلافا ليس كبيرا ، مثل الحاق أول الفعل الأصلى حرف « هـ » فى السبئى ، وحرف « س » فى المعينى ، ومثله فى القتبانى والحضرمى ، فيقال : « هحدث » فى السبئية ، و « سحدث » فى المعينية والقتبانية والحضرمية بمعنى « أحدث » ، والأصل « حدث »[1] • ونلاحظ أيضا أن الكتابات المعينية أقل ضبطا فى الكتابة من السبئية [2] • ويلاحظ أن الكتابات العربية الجنوبية لم تستعمل غير صيغة الغائب من الفعل فى أحواله المختلفة ، فلم يرد فيها للمخاطب مثلا شىء • غير أن هذا لا يدل حتما على أن تلك اللهجات لم تشتمل على أكثر من صيغة واحدة للفعل فى كل الاحوال ، وهى صيغة الغائب [3] ؛ فقد نعثر فى المستقبل على نصوص تشتمل على صيغ أخرى لا نعرف من أمرها الآن شيئا • وقد ذهب بعض العلماء الى أن صيغ الفعل كانت تشتمل مثل سائر اللغات السامية على المتكلم والمخاطب والغائب ، ولكنهم كانوا لا يستعملون فى الكتابات الا صيغ الغائب [4] • كذلك لم يرد فى النقوش العربية الجنوبية اسم الاستفهام حتى الآن [5] •

ونجد فى العربية الجنوبية عددا غير قليل من الكلمات لا نعرف لها مثيلا فى اللغات السامية المعروفة لدى العلماء ، كما أنها تحتوى على اصطلاحات وألفاظ لا توجد الا فى العبرانية • وتوجد فيها نقوش مكتوبة بأسلوب موجز يستشف منه أنه أخذ من كتابات أقدم عهدا منها[6] • وتثير كل هذه الأمور أسئلة أمام الباحثين عن قدم هذه اللغات ومكانتها بالنسبة الى اللغات السامية الأخرى • ويلاحظ أن بين اللهجات العربية الجنوبية

---

(١) المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة لأغناطيوس غويدى (ص ٧) •

(٢) المختصر (ص ٣) • (٣) السامية (ص ٢٤٧) •

(٤) السامية (ص ٢٤٧) • (٥) المختصر (ص ٦) •

(٦) السامية (ص ٢٤٦) •

والعبرانية تقاربا ملحوظا دفع بعض الباحثين الى القول بأن العربية الجنوبية أقرب الى العبرانية منها الى اللغات العربية الشمالية [١] . وهذا التقارب اللغوى هو الذى أوحى ، ولا شك ، الى بعض المستشرقين أن العبرانيين والعموريين هم من أصل جنوبى ، وأنهم كانوا فى الأصل فى العربية الجنوبية الغربية [٢] حيث مواطن الساميين .

وقد تمكن المستشرقون من التقدم تقدما محسوسا فى السنين الأخيرة فى دراسات اللهجات العربية الجنوبية القديمة ، فوضعوا مؤلفات جديدة فى نحوها وصرفها ، كما شرعوا فى وضع معجم لغوى لها [٣] ، فأصبحنا بفضل هذه الدراسات فى وضع نتمكن فيه من قراءة الكتابات وفهمها بسهولة . أما اللهجات اللحيانية والثمودية والصفوية ، فان ما عثر عليه من كتابات بها ما زال غير كاف لاعطاء فكرة صحيحة عنها ، واللهجة الثمودية هى أحسن حظا من بين هذه اللهجات الثلاث ، فقد عثر فيها فى القرن العشرين على عدد لا بأس به ، ولكن دراستها لا تزال فى مراحلها الأولى غير ناضجة ، والمشتغلون بها بين المستشرقين قليلون ، وقد أخذوا فى تأليف كتب خاصة بالثمودية واللحيانية [٤] .

لقد لوحظ أن اللحيانية والثمودية والصفوية تشتمل على كلمات وصيغ مخصوصة لا تختلف عن اللغة العربية التى نكتب بها . ومع ذلك فاننا لا نستطيع أن نعدها عربية شمالية ، أو عربية جنوبية . وأرى أن الوقت لم يحن بعد لتعيين مركز هذه اللهجات ، ما دمنا نجهل شيئا كثيرا من نحوها وصرفها ، بل وأكثر معانى الكلمات فيها . وتستعمل الثمودية والصفوية « الهاء » أداة تعريف بدلا من « الألف واللام » فى العربية فيقال « هملك » بمعنى « الملك » ، و « هدار » بمعنى « الدار » . وذلك كما فى العبرانية ، اذ تستعمل الهاء فيها أداة للتعريف ، ويقوم « ذ » مقام الاسم الموصول كما عند طىء فى قديم الزمان ، ولا نعرف الآن صرف تلك الذال ولفظها هل كان ذو أو ذى أو ذا [٥] .

---

(١) G. A. Barton, Semitic, P. 75.

(٢) Barton, P, 75. Hommel, Südarbische Chrestomatie, München, 1893. PP. 18.

(٣) أغناطيوس غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة القاهرة ١٩٣٠ . M. Höfner, Altsüdarabische Grammatik. Leipzig 1943.

(٤) F. V. Winnett, Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions. Hubert Grimme, Die Lösung des Sinaischriftproblems Die Altthamudische Schrift.

(٥) المصدر نفسه (ص ٢٥٠) .

أما النصوص التى أسماها المستشرقون « نصوصا عربية شمالية » ، وقد رأيت أنها لا تتجاوز عدد أصابع يد واحدة ، فان الحديث فى نظرى عن نحوها وصرفها فى الوقت الحاضر أمر سابق لأوانه ، ولسنا بمستطيعين أن نطمئن الى علاقتها بلغتنا العربية وباللهجات الأخرى الا بعد الحصول على عدد كاف من هذا النوع من النصوص يكفى لاستخراج نحو هذه اللهجات ، وصرفها ، ومميزاتها اللغوية . وكذلك شأن الكتابات الأخرى التى عثر عليها حديثا فى المملكة العربية السعودية ، ويرى بعض المستشرقين أنها قد تكون لهجات جديدة لا نعرف من أمرها شيئا فى الوقت الحاضر . وبالجملة ، ان الحكم عليها يجب أن يوكل أيضا فى نظرى الى المستقبل . فاذا هيأت لنا الأيام نصوصا كافية ، أمكن الحكم عليها وعلى محلها بين اللهجات .

يلاحظ أن كتابات أحجار القبور التى عثر عليها فى العراق وفى « عين جاوان » أفتتحت بعبارة « نفس وقبر » (١) . أما الكتابات التى عثر عليها فى « ثأج » وقرب القطيف ، فقد بدأت بجملة « وكر وقبر » (٢) . ومصطلح « نفس وقبر » ، أو « وكر وقبر » وتعنى كلمة « وكر » حفيرة أو كهفا ، من الاصطلاحات التى ترد فى شواهد القبور المستعملة فى النبطية وفى الثمودية وفى العبرانية ، وأحيانا فى السريانية (٣) . أما فى الكتابات العربية الجنوبية القديمة ، فلم ترد ، وانما وردت عبارات تحمل هذا المعنى ، ولكنها تعود الى العهود المتأخرة الى ما بعد الميلاد وربما تعود الى القرنين الخامس والسادس الميلاديين (٤) ،

كذلك نجد للكتابات التى عثر عليها فى « القرية » وفى جبل عبيد وفى شمال خشم كمدة أهمية فى الدراسات اللغوية ، وقد وردت فيها أسماء كثيرة لم ترد فى الكتابات

---

(١) W. K. Loftus, Travels and Researches in Chaldaea and Susiana 1849-1852. P, 233. B.O.A.S.O.R. Number 102. April 1946. P, 4. The Geogr. Journ. LIX (1922), 321-323. Corpus. Nos. 984. 985. Le Mueséon, L, P. 239 f. Ryck. 155.

(٢) B.O.A.S.O.R Nr. 102. April, 1946 P. 4. The Geogr. Journ. LIX (1922). 321-323. « Captain Shakespear's last Journey ».

(٣) B.O.A.S.O.R, Nr. 102. April 1946. P. 4. C. 450. 700. 701. 716. Supplement to the Thesaurus Syriacus, P. 215.

(٤) B.O.A.S.O.R., Nr. 102. April, 1946. P, 4.

العربية الجنوبية وفى العربية الشمالية ، كما أننا نجد أنها تنفرد ببعض القواعد النحوية والصرفية [١] ، وستكون هذه وغيرها موضع دراسات علمية فى المستقبل ولا شك قد تؤدى الى العثور على لهجات جديدة ، وعلى حلقات مفقودة بين أقدم اللغات العربية ، وقد توفق بسببها الى معرفة تأريخ تطور هذه اللهجات .

ولاحتمال العثور على كتابات فى المستقبل قد توصلنا الى معرفة لهجات جديدة [٢] ، وما ذكرته كذلك من أسباب ، أرى أن تقسيم المستشرقين للعربية الى أصلين أو مجموعتين تقسيم سوف يضطرنا المستقبل الى تركه ؛ لأن التقسيم فى نظر العلم يجب أن يستند الى أسس قويمة وحجج مسلمة ، وحدود معروفة واضحة المعالم ، وليس لدى أصحابه دليل مقبول . واذا استعملت هذا التقسيم فى كتابى ، فانما أنا حاك فى ذلك رأى المستشرقين ، وليس فيه ضير بعد أن بينت رأيى فيه . وعندى أن كل ما قيل عن لغات شبه الجزيرة هو لهجات لم يحن الوقت بعد الى تقسيمها الى أصول ومجموعات .

وبعد ، فسأطلق لفظة العرب فى كتابى هذا على كل الأقوام التى سكنت فى العربية ، كائنة ما كانت لهجتها ، أهل المدر منهم وأهل الوبر . فكل هؤلاء « عرب » وأن اختلفت عندهم طرق المعيشة أو تنوعت اللهجات .

---

(١) نشرت بعض هذه النصوص مع ترجماتها فى مجلة « Le Muséon » التى تصدر ببلجيكة فى الجزء (٢/١) من سنة ١٩٤٩ (ص ٨٨) وما بعدها .

(٢) عثر على كتابات سبئية جديدة فى موضع « وادى مسيل » الواقع على مسافة « ٥٠ » كيلومترا الى الجنوب الشرقى من « دوادمى » . راجع مقال « فلبى » فى : Geogr. Jour. Vol, CXVI. NOS 4-6. 1950 P. 211 ff.

الفصل الرابع

طبقات العرب وأنسابهم

اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب الى طبقات : عرب بائدة ، وعرب عاربة ، وعرب مستعربة [1] . واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب الى قسمين : قحطانية منازلهم الأولى فى اليمن ، وعدنانية منازلهم الأولى فى الحجاز [2] .

واتفقوا أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله وعلى هذا النحو من العربية التى نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل ، والعدنانية هم الفرع ، منهم أخذوا العربية ، وبلسانهم تكلم أبناء اسماعيل بعد هجرتهم الى الحجاز . شرح الله صدر جدهم اسماعيل فتكلم بالعربية ، وهى لغة أبيه التى كانت السريانية أو الكلدانية أو العبرانية على بعض الأقوال [3] .

وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا فى تأريخ العرب قبل الاسلام ، وفى موضوع الأنساب . ولا حاجة بنا الى أن نعود فنقول : ان كل ما روى عن هذا التقسيم ، وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات ، لم يرد الينا عن طريق النصوص المدونة قبل الاسلام ، وانما ورد الينا متواترا من الكتب المدونة فى الاسلام ، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول : ان هذا التقسيم هو تقسيم وضعه الجاهليون ، وتوارثوه كابرا

---

(١) الهلال الجزء العشرون السنة الخامسة حزيران ١٨٩٧ ص ٧٦٨ فما بعدها . ابن خلدون (طبعة بولاق) ٢/١٦ .

(٢) فى الأدب الجاهلى (ص ٧٩) .

(٣) مروج الذهب ١/٢٦٢ ، فى الأدب الجاهلى (ص ٨٠) .

عن كابر حتى وصل الى صدر الاسلام ، ثم منه وصل الينا •

لا شك فى أن عرب الجاهلية كانوا يعنون بالأنساب عناية كبيرة ، لأنها كانت أحد أسباب الالفة والتنافر [١] ، ودعامة من دعامات النظام السياسى • وقد استدعى نظام القبائل وجوب العناية بالأنساب والأحساب ، للمفاخرة والمنافرة والتحالف بين القبائل والذب عن الأفراد والجماعات • والنسب هو الضامن والكفيل للحصول على حقوق المواطنة فى المجتمع القبيلى ، الذى تقوم فيه القبيلة وفروعها مقام القومية والجنسية الآن • ولكن من يضمن لنا أن هذه الأنساب المروية هى أنساب قديمة جرى عليها الجاهليون ؟ وأنها رويت على الصورة التى تعارف عليها العرب منذ خلقهم الله ! وكل البحوث الحديثة تسيء الظن فى أكثر هذا الذى دونه الكلبى وابنه وبقية النسابين وتراه شيئا محدثا لم يكن له أساس قديم •

وفى القرآن الكريم آيات تشير الى عناية القوم بأحسابهم وأنسابهم « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم »[٢] • ولكنه لم يتعرض لبيان وجهة نظرهم بالنسبة اليها ، ولا يشعر فى موضع ما منه بوجود تلك الفكرة التى ألح على وجودها الأخباريون وهى انقسام العرب الى طبقات ثلاث أو طبقتين ، ووجود فرق بين العرب فى النسب ، وانقسامهم الى عدنانيين وقحطانيين • ولم يرد فيه اسم « عدنان » ولا « قحطان » ولا أى من هذه الأشياء التى يتمسك بها أهل الرواية والأخبار ، ويقصونها لنا على أنها من الحقائق الثابتة فى أنساب العرب ، وعلى أن العرب كانوا حقا من جدين هما عدنان وقحطان •

بل كل ما ورد فيه يشعر أن العرب كانوا ينظرون الى أنفسهم أنهم من جد أعلى واحد هو اسماعيل بن ابراهيم ، وأن ابراهيم أبو العرب « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين ••• »[٣] • فلم يفرق بين عرب قحطانيين وعرب يمانين • وقيل ان الرسول قال : « كل العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام »[٤] •

ولم يرد فى الشعر الجاهلى ذكر لهذا النسب ، وكل ما ورد فيه هو فخر بقحطان

---

(١) بلوغ الأرب ٢/١٨٢ •

(٢) سورة المؤمنون : رقم ٢٣ ، آية ١٠١ •

(٣) سورة الحج : رقم ٢٢ ، آية ٧٨ •

(٤) الواقدى : الطبقات ، القسم الأول من الجزء الأول (ص ٢٥) •

أو عدنان أو معد أو غير ذلك من الأسماء التى تعد من أسماء الأجداد التى ينتمى لها « الشعب » أو « الجذم »(١) . أما التفصيلات الأخرى والأسماء الواردة فى الكتب، فهى من روايات الشراح والرواة . ثم ان من الشعر الجاهلى ما لا يصح أن يكون جاهليا ، وأغلبه من النوع الذى قيل قبيل الاسلام ، ولا يصح لذلك أن يكون شاهدا على آراء أهل الجاهلية البعيدين عن الاسلام .

وقد عنى المستشرقون بدراسة موضوع انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين، كما قام علماء بدراسة جماجم القبائل العربية الجنوبية ، والقبائل العربية الشمالية ، فلم يتوصلوا الى وجود فرق فى تركيب أجسام العدنانيين أو القحطانيين . وكل ما توصلوا اليه هو أن القبائل سواء أكانت قحطانية أم عدنانية تحمل فى دماءها نسبا من الدماء الغريبة بقدر اختلاطها وصلاتها بالأقوام ، ويستوى فى ذلك قبائل الطرفين .

وقد ذهب « دوزى » الى وجود فروق أساسية بين القحطانيين والعدنانيين ، حتى ذهب الى وجود اختلاف بين نفسية كل جماعة من الجماعتين (٢) . ونحن لا نريد أن ننكر عليه وجود العداء الذى كان قد استحكم بين القبائل التى تنتسب الى معد أو الى قحطان قبل الاسلام . نعم لا نريد أن ننكر عليه تهجم شعراء اليمن على قبائل معد أو عدنان ، ولا تهجم شعراء عدنان على قبائل اليمن المنتمية الى قحطان ؛ ولا نريد أن ننكر افتخار اليمانين بانتسابهم الى اليمن ، ولا افتخار العدنانيين بانتسابهم الى عدنان أو معد أو مضر أو غير ذلك من أسماء الشعوب والأجذام لا نريد أن ننكر شعر امرىء القيس وافتخاره بنسبه فى اليمن(٣) ، ولا أن ننكر شعر غيره من اليمانين أو القحطانيين فى الافتخار بيمن أو بمضر أو بمعد . ولكننا لا نريد أن ننكر فى الوقت نفسه افتخار القبائل القحطانية بعضها على بعض وافتخار القبائل العدنانية بعضها على بعض ، وهجاء القبائل القحطانية بعضها لبعض وهجاء القبائل العدنانية بعضها لبعض هجاء

---

(١) بلوغ الأرب ٢/١٨٨ فما بعدها . الشعب : النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، سمى شعبا لأن القبائل منه تشعبت . وتليه القبيلة . وأما الجذم فمثل عدنان وقحطان فى رأى من قدم الكلمة على « الشعب » وجعل الشعب مثل « مضر » .

(٢) Dozy, Gesch. d. Mauren in Spanien, Vol, I. 73. ff. Muh. Stud. Vol, I. P, 89. Nallino, Reccolta, Vol, 3. P. 73.

(٣) « انا معشر يمن » . Muh. Stud. Vol, I. P, 89.

لا يقل عن هجاء اليمن لمعد أو هجاء معد لليمن [1] . فهل يصح أن يكون هـذا الهجاء سببا لوضع نظرية فى اختلاف أجناس هذه القبائل ؟

هذا قيس بن الخطيم لسـان الأوس يحمل على الخزرج ، ويردد ذكريات الأيام التى كانت بين الأوس والخزرج بمثل الشدة التى تجدها فى شعر الهجـاء الذى قاله العدنانيون فى القحطانيين والقحطانيون فى العدنانيين . انه يعيـد ذكريات تلك الأيام لا لمجرد الفخر ، والتباهى ، بل ليثير فى نفوس الأوس الأحقاد القديمة ، وليزيد فى تلك النيران نارا ، لقد ذكرهم بيوم الربيع [2] وذكرهم بيوم السرارة [3] وذكرهم بيوم مضرس ومعبس [4] وهو يوم دارت فيه الأيام دورتها على الأوس ، فقتـل منهم عدد كبير ، وانهزم أكثرهم الى بيوتهم وآطامهم ، حتى خرج الناس من طوائفهم الى مكة يستعينون على الخزرج [5] ، وذكرهم بأيام أخرى . كل ذلك بلهجة عنيفة شـديدة ليس فيها لين ولا رفق . انه ينظر الى الخزرج نظرة عداء وحقد ، نظرة تشعر منهـا أن الأوس جنس وأن الخزرج من جنس بعيد آخر . لقد ذكر قريشا بخير ، وذكر أنهـا ستحمل عنهم حرب الخزارج ، وذكر أنهم لو التحقوا بأبرهة اليمانى أو بنعمان أو عمرو ـ ويظن أنه يقصد بهما النعمان بن المنذر ملك الحيرة وعمرا الغسانى ـ [6] لنـالوا من هؤلاء كل تقدير ، ولجعلوا لهم جاها أى جاه . ذكر أبرهة حاكم اليمن ، وذكر غسـان ولخما ، وذكر أهم من ذلك كله قريشا على أنهما ستحمل الحرب وستقابل الخزرج عمـا

---

(١) قال سلامة بن جندل السعدى ، وهو من قبـائل مضر ، ومضر هو ابن نزار ابن معـد :

همت معـد بنـا همـا فنهنهها ... عنا طعـان وضرب غير تذبيب
بالمشـرفى ومصقول أسـنتها ... صم العوامل صدقات الأنابيب

المفضليات (ص ٢٣٧) .

وقال الجميح الأسدى :

سـائل معـدا من الفوارس لا ... أوفوا بجـيرانهم ولا غنمـوا

المفضليات (ص ٤٥) .

(٢) شعر قيس (ص ٧) . (٣) شعر قيس (ص ٢٠) .

(٤) شعر قيس (ص ٣٢) . ديوان حسـان بن ثابت (اخراج Hirschfeld) ص ٨٣ـ٨٤ .

(٥) شعر قيس (ص ٣٢) .

(٦) شعر قيس : القسم الألمانى (ص ٦٧) .

قريب . وقريش من عدنان ، والأوس والخزرج من قحطان ، ولم نجد فى شعره ما يذكر برابطة النسب بين الخزرج والأوس . ولم يرد فى شعره اسم قحطان أو عدنان . والقصيدة التى ذكر فيها هذا اليوم هى من أقدم قصائد هذا الشاعر الذى اضطرت قبيلته الظفر ، ومعها عبد الأشهل ، الى مغادرة يثرب والتفتيش عن حليف يساعدها فى العودة الى ديارها ، فذكر قيس قريشا [١] ، وكأنه يذكر قبيلة قريبة من قبيلته ، مع أنها من نسب آخر على رأى النسابين .

ثم ان علينا أن نحسب حسابا لأمر هذا الشعر المروى فى الفخر والهجاء ، وهو أوسع باب من أبواب الشعر يحتمل النقد ، واثارة الشكوك حوله . وقد خبرنا من الكتب أن القبائل كانت تستأجر الشعراء لقول المدح أو الذم ، وأنها كانت تعد الشاعر منحة من منح الله على القبيلة ؛ لأنه سيكون لسانها الناطق والذائد عنها بلسانه ، يدافع عن قبيلته ، ويهاجم أعداءها ، ويتهمهم بكل ما يصل اليه فنه من الهجاء ورمى التهم ، كائنين ما كانوا قحطانيين أو عدنانيين . وقد اقتضت طبيعة الخصومة التى زادت حدتها فى الاسلام بين يمن ومضر وضع شىء كثير من هذا الشعر شعر المنافرة والمفاخرة بين عدنان وقحطان ، وهذا أمر وقع مفروغ منه ولا شك فى صحته وثبوته ، اقتضته ظروف السياسة ، فيجب الانتباه له حين التحدث عن نزاع قحطان وعدنان [٢] .

وكيف يجوز لنا أن نتصور انقسام العرب الى قسمين قحطانيين ويمانين انقساما حقيقيا ، وقد كانت القبائل تتحالف فيما بينها وتتحارب بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزيجة من قحطان وعدنان ؟ فاذا كان الأمر كذلك ، واذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين بالأصل ، فكيف تحالفت « جديلة » وهى من طىء مع بنى شيبان وهى من عدنان لمحاربة بنى عبس [٣] ؟ وكيف يفسر تحالف قبائل يمانية مع قبائل عدنانية لمحاربة قبائل يمانية ، أو لعقد محالفات دفاعية هجومية معها ؟

ترينا الأخبار أن النزاع بين القحطانيين واليمانين لم يكن شديدا بين القبائل التى كانت تقيم فى الأنحاء الشمالية من شبه جزيرة العرب ، أى بين تلك القبائل التى رجع النسابون نسبها بحق أو بغير حق الى عدنان أو قحطان بمثل تلك الشدة التى ظهرت فى

---

(١) شعر قيس : القسم الألمانى (ص ٦٦) .

(٢) Muh. Stud. Vol, I. P, 91.   (٣) Muh. Stud. Vol, I. P, 29.

النزاع الذى تحدثوا عنه بين القبائل التى كانت تعيش فى اليمن أو فى نجد أو الحجاز • وهذا أمر ذو بال يجب أن يحسب له كل حســاب عند الحـديث على نزاع عــدنان وقحطان [١] •

لقد كان « نولدكه » أول من شك من المستشرقين فى هذا النسب العام الذى وضعه أصحاب الأنساب للعرب ، وكان أول من نبه على أثر اليمانين فى وضعه وفى محاولتهـم رجعه الى عهود قديمة قبل الاسلام [٢] • وذهب « هاليفى »أبعد من ذلك فرأى أن كل ما قيل عن هجرة القبائل اليمانية الى الشمال هو أسطورة ، وأن ما يزعم من انتساب تلك القبائل الى اليمن هو حديث خرافة لا يركن اليه [٣] •

وقريب من هذا الرأى رأى « ألويس موسل » فى أصل القبائل القحطانية القاطنة فى الشمال ، فعنده أنها لم تكن قحطانية بالأصل ، وانما هو مجرد زعم • فلما كان الانتماء الى اليمن قبل الاسلام فخرا يحدث أن بعض الأشخاص من المراكز التجارية التى كانت تهيمن عليها الحكومات اليمانية يتزوجون فى القبائل المجـاورة لهم ويتناسلون ، أو أن بعض التجار القادمون من اليمن أو رجال القوافل تطيب لهم الاقامة فى مكان من الأمكنة التى يمرون بها ، فيتزوجون بها ، فينتمى نسلهم الى اليمن • واذا ما تكاثروا ادعوا أنهم من أصل يمانى • فلا هجرة حقيقية هناك على رأى هذا المستشرق بالمعنى الذى يفهم من الهجرات •

أثر التـــوراة :

ولا بد من الاشارة الى أثر التوراة فى أنساب العرباء القدماء ، وهو أثر لـم ينكره أصحاب الأنساب والتأريخ • والظاهر أن ما جاء فى القرآن الكريم مجملا من أمر آدم ونوح والطوفان وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل وغيرهم من الأنبياء ، وما جاء من أمر عاد وثمود وقوم صالح وأصحاب الأيكة : كل هذه دفعت المتشـــوقين الى معرفـة الأخبـــار الى البحث عنهم ، فكان ما كان من العثور على أكثر ذلك عند أهل الكتاب ،

---

(١) Muh. Stud. Vol, 1. P, 91.

(٢) Muh. Stud. Vol, 1. P, 92. Nöldeke, in ZDMG. XL

(٣) Muh. Stud. Vol, 1. P, 92. Halévy, in Journal Asiatique, 1882 11, P, 490. and Compte Rendu de VI. Internat. Orintalistencongress, Leiden 1884. P, 102.

والاقبال على قراءة التوراة ولا سيما « التكوين » ، وقد قالوا له « البدء » كذلك [١] ، فأخذوا ما يعوزهم منه . ووفقوا بين ما كان علق بأذهانهم من أمر ما باد من الشعوب العربية وبين ما جاء في التوراة ، فكان من ذلك هذا المحفوظ في الكتب .

ويمكن حصر هذه الروايات الواردة في الأنساب ، ورجعها الى الطرق الأصلية التي وردت منها والى المدن التي ظهرت فيها ، وسنجد بعد البحث أن غالبية رواة هذا النوع من الأخبار كانوا قد استقوا من معين واحد : هم أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام ، وحتى هؤلاء الذين ولدوا من أبوين مسلمين كانوا قد اعتمدوا في روايتهم على أهل الكتاب مثل محمد بن اسحاق صاحب السيرة الذي كان يكثر الرواية عن أهل الكتاب ويسميهم أهل العلم الأول [٢] ، ومثل محمد بن السائب الكلبي وابنه أبي المنذر هشام وغيرهما . واشتهر من بين أهل الكتاب رجل يهودي يقال له أبو يعقوب من أهل تدمر كان يزود ابن الكلبي وغير ابن الكلبي بهذه الأخبار [٣] . وقال الطبري : « كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه من عند الله ، ليأخذوا به ثمنا قليلا » [٤] .

أما الأماكن التي ظهرت فيها هذه الروايات الاسرائيلية ، فهي اليمن والمدينة والعراق ولا سيما الكوفة . وقد كان في كل هذه المواضع رجال من أهل الكتاب

---

(١) ابن خلدون (٢/١٨ ، ٣٤) « وفي كتاب البدء ، ونقله ابن سعيد » . جاءت هذه التسمية من الابتداء بالخلق على ما أرى ، ولذلك قيل للكتب التي تبحث عن الخلق ، وبدء التكوين والأنبياء (كتب البدء) . قال المسعودي : « وما ذكره أهل التأريخ والمصنفون لكتب البدء كوهب بن منبه وابن اسحاق وغيرهما ... » مروج الذهب (١/٣٢٠) .

(٢) الفهرست (ص ١٣٦) .

(٣) الواقدي : الطبقات ، الجزء الأول ، القسم الأول (ص٢٩)، Sprenger, Mohammad., Vol, 3. P. CXXXIII, Muh. Stud. Vol, 1 P. 178. Muir, Life of Mohamet. 1. P. CVII Bate. P. 117. « وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بني اسرائيل ، قد قرأ من كتبهم وعلم علمهم ، فذكر أن بورخ بن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد ابن عدنان عنده ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أحبار اهل الكتاب وعلمائهم مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ولعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ؛ لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية » . الطبقات (١/١ ص ٢٩) .

(٤) تفسير الطبري (١/٣٠٠ ، ٣/٢٣١-٢٣٢) . Nallino, Raccolta, Vol, 3. P, 120

وجاليات منهم مونوا أهل الأخبار بما كانوا يرغبون فى معرفته ، ولم يكن هؤلاء على قدر واحد فى المعرفة والفهم ، والظاهر أن بعضا منهم لم يكن له المام بالتوراة ولا بالتلمود وغيرهما من الكتب وانما أخذ ذلك من أهل النظر منهم ، أو كما وصل اليه من أهله وحاشيته ولذلك اضطربت روايات الأخباريين فى بعض الأحيان فى رواية خبر واحد ، كما اختلفت فى ضبط الأسماء • وقد علل ابن خلدون اختلافهم فى ضبط الأسماء بقوله : « واعلم ان الخلاف الذى فى ضبط هذه الأسماء انما عرض فى مخارج الحروف ، فان هذه الأسماء انما أخذها العرب من أهل التوراة ، ومخارج الحروف فى لغتهم غير مخارجها فى لغة العرب • فاذا وقع الحرف متوسطا بين حرفين من لغة العرب ، فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا • وكذلك اشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم ، فمن ها هنا اختلف الضبط فى هذه الأسماء • » (١) •

والحق هو أن هذا الخطأ لم يقع فى ضبط الأسماء فقط ، بل وقع فى أمور جوهرية ترينا جهل بعض الرواة بجدول الأنساب ، وترينا الخلط أحيانا بين الروايات الاسرائيلية والروايات الايرانية • وقد تكون من هذا المجموع المدون فى الكتب الاسلامية عن الأنساب خليط من روايات اسرائيلية وروايات فارسية وقصص شعبى عربى يجوز أن نضيف اليه عنصرا آخر هو الوضع ، فقد وضع الرواة شيئا من عندهم حين عجزوا عن الحصول عليه من الموارد الثلاث المذكورة ، وكان لابد لهم من سد تلك الثلمة فسدوها بما جادت به قرائحهم من شعر ونثر • ومن هذا القبيل ما أدخلوه على التوراة أيضا من أنساب زعموا أنها وردت فى التوراة ، وليس لها وجود فيه •

جعل الرواة آدم « كيومرث » (٢) و « أفريدون » نوحا (٣) ، وجعلوا « لاوذ » ابنا من أبناء ارم بن سام أخى عوص وكاثر (٤) مع أنه « لود » شقيق ارم بن سام ووالد عوص وجاثرا (٥) • وقالوا : ان فى التوراة ذكر ملك الأهواز ، واسمه كرد من بنى غليم (٦) ؛ وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل •

---

(١) ابن خلدون (٢/٥) •

(٢) ابن خلدون (٢/٥) •

(٣) ابن خلدون (٢/٦) •

(٤) ابن خلدون (٢/٧) •

(٥) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ٢٢ • Hastings. P. 557 أخبار الأيام الأول الأصحاح الأول آية ١٧ •

(٦) ابن خلدون (٢/٧) •

أما متى دخلت أنساب التوراة الى العرب ، فنحن لا نستطيع ـ للأسباب التى تقدمت ـ أن نتحدث عن أيام الجاهلية ، غير أن لدينا أدلة كثيرة تثبت أنها دخلت الى المسلمين عن طريق من ذكرنا فى أيام الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية • وقد ظهر فى هذا الوقت خاصة جماعة من العرب والموالى اشتغلت بالأنساب حتى أصبح علما من العلوم[1] • فلا بدع اذن من أن يلجأ أصحابه الى أهل الكتاب للاستعانة بهم فى الوقوف على أنساب الأمم كما جاءت عندهم • ويمكن عد « كتاب الملوك وأخبار الماضين » لعبيد ابن شرية الجرهمى من أقدم هذه الكتب التى اعتمدت على الاسرائيليات[2] •

وحدث أن وقع النسابون فى مثل الغلطات التى وقع فيها نسابو أهل الكتاب ، لاعتمادهم على التوراة • فقد راعى العهد القديم فى تدوين بعض الأنساب العواطف التى كان يحملها العبرانيون ، فقدم أجداد العبرانيين على غيرهم ، وأضاف الى قائمة الساميين ما ليس منها ، وأضاف اليها ما لا يجب أن يضاف • وزادت هذه الغلطات جهل المتحدثين بلسان التوراة وعدم وقوفهم على الاسرائيليات وقوفا تاما ، وبعض العواطف التى أظهرها أهل الأخبار فحذفوا وأضافوا ، وغيروا ، فكان من ذلك هذا الاضطراب الذى يمكن الوقوف عليه بكل سهولة •

رجع النسابون نسب أقدم طبقات العرب الى أبناء سام ، ونقلوا أسماء أبناء سام من التوراة فقالوا : انه كان له خمسة من الولد ، هم : أشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وارم ، وعليم على رأى بعض الرواة[3] • أو أرفخشذ ، وأشوذ ، ولاوذ ، وعويلم ، وارم[4] • أو عابر ، وعليم ، وأشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وارم أحيانا[5] باضافة عابر الى قائمة الأبناء •

وترى منها أن النسابين قد أجروا عليها بعض التعديل ، فأصبح أشور « أشوذ » ، وغدا أرفكشاد « أرفخشذ » وعيلام « عويلم » أو « عيلم » ، ولود « لاوذ » وأرام « ارم »[6] •

---

(١) Muh. Stud. Vol, I. P, 190.

(٢) الفهرست (ص ٨٩) Muh. Stud. Vol, I. P, 182. المسعودى (٣/٢٧٥) •

(٣) ابن خلدون (٢/٧) • (٤) الطبرى (١/١٠٢) •

(٥) الطبرى (١/١٠٣) • ويرد فى بعض الكتب «آرم» و «آرام» الكامل ١/٣١ ، كتاب التيجان ٢٥ •

(٦) الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ (ص ٧٧١) •

وأخذ النسابون أولاد لاوذ من التوراة كذلك مع شيء من الخطأ في بعض الروايات ، فذهبوا الى أنه أولد أربعة اولاد ، هم : طسم ، وعمليق ، وجرجان ، وفارس [١] . وأضافوا الى هذا العدد أسماء أخرى في بعض الروايات ، هي : جديس ، وأميم [٢] ، وعبد ضخم [٣] . وقد تضاف اليها أسماء أخرى وقد تنقص .

واما ارم ، فأولد عددا من الاولاد ، هم : عوص ، وكاثر أو غاثر ، وحويل [٤]. ويضاف اليها ماش في بعض الروايات [٥] . وولد عوص «عوض» غاثر بن عوص، وعاد بن عوص ، وعبيل بن عوص [٦] . وولد غاثر بن ارم ثمود ، وجديس بن غاثر [٧] .

ترى مما تقدم أن المؤلفات العربية الاسلامية جعلت للاوذ أو لود ولغاثر أو جاثر ولعوص اولادا هم اجداد قبائل سكنت في مواضع متعددة من جزيرة العرب [٨] . أما التوراة ، فلا أثر فيها لنسل هؤلاء .

العرب البائدة :

ومن عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعبيل وعبد ضخم وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا [٩] ، كون الأخباريون الطبقة الأولى من طبقات العرب .

وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود هذه الأقوام ، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية ، وقد اتضح فيما بعد أن في هذه الأحكام شيئا من التسرع ، فتمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه

---

(١) ابن خلدون (٢/٧) ، الطبري (١/١٠٣) .
(٢) الطبري (١/١٠٤) .
(٣) ابن خلدون (٢/٧) ، وعند بعض الرواة انهم أبناء ارم . المرجع نفسه .
(٤) الطبري (١/١٠٣) ، ابن خلدون (٢/٧) .
(٥) الهلال : السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ (٢٠/٧٧١) . ويقال مشح . ابن خلدون (٢/٧) .
(٦) الطبري (١/١٠٣) ، «عوض» الكامل ١/٣١ ، مروج ١/٢٤ .
(٧) الطبري (١/١٠٣) ، الهلال : الموضع نفسه .
(٨) الهلال : الموضع نفسه (ص ٧٧٢) . Sprenger, in ZDMG. 17(1863) P. 373.
(٩) الطبري (١/١٠٣) فما بعدها . ابن خلدون (٢/٧) فما بعدها . خلاصة الكلام (ص ٤٢) . الهلال : الجزء نفسه (ص ٧٦٩) فما بعدها .

الأقوام ، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها ، ومن حل رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات الثمودية . وهذا ما حدا بهم على التأني في الدراسة والانصراف الى البحث والتنقيب ، كما اتضح لهم أن بعض هذه الأقوام عاشت بعد المسيح ولم تكن ممعنة في القدم على نحو ما تصور الرواة . ولعل هذا كان السبب في رسوخ اسمها في مخيلة الأخباريين .

عـــاد :

واذا جارينا الأخباريين ، وسرنا على طريقتهم في ترتيب الشعوب العربية ، وجب علينا تقديم طسم وعمليق وأميم وأمثالهم على عاد وثمود ؛ لأنهم من أبناء لاوذ بن سام شقيق ارم ، وعاد وثمود من أحفاد ارم بن سام . ولكن الأخباريين يقــدمون عادا على غيرهم ، ويبــدأون بهم ، وعندهم أنهم أقــدم هذه الأقوام ، ويضربون بهم المثل في القـدم [١] . ومثلهم في ذلك مثل أخبـاريي العبرانيين الذين عدوا العمالقـة أول الشعوب [٢] . ولعل هذه النظرية تكونت عندهم من الفكرة التي تكونت عند الجاهليين من قدم عاد .

وذهب « جرجي زيدان » الى أن عادا هي « هدورام » في التـوراة [٣] . ودليله على ذلك اقتران عاد بارم في الكتب العربية ، وبعض القراءات التي قرأت « بعاد ارم » في الآية : (ألم تر كيف فعــل ربك بعــاد . ارم ذات العماد) [٤] على الاضـافة ، أو مفتوحتين ، أو بسكون الراء على التخفيف ، أو باضافة ارم الى ذات العمـاد . وبين « عاد ارم » على رأيه وهدورام تشابه كبير في النطق [٥] .

---

(١) ومنهم من رأى انهم أبنـاء ارم « وارم والد عاد الاولى ومن ترك صرف ارم جعله اسما للقبيلة وقيل ارم عاد الاخيرة وقيل ارم لبلدتهم التي كانوا فيها ، وفي التنزيل بعاد ارم ذات العماد ، وقيل ايضا أرأم قال الجوهري في قوله عز وجل ارم ذات العماد قال : من لم يضف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم أبيهم ومن قرأه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدة . وفي الحديث ذكر ارم ذات العماد وقد اختلف فيها فقيل دمشق وقيل غيرها » . اللسان ١٤/٢٨٠ .

(٢) العدد الاصحـاح الرابع والعشـرون ، آية ٢٠ . قاموس الكتاب المقــدس (١١٣/٢) ، Hastings. P,. 24

(٣) التكوين الاصحاح العاشر ية ٢٧، اخبار الايام الاول الاصحاح الاول، آية ٢١.

(٤) سورة الفجر رقم ٨٩ آية ٦ـ٧ .

(٥) الهلال : الجزء الثالث والعشرون ، السنة السادسة ، آب ١٨٩٨ (ص ٨٩٠) .

ولكن التوراة تشير الى أن (هدورام) من نسل « يقطـان » أى قحطان فى الكتب العربية . وهذا ما لا يستقيم مع الروايات . ويرد زيدان على هـذا الاعتراض بقوله : « ولعل كاتب سفر الخليقة رأى مقر تلك القبيلة فى بلاد اليمن فقال انها من نسل قحطان ؛ لأن مقام عاد فى الأحقاف بين حضرموت واليمن . وكثيرا ما التبس علماء التوراة فى هدورام أو هادورام ومقر نسله ، ولم يهتدوا الى شيء عنه ، مع أنهم اهتدوا الى أماكن أكثر أبنـاء قحطان وكلها بجوار الأحقـاف فعاد هى هـدورام فى التوراة . وأما أن يكون كاتب سفر الخليقة أراد بيان القبائل التى سكنت اليمن ، وكلهـا ينسب الى قحطان ، فرأى عاد ارم فى جملتها ، فجعله من أولاد قحطان . وبعبارة أخرى : من القبائل المتفرعة عن قبيلة قحطان . واما أن يكون بالحقيقة من نسل قحطان ، ووهم العرب فى نسبته الى آرام »[1] .

ورأى « فورستر » وجود صلة بين « عادة » وهو اسم زوجـة « لامك »[2] وبين « عاد » ، وهى والدة : « يابال الذى كان أبا لسكان الخيام ورعاة المواشى »[3] ، ونسلها من الأعراب . وقوم عاد من الأعراب كذلك . وذهب ايضا الى ان هؤلاء هم « Oaditae » ، وهم قوم ذكرهم بطلميوس[4] . على أنهم كانوا يقيمون فى الأرضين الشمالية الغربيـة من شبه جزيرة العرب[5] ، لعله عند موضع « بئر ارم » ، وهى من الآبار القديمة فى منطقة « حسمى »[6] على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم فى ديار جذام بين أيلة وتيه بنى اسرائيل[7] . ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسـم عاد . وقد أيد هـذا الرأى الثانى « شبرنكر » وجمـاعة من المستشرقين ، وهو أقرب الآراء الى الصواب .

وذهب الأخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد هى عاد الأولى وعاد الثانية . وكانت عاد الأولى ــ فى زعم أهل الأخبار ــ من أعظم الأمم بطشا وقوة ، وكانت مؤلفة من عدة

---

(١) الهلال : الجزء نفسه (ص ٨٩٠) .
(٢) التكوين : الاصحاح الرابع ، آية ١٩ Ency. Bibl. P, 57. «Lamech» Hastings, P. 10
(٣) التكوين : الاصحاح الرابع ، آية ٢٠ .
(٤) Forster. Vol, 2. P, 32. 33.
(٥) Forster. Vol, 2. P, 32. Ency. Vol, 1. P, 121. Sprenger, Geogr. P, 207.
(٦) صفة (١٢٩) . Ency. Vol, 1. P, 121. Sprenger, Geogr. P, 207. Wensinck Und J. H. Kramers. Handworterbuch des Islam. Leiden. 1941. P, 13
وسأشير اليه بـ : Wensinck
(٧) البلدان (١/١٩٦) .

بطون تزيد على الألف منهم : رفد ، ورمل ، وضد ، والعبود [(١)] • والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الأخباريين من تفسير الآية « وأنه اهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى » [(٢)] ، فتصوروا وجود عاد ثانية قالوا انها ظهرت بعد هلاك عاد الأولى [(٣)] •

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير الآية : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد » [(٤)] ، فذهب بعضهم الى أن « ارم ذات العماد » في تيه أبين بين عدن وحضرموت ، وذهب آخرون الى أنها دمشق [(٥)] أو الاسكندرية [(٦)] • والذى دعاهم الى هذا الرأى ـ على ما أرى ـ هو كثرة وجود المبانى ذوات العماد في هاتين المدينتين وما عرف عنهما من القدم ، فوجد الاخباريون فيهما وصفا ينطبق على وصف ارم ذات العماد [(٧)] • وقد خلقت « باب جيرون » من أبواب دمشق قصة جيرون بن سعد بن عاد الذى قالوا عنه انه كان ملكا من ملوكهم ، وانه الذى اختط مدينة دمشق وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وسماها ارم [(٨)] •

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون الى أن دمشق هى « ارم » أو « ارم ذات العماد » ، فقد كانت دمشق ـ كما هو معروف ـ من أهم مراكز الارميين « الآراميين » ، وكانت عاصمة من عواصمهم • ولهذا السبب أيضا ، قال نفر من الباحثين :

---

(١) الهلال : الجزء نفسه (ص ٨٩١) •

(٢) سورة النجم : سورة رقم ٥٣ آية ٥٠ـ٥١ •

(٣) ابن خلدون (٢/٢٠) ، « وعاد قبيلة وهم قوم هود عليه السلام • قال الليث : وعاد الاولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين أهلكهم الله • قال زهير : وأهلك لقمان ابن عاد وعاديا • وأما عاد الأخير فهم بنو تميم ينزلون رمال عالج » اللسان ٤/٣١٧ •

(٤) سورة الفجر : سورة رقم ٨٩ آية ٦ـ٧ • اللسان ١٤/٢٨٠ •

(٥) الاكليل ٨/٣٣ (طبعة نبيه) • صفة (ص ٨٠) ، البكرى (١/١٤٠) (طبعة السقا) • منتخبات (ص ٢) •

(٦) العرب قبل الاسلام (ص ٦٠) ، البلدان (١/١٩٧) • منتخبات (ص ٢) • مروج ٢/٤٢٠ـ٤٢١ (طبعة Meynard) • BOASOR, Numbr 73 February,, 1939. P, 13 « Koranic iram, Legendary and Historical, » by Harold W. Glidden.

(٧) « والعجم تذكر ان ارم ذات العماد بدمشق وان جيرون بن سعد بن عاد بنى مدينتها ، وسماها جيرون ذات العماد لكبر أعمدة حجارتها •• » الاكليل ٨/٣٣ (طبعة نبيه) •

(٨) ابن خلدون (٢/١٩) • المسعودى مروج (٢/٤٢٠) وما بعدها (طبعة Meynard) الاكليل ٣٣ (طبعة نبية) .BOASOR, Numbr 73. P, 13 (1939)

ان « ارم » تعنى « ارام » ، وان عادا من الارميين ، وان « عاد ارم » انما تعنى «عادأرام» فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العماد صفة فزعموا أنها مدينة بناها عاد[1] . غير أنه قول لا يقوم دليل علمى قوى يؤيده ويثبت أن « ارم » فى هذا الموضع تعنى « ارام » [2] . ومن الجائز أن تكون « ارم ذات العماد » هى التى أوحت الى النسابين فكرة جعل « عاد » من نسل عوص بن ارم ، لتشابه اسم « ارم » مع « ارم » عند العرب التى هى « ارام » ، فأصبحت عاد من الارميين .

ويرى « فنسنك Wensinck » أن الذى حمل الأخباريين على القول ان « الاسكندرية » هى « ارم ذات العماد » ، هو أثر قصص الاسكندر فى الأساطير العربية الجنوبية ، ذلك الأثر الذى نجده فى كتب القصاص اليمانين فى مثل كتاب « التيجان » المنسوب لوهب بن منبه ، وفى الرواية اليمانية . وقد حاول الاسكندر كما نعرف احتلال اليمن ، فغدا «شداد بن عاد» بانيا للاسكندرية، وأصبح « الاسكندر »مكتشفا لها [3] .

ونسبوا بناء « ارم » ـ باعتبار أنها مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء ـ الى « شداد » ، وقالوا : انه ابن عاد ، وأنه كان قويا جبارا سمع بوصف الجنة فأراد بناء مدينة تفوقها حسنا وجمالا ، فأرسل عماله ، وهم : غانم بن علوان ، والضحاك بن علوان ، والوليد بن الريان ، الى الآفاق ليجمعوا له جميع ما فى أرضهم من ذهب وفضة ودر وياقوت ، فابتنى بها مدينته ، ولكنه لم ينعم بها ؛ اذ كفر بالله ، ولم يصدق بنبوة « هود » ، فهلك . وتولى من بعده ابنه « شديد » [4] .

وزعم بعض النسابين أن نسب شداد هو على هذه الصورة :شداد بن عمليق بن عويج بن عامر بن ارم . وقيل فى نسبه غير ذلك [5] . والظاهر أن « كعب الأحبار » هو المسؤول عن هذه القصة وعن هذه الشخصيات التى دخلت فى قصة « عاد » ، والظاهر أنه ابتكر اسم « شداد » ، وهو اسم يناسب الوصف الذى وضعوه لمدينة « ارم » والأبنية

---

(١) العرب قبل الاسلام (ص ٦٠) « وكان يقال لعاد فى دهرهم عاد ارم » الطبقات ١/١ ص ١٩ .

(٢) Ency. Vol, I. P, 121.

(٣) BOASOR. Number 73. P, 13 (1939).

(٤) وقيل أخوه . راجع البلدان (١/١٩٨) « يقول اليمانية واكثر العلماء فى البلاد: ان ارم ذات العماد فى تيه أبين ، وهو غائط بين حضرموت وبين أبين » الاكليل (٨/٣٣) .

(٥) البلدان (١/١٩٩) « عويج » .

الشاهقة التي تصوروها في تلك المدينة ، ومثل هذه الأعمال لا يمكن أن يقوم بها الا رجل جبار شديد ، فزعم أنه « شداد » . وسمى ابنه « شديدا » ، وابتدع الأسماء الثلاثة وجعلها أسماء عمال « شداد » على الاقاليم .

والذي يفهم من القرآن الكريم أن مساكن عاد بالأحقاف ، « واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف » (١) . والأحقاف : الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر (٢) . وقد اندفع أكثر الأخباريين يلتمسون مواضعهم في الصحارى ؛ لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصا من قصص المغامرات التي تشبه قصص مغامرات قرصان البحر .

وقد سبق ان قلت : ان « Oaditae » الذين ذكرهم بطلميوس هم قوم « عاد » ، وانهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب في منطقة « حسمى » ، أي في أعالي الحجاز ، وعلى مقربة من مناطق ثمود . وهو أقرب الى الصواب ؛ اذ اقترن ذكر عاد في القرآن الكريم بذكر « ثمود الذين جابوا الصخرة بالواد » (٣) . ومنطقة حسمى أقرب الى هذا الوصف من مناطق الرمال . ولم يعين القرآن موضع الأحقاف ، وانما عينه المفسرون ، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان ، حيث جعلوا رمال وبار في جملة المناطق التي كانت لعاد (٤) .

وقد ذهب « موريتس » ـ كما سبق أن قلت ـ الى أن موضع « Aramaua » الذي ورد عند « بطلميوس » هو « ارم » ، أو « ارم ذات العماد » . ويقال له الآن « رم » (٥) . وقد أيد « موسل » رأي « موريتس » في مطابقة المكان الذي ذكره « بطلميوس » مع هذا المكان الذي عينه « موريتس » ، غير أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه من أنه « ارم » (٦) . وقد أظهرت الحفريات التي قام بها « المعهد الفرنسي » في القدس

---

(١) سورة الأحقاف ٤٦ آية ٢١ ، اللسان ٣٩٨/١٠ .

(٢) ابن خلدون (١٩/٢) ، « الحقف وجمعه أحقاف ، وهي الرمال وكانت الأحقاف رمالا قبل عمان الى حضرموت . قال : وكانت منازل عاد » المفضليات (ص ١٥) . « والأحقاف : رمال بأعيانها في أسفل حضرموت » منتخبات (ص ٢) .

(٣) الفجر : سورة ٨٩ آية ٩ .

(٤) ديوان الطرماح ـ طبعة كرنكو (ص ١٤٨) .

(٥) B. Moritz, Ausflüge in der Arabia Petraea. in MFOB, III, P. 395.

(٦) Musil, The Northern Hegaz P. 273. BOASOR, Number 73. P, 15 (1939).

صحة هذا الرأى ، اذ ورد فى الكتابات « النبطية » التى عثر عليهـا فى خرائب معبـد اكتشف على جبل « رم » : أن اسم الموضع هو « ارم » (١) • فيتضح من ذلك أن هـذا الموضع حافظ على اسمه القديم ، غير أنه صار يعرف أخيرا « برم » بدلا من « ارم » •

وفى سنة « ١٩٣٢م » قام « Horsfield » من دائرة الآثار فى المملكة الأردنية الهاشمية بحفريات فى موضع جبل « رم » ، ويقع على مسافة « ٢٥ » ميلا الى الشرق من العقبة ، ويقع المكان الذى بحث فيه عنـد وادى ، وعلى مقربة منه « عـين ماء » (٢) ، ووجد فى جانب الجبل آثارا جاهلية قديمة • وقد حملت اكتشافاته هـذه واكتشـافات «Savignac» التى قام بها فى هذا المكان واكتشافات « كليدن Harold W. Glidden » على القول : انهذا المكان هو موضع « ارم » الوارد ذكره فى القرآن ، والذى كان قد حل به الخراب قبل الاسلام ، فلم يبق منه عند ظهور الاسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام ـ مصر ـ الحجاز (٣) ، وورد اسـم عاد فى عدة مواضع من القرآن (٤) ، كما ورد فى الشـعر الجاهلى فى شـعر طرفة (٥) وشعر النابغة (٦) وشعر زهير (٧) ، وفى شعر الهذليين (٨) ، وفى شعر طفيل بن عوف

---

(١) BOASOR, Number 73. P, 15.

(٢) BOASOR. Number 37 P, 14. (1939). Revue Biblique, XLI (1932), PP. 581-597 XLII (1933), P. 405-422, XLIII (1934), PP, 572-9; XLIV (1935), PP, 245-78.

(٣) BOASOR, Number 73. P, 15 (1939).

(٤) سورة الحج ٢٢ آية ٤٢ • سورة الحاقة ٦٩ آية ٤ ، ٦ • سورة الفرقان ٢٥ آية ٣٨ ، سورة فصلت ٤١ آية ١٣ ، سورة الأعراف ٧ آية ٦٥ ، سورة هود آية ٥٠ سورة ٧ آية ٦٥ •

(٥) طرفة ١ ، ٨ ، Ency. Vol, I. P, 121

(٦) Ency. Vol, I. P, 121.

أحـلام عاد وأجسـاد مطهرة ... من المعقـة والآفات والأثم

ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسى (ص ٧٤) •

(٧) معلقة زهير بيت ٣٢ • Ency. I-121.

فتنتج لكم غلمـان أشـأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضـع فتفطـم

(٨) ديوان الهذليين IXXX. 6 ، ٣١ ، ديوان هذيل نمرة ٣١ ، ٥ •

الغنوى [١] ، وفى شعر متمم بن نويرة شقيق مالك بن نويرة وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية وأدركوا الاسلام [٢] ، وفى شعر أمية ابن أبى الصلت وهو ممن عاش فى أيام الرسول كذلك [٣] ، وفى شعر غيرهم من الشعراء الجاهليين والمخضرمين [٤] . وورد أيضا « أحمر عاد » [٥] .

ويدل ورود خبر « عاد » فى القرآن الكريم وفى الشعر الجاهلى على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون بأن قوم « عاد » كانوا من أقدم الأقوام ، ولذلك ضرب بقدمهم المثل حتى انهم كانوا ينسبون الشىء الذى يريدون أن يبالغوا فى قدمه الى عاد فيقولون عنه انه « عادى » . واذا رأوا أثرا قديما أو أطلالا قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ، قالوا عنها أنها « عادية » ، أى من أيام

---

(١) شعر طفيل بن عوف الغنوى رواية أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى (طبعة لوزاك ١٩٢٧ . سلسلة كب بعناية ف . كرنكو) ص ١٣٥ ، ١٤٨ « لنا الجبلان من أرمان عاد » .

(٢) أفنين عادا ثم آل محرق   فتركنهم بلدا وما قد جمعوا

المفضليات ص ٧٨ (٢/٢٤) ملحوظة ٤٠ .

(٣) ديوان أمية بن أبى الصلت ، تحقيق بشير يموت (ص ٥٨) . بيروت ١٩٣٤
Friedrich Schulthetz, Umajja ibn Abi S—Salt, Leipzig 1911. P, 48.

فقال ألا لا تجزعى وتكذبى   ملائكة من رب عاد وجرهم

(٤) سويد بن أبى كاهل :

غلبت عادا ومن بعدهم   فأبت بعد فليست تتضع

المفضليات (ص٤٠٤) . قول صريم بن معشر بن ذهل الملقب بأفنون من شعراء الجاهلية :

لو أننى كنت من عاد ومن ارم   ربيت فيهم ولقمان ومن جدن

المفضليات (ص ٥٢٥) ، وقال الطرماح بن حكيم :

لنا الجبلان من أرمان عاد   ومجتمع الألاءة والغضاة

ديوان الطرماح ص ١٣٥ (سلسلة جب) لندن ١٩٢٧ بعناية كرنكو .

(٥) فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

معلقة زهير بيت ٣٢ ، وضرب المثل بشؤم أحمر عاد فقيل : أشأم من أحمر عاد . الأمثال طبع حيدر آباد الدكن (ص ١١) .

عاد [١] . واذا رأوا بناء قديما لايعرفون صاحبه ، قالوا عنه انه « بناء عادى » . [٢]
وقد تحدث المسعودى عن أشجار عادية ، أى قديمة جدا [٣] . ولهذا السبب رأى « ولهوزن Wellhausen » أن كلمة « عاد » لم تكن اسم علم فى الأصل ، بل كان يراد بها القدم ، وان كلمة « عادى » تعنى منذ عهد قديم جدا ، وكذلك كلمة « من عاد » أو « من العاد » ، وأن هذا المعنى هو الذى حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد [٤] .

هود :

ويرد مع قوم عاد ذكر نبى منهم هو « هود » ، وقد نعت فى القرآن الكريم بأخى عاد : « والى عاد أخاهم هودا ، قال : يا قوم ، اعبدوا الله » [٥] ، كما نعت القرآن عادا بقوم هود : « ألا ، ان عادا كفروا ربهم ، الا بعدا لعاد قوم هود » [٦] . « قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح » [٧] . وقد نسبه النسابون الى الخلود بن معيد بن عاد [٨] ، والى عبدالله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوص بن ارم [٩] ، والى غير ذلك من روايات .

وقد وردت قصته مع قومه ونهيه لهم عن عبادة الأصنام فى القرآن الكريم [١٠] ، وجمع المفسرون القصص التى قيلت فيه ، وهى فى الجملة من أقوال كعب الأحبار ووهب بن منبه ، كما عنى بها أصحاب قصص الأنبياء فجمعوها مع ما جمعوه من أمثال

---

(١) لعادية من السلاح استعرتها وكان بكم فقر الى الغدر أو عدم
المفضليات (ص ٦١٣) . العرب قبل الاسلام (ص ٦٣) ، « والعادى الشىء القديم » لسان العرب ج٤ (ص ٣١٧) مادة عاد . «الحماسة» طبعة « Freytag » (١٩٥/١ ، ٣٤١) .
Caussin de Perceval, Essai,, Vol, I. P, 259. عن عاد Ency. of Islam. Vol, I. P, 121
Blochet, Le Culte d'chphrodite.

(٢) Sprenger, Das Leben,.., Bd, I. S, 512.

(٣) Sprenger, Das Leben.., Bd, I. S, 512.

(٤) Wensinck, P, 13.

(٥) الأعراف ٧ آية ٦٥ ، سورة هود ١١ آية ٥٠ ، الشعراء ٢٦ آية ١٢٤ .

(٦) هود ١١ آية ٦٠ . وضرب المثل بكفر رجال عاد ، فقيل : « أكفر من حمار . هو رجل من عاد مات له أولاد فكفر كفرا عظيما فلا يمر بأرضه أحد الا دعاه الى الكفر فان أجابه والا قتلته .. » لسان العرب (٢٩٥/٥) .

(٧) هود ١١ آية ٨٩ . (٨) نهاية الأرب (٥٢/١٣) .

(٩) المعارف (١٤) ، «نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب» مخطوطة مصورة فى المجمع العلمى العراقى منسوبة الى الأصمعى . ص ١٨ .

(١٠) سورة هود ، الشعراء ٢٦ آية ١٢٤ ، الأعراف ٧ آية ٦٥ .

هذه القصص • فى كتب تلقاها الناس بشوق (١) •

وقد نبه المستشرقون الى وجود شـبه بين « هود » و « هود » الواردة فى القرآن أيضا بمعنى « يهود » (٢) : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا » (٣) ، وأشاروا الى أن « هود » تعنى التهود ، أو اعتناق اليهودية ، كما لاحظوا أن بعض النسابين قالوا : ان هودا هو عابر بن شالح بن ارفكشاد جد اليهود ، فذهبوا الى أن هودا لم يكن اسم رجل ، وانما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب ، وأقامت فى الأحقاف ، وحاولت تهويد الوثنيين وعرفوا بيهوذا ، ومنها جاءت كلمة « هود » (٤) ، وأنها استعملت من باب التجوز علما لشخص (٥) •

وزعم الرواة أن هودا ارتحل ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التى حلت بقومه الكافرين من أرض عاد الى الشحر • فلما مات ، دفن بأرض حضرموت (٦) • ويدعى الرواة أنه قبر فى واد يقال له « وادى برهوت » غير بعيد عن « بئر برهوت » التى تقع فى الوادى الرئيس للسبعة الأودية (٧) • وهى من الآبار القديمة التى اشتهرت فى

(١) الثعلبى قصص الأنبياء ص ٦٣ (القاهرة ١٢٩٠) نهاية الأرب (١٣/٥٠) فما بعدها • Ency. Vol, 2. P, 328. Von Kremer, über die Südarabische Sage. P, 21. Geiger, Was hat Muhammad aus dem Judenthume Aufgenommen. P, 111.

(٢) Ency. Vol, 2. P, 327-328. Hirschfeld, Beiträge zu erklärung des Koran. Leipzig. 1886. P. 17. Note. 4. اللسان ٤/٤٥١ ، القاموس ١/٣٤٩

(٣) البقرة ٢ آية ١٣٥ كذلك آية ١١١ ، ١٤٠ •

(٤) الهلال : ج ٢٣ سنة ٦ جزء آب ١٨٩٨ (ص ٨٩٤) فما بعدها •

(٥) Ency. 2. P, 328. « والهود : جمع هائد ، وهو التائب • والهود : اليهود ، قال الله تعالى : « كونوا هودا أو نصارى » • التهويد : المشى الرويد ، وفى حديث عمران ابن حصين : « اذا مت فخرجهم بى فأسرعوا المشى ولا تهودوا كما تهود اليهود والنصارى » • وهود الانسان ولده : أى جعله على دين اليهود • » منتخبات (ص ١١١-١١٢) •

(٦) نهاية الأرب (١٣/٦٠) • Forster. Vol. 2. PP. 374.

(٧) البكرى تأريخ حضرموت السياسى (١/٦٥) فما بعدها • وقال الواقدى : «ما يعلم موضع قبر نبى من الأنبياء الا ثلاثة : قبر اسماعيل فانه تحت الميزاب بين الركن والبيت ، وقبر هود فانه فى حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تندى وموضعه أشد الأرض حرا ، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم • فان هذه قبورهم بحق • » • كتاب الطبقات الكبير : القسم الأول من الجزء الأول (ص ٢٥) بعناية أدوارد سخو •

الجاهلية بكونها شر بئر فى الأرض ، ماؤها أسود منتن تتصاعد من جوفها صيحات مزعجة ، وتخرج منها روائح كريهة ؛ ولذلك تصور الناس أنها موضع تتعذب أرواح الكفار فيه (١) . ويذهب السياح الذين زاروا هذا المكان ودرسوه الى أنه موضع بركان قديم يظهر أنه انفجر فأهلك من كان حوله . ويؤيد هذا الرأى ما ورد فى الكتب العربية من أنه كان يسمع لهذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وأنه كان يقذف أكواما من الحمم يسمع لها أزيز مرعب (٢) . ومن هنا نشأت قصة قبر هود وعذاب عاد فى هذا الموضع على رأى المستشرق فون كريمر (٣) .

ولا يزال هذا الموضع الذى يقال له « قبر هود » يزار حتى الآن ، يقصده الناس من أماكن بعيده فى اليوم الحادى عشر من شعبان للزيارة (٤) . وربما كان من الأماكن التى كان يقدسها الجاهليون قبل الاسلام . وفى هذه المناطق آثار مدن منقرضة ، وقرى جاهلية ، كما تشاهد كهوف ومغاور على حافتى الوادى وكتابات وصور منقوشة على الصخور (٥) تدل كلها على أنها كانت من المناطق المأهولة ، وأنها تركت بسبب آفات وكوارث طبيعية نزلت بهذه الديار . وقد عزى المؤرخون المسلمون ذلك الى انحباس الأمطار عنها ، واشتداد رياح السموم التى استمرت حتى هلك قوم عاد .

ورأى نفر من المستشرقين أن هذا المكان الذى فيه « قبر هود » هو الموضع الذى قال له الكتاب اليونان « Stygis» «Styx » . والذى زعم الرومان أن قبيلتين من

---

(١) بلدان (٢/١٥٧) « خير بئر فى الأرض زمزم وشر بئر فى الأرض برهوت » . منتخبات (ص ٧) ، «برهوت واد معروف قيل هو بحضرموت ، وفى حديث على عليه السلام شر بئر فى الارض برهوت هى بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها . ويقال برهوت بضم الباء وسكون الراء » . اللسان ٢/٣١٤ ١/١٤٣ .

(٢) تأريخ حضرموت السياسى (١/٦٧) .

(٣) Von Kremer, über die Süd Arabische Sage. P, 21. « ويفيض وادى ثوبة الى بلد مهرة ، وحيث قبر هود النبى صلى الله عليه وقبره فى الكثيب الاحمر ثم منه فى كهف مشرف فى أسفل وادى الأحقاف وهو واد يأخذ من بلد حضرموت الى بلد مهرة مسيرة أيام ، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة فى كل وقت » صفة ص ٨٧ .

(٤) تأريخ حضرموت السياسى (١/٦٢) . Ency. 1-634.

(٥) المصدر نفسه ، والهلال : الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ (ص ٦٠٥) ؛

قبائل جزيرة « اقريطش » « كريت » ، وهما قبيلة : « Minu » و « Rhodmantys» تركا موطنهما الأصلي وارتحلا الى هذا المكان الذى ضم مئات من القبائل العربية ، فكانتا من أفواهاه وقد سكنتا على مقربة من موضع قال له «بلينيوس» «Stygis Agune Fous» (١)

ومن الأخباريين من قال ان « قبر هود » بمكة مع قبور (٩٨) نبيا من الأنبياء (٢) ، وذكر جماعة أنه بدمشق فى المسجد الأموى (٣) • وقد توصل الأخباريون الى قولهم هذا من القصص التى وردت عن ذهاب هود الى مكة مع وفد من جماعته ، ومن ذهاب نفر من الأخباريين كما سبق أن قلت الى أن دمشق هى ارم ذات العماد فقالوا بوجود قبر هود فى الشام ، كما قال غيرهم بوجود قبور بعض الأنبياء فى الجامع الأموى • وقد ظهرت مثل هذه الروايات التى تمجد هذا الجامع فى الوقت الذى تحصن فيه ابن الزبير بمكة ، وتحزب أهل الحجاز على الأمويين •

وقد اتخذ القحطانيون هودا جدا من أجدادهم ، وألحقوا نسبهم به ، وافتخروا به ، كما جعلوه عابرا او ولدا من أولاد عابر (٤) • والظاهر أنهم انما فعلوا ذلك بدافع العصبية والمفاخرة على العدنانيين الذين كانوا يقولون ان فيهم الأنبياء ، ولم يكن فى قحطان نبى ، فأوجد القحطانيون نسبا يوصلهم الى الأنبياء ، كما أوجدوا لهم نسبا احتكر لهم العربية وجعلهم الأصل والعدنانيين من الطارئين عليهم •

وذكر ياقوت الحموى اسم مكان سماه « جش ارم » قال عنه : انه اسم جبل عند « أجأ » أحد جبلى طيء ، أملس الأعلى سهل ترعاه الابل ، وفى ذروته مساكن لعاد وارم فيه صور منحوتة من الصخر (٥) • ففرق ياقوت هنا بين عاد وارم وجعلهما قومين : قوم عاد وقوم ارم ، وقد تكون الواو بين الكلمتين زيادة من الناسخ ، فيبطل حينئذ الاستدلال على تفريق ياقوت بينهما • وفى الكتب العربية محلا أخرى قديمة عثر فيها على نقوش وتماثيل وصفت على أنها من مساكن قوم عاد •

---

(١) Ency. Vol, I. P, 654. Wensinck. P. 175 f.

(٢) Ency. Vol, 2. P, 327.

(٣) رحلة ابن بطوطة ، طبعة باريس (١/٢٠٥ ، ٢/٢٠٣) •

(٤) ابن خلدون (٢/٢٠) « هود النبى عليه السلام المرسل الى عاد المذكور فى القرآن هو أبو قحطان بن هود قال حسان :

أبونا نبى الله هود بن عابر

وهو هود بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح النبى « منتخبات (ص ١١١) • ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسى (ص ٦٣ ، ٦٤) • نهاية الأرب (١٣/٥١) •

(٥) بالفتح والضم ثم التشديد النجفة وفيه ارتفاع (بلدان ٣/١٠٧) •

ومن قبائل عاد قبيلة كان فيها « لقمان » الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم[١] وفى قصص أهل الجاهلية وفى الشعر الجاهلى . وقد ضرب به المثل بطول العمر فعد فى طليعة المعمرين[٢] . وقد عده أبو حاتم السجستانى ثانى المعمرين فى العالم بعد الخضر[٣] . والظاهر أن عرب ما قبل الاسلام كانوا يعرفون قصة « لقمان » ، وكانوا يصفونه بالحكمة . وقد وصفه القرآن الكريم بهذه الصفة فورد فيه : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »[٤] ولهذا السبب عرف بين الناس وفى الكتب « بلقمان الحكيم » .

وجعلوا للقمان نسبا هو « لقمان بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم »[٥] . وقالوا بل هو ابن أخت أيوب أو ابن خالته وجعله بعضهم قاضى بنى اسرائيل[٦] . وقد اشتهر عند المسلمين بالقضاء ويظهر أن هذا السبب هو الذى جعل الواقدى يقول انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل ولم يفطن الأخباريون الى هذه الأخبار المتناقضة التى تخالف

---

(١) القرآن الكريم سورة لقمان . تفسير الطبرى (٢١/٣٩) فما بعدها . طبعة القاهرة ١٣٢١هـ . قال صريم بن معشر بن ذهل المعروف بأفنون :

لو أننى كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ولقمان ومن جدن

المفضليات (ص ٥٢٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسى (ص ٧٥) .

نمين فلا له فى سوق رأس الى لقمان فى سوق مقام

(٢) Ency. Vol, 3. P, 35. Goldziher, Abhandlungen zur Arabischen Philologie. 2. S, 2. Leiden, 1899. Rene Basset, Loqman Berbere, Paris 1890. Wensinck, P. 365.

(٣) Ency. Vol, 3. P, 35. ابو حاتم السجستانى كتاب المعمرين طبعة « كولدزهير » (ص ٢) . Abhandlungen 2-P, 2.

(٤) سورة لقمان ٣١ آية ١٢ ، « لقمان الحكيم المذكور فى كتاب الله تعالى كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا فى قول الجمهور . يقال : انه كان عبدا للقين بن جسر القضاعى قال سعيد بن المسيب كان عبدا حبشيا ، ويقال انه كان فى وقت داوود النبى عليه السلام .. ولقمان الأنسر وهو لقمان بن عاد ، ولقمان الحميرى كان حكيما عالما بعلم الأبدان والأزمان ... » منتخبات (ص ٩٥-٩٦) .

(٥) قصص الأنبياء للثعالبى (ص ٢٠٥) . « لقمان بن عاد » نهاية الأرب (١٣/٦٠) ، البيان والتبيين (٣/١٧٤) طبعة السندوبى .

(٦) قصص الأنبياء (ص ٢٠٥) ، القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ص ٢٢٠ فما بعدها .

رواياتهم فى عاد وانها من أمم العرب البائدة . غير أن بعضهم جعله لقمان بن عاد [1] فيكون بذلك من صلب العرب البائدة والظاهر أن هذه الاضافات واضافات أخرى مثل الأمثال المنسوبة اليه انما حدثت فى الاسلام [2] ، ولم تكن معروفة فى الجاهلية ، وجعله بعض الرواة كسليمان فى ميله الى انشاء المدن والبناء [3] .

وزعم « وهب بن منبه » أنه قرأ من حكمة لقمان نحوا من عشرة آلاف باب [4] ، وزعم الرواة أن عرب الجاهلية كانت عندهم « مجلة لقمان » وفيها الحكمة والعلم والأمثلة [5] ، وأن جماعة منهم كانوا قد قرأوها من جملتهم « سويد بن الصامت » [6] . وقد جمع الناس فيما بعد حكمته وأمثاله والقصص التى نسبت اليه ، وهى تشبه حكايات « ايسوب Aesop » صاحب الأساطير والحكم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان [7] .

ويظهر أن كثيرا من أخبار عاد وضعت فى أيام « معاوية بن أبى سفيان » الذى كان له ولع خاص بالاطلاع على أخبار الماضين ، فجمع لذلك فى قصره جماعة اشتهرت برواياتها هذا النوع من القصص ، وفى مقدمة هؤلاء « كعب الأحبار » [8] .

وهناك من فرق بين لقمان بن عاد وبين لقمان المذكور فى القرآن ، قال الجاحظ : « وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ، ولقيم بن لقمان فى النباهة

---

(١) ابن الأثير (٢/ ٢٠) ، نهاية الأرب (١٣/ ٦٠) ، شرح ديوان الحماسة (٢/ ٨٣) ، البيان والتبيين (١/ ١٣٦) طبعة السندوبى . مجمع الأمثال للميدانى (١/ ٣٧) القاهرة ١٣٥٢ هـ . « ليأكل رأس لقمان بن عاد » اللسان ١٦/ ٢٠ .

(٢) Ency. Vol, 3. P, 35. اللسان ١٦/ ٢٠ ـ ٢١

(٣) وضربوا به المثل فى كثرة الأكل فقالوا : آكل من لقمان . مجمع الأمثال للميدانى (١/ ٨٩) . Hitti P. 55.

(٤) المعارف (ص ٢٥) .

(٥) Sprenger, Das Leben Und die Lehre des Mohammad. Bd, I. S, 93.

(٦) المصدر نفسه . أمثال لقمان الحكيم طبعة « ديرنبورغ » لندن ١٨٥٠ .

(٧) Ency. Vol, 3. P, 31. Sprenger, Vol, I, S, 93 f. Handwörterbuch. S, 365.

(٨) نهاية الأرب (١٣/ ٦٢) فما بعدها . راجع قصة (ابن بيض) مع لقمان ، ويظهر أنها من قصص الجاهلية . المفضليات (ص ٩١ . ج ٢ ص ٢٩ ملحوظة ٣٦) فى اللغة الانكليزية . ديوان المفضليات (بيروت ١٩٢٠) ص ٩١ .

والقدر ، وفى العلم والحكم ، فى اللسان وفى الحلم ، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقول المفسرون » [1] .

ثم يبق بعد هلاك عاد الأولى على رأى الأخباريين سوى هود ونفر ممن آمن به والوفد الذى سار الى مكة للاستسقاء ، وفيهم « لقمان » ، وكان من أكابر العاديين . فأنشأ هؤلاء دولة عاد الثانية ، وخالف لقمان الخلجان ملك عاد الأولى الذى خالف هودا فهلك . وخاف العاديون انحباس المطر والجفاف ، فارتحلوا الى أرض سبأ ، وبنى لقمان سد « العرم » قرب مأرب ، وبقيت حكومة عاد الثانية قائمة الى أن تغلبت عليهم قبائل قحطان . ثم انقرضت وبادت [2] .

وكانت ديانة عاد هى الوثنية ، وقد ذكر المؤرخون أسماء أصنام زعموا أنها كانت أوثان عاد منها صدا « صدى » أو « ضرا » فى رواية ، و « صمو » (ضمور) أو « هرد » ، والهباء أو هبا [3] . ونحن لا نستطيع أن نقول شيئا يقينا أو قريبا من اليقين فى تحقيق أسماء هذه الأوثان ، فليس وهب بن منبه أو زميله كعب الأحبار ، وهما صاحبا هذا الخبر ، فيمن يعتمد على قولهم فى نظرى . ثم اننا لا نعرف نصا جاهليا مدونا ذكر هذه الأوثان ، ولعلها من الأسماء المحرفة التى سمعها وهب أو كعب محرفة بفعل تقادم الزمن . ولعل « صمو » تحريف « صلمو » أو « صلم » ، وهو من آلهة ثمود المشهورة ، وقد ورد اسمه فى كتاباتهم ؛ وان هبا هو « هبل » من آلهة ثمود كذلك ، وأن « ضرا » تحريف « رضو » من آلهة ثمود المشهورة [4] . وذهب زيدان الى احتمال كون « هبا » هو « هيا » و « صدا » هو « صدو » من آلهة الآشوريين أو البابليين [5] .

---

(١) البيان والتبيين (١/١٣٦) . وقد أورد الجاحظ جملة أبيات للنمر بن تولب فى لقمان ، ولقيم . نهاية الأرب (١٣/٦١) .

(٢) الهلال : الجزء نفسه (ص ٨٩٧ـ٨٩٨) .

(٣) الهلال : الجزء نفسه (ص ٨٩٧) ، قصص الأنبياء (ص ٣٩) « قال وهب : كان ملك عاد الأكبر اسمه الخلجان بن عاد بن العوص بن ارم بن سام ، وكان قومه يرجعون الى فصاحة وشعر ، وكان له ثلاثة اصنام : صدا ، وهبا وصمو » نهاية الأرب (١٣/٥١) ، كتاب الأصنام لابن الكلبى تحقيق أحمد زكي باشا (ص ١١٠ـ١١١) ، مروج ـ طبعة باريس (٣/٢٩٥) .

(٤) Grimme, P, 39 ff.

(٥) الهلال : الجزء نفسه (ص ٨٩٧) .

ثمـــود :

ويرد اسم « ثمود » فى الكتب العربية مقرونا باسم « عاد » ، وبعد هذا الاسم فى الغالب ، والرواية العربية لا تعرف من تأريخهم شيئا ، انما روت قصصا عنهم أوردتها فى كتب التفسير ، وقصص الأنبياء والتأريخ وفى كتب الأدب وغيرها ، رواها الأخباريون تفسيرا لما جاء فى القرآن الكريم عنهم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير . كذلك روت أن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يعرفون اسم « ثمود » وشيئا عن مصيرهم ، وذكرت لهم شعرا فى هذا المعنى (١) .

وجاء اسم « ثمود » فى مواضع عديدة من القرآن الكريم ، جاء منفردا وجاء مقرونا باسم شعوب أخرى مثل قوم « نوح » وقوم « عاد » فبدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود (٢) . وجاء مع ثمود فى موضعين « أصحاب الرس » جاؤوا بعد « ثمود » (٣) كما جاء اسمهم قبل « ثمود » (٤) . وورد مع ثمود أيضا ذكر قوم « لوط » و « أصحاب الأيكة » ، وقد تقدم فى هذا الموضع اسم « ثمود » ، وقد دعت الآية أولئك « الأحزاب » (٥) ، كما ورد ذكر « ثمود » مع « عاد » (٦) . وقد تقـدم اسم « عاد » على « ثمود » الا فى آية واحدة حيث تقدم اسم « ثمود » على « عاد » : « كذبت ثمود وعاد بالقارعـة » (٧) .

---

(١) Ency. Vol, 4. P, 736. ورد فى الشعر المنسوب لأمية بن أبى الصلت :

كثمـود التى تفتكت الدين عتيـــا وأم سقب عقيرا

وذكر قصة الناقة . راجع ديوانه ص ٤٤ طبعة « Fr. Schulthetz » لايبزك ١٩١١م .
وورد فى شعر لسلمة بن الحرث وهو من معاصرى عمرو بن كلثوم اسم « ثمود » :

حتى تزور السبـــاع ملحمـة كأنهـــا من ثمود أو ارما

راجع المفضليات (ص ٤٢٨) . وورد اسم ثمود أيضا فى شعر لجرير بن خرقاء العجلى :

ويوم الحنو قـــد علمت معـــد حصدناكم كما حصـدت ثمود

المفضليات (ص ٤٣٩) . وورد فى شعر لبيد اســم ، ارم وعاد وثمود ديوان لبيد ص ٢٥ (الخالدى) . « وثمود قبيلة من العرب الاول يصرف ولا يصرف ويقال أنهم من بقية عاد وهم قوم صالح » اللسان ٧٥/٤

(٢) سورة التوبة ٩ آية ٧٠ ، سورة ابراهيم ١٤ آية ٩ ، سورة الحج ٢٢ آية ٤٢ ، سورة غافر ٤٠ آية ٣١ .

(٣) « وعادا وثمودا وأصحاب الرس » سورة الفرقان ٢٥ آية ٣٨ .

(٤) سورة ق ٥٠ آية ١٢ . (٥) سورة ص ٣٨ آية ١٣ .

(٦) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٣٨ ، سـورة فصلت ٤١ آية ١٣ ، سورة النجم ٥٣ آية ٥١ .

(٧) سورة الحاقة ٦٩ آية ٤ .

وورد اسـم « ثمود » فى آيات أخرى من القرآن الكريم [1] • ويظهر من ورود ذكر « ثمود » فى مواضع متعددة من القرآن لترهيب « الكفار » من العاقبة التى آلت اليها حالة « ثمود » بعد أن استحبوا العمى على الهدى ، واستمروا بطغواهم كما استمر طغيـان « فرعون » [2] وقوم مدين [3] وغيرهم ممن ذكرناهم ، أن الجاهليـين كانوا يعرفون مصير ثمود ، ومصير « عاد » الذى كان من نوع مصير « ثمود » [4] • وأنهم كانوا يعرفون منازلهم ، كالذى يظهر بجلاء من الآية • « وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم » [5] معرفة جيدة ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل « ثمود » ، انما يظهر من آية : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » [6] أن مواضعهم كانت فى مناطق جبلية أو فى هضـاب ذات صخور • وقد ذكر المفسـرون ان معنى « جابوا الصخر » قطعوا صخر الجبـال واتخـذوا فيهـا بيوتا [7] ، وأن « الـواد » هو وادى القرى [8] • فتكون مواضع « ثمود » فى هـذه الأماكن • وقد عين أكثر الرواة « الحجر » على أنه ديار ثمود ، وهو قرية بوادى القرى • وقد زارها الاصطخرى ، وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود [9] ، وقد نزل بهـا الرسـول مع أصحابه فى غزوة « تبوك » [10] • وقد ذكر المسعودى أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ،

---

(١) سورة الأعراف ٧ آية ٧٣ ، سـورة هود ١١ آية ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ ، سـورة الاسراء ١٧ آية ٥٩ ، سورة الشعراء ٢٦ آية ١٤١ ، سورة النمل ٢٧ آية ٤٥ ، سـورة الذاريات ٥١ آية ٤٣ ، سورة القمر ٥٤ آية ٢٣ ، سورة البروج ٨٥ آية ١٨ ، سـورة الفجر ٨٩ آية ٩ ، سورة الشمس ٩١ ، آية ١١ •

(٢) سورة البروج ٨٥ آية ١٨ •

(٣) سورة هود ١١ آية ٩٥ •

(٤) سورة فصلت ٤١ آية ١٣ •

(٥) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٣٨ •

(٦) سورة الفجر ٨٩ آية ٩ •

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، وهو تفسير الزمخشرى (٤/٢٠٩) ، تفسير النيسابورى المطبوع حاشـية على تفسـير الطبرى (٣٠/٨٧) ، جامع البيان فى تفسير القرآن وهو تفسير الطبرى (٣٠/١١٣) ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٣٠/١٢٤) ، تبصير الرحمن وتيسير المنـان أو تفسير المهايمى (٢/٤٠١) ، تفسير العلامة أبى السعود (٤/٨٦٩) ، تفسـير الجلالين (٢/٢٤٥) •

(٨) روح المعانى (٣٠/١٢٤) ، تفسير الجلالين (٢/٢٤٥) •

(٩) البلدان (٣/٢٢١) ، الطبرى (١/١١٨) • اللسان ٥/٢٤٢

(١٠) معجم ما استعجم (٢/٤٢٦) طبعة السقا •

وديارهم بفج الناقة ، وأن بيوتهم منحوتة فى الجبال ، وأن رممهم كانت فى أيامه باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك فى طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادى القرى [1] .

ويذكر الطبرى أن أهل التوراة ينكرون وجود عاد وثمود وهود وصالح فى التوراة ، ويقول : ان أمرهم عند العرب فى الشهرة فى الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم وقومه ، وانه ورد ذكرهم فى شعر شعراء الجاهلية[2] .

وقد أورد بعض المؤرخين والأخباريين لهم ملوكا ونسبا ، وقد ربط هذا النسب بعابر أو بجاثر بن ارم بن سام بن نوح [3] . وهى من أسماء التوراة ، وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات « الكلاسيكية » ، فوجدوا اسم ثمود فى النصوص الآشورية : وجدوه فى نص من نصوص « سرجون الثانى » مع أسماء شعوب أخرى سنتحدث عنها فيما بعد هى : «ibadidi»و«Marsimani» و « خيابة Hajappa» « خيابو » ، وقد سمو باسم « ثمودى Tamudi» (Thamudi) [4] وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب انتصر فيها الآشوريون ، كما وجدوه فى النصوص والكتابات التى سبق أن تحدثت عنها ، وهى الكتابات الثمودية التى عثر عليها فى مواضع متعددة من شبه جزيرة العرب ، وفى النصوص الكلاسيكية حيث عرفوا بأسم «Thamudenoi»«Thamudeni»و«Thamydenoi»و«Thamyditai» [5] .

ولقد وصف مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريترى » « البحر الأحمر » مواضع

---

(١) مروج الذهب (١/٢٥٩) المطبعة البهية . « قال كعب لما أهلك الله عز وجل عادا جاءت ثمود وعمرت الأرض ، وكانوا بضع عشر قبيلة ،... وكانت منازلهم ما بين الحجاز الى الشام ، وهى ديار الحجر من وادى القرى » . نهاية الأرب (١٣/٧١) .

(٢) الطبرى (١/١١٨) .

(٣) قصص الأنبياء للثعلبى (ص ٥٨) وما بعدها (القاهرة ١٢٩٠هـ) الطبرى (١/١١٥) ، مروج (١/٢٥٩) ، تأريخ ابن خلدون (١/٢٣) .

(٤) Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, Vol. 1, Pl. 36. Lyon, Sargon, P. 4. Musil Deserta, P. 291.

(٥) Musil Deserta. P. 291. Ptolemy, Geography, VI, 7:4. VI, 7:21. Diodorus. Bibliotheca Historica, III, 44. Forster, Vol, 1. P. 323, 337. Vol, 2. P. 30, 117 284, 274.

الثموديين « Thamudeni » مستندا الى مورد أخذ منه أقدم عهداً منه ، فذكر أن الـ «Thamudeni» كانوا يقيمون على ساحل صخرى طويل ، لا يصلح لسير السفن ، ولا توجد خلجان فيه تستطيع أن تأوى اليه القوارب فتحتمى به من الرياح ، ولاميناء تتمكن من الرسو فيه ، ولا موضع أو جزر عنده يقبل اليه القوارب الهاربة من الأخطار [١] . فيظهر من وصف هذا المؤلف أن مواطن الثموديين كانت فى الحجاز على ساحل البحر الأحمر . وقد ذكر هذا القول ، ولكن بشىء من التحوير « ديودورس » [٢] . وقد ذكر « كلاسر » أن من الجائز أن تكون ««Domata» التى قلت أنها « دومة الجندل » ، وذلك فى رأى غالبية علماء العربيات هي «Thumata» « الطائف » ، أو موضع آخر على مقربة من الطائف . وقد ذهب هو نفسه الى أن «Domata» هى « دومة الجندل » [٣] ، غير انه لم يرجح أحد الرأيين . واعتقد ان ما ذهب اليه من أن "Domata» هى «Thomata» ، وأنها هى الطائف أو موضع آخر قريب منه هو رأى لا يستند الى دليل محسوس ، ففرق بين لفظة « الطائف » و «Thumata» .
وأعتقد أن الذى حمل « كلاسر » على هذا الرأى ما ورد فى الكتب العربية من أن ثقيفا ، وهم سكنة الطائف ، هم من نسل « ثمود » على بعض الآراء . وذهب « أورنيوس » « Uranius » الى أنهم كانوا يجاورون النبط [٤] . أما « بلينيوس » ، فقد جاء باسم «Tamudaei» بين مدينتى «Domata» و «Haegra» وبين مدينة «Baclanaza» «Badanatha» [٥] .
وأما « بطلميوس » ، فقد جعل قوم ثمود «Thamuditae» «Thamudeni» بين الـ «Sarakenoi» وبين «Apatae» [٦] . ويظهر من ذلك أنهم كانوا فى شمال غربى « العربية السعيدة » [٧] ، أى فى المواضع التى عينتها

---

(١) Musil, Deserta P. 302. The Periplus of the Erythrean Sea, by William Vincent London 1800 Part the Second P. 262-263.

(٢) Diodorus, Bibliotheca Historica III, 44. Musil, Deserta. P. 291.

(٣) Glaser, Skizze. 2. P. 108

(٤) Uranius, Arabica (Müller, Fragmenta, Vol. 4), P. 525. Musil, Hegaz. P. 291.

(٥) Pliny, Natur. History (Translated by H. Rackham). Vol, 2. P. 456-457.

(٦) Glaser, Skizze. 2. P. 108. 256. Ptolemy, Geography, VI, 7:4. VI, 7:21.

(٧) Musil, Hegaz. P, 291. Glaser, Skizze. 2. P, 108, 256.

المصادر العربية . وقد قصد « بلينيوس » من مدينتي « Domata » و « Haegra » مدينتي « دومة الجندل » و «الحجر » [١] . و « دومة الجندل » [٢] واحة كبيرة معروفة عرفت عند الآشوريين باسم « Adumu » و « الحجر » محطة تجارية كانت عظيمة الأهمية فى التجارة العالمية القديمة ، لأنها كانت مفترق الطرق التجارية القادمة من اليمن ، فتتفرع منها طرق القوافل الى العراق والشام ومصر .

هنالك حقيقة تأريخية تؤيد الروايات العربية التى تقرن اسم « عاد » باسم « ثمود » ، فقد رأيت أن « بطلميوس » عين موضع « عاد » وهم « Oaditae » ، وجعلهم فى شمال غربى شبه الجزيرة وعلى مقربة من « ثمود » ليس بينهم وبين « عاد » سوى شعب « Sarakenoi » الذين تحدثت عنهم ، وكلهم يسكنون فى أعالى الحجاز فى هذه المنطقة الجبلية التى تخترقها الطريق التجارية التى توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن . وقد أدركا بعضهما الآخر كما يظهر من رواية بطلميوس [٣] .

ويشبه مصير « عاد » و « ثمود » مصير « سدوم Sodom » و « عمورة » « Gomorrah » وبقية « مدن الدائرة فى عمق السديم » [٤] ، التى تقع ـ على رأى كثير من علماء التوراة ـ فى جنوب البحر الميت [٥] ، فقد لاقت هذه المدن ، وهى خمسة على سهل « دائرة » الأردن ، المصير الذى لقيه قوم عاد وثمود حيث أرسل الله عليهم عذابا « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض » [٦] . وأصحاب هذه المدن ، هم : قوم « Lot » و« لوت » هو « لوط » . وقد رأيت أن القرآن قد أشار الى مصير « قوم لوط » ، وأطلق على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة « الأحزاب » « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » [٧] .

---

(١) Musil, Hegaz. P. 311. (٢) البلدان (٤/١٠٦) .

(٣) Glaser, Skizze. 2. P. 256.

(٤) James A. Montgomery, Arabia and the Bible, P, 91.

(٥) Hastings. P, 734. Ency. Bibl. P, 3790 قاموس الكتاب المقدس (١/٥٥١ ، ٢/١١٩) .

(٦) التكوين الاصحاح التاسع عشر ، آية ٢٣ وما بعدها .

(٧) سورة ص ٣٨ آية ١٣ وتجد قصة « لوط » وقومه مفصلة فى تاريخ الطبرى (١/١٥٠) وما بعدها . وتجد فيها ما جاء فى التوراة وما جاء فى الشروح والتفاسير الموضوعة على العهد العتيق وفيها أيضا شيئا من الأساطير الشعبية نهاية الأرب ١٣/١٢٣

يتبين من عثور المنقبين والسياح على كتابات ثمودية فى منطقة تمتد من أعالى الحجاز فى الشمال الى ما بعد الطائف فى الجنوب ومن سواحل البحر الأحمر الى
يتبين من عثور المنقبين والسياح على كتابات ثمودية فى منطقة من أعالى
القوية ، ويعود تأريخهم الى ما قبل الميلاد بعدة قرون . وقد قلت : ان نصا آشوريا من نصوص « سرجون الثانى » ذكر أنهم حاربوا مع شعوب أخرى الآشوريين . غير أن هذا الملك انتصر عليهم . ويقول النص أيضا : انه أجلاهم من مواطنهم الى « السامرة » «Samaria» [١] .

ولم يكن هؤلاء الثموديون الذين حاربوا الآشوريين من أبناء الساعة ، بل لابد أن تكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرون ، لم يصل خبرهم الينا ، وقد يمكن وصوله فيما بعد .

أدرك قوم « ثمود » أيام المسيح ، وعاشوا بعد الميلاد ، وقد كانوا يقطنون فى هذه الأيام أعالى الحجاز فى « دومة الجندل » و« الحجر » وفى غرب واحة « تيماء » فى المنطقة المهمة التى تمر بها طريق اليمن ـ الحجاز ـ الشام ومصر والعراق . وقد عرف أنهم كانوا يمتلكون فى منتصف القرن الثانى للميلاد حرتى « العوارض » و « الأرحاء » [٢] . ويرى « دوتى » أن « الحجر » هى موضع « الخريبة » فى الوقت الحاضر ، لا « مدائن صالح » التى هى فى نظره « حجر » النبط [٣] . وتقع « مدائن صالح » ، وهى مدينة النبط ، على مسافة عشرة أميال من موضع « الخريبة » [٤] ، ويرى أن آخر ذكر لهم ورد فى التأريخ كان فى القرن الخامس حيث جاء أن عددا منهم كانوا فرسانا فى جيش الروم [٥] ، وأن النصوص الآشورية سمت المنطقة التى

---

(١) Lyon, Keilschrifttexte Sargon's (1883) P. 4; Winckler, Keilschrifttexte Sargons (1889), Vol, 2, Pl. 2, No. 1. Line 20. Schrader, Keilinschriftliche Bibliothek (1889-1900) Vol, 2. P. 42. Musil, Deserta. P, 479. Musil, Hegaz. P. 289.

(٢) Musil, Hegaz. P. 291.

(٣) Travels in Arabia Deserta. by Charlis M. Doughty. Vol, 1. P. 229.

(٤) Doughty, Vol, 1. P. 229.

(٥) Doughty, Vol, 1. P. 229 أشار الى أنه ينقل روايته هذه من كتاب أرسله اليه « السير هنرى رولنسن Sir Henry G. Rawlinson » واشار الى مصدر آخر هو : Sprenger, Die Alte Geogr. Arabiens, P. 28.

كان يقيم بها « الثموديون » والشعوب الأخرى التي شاركتها في محاربة الآشوريين «Bari» التي تشير الى كلمة « برية » العربية ، أي البادية [١] .

وتمكن « لانكستر هاردنك » محافظ مديرية الآثار العتيقة في المملكة الأردنية الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمس مئة كتابة ثمودية أرسلها الى المستشرق المعروف « أنوليتمان » تعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها الى ما بعد الميلاد ، ومن بينها نص أرخ بسنة ٢٦٧ للميلاد ، ونص آخر رسمت فيه دائرة في داخلها صورة تشبه الصليب وكتابة قرأها المستشرق « ليتمان » « يشوعة » أو « ليشوعة » أي « ليسوع » وهو النص الذي رقم بـ ٤٧٦ . والظاهر أن صاحبه كتبه تيمنا باسم المسيح ، ولا يعرف تأريخه بالضبط . ويعتقد « ليتمان » أنه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية في شمال بلاد العرب [٢] . وقد قرأها المستشرق « فان دين برندن » « بو أيوب » ، أي « لأيوب » أو « أيوب » [٣] . وبالجملة فان العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات ترجمة صحيحة حتى الآن .

وفي المتاحف الأوربية وفي مكتبات بعض الجامعات وفي أوراق المستشرقين مجموعة من النصوص الثمودية التي يزيد عددها على ألف وسبع مئة نص جميعها في مواضيع دينية وأدعية للآلهة الثمودية . واما المناطق التي وجدت فيها هذه النصوص أو أخذت صورها ، فهي منطقة حائل بنجد ، وأرض تبوك وتيماء ومدائن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز ، وعثر في الطائف على بعض النصوص الثمودية أيضا وفي السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند الوجه وفي شبه جزيرة طورسيناء وفي الصفا « شرقي دمشق » وفي مصر [٤] .

ويشك المستشرق « هوبرت كريمة Hubert Grimme في صحة نسبة

---

(١) المصدر نفسه

(٢) The Muslim World, Vol. XI no. 1. January 1950. Jesus in A Preislamic Arabic Inscription. by. Enno Littmann.

(٣) راجع تعليق المستشرق في مجلة A. Van den Branden, in « Le Muséon » le Muséon. « Une Inscription Thamoudéenne,. » LXIII (1950) 1-2. P. 47-51.

(٤) Ency. Vol, 4. P, 736. Musil, Negd, P, 104. 140. Huber, in, Journal d'un Voyage en Arabie. 1883-1884. Grimme. Entzifferung Thamudenischen Inschriften, 1904 Jaussen — Savignac, Mission Archéologique en Arabie 1-2. 1911, 1914.

كثير من هذه النصوص الى الثموديين ، ويرى أنها لأناس غيرهم ؛ اذ لا دليل علميا هناك يثبت كون هذه النصوص تعود الى هؤلاء .

وهنالك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها الى العهد النبطى ، ويشغل حيزا من الزمن يقع بين حوالى مئتى سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده ، وتمتزج فى مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية . وقد عثر على بعض نصوص نبطية فى الحجاز ظن أنها من النصوص الثمودية ، مثل نص Hu.418=Eu. 772 ونص آخر يعود الى سنة ٢٦٧ للميلاد [١] .

الا أن هناك نصوصا ثمودية قديمة يظهر عليها أثر عبارة « صلم Salm » . وقد كانت تيماء من أهم الأماكن التى كانت تقدس هذا الآله حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، ويرمز التيمائيون الى « صلم » برأس ثور ، وقد وجد هذا الرمز على النقوش الثمودية ، كما وجدت أسماء بعض الآلهة التى كان يتعبد لها أهل تيماء منقوشه فى النصوص الثمودية مما يدل على أن قوم ثمود كانوا يتعبدون لها كذلك ، وأن هنالك صلات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود .

وقد عثر على نقوش ثمودية فى اليمن ، ويدل وجود هذه النقوش هناك على وجود صلات بين اليمن وثمود ، ولعلهم كانوا يقيمون فى اليمن كذلك . وقد عثرت البعثة المصرية التى زارت اليمن على مخربشات ثمودية فى « حجر المعقاب » عند جبل « حليل » على مسافة ليست بعيدة من « بيت حميد » بوادى شرع بالخارد [٢] .

وقد دفعت هذه الكتابات الثمودية العديدة التى عثر عليها العلماء على التفكير فى الخط الثمودى وعلاقته بالخطوط السامية الأخرى ، ولا سيما بالخطوط السامية الجنوبية ، فارتأى المستشرق « Lidzbarski » أن الخط الثمودى أحدث عهدا من الخط المعينى السبئى ، ولكنه أقدم على كل حال من الخط الصفوى . وارتأى المستشرق « هوبرت كريمة » أن الخط الثمودى القديم هو أصل الخطوط السامية الجنوبية . وأما

---

(١) Ch. Doughty. Documents Epigraphiques Recueillis dans le Nord de l'Arabie, 1884.

(٢) نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها للدكتور خليل يحيى نامى . القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) . وقد عثر الرحالة فلبى على بعض الكتابات التى يظهر أنها « ثمودية لحيانية » Philby. Sheba's Daughters. P, 441.

الخط الثمودى الحديث ، فانه نشأ بعد تلك الخطوط[١] .

ويرى « برو Brau » أن ثمودا أصيبوا بكارثة عظيمة هى عبارة عن ثوران براكين أو هزات أرضية بدليل ورود كلمة « رجفة » وكلمة « صيحة » فى القرآن الكريم[٢] ، وذلك محتمل جدا ؛ لأن البقاع التى كانوا يقطنونها هى من مناطق الحرار[٣] .

ولم يرد فى الكتب العربية ما يفيد وجود قبائل « ثمودية » قبيل الاسلام ، أو فى الاسلام ، غير ما ذكره بعضهم من نسب « ثقيف » الذى رجعه بعضهم الى « ثمود » ، ولكن ذلك لم يرض الثقفيين ، فقد كان « الحجاج بن يوسف » ـ وهو من « ثقيف » ـ يكذب ذلك[٤] . وروى « دوتى » أن بدو نجد يذكرون أن قبيلة « بنى هلال » هم من نسل عاد وثمود[٥] .

طسم وجديس :

وساق النسابون نسب طسم على هذه الصورة : طسم بن لاوذ بن ارم ، أو طسم بن لاوذ بن سام ، أو طسم بن كاثر[٦] . ونحن لا نعرف الآن أمرهم غير ما ورد من القصص المدون فى الكتب ، ولم يرد لهم ذكر فى القرآن الكريم .

أما مواطن طسم ، فكانت اليمامة . وعند بعضهم الأحقاف والبحرين[٧] . وقد زعم الأخباريون أن طسما وجديسا سكنتا اليمامة معا ، وهى اذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، ثم انتهى الملك الى رجل ظالم غشوم من طسم يقال له عمليق أو عملوق استذل جديسا ، وأهانها ، فثارت جديس وقتلت عمليقا ومن كان معه من حاشيته ، واستعانت طسم بحسان بن تبع من تبابعة اليمن ، فوقعت حرب أهلكت طسما وجديسا[٨] ،

---

(١) Hubert Grimme, Die Lösung des Sinaischriftproblems. Münster. 1926.

(٢) « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين . » الأعراف ٧ آية ٧٧ . « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » هود ١١ آية ٦٦ .

(٣) Ency. Vol, 4. P. 736. (٤) تأريخ ابن خلدون (٢/٢٤) .

(٥) Die Offenbarung Arabiens, (Arabia Deserta) (Leipzig 1937). S. 63.

(٦) ابن خلدون (٢/٢٤) ، الطبرى (١/٧٧١) طبعة أوربة . الأغانى (١٠/٤٨) ، « طسم بن لود بن أزهر بن سام بن نوح » ابن الأثير (١/١٣٩) . « وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له . تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : « أحاديث طسم وأحلامها » وطسم : احدى قبائل العرب البائدة . » الأغانى (١١/١٠٣) . اللسان ١٥/٢٥٦ .

(٧) ابن خلدون (٢/٢٤) . Ency. Vol, 4. P, 691

(٨) وعند الطبرى أنه « تبان أسعد كرب بن ملكى كرب » . ابن خلدون (٢/٢٥) ، المعارف (٣٠٨) ، الميدانى الأمثال (١/١٩٢ ، ٢/٦٩٠) .

وبقيت اليمامة خالية ، فحل بها بنو حنيفة الذين كانوا بها عند ظهور الاسلام .

وذهب نفر من المستشرقين الى أن طسما من الشعوب الخرافية التى ابتدعهـــا الأخباريون ، غير أنه لا يستبعد أن يأتى يوم قد يعثر فيه على أخبار هؤلاء القوم ، وعلى اسمهم فى الكتابات . وقد وردت فى نص يونانى عثر عليه فى « صلخد » ، ويعود تأريخه الى ســـنة **٣٢٢ للميــلاد جملة** « أنعم طسم »(١) ، فلا يستبعد أن يأتى اليوم الذى نقرأ فيه نصوصا تعود الى طسم . ونسب الأخباريون لطسم وجديس صنما قالوا له « كثرى » ، والظاهر أنه من الأصنام التى ظلت تعبد الى ايام الاسلام ، اذ كسره نهشل بن الربيس ابن عرعرة ولحق بالنبى (٢) .

وذهب زيدان الى أن طسما هى « لطوشيم »(٣) ، وهى قبيلة من العرب ورد اسمها فى التوراة على انها من نسل ددان بن يقشان(٤) ، وورد معها اسم قبيلة أخرى من قبائل « ددان » يقال لها «Leummim» (٥) « لأميم » يرى زيدان أنها « أميم » .

وقالوا عن « جديس » أنهم ابناء « جديس بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح »(٦) ، أو أبناء « **جديس » شقيق** « ثمود بن غاثر بن ارم سام بن نوح »(٧) . وقد كانوا أتباعا لطسم ويسكنون معهم فى اليمامة حتى ثاروا على « عمليق » ملك طسم ، فكانت نهاية

---

(١) D.H. Müller, Südarab. Studien. P. 67.

(٢) كتاب الأصنام (ص ١١٠) ، تاج العروس (٢/١٢٥) قال عمرو بن صخر بن أشنع :

حلفت بكثرى حلفـــة غـــير برة لتســتلبنى أثواب قيس بن عازب

(٣) الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ (ص ٧٧٦) .

(٤) التكوين اصحاح ٢٥ آية ٣ .

(٥) التكوين ٢٥ آية ٣ . قاموس الكتاب المقدس ٢/٢٩٣ .
Hastings. P. 541. Ency. Bibl. P, 2768.

(٦) خلاصـــة الكلام (ص ٤٤) ، ابن خلـدون (٢/٢٤) ، الطبـــرى (١/٧٧١) الأغانى (١٠/٤٨) ، ابن قتيبة المعارف (طبعة وستنفلد) ص ١٤ ، « جديس بن عامر ابن ازهر بن سام بن نوح » ابن الأثير (١/١٣٩) . شرح ديوان الحماسة للتبريزى (١/١٦٧) . اللسان ٧/٣٣٣ » وجديس حى من عاد وهم اخوة طسم وفى التهذيب جديس حى من العرب كانوا يناسبون عادا الاولى » .

(٧) المصادر نفسها أيضا . Ency. Vol, 1, P, 992.

« طسم » كما كانت نهاية « جديس » ؛ ولذلك قيل « بوار طسم بيدى جديس » [١].

وجاء فى بعض الروايات أن « جذيمة الأبرش » كان قد حارب قبيلة « طسم » [٢]، وقبيلة « جديس » . ويرى المستشرق الفرنسى « كوسين دى برسفال » أن اغارة حمير المذكورة على « جديس » وهلاك « طسم » و« جديس » نتيجة لهذه الغارة انما كانت فى حوالى سنة ٢٥٠ بعد الميلاد [٣] .

ويعتقد بعض المستشرقين أن اسم « Jolisitae » او « Jodisitae » الوارد فى جغرافية بطلميوس انما يقصد به قوم « جديس » ، وأنهم كانوا معروفين فى سنة ١٣٠ بعد الميلاد [٤] .

ومن الاماكن المنسوبة الى طسم « المشقر » ، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال ، ويقابله حصن بنى سدوس . وقد نسب بعض الرواة بناءه ـ كعادتهم عند جهلهم أسماء الأماكن ـ الى سليمان ، وقد سكنته عبدالقيس أهل البحرين [٥] . و « معنق » من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة [٦] . و « الشموس » قيل أنه من بناء « جديس » [٧] . ومن قري اليمامة الشهيرة « حجر » وكانت لطسم وجديس والظاهر أنها كانت عامرة ذات قصور عالية كثيرة ، وأنها كانت محاطة بالمزارع ، وأنها بقيت مدة

---

(١) لسان العرب (٧/٣٣٤) ، وترد فى القصة التى يرويها الرواة حكاية « زرقاء اليمامة » . راجع الأمثال للميدانى (١/١٩٢ ، ٢/٦٩٠) الأغانى (١١/١٦٤) طبعة دار الكتب المصرية) . « وكانت منازلهم اليمامة وفيهم يقول رؤبة : بوار طسم بيدى جديس . » اللسان ٧/٣٣٤ .

(٢) Ency. Vol, I. P, 992.

(٣) Ency. Vol, I. P, 992. Caussin de Perceval, Essai, 2. P, 26. هنالك قصص وضعت عن هلاك جديس منها قصة زرقاء اليمامة . الأمثال طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالدكن سنة ١٣٥١ (ص ٤) . مجمع الأمثال للميدانى (١/١٢٠) وهناك قصة عن زرقاء أخرى كانت ترى من مسافة بعيدة ذكروها فى تفرق ولد معد . الأغانى (١١/١٥٥) . الأغانى (١١/٣٦) (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٤) Ency. Vol, I. P, 992. Ptolemy, Geogr. I.29. Libr. VIII. (ed. Wilberg). P, 406. الهلال : الجزء السابع من السنة الرابعة عشرة نيسان ١٩٠٦ (ص ٣٩٤) .

(٥) البلدان (٨/٦٥) ، العرب قبل الاسلام (ص ٦٧) . اللسان (٦/٩١) .

(٦) البلدان (٨/٦٥) ، العرب قبل الاسلام (ص ٦٧) .

(٧) البلدان (٨/١٠٠) ، العرب قبل الاسلام (ص ٦٧) .

طويلة مهملة في وسط الرمال التي تكونت في تلك البقـــاع المنبتة الخصبة التـي تحولت الى صحراء [1] . و « القرية » « قرية بني سدوس » ، وكان بها قصر عظيم من الصخر ، وقد زعموا أنه كان من حجر واحد بناه جن سليمان [2] . و « جعدة » وهي حصن ، وبها قصر قديم « عادى » ينســبونه الى طسم وجديس ، ويظهر أنه ظل باقيـــا الى أيام الهمداني الذي وصفه في كتابه « صفة جزيرة العرب » . والظاهر من وصفه أن الحصن كان عظيما ، وانه كان يحيط بالقرية ، وأن أساســه من اللبن وحوله منــازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، وكان فيه الأثل والنخيل ، وحوله منازل الناس والســـوق ، ويحيط بالقرية خندق ، وفي السوق آبار قال الهمداني : انهـــا مئتان وستون بئرا ماؤها عذب فرات [3] . و « خضراء حجر » وهي حضور طسم وجديس ، وفيهـــا آثارهم وحصونهم وبتلهم الواحد بتيل ، وهو مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين . وقد بولغ في وصف ارتفاع هذه « البتل » وطولها حتى زعم أن ارتفاع ما تبقى منها الى أيام الهمداني كان قد بلغ مئتي ذراع في السماء [4] . و « الخضرمة » ، وكانت لجديس ، وبها آثار قديمة كثيرة [5] و « الهدار » [6] و « **ريمان** » [7] .

والظاهر أن اسم « عمليق » أو « عملوق » وهو اســـم ملك « طســـم » الذي ثارت عليه « جديس » [8] ، أخذ من الأسماء الواردة في التوراة .

أميـــم :

وجعل الأخباريون « أميما » في طبقـــة طسم وجديس ، وقالوا عنهم : انهم من نســـل « لاوذ بن عمليق » [9] . وكان من شـــعوبهم « وبار بن أميم » ، نزلوا برمل

---

(١) البلدان (٣/ ٢٢١) .

(٢) البلدان (٧/ ٧٦-٧٧) ، الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٣) الهمداني (ص ١٦٠) .

(٤) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٥) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٦) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٧) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٨) الأغاني (١١/ ١٦٤-١٦٧) .

(٩) تأريخ ابن خلدون (٢/ ٢٨) . خلاصـة الكلام (ص ٤٧) ، « أميم بن لاوذ بن سام » تأريخ الطبري (١/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) . « وطسم وأميم بنو لوذ ابن سام بن نوح » طبقات ابن سعد (١/ ١ ص ١٩) .

« عالج » بين اليمامة والشحر ، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم[١] • وهم يزعمون أيضا أن ديار « أميم » كانت بأرض فارس [٢] ؛ ولذلك زعم بعض نسابة الفرس أنهم من « أميم » ، وأن « كيومرت » الذى ينسبون اليه هو ابن أميم بن لاوذ [٣] •

ولا نعرف من أمر « أميم » شيئا غير هذه النتف ، ولم يذكر الأخباريون كيف أنهم عدوهم من طبقة العرب الأولى اذا كانت ديارهم بأرض فارس ، ولم يشرحوا لنا كذلك كيف وصلوا نسب « وبار » بأميم ، وما العلاقة بينهما •

وجاء فى جغرافية « بطلميوس » اسم شعب عربى دعى « iobaritai» «Jobabitae » « Jobaritae » على أنه من شعوب العربية الجنوبية ، ويسكن على مقربة من أرض قبيلة أخرى دعاها « Sachalitae'» ، وتقطن عند خليج يدعى باسمها «Sinus Sachalites»[٤] • وهذا الاسم قريب جدا من اسم « وبار » ، لذلك ذهب المستشرقون الى أنه هو شعب « وبار » [٥] أو « بنو وبار » [٦] • غير أن هنالك عددا من العلماء يرون أن الاسم الأصلى الذى ورد فى جغرافية بطلميوس هو « يوباب » « Jobabitae » ، غير أن النساخ قد أخطأوا فى النسخ فحرفوا حرف « الباء » « B » الثانى فى هذا الاسم وصيروه « راء » R ، فصار الاسم بعد هذا التحريف « Jobaritae» [٧] • وعلى هذا فان الشعب الذى قصده بطلميوس ـ على حد قول هؤلاء ـ هو « يوباب » أو « يباب »[٨] • الا أنه لا يوجد هنالك دليل قوى يثبت حدوث هذا التحريف •

وفى موضع ليس ببعيد عن هذا المكان الذى ذكره « بطلميوس » تقع أرض « وبار » الشهيرة ، وهى فى مشارق اليمن بين رمال يبرين واليمن « ما بين نجران وحضرموت وما بين بلاد مهرة والشحر » ، أو ما بين الشحر الى تخوم صنعاء • وقيل : « قرية وبار

---

(١) خلاصة الكلام (ص ٤٧) • (٢) خلاصة الكلام (ص ٤٧) •

(٣) تأريخ ابن خلدون (٢/٢٨) •

(٤) Forster, Vol, I. P. 173-174. Vol, 2. P. 270 Ptolemy, VI, 7, 24. Glaser, Skizze. 2. P, 256.

(٥) Ritter, Erdkunde. Berlin, 1896. Bd, XIII. S, 315. Sprenger, Geographie. S, 296.

(٦) تأريخ الطبرى (١/٧٥٠) طبعة أوربة •

(٧) Forster, Vol, I. P. 174.

(٨) Forster, Vol, I. P. 173-174. Vol, 2. P, 270.

كانت لبنى وبار بين رمال بنى سعد وبين الشحر ومهرة »، والنسبة اليها « أبارى »[1] . ونرى أن هذه النسبة قريبة من الاسم الذى ذكره بطلميوس . ويدعى ياقوت الحموى أنها مسماة بوبار بن ارم بن سام بن نوح[2] . وقد روت الكتب العربية قصصا كثيرة عن « وبار »، ومن جملة الاساطير التى تروى عنها أسطورة « النسناس » . وتتلخص فى أنهم « من ولد النسناس بن أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام »، وأنهم كانوا فى الأصل بشرا فجعلهم الله نسناسا، للرجل منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة »، وأنهم صاروا يرعون كما ترعى البهائم، وأنهم يقفزون قفزا شديدا ويعدون عدوا منكرا[3] . والظاهر أن لهذه القصص والأساطير أصولا جاهلية، وقد وضع منها فى الاسلام شىء كثير، ووضع معها شعر كثير على لسان ذلك « الانسان الحيوان »، ولا يزال الناس يروونها حتى الآن .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود « وبار » وزعموا أنهم من الشعوب التى ابتكر وجودها القصاص قائلين ان تلك الرمال الواسعة المخيفة هى التى أوحت الى القصاص والأخباريين اختراع شعب « وبار » وقصص النسناس[4] . والذى أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب كان يدعى بهذا الاسم، وان كنا لا نعرف من أمره شيئا سوى هذه القصص والأساطير . وقديما أنكروا وجود عاد وثمود، ثم اتضح بعد ذلك بواسطة الكتابات وجود عاد وثمود . وهكذا قد يعثر فى المستقبل على كتابات وبارية . وقد قلت : ان بين الاسم الذى ذكره بطلميوس وبين اسم « وبار » أو « أبارى » شبها ليس ببعيد .

ونجد فى رواية أهل الأخبار عن عمار « وبار » وكثرة زروعها ومراعيها ومياهها فى الجاهلية شيئا من الأساس . فقد أيد السياح ذلك، وأثبتوا وجود أثر من آثار عمران قديم[5] . وهو سند يتخذه القائلون بتطور جو بلاد العرب، وسطحها

---

(١) راجع عن موضع وبار : البلدان (٨/٣٩٢-٣٩٣) ، منتخبات فى أخبار اليمن (ص ١١٣) « ولحقت أميم بأرض أبار فهلكوا بها ، وهى بين اليمامة والشحر . ولا يصل اليوم اليها أحد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت أبار بأبار بن أميم » . طبقات ابن سعد (ج ١ قسم ١ ص ٢٠) .

(٢) البلدان (٨/٣٩٢) .

(٣) البلدان (٨/٣٩٢ ، ٣٩٤) ، القزوينى : عجائب المخلوقات ٢/٤١ (طبعة وستنفلد) . المسعودى : التنبيه (ص ١٨٤) . صفة (١٥٤ ، ٢٢٣) .

(٤) Sprenger, Geogr. S. 296.

(٥) Ency. Vol, 4. P. 1074. Philby, The Heart of Arabia Vol, 2. P. 353.

لاثبات رأيهم فى هذا التغير •

عبيـــل :

و « عبيل » مثل « أميم » ، لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم اخوان عاد بن عوص ، أو اخوان عوص بن ارم ، وأنهم لحقـوا بموضـع « يثرب » حيث اختطوا يثرب • وكان الذى اختطها منهم رجل يقال له : « يثرب بن باثلة ابن مهلهل بن عبيل » (١) • ثم ان قسما من العماليق انحدروا الى يثرب ، فأخرجوا منها عبيلا ، فنزلوا موضع « الجحفـــة » ، فأقبل ســـيل فاجتحفهم فذهب بهم ، فســميت « الجحفة » (٢) •

وقد ورد فى التوراة اسم ولد من أولاد « يقطان » هو « Obal » أو « Ebal » (٣) • « عوبال » ، وهذا الاسم قريب من « عبيـــل » ؛ لذلك رأى بعض علمـــاء التوراة أن من الممكن أن يكون « عبيل » هو « عوبال » (٤) • ونجد فى جغرافية « بطلميوس » اسـم موضع يقال له « Avalitae » على خليـــج يدعى بهـــذا الاســم « Avalites Sinus » وعليه مدينة « Avalites Emporium » وسكانها يعرفون باسم « Avalitae » • وقد ورد هذا الاسم عند « بلينيوس » على صورة « Abalitae » و « Abalites' » ، ويرى « فورستر » أن من المحتمل أن يـــكون هؤلاء هـــم « عوبال » • Obal (٥) ، وقد يكون أبناء « عوبال » هم « عبيل » •

وذكر أن فى اليمن مكانا يقـــال له « عبيل » (٦) ، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف « بعبال » (٧) • وهذان الاسمان قريبان من اسم « عبيل » • غير أننى لا أريد أن أقول شيئا فى الوقت الحاضر فيما يخص « عبيلا » ، فلا يجوز الحكم فى مثل هذه الأمور لمجرد تشابه الأسماء ، وانما ذكرت ذلك للمناسبة العارضة وللتنبيه •

---

(١) تأريخ ابن خلدون (٢/ ٢١) « وعاد وعبيل ابنـــا عوص بن ارم بن ســـام بن نوح » • طبقات ابن سعد (١/ ١ ص ١٩) •

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ١ ص ٢٠) ، البلدان (٣/ ٦٢) •

(٣) اخبار الايام الاول الاصحاح الاول آية ٢٢ ، التكوين الاصحاح العاشر آية ٢٨ •

(٤) Hastings, P. 201, Ency. Bibl. P. 3462. M. Gottfried Büchner's Biblische Real und verbal Hand Concordanz. S. 276.

(٥) Forster, Vol, 1. P. 148. 149.

(٦) Glaser, Skizze, 2. P, 426 — 427.

(٧) Scott, in the high Yemen, P. 185.

وأما عبد ضخم فكانت تسكن ـ على قول الأخباريين ـ الطائف ، وهلكوا فيمن هلك من الشعوب البائدة ، وكانوا أول من كتب بالخط العربى [1] .

وجعل الأخباريون شعوبا أخرى فى جملة من ذكرناهم مثل حضرموت و « حضورا » ، وقد أوردوا قصصا عن حضورا فذكروا أن حضورا كانوا يقيمون بالرس ، وكانوا يعبدون الأوثان ، وبعث اليهم نبى منهم اسمه « شعيب بن ذى مهرع » فكذبوه وهلكوا [2] . وهنالك عدة مواضع يقال لها الرس منها موضع باليمامة ، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود [3] . وورد فى القرآن الكريم « أصحاب الرس » [4] مع ذكر عاد وثمود ، وذهب المفسرون الى أنهم كانوا جماعة « حنظلة » ، وهو نبى، فكفروا به ورسوه فى البئر [5] . الى غير ذلك من الأقوال .

وقد روى الأخباريون أن « بختنصر » غزا أهل « حضوراء » وأعمل فيهم السيف ، وأجلى خلقا منهم الى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبى منهم أرسله الله اليهم ، وهو « شعيب بن مهدم بن ذى مهدم بن المقدم بن حضور » [6] ، ولم يصدقوه ، وكانوا أصحاب بطش وشدة وغلظة . فلما قتلوه ، أوحى الله الى نبى فى عصره هو « برخيا بن أخينا بن رزنائيل بن شالتان » ، وكان من سبط يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، أن يأتى « بختنصر » فيأمره بغزو « العرب الذين لا أغلاق

---

(١) ابن خلدون (٢/٢١) « عبد ضخم بن ارم » ، خلاصة الكلام (ص ٤٧) .

(٢) ابن خلدون (٢/٢٠) ، نهاية الأرب (١٣/٨٦ فما بعدها) . « قال كعب ان أصحاب الرس كانوا بحضرموت ... » نهاية الأرب (١٣/٨٨) .

(٣) البلدان (٤/٢٥٠) ،، خلاصة الكلام (ص٤٧ـ٤٨) .

(٤) « وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » القرآن الكريم : سورة الفرقان ٢٥ آية ٣٨ . « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود » ق سورة ٥٠ آية ١٢ .

(٥) البلدان (٤/٢٥٠) ، قصص الأنبياء (١٤١) ، حياة الحيوان للدميرى مادة عنقاء . نهاية الأرب (١٣/٨٨) . Ency, Vol, I. P. 479.

(٦) « شعيب بن عيقى ويقال ابن ضيفون » البلدان (٣/٢٩٦) . « شعيب بن مهدم بن حضور بن عدى » الاكليل ٨/١٥٠ (طبعة الكرملى) . شمس العلوم (ص ٥٦) . « مخلاف حضور وهو حضور بن عدى بن مالك ، من ولده شعيب النبى بن مهدم بن ذى مهدم بن المقدم بن حضور عليه السلام ، وهو الذى قتله قومه . يقال : قتله أهل حضورى وعربايا ، وكان بعث اليهم » . صفة (١٠٦) .

لبيوتهم ولا أبواب »، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتل مقاتلهم، ويستبيح أموالهم . فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على « بختنصر » « نبوخذنصر »، وذلك في زمان معد بن عدنان »، فوثب « بختنصر » على من كان في بلاده من العرب، وجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيرا على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه، ووكل بهم حرسا وحفظة ثم سار في بلاد العرب فالتقى « بعدنان » بذات عرق، فهزم « بختنصر » عدنان، وسار الى « حضور »، فانهزم الناس، وفروا فرقتين : فرقة أخذت الى « ريسوب » وعليهم « عك »، وفرقة قصدت وبار . أما الذين بقوا في « حضور » وحاربوا « بختنصر »، فقد احتصدتهم السيوف . ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا، فألقاهم بالأنبار، وخالطهم بعد ذلك النبط، ومات « عدنان » . فلما مات « بختنصر »، خرج « معد بن عدنان » حتى أتى مكة، ثم ذهب الى « ريسوب » فاستخرج أهلها، وسأل عمن بقي من ولد الحارث ابن مضاض الجرهمي ـ وهو الذي قاتل دوس العتق فأفنى أكثر جرهم على يديه ـ فقيل له : بقي جرشم بن جلهمة، فتزوج معد ابنته معانة، فولدت له نزار بن عدنان (١) .

وأهل حضور الذين قتلوا نبيهم، وقتلهم « بختنصر » هم شعب من أهل اليمن على رأي الأخباريين كانوا يقيمون في « حضور » أو « حضوراء » . وفي اليمن موضع يسمى « حضور »، قال أصحاب الأخبار : انه سمي « بحضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبا » (٢)، وانه المكان الذي قصده « بختنصر » فقتل أهله (٣) . وعلى هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم، يقال له (مسجد شعيب) نبي أصحاب الرس (٤) . وهو جبل من جبال اليمن المقدسة، قال الهمداني : « وأما الجبال المقدسة عند أهل اليمن، فجبل حضور وصنين ورأس بيت فائش من رأس جبل تخلي ورأس هنوم ورأس تعكر ورأس صبر . وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة » (٥) .

وأرى أن قداسة الجبال هذه، وردت اليها من أيام قبل الاسلام، من أيام الوثنية، وأن المساجد التي أنشئت في رؤوسها انما أنشئت فوق معابد قديمة، لعبادة الأصنام،

---

(١) تأريخ الطبري (١/٢٩١ وما بعدها) .

(٢) « حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة » معجم ما استعجم ٢/٤٥٦ (طبعة السقا)، لسان العرب (٥/٢٧٨) .

(٣) البلدان (٣/٢٩٦) .

(٤) Ency. Vol, 2. P. 210.

(٤) الاكليل ٨/١٢١ (طبعة نبيه) .

وأن حربا قديمة ماحقة أو كارثة طبيعية مثل زلزال أو هياج حرة وقعت فى منطقة « حضور » سببت تلفها وترك أثر عميق فى ذاكرة أصحابها رواه الناس كابرا عن كابر ، فوجد من وقف على التوراة ، فى قصة « بختنصر » على « حاصور » ما دفعهم الى القول ان تلك الحرب وقعت فى « حضور » والى تكوين علاقة بين نبوءة « أرميا » و « برخيا » وبين تكذيب أهل « حضوراء » لنبى لم يجدوا اسمه فى التوراة فجعلوه نبيا منهم عربيا جنوبيا هو كما رأيت •

وقد اعتمد رواة هذا الخبر على ما جاء عن هشام بن الكلبى [١] ونفر آخرين ممن عرفوا برواياتهم هذا النوع من الروايات التى تغرف من معين الاسرائيليات • ونحن لا نحتاج فى الواقع الى البحث عن أسماء رواته لمعرفة صلته بالتوراة • فالمسألة جد واضحة : خذ التوراة واقرأ ما جاء فى أسفار « ارميا » ونبوءته ، تجد القصة مكتوبة فى السفر التاسع والاربعين : « عن قيدار وعن ممالك حاصور التى ضربها نبوخذراصر « بختنصر » [٢] ملك بابل • هكذا قال الرب • قوموا اصعدوا الى قيدار ، اخربوا بنى المشرق • يأخذون خيامهم وغنمهم ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم .وجمالهم وينادون اليهم الخوف من كل جانب •

اهربوا انهزموا جدا تعمقوا فى السكن يا سكان حاصور يقول الرب لأن نبوخذراصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة وفكر عليكم فكرا • قوموا اصعدوا الى أمة مطمئنة ساكنة آمنة يقول الرب لا مصاريع ولا عوارض لها • تسكن وحدها • وتكون جمالهم نهبا وكثرة ماشيتهم غنيمة وأذرى لكل ريح مقصوصى الشعر مستديرا وآتى بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب • وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة الى الأبد • لا يسكن هناك انسان ، ولا يتغرب فيها ابن آدم • » [٣] •

أما النبى « برخيا » الذى زعم الأخباريون أنه هو الذى أشار على « بختنصر » بغزو « حضور » ، فهو « باروخ بن نيريا « نريا » بن محسيا » [٤] شقيق « سرايا »

---

(١) الطبرى (١/٢٩١) وما بعدها •

(٢) « نبوخذراصر » أعلى ألقاب ملك بابل الشهير غير أن هذا اللقب لم يرد الا فى ارميا وحزقيال • قاموس الكتاب المقدس (٢/٤١٢) • Hastings. P. 649.

(٣) ارميا اصحاح ٤٩ آية ٢٨ وما بعدها •

(٤) وتعنى « باروخ » فى العبرانية « مبارك » • قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٤) Hastings. P. 85.

Seraiah »[١] . وقد كان كاتبا ، محبا مخلصا للنبى « ارميا »[٢] ، وكان يكتب لأرميا ، وهو الذى كلفه النبى « ارميـا » بالذهاب الى « بختنصر » حاملا رسالة الى الملك[٣] . وهى الرسالة المدونة فى أسفار « ارميا » . وقـد ذهب الى بابل وقابل الملك ، ثم عاد الى القدس حيث هاجم « بختنصر » « القدس » واستولى عليها بتحريض من هذا النبى نبـى العبرانيين ! ترى أن الأخباريين أخذوا قصة غزو « بختنصر » « لحاصور »القصة الواردة فى أسفار « ارميا » ، وجعلوها غزوا على شعب « حضور » فى اليمن فى موضع بعيـد لا يعقل وصول « بختنصر » اليه ، وأضافوا اليه شيئا من الزخارف التى وضعها ابن الكلبى أو غيره كاقحام اسم عدنان ومعد بن عدنان واسم نبى عربى جنوبى ، وهو أمر يفرح له أهل اليمن الذين كان يفخر العدنانيون عليهم لعدم ظهور نبى من القحطانيين وغير ذلك ، ليظهر الخبر بشكل مناسب ملائم ، فوفقوا بذلك على رأيهم بين الأسطورة القديمة التـى كانوا يتوارثون أخبارها عن هلاك « حضور » وبين هذه القصة الواردة فى التوراة .

أما « حاصور » التوراة ، فانها أرضون تقع فى « العربيـة » كانت فيهـا ممالك أو مشيخات كما يفهم ذلك من عبارة « ارميا » « وعن ممـالك حاصور »[٤] . وكانت تتاخم « قيدار » ، ولعلها كانت فى البادية[٥] . يرى علماء التوراة أن سكانها كانوا من أهل المدر يقيمون فى بيوت ثابتة ، وقد أطلقت كلمة « حاصور » « Hazor » عليهـم تمييزا لهم عن أهل الوبر ، وكانت ديارهم فى جنوب فلسطين أو شرقها[٦] . وتعنـى كلمة « حاصور » « حصور » « Hazor » « Hasor » وجمعها « حصريم » « Haserim » « Hazerim » ما تعنيه كلمة « حيرتا » « Herta » فى الارمية و « الحيرة فى العربية » من معنى « محـاط » أى « محـاصر » بمعنى الحصن أو الأمكنة المحـاطة المحصورة أو « المضرب » و « الحمى » ، وقد كان مشـايخهم يقيمون فى أسـياف البـادية فى مخيمات ومضـارب مع أتبـاعهم ، يطلق عليهـا الارميون « حيرتا » ، واليـونان « Paremboles »[٧] . وكانوا يرعون الماشية من ماعز وأغنام وجمال فى مناطقهم التى

---

(١) ارميا اصحاح ٥١ آية ٥٩ .

(٢) ارميا اصحاح ٣٢ آية ١٢ . قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٤) وقد سجن مع (ارميا) فى القدس وكانا يعارضان الملك يهوياقيم « Johoiakim » « ٦٠٤ قبل الميلاد » . Hastings. P, 85 Ency. Bibl. P. 491.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٤)

(٤) ارميا اصحاح ٤٩ آية ٢٨ .

(٥) Hastings. P, 334.

(٦) Ency. Bibl. P, 1978.

(٧) Musil, Deserta. P. 490.

اعتادوا الاقامة بها ، ويظهر أنهم تعرضوا لجيوش « بختنصر » ، أو أنهم لم يساعدوه فى حملته على فلسطين ، فاغتاظ منهم وجرد عليهم حملة ، وكان من عادتهم الالتجاء الى الكهوف والمغاور حين مهاجمة عدو لهم حيث يذهبون الى مناطق بعيدة يصعب على الجيوش مطاردتهم يتخذون منها مواطن آمنة يعيشون فيها ما دام الخطر (١) .

ولم يكن للأخباريين علم دقيق بكيفية توزيع الشعوب التى وردت أسماؤها فى التوراة ، لذلك لم يفطنوا الى أن من غير الممكن أن يكون أهل « حاصور » فى اليمن عند جبل « حضور » ؛ لأن شعوب اليمن هم من أبناء « يقطن » « يقطان » أى « قحطان » فى التوراة . ولم يكن أهل « حاصور » من أبناء « يقطان » فى التوراة ، كما أن مجاورتهم « لقيدار » تجعل أرضهم فى الشمال فى شرق فلسطين أو فى جنوبها فى أعالى الحجاز أو فى جنوبها الشرقى فى أعالى نجد .

أما « قيدار » ، فسأتحدث عنهم حين أتحدث عن أبناء اسماعيل وفى صلات العرب بالآشوريين ، وقد عدتهم أسفار التوراة من « الاشماعيليين » ، وكذلك قلد الأخباريون نسابى أهل الكتاب فجعلوا أبناء « قيدار » فى أبناء اسماعيل ، وجعلوهم فى الطبقة الثالثة من طبقات العرب ، أى فى طبقة العرب العدنانيين .

جـرهـم :

وجرهم هؤلاء هم غير « جرهم » القحطانية على رأى النسابين والأخباريين ، ولذلك يقولون لجرهم هذه « جرهم الأولى » ، ولجرهم القحطانية « جرهم الثانية » ، ويقولون عن الأولى انهم من طبقة العرب البائدة ، وانهم كانوا على عهد عاد وثمود والعمالقة (٢) . وقد ذكر اسمهم « اصطيفان البيزنطى » (٣) . ويظهر من روايات الأخباريين أنهم كانوا يقيمون بمكة ، ويرجعون أنسابهم الى « عابر » ، وأنهم أبيدوا : أبادهم القحطانيون (٤) .

العماليق :

وحشر الأخباريون العمالقة « العماليق » فى هذه الطبقة أيضا ، فنسبوهم الى « عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح » (٥) . ولم تذكر أسفار التوراة أصلهم ، وهى لاتشير

---

(١) Musil, Deserta. P. 490.
(٣) Ency. Vol, I. P. 1066.
(٣) Ency. Vol, I. P. 1066.
(٤) تأريخ ابن خلدون (٢/ ٣٠) . صبح الأعشى (١/ ٣١٤) ، خلاصة الكلام (٤٧) .
(٥) الطبرى ــ طبعة أوربة ــ (١/ ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) .

الى أبناء « لود » أو « لاوذ » كما يقول له « الأخباريون » (١) • وعمليق جد العماليق : هو شقيق طسم • ويذكرون أنهم كانوا أمما كثيرة تفرقت فى البلاد ، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر • ويعرف أهل عمان والبحرين بجاسم ، زهم من نسل عمليق • وكان من العماليق ساكنو المدينة ، ومنهم بنو هف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الأزرق • وكذلك سكنة نجد ، ومنهم بديل وراحل وغفار • وكذلك اهل تيماء (٢) •

والعماليق الذين نتحدث عنهم هم « العماليق » الذين ورد اسمهم فى التوراة ، وقد أخذ الأخباريون قصصهم من أهل الكتاب ولا شك ، فهى تستند الى أصول هؤلاء • ويختلف الأخباريون فى تعيين نسب عمليق وان كان أغلب الرأى عندهم أن « عمليقا هو ابن « لاوذ » ، غير أن منهم من جعله ابن « أرفخشد » (٣) ، ومنهم من جعله من الحاميين (٤) • مما يدل على حيرتهم فيه •

وقد روى الأخباريون عنهم قصصا عن أجسامهم وطولهم وعن أبنيتهم وقدمهم • ولا تزال قصصهم هذه تروى حتى اليوم (٥) » وأرى أن أكثرها يعود الى الاسرائيليات ، فقد روت التوراة عنهم قصصا ، وهى حاقدة عليهم حقدا يدل على أن العبرانيين كانوا قد لاقوا منهم مصائب وأهوالا • وقد كان العماليق أول شعب صدم العبرانيين حينما حاولوا الدخول الى فلسطين (٦) ، وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائر كبيرة ، وأوقعوا الرعب فى نفوسهم ، وأثاروا الحقد بينهم على العماليق • ويتجلى هذا الحقد فى هذه الآيات التى قالها النبى « صموئيل » لشاؤل « Saul » أول ملك ظهر عند العبرانيين ، قالها لهم باسم اله اسرائيل « اياى أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه اسرائيل • والآن ، فاسمع صوت كلام الرب • هكذا يقول رب الجنود • انى قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (١١٢/٢ وما بعدها) Hastings. P. 24. The Uni. Jew. Ency. Vol, I. P. 218.

(٢) الطبرى (١٠٣/١) •

(٣) ابن خلدون (٣٠/٢) Ency. Vol, I. P. 325.

(٤) Ency. Vol, I. P. 325. Montgomery, Arabia and the Bible P. 20 Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, I, 18 ff.

(٥) Nöldeke, über die Amalekiter, in Orient Und Occident, II. 614. Göttingen 1864. Ency. Brita. Vol, I. P. 724.

(٦) Musil, Hegaz P. 460 The Uni. Jew. Ency. Vol. I. P. 218.

حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن ، اذهب واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا »(١) . وهذا الحقد هو الذى جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التى تربطهم بالساميين .

وقد أخذ الأخباريون خبرهم عن قدم « العماليق » من هذا المصدر أيضا : من التوراة . ففيها ان العماليق أقدم شعوب الأرض ، فهذا « بلعام بن بعور » يرى العماليق ويقول : « عماليق أول الشعوب . وأما آخرته فالى الهلاك »(٢) . وهذه الفكرة عن قدم العماليق هى التى جعلت الأخباريين يدخلون الشعوب القديمة فيهم مثل الكنعانيين والمصريين (٣) . وقد ذكر الأخباريون أيضا أن « موسى » أرسل جيشا لحرب « عماليق » يثرب (٤) . وقد أخذ الأخباريون خبرهم هذا من التوراة ولكنهم أدخلوا عليه بعض التعديل ، ففى أسفار الخروج أن العماليق حاربوا اسرائيل فى « رفيديم » « فقال موسى ليشوع : انتخب لنا رجالا ، واخرج حارب عماليق . وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى . ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق . وأما موسى وهارون وحور ، فصعدوا على رأس التلة . وكان اذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب ، واذا خفض يده أن عماليق يغلب . فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه . ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين الى غروب الشمس . فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف . »(٥) . فجعل الأخباريون هؤلاء العماليق عماليق يثرب .

ارم ولاوذ :

اقتصر الأخباريون ـ كما رأيت ـ على ولدين من أولاد سام بن نوح ، هما : ارم ولاوذ، وجعلوا من صلبهما الطبقة الأولى من العرب : العرب البائدة . وقد أخذ الأخباريون هذين الولدين من قائمة الأولاد التى وضعتها التوراة « لسام بن نوح » . فارم هو « أرام » « Aram » . ولاوذ هو « لود » . وقد اختاروا « عوصا » و « كاثرا »

---

(١) صموئيل الأول : الاصحاح الخامس عشر ، آية ١ وما بعدها .

(٢) عدد اصحاح ٢٤ ، آية ٢٠ .

(٣) Ency. Vol, I. P, 325.

(٤) Ency. Vol, I. P, 325.

(٥) خروج اصحاح ١٧ آية ٨ وما بعدها .

« غاثرا » من أبناء « ارم » ، ونسبوا اليهما عددا من هذه القبائل العربية الأولى .

و « ارم » الذى هو « أرام » التوراة ، هو جد « الارميين » « الآراميين » على اصطلاح علماء التوراة . وكانوا يتكلمون « الآرامية » [1] . وأما « لود » « Lud » ، وهو الابن الرابع من أبناء سام وجد « اللوديين » ، فلم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين مواضعهم [2] . وأما « عوص » ، فهو جد « العوصيين » سكان أرض « عوص » أرض « أيوب » « Job » . ولم يتفق الباحثون فى تعيين موضع أرض « عوص » أيضا ، ولا عينت « التوراة » موضعها تعيينا دقيقا [3] . فذهب بعض العلماء الى أنها دمشق واللجاء مستندين فى ذلك الى رواية « يوسيفوس » ، وذهب آخرون الى أنها على الفرات [4] ورأى آخرون أنها فى « نجد » [5] ، وذهبت طائفة أخرى الى أنها بين « أدوم » والعربية وفى شمال شبه جزيرة العرب [6] ، ورأى « كلاسر » أنها فى شمال غرب « المدينة » [7] ، ويرى كثير من العلماء أن « أيوب » كان من شبه جزيرة العرب أو من بادية الشام [8] . ولم يتمكن العلماء من تعيين القبائل التى تنتمى الى « غاثر » ، كما أنها لم يرد لها ذكر فى التوراة [9] . وقد ذكر اسم « غاثر » مع « عوص » و « حول » و « ماش » على أنهم أبناء « أرام » ، غير أنه لا يمكن تعيين موضع قبائل « غاثر » من دراسة مواضع القبائل المنتمية الى أولئك الأبناء ؛ لأن العلماء لم يتفقوا فى تعيينها تعيينا دقيقا حتى الآن .

نرى أن الأخباريين قد ربطوا نسب العرب الأولى بالارميين « الاراميين » وباللوديين « اللاوذيين » وبالعوصيين وبالغاثريين ، ولا نجد فى الكتب الأسباب التى حملتهم على الذهاب هذا المذهب . ولكننا نجد فيها أثر التوراة والشروح التى وضعت عليها ، كما أننا نجد أن الذين اشتغلوا برواية هذه الأخبار هم ممن رووا الاسرائيليات

---

(١) Hastings. P. 46. Ency. Bibl. P. 276 ff.

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٩٩) Hastings. P. 557. Ency. Bibl. 2829.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦) Ency. Bibl. P, 5238. Hastings P. 956. Musil, Hegaz. P. 248.

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦) . Josephus, Ant. Vol, I. VI, 4.

(٥) قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦) .

(٦) Hastings, P. 956.

(٧) Hastings, P. 956.

(٨) Hastings. P. 956. Ency. Bibl. P. 5238.

(٩) Hastings. P. 292. Ency. Bibl. P. 1712.

وعرفوا باتصالهم بأهل الكتاب ، وقد عاشوا فى الدولة الأموية وفى صدر الدولة العباسية ، وان كانت هنالك روايات تشير الى أن أهل الكتاب كانوا يتحدثون على الجاهليين قبيل الاسلام بالقصص الواردة فى التوراة [1] • غير أننا لا نستطيع أن نقول ، والمواد قليلة ، ان ما ذكره ابن الكلبى وأضرابه فى الأنساب قد أخذوه من روايات قديمة وصلت اليهم من الجاهليين أو من المخضرمين •

ولا أريد أن أتعجل فأقول كما قال قدماء المستشرقين قبل وقوفهم على الكتب « الكلاسيكية » والنصوص التى عثر عليها بعد ذلك : ان أسماء الأقوام التى وردت فى روايات الأخباريين هى مفتعلة ، أو هى خرافية ابتدعتها مخيلة القصاصين ، فمن الجائز العثور فى المستقبل على أسماء من لم نعثر على أسمائهم ، وان كنا لا نقيم وزنا لهذا التقسيم وللنسب الذى لا يستند الى علم ، وانما على أصول رواها أناس لم يثبت لدينا أنهم كانوا على مبلغ كاف من العلم بالتوراة والتلمود والتركوم وبالشروح والتفاسير التى وضعها الأحبار ، ثم اننا نشك حتى فى استناد هذه الأنساب الواردة فى التوراة الى أساس من العلم • وهى أنساب اعتبارية فيها السذاجة والبساطة التى تمثل تلك العهود التى كتبت فيها • وقد وجدنا أن التوراة لم تعين أولادا للود ولا لغاثر ولا لعوص ، على حين أنعم الأخباريون عليهم بأبناء وحفدة ، وجعلوا لهم من ذريتهم خلقا وأمما •

القحطانيون أو العرب العاربة :

أما الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة ، فهى « العرب العاربة » على أقوال بعض النسابين ، أو العرب المستعربة على أقوال بعض آخر • وهم من أبناء قحطان وأسلاف القحطانيين المنافسين للعرب العدنانيين •

وقحطان الذى يرد فى الكتب العربية هو « يقطان » الذى يرد اسمه فى سفر التكوين ، وهو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح [2] فى رأى أكثر النسابين • والنسب الوارد فى التوراة هو : يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن

---

(١) كان فى أيام الرسول بمكة قين نصرانى يقال له بلعام أو جبر ، أو قينان هما يسار وجبر يقرأن التوراة والكتب للناس • تفسير الطبرى (١٤/١١٩-١٢٠) •

(٢) المسعودى : مروج (١/٢٧٦-٢٧٧) ، سيرة ابن هشام ١/٤ (طبعة وستنفلد) • ١/٥ (طبعة الأبيارى وجماعته) القاهرة ١٩٣٦ ، نهاية الأرب (٢/٢٧٥) • الأخبار الطوال (طبعة مطبعة عبدالحميد أحمد حنفى) ص ٩ •

سام بن نوح [1] . فتجد من ذلك مطابقة تامة بين النسب الوارد فى الكتب العربيـــة ، وبين النسب الوارد فى التوراة ، مما يدل دلالة واضحة على أن الأخباريين أخذوا علمهم هذا من روايات أهل الكتاب . وهم يؤيدون ذلك ولا ينكرونه [2] .

وقد سرد بعض الأخباريين نسب قحطان بشكل آخر ، مثل قحطـان بن هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح [3] ، على أن هودا هو عابر . أو قحطان بن هود بن عبدالله بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح أو قحطان بن يمن بن قدار أو قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن اسماعيل بن ابراهيم [4] .

وتستهدف هذه الروايات الأخيرة غاية بعيدة على ما يظهر كانت ذات أهمية فـى نظر الفحطانيين ، هى ربط نسبهم بالأنبياء . فبعد أن ذكروا ما ذكروا من أخبار ملكهم ودولهم قبل الاســـلام ، وجدوا أن العدنانيين يفخرون عليهم مع ذلك بأن فيهم النبـوة والانبياء ، منهم الرسول ، وفيهم اسماعيل جدهم . فأرادوا أن يكون لهم أجداد أنبياء : أنبياء خلص قحطانيين ، أو أن يكون لهم نسب يتصل بنسب اسماعيل على الأقل ، أو أن يوصل نسب اسماعيل بأسباب نسبهم ، فقالوا : انهم من نسل هود ، وهود نبى من أنبياء الله . وقالوا : ان قحطان من نسل اسماعيل ، وقالوا : ان هودا هو عابر ، وعابر من نسل الأنبياء ؛ وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل ترمى الى ترجيح كفتهم على كفة منافسيهم العدنانيين فى الفخر بالأنساب على الأقل .

ونحن لا نعرف من أمر « قحطـــان » شـــيئا غير هـــذا النســـب الذى يردده الأخباريون [5] ، وليس لدى العبرانيــين من أمره غير ما ورد من أنه أحـــد أولاد « عابر » وآخر أولاده ، وأنه جد قبائل عديدة قديمـة ، بينها « شـــبا » « Sheba » و « حويلة » . وقـــد ذكروها مرة فى أبنـــاء « يقطن » ، ومرة أخرى فـى « كوش » « Kush » ، وفرق بين « يقطن » و « كوش » . ويظهر أن ذلك يعود الى اضطراب الحالة

---

(١) التكوين ١٠ آية ٢٥ فما بعدها .

(٢) « ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح » الطبقات الكبير ، الجزء الأول ، القسم الأول ص ١٨ وما بعدها .

(٣) التنبيه (ص ٧٠) ، راجع عن أنساب العرب كتاب Wüstenfeld, Genealogische Tabellen der Arabischen Stämme Und Familien, Göttingen, 1852-1853.

(٤) التنبيه (ص ٧١) .

(٥) ابن خلدون (٢/٤٦) .

السياسية فى ذلك العهد [١] ، أو الى عدم وقوف كتبة العهد القديم وقوفا تاما على الحالة الجغرافية للأقطار التى كانت تبعد عنهم • ويجب ألا نتصور أن هذا الترتيب الوارد فى العهد القديم لأبناء « يقطن » قائم على أسس علمية جغرافية ، أو أنه يحوى جميع القبائل العربية الجنوبية ، بل يجب أن ننظر اليه على أنه محاولة لوضع قائمة بالقبائل العربيـــة البعيدة عن العبرانيين ، الذين وصلت أسماؤهم الى مسامعهم [٢] •

ولم يتمكن العلماء من معرفة معنى هذا الاسم ، وهل هو اسم علم كانت هذه القبائل العربية التى كانت تقيم فى جنوب فلسطين ، أى فى البقاع الجنوبية بالنسبة الى العبرانيين والى القبائل العربية التى كانت تقيم فى البادية شرق العبرانيين ، أو فى شمالهم الشرقى ، أو فى غربهم فى شبه جزيرة سيناء تتسمى به كما تسمت به فى الاســـلام ، أو أنه كان يؤدى معنى من المعانى قصد به تلك القبائل تفريقا لها عن القبائل الأخرى التى احتكت قديما بالعبرانيين وعرفت « بعرب » ، أو أنه كان فى الأصل اسم قبيلة من القبائل قويت وتغلبت على القبائل الأخرى فأطلق اسمها على القبائل التى خضعت لها ، أو انه اســـم أرض تسمت بها وعرفت به ، ثم اعتبر على عادة الشعوب السامية اسم جـد أعلى لعـدد من القبائل ؟

والخلاصة ، لسنا اليوم فى وضع نستطيع فيه الاجابة عن هذه المشكلة اجابة علميـة مقنعة ، كما أننا لا نستطيع فيه أيضا أن نؤكد أن « اليقطنية » كانت علامة فارقة اختارتها تلك القبائل لنفسها ، وأنها كانت ترجع نفسها حين الانتساب الى « يقطن » • وتقول مفتخرة انها من « يقطن » ، كما نقول اليوم اننا من « العرب » ، أو ان العبرانيين أو غيرهم هـم الذين سموهم بهذه التســـمية تمييزا لهم عن القبـــائل التى كانت تسكن الى شـــمال « اليقطنيين » ثم قيل لهم « عرب » بعد أن عرفوا عند العبرانيين باشماعيليين •

وكذلك لا نستطيع أن نؤكد أن الانتساب الى قحطان أو « القحطانية » كان معروفا عند الجاهليين ، فلم يشر الى ذلك القرآن الكريم ، ولم يرد له ذكر فى الكتابات الجاهلية • أما الشعر الجاهلى ، فالذى جاء فيه هو فى الفخر والحماسة ، وهو باب يعد فى رأيى من أوهن الأبواب فى الشعر الجاهلى • واذا وافقنا على أنه كان معروفا فى الجاهلية القريبـة من الاسلام ، فانهذا لا يدل حتما على أنه كان معروفا أيضا فى الجاهلية البعيدة عن الاسلام • وقد اقتنعنا أن اليهودية والنصرانية كانتا قد وجدتا لهما سبيلا الى العرب ، وأن اليهـود

(١) Ency. Bibl, P. 2564.
(٢) Hastings, P. 490.

والنصارى كانوا يقصون للناس ما جاء فى العهدين من قصص وأخبار وأحكام . أفلا يجوز اذن أن تكون هذه « القحطانية » هى « يقطنية » « يقطانية » . التوراة ؟

أعود ـ بعد هذا الاستطراد ـ الى صلب الموضوع ، فأقول : يرى نفر من المستشرقين أن الأخباريين جاؤوا بقحطانهم هذا من التوراة ، عن طريق قراءتها ، أو عن طريق أهل الكتاب . اذ عرفوا منهم أن تلك القبائل التى نسبت الى هذا الجد كانت فى العربية الجنوبية ، وقد وجدوا بين أسماء القبائل اليمانية قبيلة اسمها قريب من هذا الاسم . وقد وجدوا نزاعا عنيفا بين أهل اليمن وبين أهل مكة وأهل اليمن فى الجنوب ، ومنهم قبيلة « قحطان » فأقروا النسب ، وأصبح « قحطان » وليد « يقطن » جدا حقيقيا ليمن ومن نسب نفسه اليهم من الأفراد والقبائل [1] .

وقد ورد فى جغرافية « بطلميوس » اسم قريب من اسم « قحطان » هو « Katanitae كتنيته » أو « كتانيته » [2] . غير أن هذا لا يدل حتما على أنه قصد « قحطان » ؛ اذ من الجائز أن يكون المقصود به شيئا آخر كقبيلة اسمها قريب منه . وقد ورد فعلا اسم قبيلة تدعى « قطن » أو « بنو قطن » ، كما ورد اسم موضع يقال له « جو قطن » [3] ، وذكر اسم مدينة تقع بين « زبيد » و « صنعاء » يقال لها « قحطان » [4] ، لهذا أرى أن من الخير ألا يتخذ الآن أى موقف كان لا سلبا ولا ايجابا انتظارا لاكمال العدة والحصول على مواد مساعدة تكفى لاصدار الأحكام .

أما بلاد « اليقطانيين » على رأى التوراة ، فتمتد من « ميشا » « Mesha » الى « سفار » « Sephar » [5] . ولا نعرف عن موضع « ميشا » شيئا ، فآراء العلماء فيه مختلفة . وقد ذهب بعضهم الى أنه « Mesene » (مسينة) أو « ميسان » على رأس الخليج الفارسى [6] ، وذهب آخرون الى أنه « موزح » أو « موسج » فى نجد [7] .

---

(١) Ency. Vol. 2. P. 629.

(٢) Ptolemy, Geogr., VI, 7. 20, 23. Glaser, Skizze. Bd. 2. S, 283. Knobel, Die Völkerstafel der Genesis. S, 185. Forster. The Historical Geography. Vol, 1. P, 80. O'leary. P. 18.

(٣) Glaser, Skizze. S, 288, 422. Ency. Vol, 2 P. 629.

(٤) أحسن التقاسيم ، الطبعة الثانية (٣/ ٨٧ ، ٩٤) . Ency. Vol, 2. P. 629.

(٥) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٣٠ .

(٦) قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٣٩٩) Hastings. P, 606.

(٧) قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٣٩٩) .

ورأى فريق آخر أنه « Mashu » أو « Mash » أى بادية الشام فى الكتابات الا شورية [1] .

وذهب « ديلمن Dillmann » الى أن هذا الاسم هو تحريف « مسا » « Massa » ، وهو اسم أحد أبناء اسماعيل [2] ، فتكون حدود « اليقطانيين » بعد حدود « مسا » من قبائل الاسماعيليين أو العدنانيين فى اصطلاح علماء الأنساب ، غير أن هذا الرأى رأى ضعيف لا يستند الى دليل [3] .

وأما الحد الا خر ، وهو « سفار » ، فهو الحد الجنوبى لأرضى « اليقطانيين » باجماع آراء علماء التوراة . ولكنهم يختلفون فى تعيين موضعه فقط ، فمنهم من رأى أنه « ظفار » عاصمة الحميريين ، ومنهم من يرى أنه « ظفار » حضرموت التى اشتهرت شهرة واسعة فى العالم القديم [4] . وورد ذكرها فى الكتب « الكلاسيكية » . ومن المرجح أن تكون هى الموضع المقصود ، لشهرتها هذه وقدمها .

وجعل الكتاب المقدس لقحطان ثلاثة عشر ولدا ، هم : الموداد ، وشالف ، وحضرموت ، ويارح ، وهدورام ، وأوزال ، ودقلة ، وعوبال ، وابيمايل ، وشبا ، وأوفير ، وحويلة ، ويوباب [5] . وهذه الأسماء هى فى الواقع أسماء قبائل اعتدها كتبة التوراة على عادة ذلك الوقت أسماء أعيان أولاد « يقطان » . ولا يعنى هذا العدد ، فى نظرى ، أنه حوى جميع القبائل العربية التى كانت تقيم فى هذه المنطقة الواسعة التى تمثل شبه الجزيرة أو « العربية السعيدة » برمتها ، وانما يجب أن نعتد هذا العدد هو مبلغ ما وصل الى كتبة تلك الأسفار من هذه القبائل التى لم تكن فى شرق العبرانيين أو فى غربهم ، ولم تختلط بالقبائل العتيقة قبائل « الاشماعيليين » التى لم تكن على اتصال تام بالعبرانيين . ونحن اذا أنعمنا النظر فى هذه الأسماء نجد أنها قد كدست فى منطقة ضيقة هى اليمن وحضرموت ،

---

(١) Hastings. P, 607. Delitzch, Parad., 242.

(٢) التكوين : أصحاح ٢٥ آية ١٤ ، وأخبار الأيام الأول : أصحاح ١ آية ٣٠ .

(٣) Ency. Bibl. P. 3040.

(٤) Ency. Bibl. P. 4370. Ritter, Erdkunde, 14, 372. Sprenger, Alte Geogr P. 185 Glaser, Skizze. Vol, 2. P. 437. Hastings. P. 836.

(٥) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٢٦ وما بعدها .

أما ما فوقها الى « ميشا » نهاية الأرض « اليقطانية » في الشمال ، فلم يذكر الكتبة من أسماء قبائلها أي شيء . وهو يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون عن باطن شبه الجزيرة شيئا ، أو أن موضع « ميشا » في مكان آخر في غير هذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة ، كأن يكون في شمال اليمن مثلا ، وبذلك يستقيم التحديد تماما . وعندئذ تكون موافقة تامة مع مذهب الأخباريين في انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين وفي تحديد مواضع أرضي العدنانيين والقحطانيين .

ويظهر أن كتبة التوراة لم يراعوا في عدهم أسماء أبناء يقطان الترتيب الجغرافي ، أو قرب « اليقطانيين » وبعدهم عن العبرانيين . فهذا الترتيب الذي ذكرته لأبناء « يقطان » ونقلته كما جاء في موضعه من سفر التكوين ، لا يشير – في الحقيقة – الى أن الأسماء وضعت على أساس علمي جغرافي . والظاهر أنها جمعت كما وصلت الى مسامع العبرانيين دون فحص أو تدقيق ، كما أننا لا نستطيع أن نؤكد أنها وصلت صحيحة سالمة من غير تصحيف أو تحريف .

و « الموداد » « مودد » « المودد » « Al—Modad » هو أكبر أولاد « يقطان » على رواية التوراة . وهو يمثل بالطبع شعبا من الشعوب القحطانية يرى نفر من علماء التوراة أنه كان يسكن في العربية الجنوبية (١) ، ومنهم من يرى أنه كان يقيم في جنوب غربي شبه الجزيرة . وقد وردت في النصوص العربية الجنوبية وفي نصوص سامية غير عربية كلمات قريبة من هذه الكلمة (٢) . وردت في النصوص « الجبانية » « الكبانية » « Cebanitae » مثلا كلمة « مودد » ، وقد استخدمت استخداما يشير الى علاقة « الكبانيين » بملوك « معين » « مودد ملك معين » . وقد قرئت أيضا « مواديد » « موادد » ، ويرى « كلاسر » أن هذه الكلمة الأخيرة لا تعني « أحباء ملوك معين » وأصفياءهم ، وانما تحكي وظيفة لها علاقة بالآله « ود » مثل كهانة هذا الآله وسدانته . ومسكن هؤلاء

---

(١) Hastings, P. 22.

(٢) « موداد » « موددي » « Mudadi » في البابلية. Hommel. Ency. Bibl. P. 116.
A.H.T. 113. وورد « مودادو » « موددو » « Mudadu » في العمورية والبابلية, Ranke, Early Babylonian Personal Names, P. 30. Montgomery, Arabia and the Bible. P. 40.

« الكبانيين » فى الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة [١] . كما ورد اسم « مودد » فى الكتابات السبئية [٢] .

وأورد « بطلميوس » فى جغرافيته اسم شعب عربى دعاه « Allumaeotae » يرى « فورستر » أنه شعب « الموداد » الذى نتحدث عنه . ويقع مكان هذا الشعب جنوب « الجرعاء » « Gerraea » و « Vicus Jerachaeorum » ، ويتصور أنه على ساحل الخليج عند « قطن » [٣] . وقد ذهب الى هذا الرأى أيضا « كلاسر » ، غير أنه يرى أن موضع هذا الشعب هو فى الأجزاء الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة . وربما فى عمان [٤] .

وأما شالف (Sheleph) الذى ورد فى التوراة بعد « الموداد » ، فلم يتمكن العلماء من تشخيصه حتى الآن [٥] . ويرى بعض العلماء أنه شعب « Salepeni » الذى ذكره بطلميوس[٦] ، وهو اسم قريب الشبه من « السلف : بطن من ذى الكلاع من حمير ، وهو السلف بن يقطن » [٧] أو « السلاف » أو « بنو سلفان » [٨] . وأرى أن « السلف » أقرب هذه الأسماء الى « شالف » وخاصة اذا أخذنا بما قاله النسابون من انتساب هذه القبيلة الى جد أعلى هو السلف بن يقطن [٩] ، وذكر « نيبور » فى سياحته اسم موضع فى اليمن قال له « سلفية » . قد يكون لاسمه علاقة بشالف بن يقطان[١٠] . واذا فرضنا أن شعب « المودد » أو « الموداد » كان من شعوب عمان أو الزاوية الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة العرب ، وجب أن يكون موضع شعب « شالف » فى غرب أرض

---

(١) Glaser, Skizze. 2. P. 425.

(٢) Ency. Bibl. P. 116. Z.D.M.G. 37. 13. 18.

(٣) Forster, Vol, 1. P. 107 ff.

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 280.

(٥) Hastings. P, 845. Ency. Bibl. P, 4448. Montgomery, Arabia and the Bible. P. 40

(٦) Forster. Vol,, 1. P, 109 f.

(٧) تاج العروس (١٤٣/٦) ، « السلف » ، بلدان (١٠٩/٥) نهاية الأرب السفر الثانى (ص ٢٧٨) . القاموس ١٥٣/٣ .

(٨) الهلال : ج ١٣ سنة ١٠ « نيسان » ١٩٠٢ (ص ٤٠١) .

(٩) تاج العروس (١٤٣/٣) ، بلدان (١٠٩/٥) ، نهاية الأرب (٢٧٨/٢) .

(١٠) Ency. Bibl, P. 4448. Niebuhr, Arabien, 247. Osiander, in ZDMG. 11. 153 ff. Glaser, Skizze. P, 425.

« المواديين » بين اليمن وحضرموت حيث يكثر ورود « سلف » و « أسلاف » فيها ففى منطقة « يريم » [1] ممر يقال له « نجد الأسلاف » ، لذلك يرى « كلاسر » ان مواطن « شالف » أو « شلف » أو « سلف » فى هذا المكان [2] .

وأما « Hazarmaveth » فهو « حضرموت » ، ومعلومتنا عن هذا الشعب حسنة بفضل الكتابات الجاهلية التى ترجم عددا منها المستشرقون . وقد كانت للحضرميين حكومة وملوك . واشتهرت حضرموت بتصدير البخور والكندر والمر واللبان وغير ذلك من الحاصلات التى كانت لها سوق رائجة فى ذلك العهد [3] . وسأتحدث عنهم فى الفصول المقبلة من الكتاب .

ويلى « حضرموت » فى الترتيب شقيقه « يارح » ومعنى « يارح » « يرح » « Yerah » « Jerah » « قمر » و « شهر » ، ولذلك يرى كثير من العلماء أن هذا الاسم هو اسم قبيلة عربية جنوبية كانت تسمى بهذا الاسم . والقمر كان من الالهة المعبودة عند العرب الجنوبيين [4] . وقد عثر فى كتابات تدمر على اسم « يارح » اسم علم [5] ، كما أن اسم « شهر » من الأسماء المعروفة عند الجاهليين ، وقد سمى به عدد من الملوك الذين عاشوا قبل الميلاد وبعد الميلاد .

ويرى « كلاسر » أن هذا الشعب كان يقيم فى « مهرة » أو فى جنوب عمان فى موضع قد يكون المكان الذى سماه « بطلميوس » « Jerakon Kome » [6] .

ان « يارح » هو « يرخ » أو « يارخ » و « ورخ » فى اللهجات الجنوبية ، وتعنى « شهر » و « قمر » . وهنالك مواضع متعددة فى العربية الجنوبية تسمى بأسماء قريبة من هذه الكلمة مثل « وراخ » و « يراخ » [7] و « يراخ » [8] . وقد ذكر الهمدانى اسم موضع دعاه « وراخ » فى مخلاف العود [9] ، لذلك يرى بعض العلماء وجود صلة بين

---

(١) صفة (٧١ ، ١٠١) .
(٢) Glaser, Skizze. 2. P. 425.
(٣) Hastings. P. 333. Glaser, Skizze. 2. P. 20. 423. Hommel, A.H.T. 77. ff. 80, Ency. Bibl. P. 1976-1977. Montgomery, Arabia and the Bible. P, 39.
(٤) Montgomery, Arabia and the Bible. P, 40.
(٥) Ency. Bibl. P. 2362-2363.
(٦) Glaser, Skizze. 2. P. 425.
(٧) بالضم .
(٨) بفتح الأول .
(٩) صفة (ص ١٠١) « وراخ ناحية باليمن » البلدان (٨/٤١١) .

« يارح » و « يارخ » أو « يرخ » وبين أسماء هذه المواضع التى ترد بهذه الأسماء • كما ورد فى جغرافية بطلميوس اسم محل دعاه « Insula Jerachaeorum » وهو جزيرة تقع فى البحر الأحمر جنوب جدة ، ومحل آخر دعاه « Vicus Jerachaeorum » ويقع مقابل النهر الذى سبق أن تحدثت عنه ودعاه نهر « اللار » (Lar) الذى يصب على زعم بطلميوس فى خليج فارس • وقد ذكر « فورستر » أن من المحتمل أن تكون هنالك صلة بين هذه المواضع وبين « يارح » ، وذكر أسماء أخرى على أنها قريبة من هذا الاسم [١] ، غير أنه لم يتمكن من البت فيها • وأعتقد أن البت فى أمور كهذه بالاستناد الى تشابه الأسماء أو بالاستناد الى تعليلات غير قوية تستند الى التقارب فى نطق الأسماء والكلمات طريقة قد تؤدى بصاحبها الى مزالق حرجة تبعده عن جادة العلم •

ويرى « ملر » «Müller» و « كلاسر » أن « هدورام » « Hadoram » هو « دورم » على مقربة من « صنعاء » ، ويؤيدان رأيهما هذا بما ورد فى الكتب العربية من أن اسم « صنعاء » القديم كان « أزال » [٢] •

وقد ذكرت الكتب العربية اسم موضعين يقال لهما « الهدار » قال الهمدانى عن أحدهما : انه « حصون ونخول وقصور عادية » [٣] ، وقال عن الثانى : انه « هدار بنى الحريض » ، وذكر أن فيه « القطنية » [٤] ، وذكر ياقوت أن فى هذا المكان ولد مسيلمة الكذاب ، وبه عقد « صلح الهدار » بين خالد بن الوليد وأتباع مسيلمة [٥] • وهذا الموضع الأخير أقرب فى نظرى الى « هدورام » من « دورم » ولا سيما أن « القطنية » فيه • وهذا الاسم قريب من لفظة « بنى يقطن » أو « يقطن » و « يقطان » •

وقد ذكر الطبرى فى تأريخه أن « جرهما اسمه هذرم بن عابر بن يقطن بن عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح » [٦] • وهذا النسب الذى ذكره الطبرى هو النسب الوارد فى التوراة بزيادة « عابر » بين « هذرم » وهو « هدورام » وبين يقطن •

---

(١) Forster, Vol, I. P. 116 ff.

(٢) Ency. Bibl. P. 1932. Müller, Burg. Und Schlösser, I. 360. Glaser, Skizze, Hastings. P, 324. Forster, 2. P. 137. ff. 2. S, 426. الهلال : الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ (ص ٤٠٢) •

(٣) الصفة (ص ١٤١) تاج العروس ٣/٦١٦ •

(٤) الصفة (ص ١٥١) •

(٥) البلدان (٨/٤٤٨) •

(٦) تأريخ الطبرى (١/١٠٥) •

وهو خطأ يرد كثيرا فى الأنساب المنقولة من التوراة الى الكتب العربية • وعلى هذا فان « هدورام » هو « جرهم » • وقد ذكرت أن النسابين جعلوا جرهما على طبقتين : جرهم الأولى وهم على زعمهم فى العرب البائدة ، وجرهم الثانية وهم فى الطبقة الثانية ، أى فى العرب القحطانيين • وهذا الرأى يطابق رأى الطبرى فى « هدورام » •

وفى الكتب العربية : ان « صنعاء » عاصمة اليمن كان يقال لها « أزال » نسبة الى « أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ، وكان أول من بناها ، ثم سميت باسم ابنه « صنعاء » ؛ لأنه ملكها بعده فغلب اسمه عليها ••• » (١) • وقد استند بعض العلماء الى هذه الرواية فقالوا : ان « أزالا » الوارد فى التوراة على أنه أحد أولاد « يقطان » ، هو كناية عن « صنعاء » التى كانت تعرف بهذا الاسم (٢) • غير أنى أرى أن ذلك رأى لا يستند الى حجة قوية ، فهذه الرواية العربية قيلت فى الاسلام ، وقد رواها رواة عرفوا برواياتهم الاسرائيليات • ثم ان اليمن عرف قبل الاسلام بكثرة من وجد فيه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أفلا يجوز أن يكون هذا الرأى قد ظهر فى الاسلام ، أو فى الجاهلية القريبة من الاسلام بتأثير أهل الكتاب ؟ فلم يرد في النصوص الجاهلية ما يشير الى أن مدينة « صنعاء » كانت تعرف فى الجاهلية البعيدة « بأزال » ، ولدينا نص يرجع عهده الى أيام الملك « اليشرح يحضب » مؤسس مملكة « سبأ وذو ريدان » ، وهى المملكة التى تعرف باسم « مملكة حمير » • وقد ورد فيه « صنعو » وهو « صنعاء » • ويعود تاريخ هذا النص الى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد (٣) • ولا نعرف نصا جاهليا سمى « صنعاء » « أزال » • ويرى « كلاسر » أن اسم « أزال » انما وضع على « صنعاء » بعد دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك ، وضعه اليهود (٤) •

(١) البلدان (١/٢١٤ ، ٥/٣٨٧) ، صفة (ص ٢٥٥) • Montgomery, Arabia and the Blble, P. 40. Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, Vol, 1, 40,

« ويقال ان اسم مدينة صنعاء فى الجاهلية أزال • روى عن وهب بن منبه أنه وجد فى الكتب القديمة المنزلة التى قرأها : أزال كل عليك وانا اتحنن عليك • • • • • وقرأت فى كتاب المعجم لابى عبيد البكرى ان صنعاء كلمة حبشية ومعناها وثيق حصين • » تاج العروس ٥/٤٢١ •

(٢) Ency. Bibl. P. 5239. Hastings. P. 956. Ency. Vol, 4. P. 143. Glaser, Skizze. 2. P. 427. Sprenger, Geogr, S, 181.

(٣) راجع نص Ency. Vol, 4. P. 144. Glaser. 424.

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 427.

وقد بحث « كلاسر » عن مواضع أخرى عرفت بأسماء قريبة من اسم « أزال » مثل موضع « يأزل » ، وهو عند جبل « حضور » [١] ، وموضع آخر يقع في الحجاز ، غير أنه لم يقرر أنها « أزال » التوراة [٢] .

ولم يتمكن علماء التوراة من الوقوف على شيء عن « دقلة » « Diklah » ويرى بعض المستشرقين أن هذا الاسم يشير الى مكان يجب أن يكون كثير التمر [٣] ، وقد رأى « هومل » أنه « حد دقل » [٤] . وقد ذكر « ياقوت » اسم موضع في اليمامة سماه « دقلة » [٥] . ولكن الباحثين في هذا الموضوع لم يتخذوا رأيا قاطعا فيه . وكذلك في « عوبال » « Obal » « Ebal » حيث رأى بعضهم أنهم شعب « عبيل » ، ورأى آخرون أنه « عيبال » في تهامة الحجاز ، أو « عبال » في تهامة اليمن أو موضع « عبيل في اليمن [٦] .

وعند « فورستر » أن شعب « عوبال » هو « Avalitae » عند « بلينيوس » أو « Abalitae » كما ورد عند الجغرافيين « اللاطينيين » [٧] . والولد الذي يلي « عوبال » هو « ابيمائيل » «Abimael» ، ويظن « كلاسر » أنه اسم موضع وادي « أتمة »[٨] . غير أنه ظن لم يؤيده علماء التوراة .

والولد العاشر من أولاد « يقطان » هو « شبا » . وقد وردت بعض أخبار « شبا » في أسفار التوراة ، وذكرت قصة « ملكة شبا » وزيارتها لسليمان [٩] ، ويلاحظ أن سفر التكوين قد جعل « سبا وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا » من أبناء « كوش » ، أي من الحاميين[١٠] . كما جعل لرعمة « شبا وددان » [١١]. وقد ذكر « شبا » بحرف السين

---

(١) المصدر نفسه (ص ٤٢٧) . (٢) كذلك (ص ٤٢٨) وما بعدها :

(٣) Ency. Bibl. P. 1101. Forster. 1. P. 147 f. Montgomery, Arabia and the Bible. P. 40.

(٤) Ency. Bibl. P, 1101. (٥) البلدان (٤/٦٥) .

(٦) Ency. Bibl. P. 1151. Glaser, Skizze, 2. P. 426. Hastings. P, 201. Halévy, Mélanges d'Epigraphie et d'Archéologie Semitigues, 86.

(٧) Forster, 1. P. 148 ff.

(٨) Glaser, Skizze. 2. P. 426. Ency. Bibl. P. 17. Hastings. P. 4.

(٩) الملوك الأول : الاصحاح الأول ، آية ١ وما بعدها .

(١٠) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ .

(١١) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ .

على أنه أحد أبناء « كوش » • وتشير هذه الآيات التى تعرضت لذكر سبأ الى اتصال السبئيين بالعبرانيين ، والى وجود علاقات تجارية قديمة بين اليمن وفلسطين (١) • ولا يمكن بالطبع تصور العبرانيين قصة زيارة ملكة « شبا » لسليمان لو لم تكن هنالك صلات قديمة أقدم عهدا من أيام « سليمان » كانت تربط السبئيين بفلسطين • أما تصور التوراة وجود « سبا » فى « كوش » ، فانه يشير الى انتشار السبئيين فى افريقية ، وهو أمر سوف أتحدث عنه •

و « رعمة » « Raamah » جزء من أجزاء شبه الجزيرة ، وقد ذكروا مع « شبا » فى أسفار حزقيال فى معرض الكلام على التجارات ، فذكر أنهم كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب (٢) • ويستنتج مما جاء فى نسب « رعمة » وفى نسله وهم « شبا » و « ددان » أن أرض رعمة يجب أن تكون منطقة تقع فى الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب • ولذلك ظن بعض الباحثين أنها « ركمات » التى ورد اسمها فى كتابة بالمسند تعود الى أوائل ظهور قوة سبأ على أثر ضعف المعينيين (٣) • ويرى « كلاسر » أنها على الخليج الفارسى عند « رأس الخيمة » (٤) ، ويرى آخرون أنها فى موضع آخر من ساحل الخليج (٥) ، ومنهم من يرى أنهم شعب « Rammanitae » وقد ذكره « سترابون » (٦) •

ومن أشقاء « رعمة » على رواية التوراة « سبتة » و « سبتكا » (٧) • أما « سبتة » « Sabta » « Sabtah » ، فقد ورد اسمه بين « سبأ » و « حويله » • وهذا مما يشعر أنه قصد به منطقة تقع بين « سبأ » و « حويلة » ، ولذلك رأى علماء التوراة أنها فى شبه جزيرة العرب ، وقد رأى بعضهم أنها يجب أن تكون قريبة من ساحل الخليج

---

(١) Hastings. P. 842-843. Forster, Vol, I P. 9. 26. 34. 35. 59. 64. 82. 90. 115. 127. 154.

(٢) حزقيال : اصحاح ٢٧ ، آية ٢٢ •

(٣) Ency. Bibl., P. 3997. Hommel, A.H.T. 240. Montgomery. Arabia and the Bible. P. 30. 39 f. 42. 58.

(٤) Ency. Bibl., P. 3997. Glaser. Skizze. 2. P. 252.

(٥) Hastings. P. 780. Forster. Vol, I. P. 59 ff.

(٦) Hastings. P. 780.

(٧) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ •

الفارسى (١) ، بينما رأى آخرون أنها « Sabota » أو « شبوة » عاصمة « حضرموت » (٢) . ورأى « كلاسر » أنها عند « سدير » فى « اليمامة » أو على ساحل الخليج (٣) .

وأما « سبتكا » ، فلا يعرف من أمرها شيئا ، غير أنه يجب أن يكون مكانها فى شبه الجزيرة كذلك . ويرى بعض العلماء أنها « سبتة » ، غير أنها حرفت بالنسخ وأعيدت كتابتها بصورة محرفة (٤) . ويرى « كلاسر » أنها كذلك فى الأقسام الشرقية من شبه الجزيرة (٥) .

و « أوفير » « Ophir » أرض تقع ـ على رأى أكثر علماء التوراة ـ فى شبه جزيرة العرب ، لورود اسمها بين « شبا » و « حويلة » ، وقد اشتهرت عند العبرانيين بكثرة ذهبها . وقد أرسلت بذهبها هذا عن طريق البحر الأحمر الى « سليمان » . وذهب بعض العلماء الى أنها فى الهند (٦) ، كما ذهب آخرون الى أنها فى أفريقية (٧) ، وهم يرون أن الأوصاف الواردة فى التوراة عن هذا المكان مثل وجود الذهب بكثرة فيه ، وكذلك الفضة وخشب الصندل وبعض الأحجار الكريمة ، تجعل من الصعب تصور وجود هذا المكان فى بلاد العرب (٨) . وأما من قال انه فى شبه جزيرة العرب فان منهم من قال انه فى غرب شبه الجزيرة فى اليمن (٩) . أو فى عسير ، ومنهم من قال أنه فى الأقسام الشرقية من شبه الجزيرة (١٠) ، أو فى اليمامة ، أو موضع « العويفرة » الذى لا يبعد كثيرا عن حافات جبل طويق (١١) . ويحتج القائلون ان « أوفير » فى بلاد العرب بما ورد فى

---

(١) Hastings. P. 809. (٢) Ency. Bibl. P. 4181.

(٣) Glaser, Skizze. 2. P. 252. Ency. Bibl. P. 4181.

(٤) Ency. Bibl. P. 4181. Hastings. P. 809.

(٥) Glaser, Skizze. 2. P. 252. Forster, 1. P. 59.

(٦) Lassen, Indische Alterthumskunde. 1. 538.

(٧) Peters, Das Goldene Ophir Salomons, 1895. Ency. Bibl. P. 3514. Ency. Brita. Vol, 16. P. 807.

(٨) قاموس الكتاب المقدس (١٧٩/١) .

(٩) Sprenger, Alte Geogr. Arab. 49 ff.

(١٠) Glaser, Skizze. 2. 357 ff. Hommel, A.H.T. P. 236. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 38-39. 177.

(١١) Philby, Sheba's Daughters. P. 430.

التوراة من أنه أحد أولاد « يقطان » ، غير أن هنالك صعوبات كثيرة تحول دون البت في هذا الموضوع [١] .

وورد اسم « حويلة » بين أسماء أبناء كوش كذلك مثل شبا : مما يدل على أن أبناء حويلة كانوا يجاورون الكوشيين ويسكنون في مناطق مختلطة [٢] . وذهب بعض العلماء الى أنه موضع في شمال شرقي بادية الشام ، أو على مقربة من خليج العقبة ، أو في أواسط بلاد العرب ، أو في منطقة جبل شمر وفي شمال نجد [٣] . ورأى كلاسر أنه في اليمامة [٤] .

وهناك أسماء وردت في الكتب العربية قريبة من حويلة ، منها الحواليون . وقد ذكرهم الهمداني [٥] . والظاهر أنهم سكنة حوالة ومنها اسم بطن من بطون اليمن يقال له « بنو حوالة » [٦] ، كما ورد اسم حويل .

وآخر أولاد يقطان هو « يوباب » (Jobab) ، ويرى كلاسر أنه اسم قبيلة يقال لها « يهيبب » ورد في النصوص السبئية [٧] ، وذهب بعضهم الى أنه اسم شعب « وبار » [٨] ، وأنه تصحيف « Jobaritae » ؛ ولذلك كتب بعض العلماء « Jobaritae » الذي ورد في جغرافية بطلميوس « Jobabitae » [٩] .

أولاد قحطان :

ولم يبخل الأخباريون على قحطان فوهب بعضهم له امرأة سموها « حني بنت روق

---

(١) يستحسن مراجعة ما كتب عن « أوفير » من المؤلفات : Soetbeer, Das Goldland Ophir, 1880. A.K. Keane, The Gold of ophir. 1901 Hastings. P, 669. Moritz. Arabien, P. 7. Forster, Vol, 1. P. 161. ff. 2. P. 237.

(٢) التكوين (١٠/٢٩) ، أخبار الأيام الأول (١/١٩ ، ١/٢٣) .

(٣) Ency. Bibl. P. 1974. Musil, Hegaz. P. 261. Hastings. P. 333. قاموس الكتاب المقدس (١/٣٩٨) .

(٤) Glaser. Skizze. 2. P. 302.

(٥) الاكليل ٨/٨٥ (طبعة نبيه) .

(٦) تاج العروس (٧/٢٩٧) ، القاموس (٣/٣٦٤) ، لسان العرب (١٣/٢٠٧) .

(٧) Hastings. P. 472. Glaser. Skizze. 2. P, 303. Ency. Bibl. P, 2491.

(٨) Hastings. P. 472.

(٩) الهلال : الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ص ٤٠٣ .

ابن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح » [1] • ووهبوا له ولدا تراوح عددهم من عشرة ذكورا الى واحد وثلاثين [2] على حسب كرم الراوى وبخله على قحطان ، من بينهم يعرب وحضرموت وعمان وجرهم • وذكر بعض الأخباريين أن أم يعرب هى من عاد أو من العماليق ، وكان له اخوة من أمه هم جرهم والمعتمر والمتلمس وعاصم ومنيع والقطامى وعامى وحمير [3] •

أما الذى تولى الملك بعـــد قحطان ـ على رأى الأخباريين ـ فكان يعرب ، وكان ملكه باليمن ، وقد غلب بقايا عاد ، ووزع اخوته على الأقطار ، فأقر أخاه حضرموت على الأرضين التى عرفت باسمه فقيل لها حضرموت ، وعين عمـــان على أرض عمان ، وولى جرهما على الحجاز [4] •

ولا نعرف من أمر يعرب شيئا • ولم يحاول الأخباريون تتبع أخباره على الرغم مما تحدثوا به عن ملكه وعن اخوته وعن سبب تسميته بهذا الاسم [5] •

ذكرت التوراة اسم رجل قالت له « يرب » (Jareb) يظن بعض علماء التوراة أنه اسم ملك عربى كان يحكم مقاطعة عربية ، ومن الجائز فى نظرهم أن يكون قد حكم « يثرب » [6] ، أو أرض مصرى التى ذهب كثيرا من العلماء الى أنها فى شبه جزيرة العرب وفى أعالى الحجاز ؛ اذ يصعب فى نظر نقدة التوراة أن يكون هذا الاسم اسم أحد ملوك الآشوريين أو المصريين [7] • ومن الجائز فى نظرى ـ اذا ذهبنـا مع الذاهبين الى أن هذا الاسم هو اسم عربى ـ أن يكون هذا الاسم اسم شعب عربى أو قبيلة عربية • ومن الممكن حينئذ أن نتصور وجود صلة بين « ياريب » « يرب » « Jareb » هـــذا وبين اسم « يعرب » ابن قحطان فى رواية الأخباريين •

---

(١) مروج الذهب (٢٧٧/١) •
(٢) مروج الذهب (٢٧٧/١) ، ابن خلدون (٤٧/١) •
(٣) الأخبار الطوال للدينورى (ص ١١) •
(٤) صبح الأعشى (١٩/٥) ، ابن خلدون (٤٧/٢) القاموس ١٠٣/١ ،
(٥) جمهرة ابن حزم (ص ٣١٠) ، ابن خلدون (٤٦/٢) Ency. Vol, 4. P, 1160.
تاج العروس ٣٧٦/١ •
(٦) Hastings, P. 427. Ency. Bibl; P. 2331. Schrader. KAT. 2, 414,439. 3 ed. P, 150.
(٧) Hastings. P, 427.

ويقصد الأخباريون بجرهم جرهما الثانية التى جاءت بعد هلاك جرهم الأولى . وقد أقامت بمكة وكان منها أرباب البيت (١) . ويظهر أن أهل الجاهلية كانوا يتصورون أن قبيلة جرهم كانت ترعى البيت الحرام (٢) . وقد ذكر الأخباريون أن اسماعيل نشأ بينها ، وتزوج منها ، وأن أباه ابراهيم بعد أن قام ببناء الكعبة ورفع قواعدها ترك ابنه بينهم فصارت له صلة بهم (٣) . ثم تغلبت على جرهم خزاعة فانتزعت منهم السدانة ، واحتفظت بها ، الى أن انتقلت الى قريش .

وكان سبب تغلب خزاعة على جرهم وخروجها من مكة أن جرهما بغت على قطوراء وتنافست معها ، وكان قطوراء أبناء عم لجرهم ، وكانوا يقيمون أسفل مكة بأجياد ، وجرهم فى أعلاها بقعيقعان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل السميدع صاحب قطوراء وتصالح الطرفان ، واستقر الأمر لجرهم . ثم ان جرهما بغت بمكة ، وظلمت من دخلها من غير أهلها ، وأكلت مال الكعبة الذى يهدى لها . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا على حربها واخراجها من مكة ، فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنفوهم من مكة (٤) .

ولم يختف ذكر جرهم حتى فى صدر الاسلام ، فكان القاص عبيد بن شرية الجرهمى منها ، ويظهر من شعر حسان بن ثابت (٥) أن بقية منها كانت فى أيامه (٦) ،

---

(١) Ency. Vol, I. P. 1066. « جرهم كقنفذ حى من اليمن ، وهو ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح نزلوا مكة ، وتزوج فيهم اسماعيل عليه السلام ، وهم اصهاره ثم الحدوا فى الحرم وأبادهم الله تعالى ... » تاج العروس ٨/٢٢٧ .

(٢) فى بيت ينسب لزهير بن أبى سلمى :

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم

شرح ديوان زهير بن أبى سلمى : صنعة الامام أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤ (ص ١٤) .

(٣) ابن خلدون (٢/٣٩) . اللسان ١٤/٣٩٤ .

(٤) سيرة ابن هشام (١/١٢٣ فما بعدها) . وجعل ابن اسحاق قطوراء أخا لجرهم . تاج العروس ٨/٢٢٧ .

(٥) ديوان حسان بن ثابت : رواية أبى سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافى (طبعة سلسلة جب) ، بعناية « هرشفلد » ليدن ١٩١٠ (ص ٤٤) :

فلو سئلت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقى بقية جرهما

(٦) Ency. Vol, I. P. 1066.

وظلت جماعة منها تعيش على ساحل البحر الأحمر المقابل لمكة الى أواخر القرن الثاني للهجرة [1] . ومن بقايا جرهم العبيديون في اليمن [2] . هذا وان ما ذكره الطبري من وجود علاقة بين جرهم ولحيان يستند الى حقيقة [3] .

وقد ذكر الهمداني أن موضعا كان بمكة يقال له « دوحة الزيتون » كان مقبرة من مقابر جرهم ، وأن أشخصا دخلوا المقابر فوجدوا أشياء ثمينة من مصوغات وكتابات [4] .

ويرى فورستر أن جرهما هي « Charmaei » [5] ، وهو رأي بعيد في نظري ؛ لأن « بلينيوس » وضع هذا الشعب على مقربة من المعينيين ، وقد ذكر اسمهم « اسطيفان البيزنطي » [6] ، ويدل ذلك على أنهم كانوا لا يزالون يعرفون بعد الميلاد عند بعض الكتبة الغرباء .

وذكر النسابون أن « قطوراء » « قطورا » كانوا ابناء عم جرهم ، وكانوا ظعنا من اليمن فأقبلوا سيارة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء السميدع ، فاستقروا بمكة [7] . وعاشوا مع جرهم والعدنانيين أبناء اسماعيل بمكة بعد هجرتهم من اليمن ، ولم يتعمق النسابون في البحث عن اصل قبيلة قطوراء [8] .

واذا رجعنا الى التوراة نجد انها ذكرت اسم زوجة من زوجات ابراهيم سمتها « قطورة » ، وقد تزوجها بعد وفاة زوجته سارة وولدت له ستة بنين [9] تفرع منهم زهاء ست عشرة قبيلة يرى علماء التوراة أنها كانت قبائل عربية . وقد ذكرت التوراة أن أولادها الستة هم : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا . ومن أولاد يقشان : شبا ، وددان . ومن مديان : عيفة ، وعفر ، وحنوك ، وابيداع ، والدعة [10] . وكان بنو ددان : اشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم [11] .

---

(1) Ency. Vol, I. P. 1066.

(2) صفة جزيرة العرب (ص ١٨٨) .

(3) الطبري ١/٧٤٩ (طبعة دي غوية) . Ency. Vol, I. P. 1066.

(4) الأكليل ٨/١٦١ فما بعدها (طبعة نبيه) ١٨٣ فما بعدها (طبعة الكرملي) . أبو الفداء مختصر تأريخ البشر ١/٧٧ (القسطنطينية ١٢٨٦) .

(5) Forster, Vol, I. P. 133.

(6) Ency. Vol, I. P. 1066.

(7) سيرة ابن هشام ١/١٢٣ (طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد) . « قال ابن اسحاق وكان اخوه « الضمير يعود الى جرهم » قطوراء اول من تكلم بالعربية عند تبلبل الالسنة » . تاج العروس ٨/٢٢٧ .

(8) « قطورا بنت يقطان » ابن خلدون (٢/٣٨) .

(9) التكوين (٢٥-١) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢١) .

(10) التكوين (٢٥-١) ، اخبار الايام الاول (١-٣٢ فما بعدها) .

(11) التكوين (٢٥-٣) .

ويرى كثير من علماء التوراة أن قطوراء هى « قطورة » التوراة [1] ، خاصة بين أسماء أبناء قطورة أسماء قبائل معروفة يرجع علماء التوراة أصلها الى العرب مثل : شبا ، ودان ، ومدين [2] • وقد ذهب « كلاسر » الى أنهـا من بقايا المعينيـين ، والى أن القطوريين كانوا يقطنون على امتداد الطريق القديم الممتد من اليمن الى الشام : الطريق الذى كانت تسلكه القوافل التجارية التى كانت تعود محملة بالبخور • ويرى من معنى كلمة « قطورة » ، وهـو البخور ، ما يؤيد رأيه أن مواطن القطوريين كانت فى هـذه المواضع التى تجتازها قوافل البخور [3] •

وقد حاول ايجاد صلة بين أسـماء بعض المواضع فى هـذا المكان وبين الأسـماء المذكورة فى التوراة على أنها من نسل قطورة ، فذكر مثلا أن من المحتمل أن يكون موضع « عفار » ـ وهو مكان بين مكة والطائف ـ هو « عفر » من ابناء مديان (مدين) [4] ، وموضع « الحنكية » ـ وهو موضع فى منطقة المدينة ـ هو « حنوك » [5] ، كما أن هنالك أسماء وردت فى النصوص المعينيـة والسبئيـة تشبه هذه الأسـماء الواردة فى التوراة قد يكون لها علاقة بها • ويظهر من هذا أن التوراة كانت ترى وجود فرع آخر للقبائل العربية هو فرع قطورة زوجة ابراهيم ، وهو فرع لم يعرفه النسابون [6] ، كمـا أن المستشرقين وعلماء التوراة لم يتمكنوا من معرفته حتى الآن •

وهذا الفرع يحتاج الى دراسـة ، ولم يثبت حتى الآن أنه كان يقيم على طريق التجارة الشهير الذى يمر من اليمن الى الشام حسب ، فبين بعض القبـائل « القطورية » قبائل كانت تقيم ـ على ما يظهر من الكتابات الآشورية وغيرها ـ فى بادية الشام ، وبعضها فى طور سيناء • وبينها قبائل لا يعرف أصلها ولا صلاتها بالقبائل العربيـة ؛ لذلك يجب الحذر من التسرع فى الحكم •

وانتقل الملك ـ على رأى الأخباريين ـ من يعرب الى ابنه يشـجب ، ويقـال له « يمن » ، ومن ولده عبد شمس ، ويقال له عامر ويلقب بسبأ ، زعموا أنه هو الذى بنـى

---

(١) Hastings. P. 514. Ency. Bibl. P. 2660 Ritter. erdkunde 12. 29.

(٢) Hastings. P. 514.

(٣) Glaser. Skizze. 2. P. 449.

(٤) Glaser. Skizze. 2. P. 449.

(٥) Glaser. Skizze. 2. P. 449.

(٦) الهلال : العدد المتقدم (ص٧٧٦) •

قصر سبأ ومدينة مأرب ، وأنه فتح مصر وبنى بها مدينة عين شمس ، وأنه أول من سن السبى ؛ ولذلك عرف بسبأ [١] ، وغير ذلك مما يقصه علينا أهل الأخبار .

ونسل « سبأ » عددا من الأولاد أشهرهم : حمير المعروف عند النسابين « بالعرنج » ، و « كهلان » ، و « الأشعر » ، و « بابلون » الذى ولى مدينة عين شمس بمصر ، و « زيدان » ، و « عمرو » ، و « عاملة » ، و « أنمار » ، و « مر » [٢] . وقد أولد كل واحد من هؤلاء عددا من الأولاد نسلوا أولادا ، ثم نسل أولادهم أولادا ، وهكذا . ومن مجموع هؤلاء الأجداد والآباء والحفدة تكون القحطانيون .

وقد أوردت كتب الأنساب أسماء هذه القبائل وطبقاتها ، لذلك لا أرى الحديث عنها فى هذا المكان ، بل أترك ذلك الى الجاهلية القريبة من الاسلام ، حيث يرد ذكرها وكذلك ذكر القبائل العدنانية هناك .

العرب المستعربة :

وأحدث طبقات العرب عهدا بالعربية هى طبقة « العرب المستعربة » على رأى الأخباريين ويقال لهم العدنانيون أو النزاريون أو المعديون . وهم من صلب اسماعيل بن ابراهيم وامرأته « رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى » [٣] . قيل لهم « العرب المستعربة » لأنهم انضموا الى العرب العاربة من الأمم المجاورة ، وليسوا عربا فى الأصل [٤] ، فهم فى المنزلة الثالثة فى العربية [٥] . وهذا القول هو من وضع النسابين القحطانيين ولا شك . وولد اسماعيل من زوجته « رعلة » اثنى عشر رجلا هم : نابت وكان أكبرهم ، وقيذر ، وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشى ، ودما ، وأذر ، وطيما ، ويطور ، ونبش ، وقيذما [٦] . وأكثر هذه الأسماء ورودا فى الكتب العربية نابت

---

(١) ابن خلدون (٢/٤٧) ، التيجان (ص ٤٩) .
Ency. 4-1160. Wüstenfeld. Register. P. 388.

(٢) المصادر المذكورة .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١ (طبعة محمد محيى‌الدين عبدالحميد) .السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ابن خلدون (٢/٣٧) ، الطبرى (١/١٦١) ، الكامل لابن الأثير (١/٤٩) . الطبقات ١/١ ص ٢٥ . تاج العروس ١/٣٧٥ ، « ونابت بن اسماعيل عليه السلام ولى بعد ابيه ، أمه السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى » تاج العروس ١/٥٩٠ .

(٤) خلاصة (ص ٤١) . (٥) فجر الاسلام (ص ٧) .

(٦) سيرة ابن هشام (١/٣) . ابن خلدون (٢/٣٩) مع اختلاف في ضبط الأسماء . الطبري (١/١٦١) ، الكامل (١/٤٩) .

وقيذر . وقد أخذ النسابون هذه الأسماء من التوراة [١] ، جاء في التوراة : « هذه أسماء بني اسماعيل بأسمائهم على حسب مواليدهم نبايوت بكر اسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمة » [٢] .

ولم تذكر التوراة اسم المرأة التي تزوجها اسماعيل ، فأولدها هؤلاء الأولاد الذين انتشروا فسكنوا في منطقة تمتد من « حويلة » الى « شور » [٣] .

وقدسبق أن تحدثت عن «حويلة» وقلت انآراء العلماء غيرمتفقة على تعيين مواضعها ، اذ ذهب بعضهم الى أنها في الاقسام الشمالية الشرقية من بادية الشام ، ورأى آخرون أنها في وسط أو في القسم الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة [٤] ، أي في « العربية السعيدة » . وعندي أن الموضع يجب أن يكون قريبا من فلسطين ؛ اذ ورد في أسفار « صموئيل الأول » أن « شاؤل » ضرب « العماليق » من « حويلة » الى « شور » [٥] ، ولا يعقل وصول « شاؤل » الى مكان بعيد عن فلسطين فلم تكن للاسرائيليين قوة كبيرة تصل الى موضع يقع في شمال شرقي بادية الشام أو شمال شرقي العربية السعيدة ، اى على رأس سواحل الخليج الفارسي في الكويت او في مناطق تقع في شمال نجد في جبل شمر مثلا ، لذلك ارى ان هذا الموضع يجب ان يكون في مكان يقع في المملكة الاردنية أو في أعالي الحجاز .

وأما « شور » ، فموضع في البرية الى الجنوب الغربي من فلسطين ، ويسمى برية « ايثام » ، وهو برية تيه بني اسرائيل [٦] على رأي غير ان أكثر علماء التوراة لم يتفقوا على تعيين موضعه حتى الآن [٧] .

ويعترف العبرانيون بقرابتهم من « الاشماعيليين » ، والظاهر أنهم كانوا قد أمضوا عهدا كبيرا في تأريخ شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين ، ويظهر من التوراة أنهم كانوا

---

(١) ابن خلدون (٢/٣٩) . (٢) التكوين (٢٥ ، آية ١٢ فما بعدها) .
(٣) التكوين : اصحاح ٢٥ ، آية ١٨ (٤) Hastings. P. 333.
(٥) صموئيل الأول : اصحاح ١٥ ، آية ٨ .
(٦) قاموس الكتاب المقدس (١/٦٤١) .
(٧) Hastings. P. 852. Ency. Bibl. P. 4498. راجع رأي موسل في «شور» في كتابه The Northern Hegaz, P. 261. 265 ff.

يعيشون في البوادي عيشة الاعراب[١] • بالقياس الى «اليقطانيين» ، وقد ذكروا على أنهم كانوا في أيام « داوود » ، ونظر اليهم العبرانيون نظرة عــداء ؛ لأنهم أخــذوا يتعرضون لهم ويهاجمونهم كما يظهر ذلك من التوراة •

ونحن لا نعرف شــيئا ثابتا عن « الاشماعيليين » ولا عن لهجاتهم وان كان بعض العلماء يرون أنها قريبة من اللهجات العربية الشمالية والأرمية [٢] استنادا الى ما ورد في النصوص الآشورية من أسماء أصنام بعض قبائلهم مثل قبيلة « قيـدار » التي حاربت الآشوريين ، فاستولى الآشــوريون على صنمها « عثتر ســمائين » ، ووجود أســماء « يطورية » قريبة من الأسماء العربية [٣] • غير أن هـــذه الأمثلة قليلة جـدا ، ولا يستطيع الانسان أن يصدر حكما على قواعد لغوية استنادا الى حفنة من الأسماء •

و « نبايوت » هو بكر اسماعيل ، ونحن لا نعرف طبعا الأسباب التي جعلت التوراة تعده أسن أولاد « اسماعيل » ، أراعت في ذلك بعد القبيلة أم قربها من العبرانيين ، أم ضخمها وكثرة عددها بالقياس الى القبائل الاسماعيلية الأخرى ، أم أمورا أخرى جعلت العبرانيين ينظرون اليهم على أنهم أقدم تلك القبائل ؟ فليس في التوراة قواعد ثابتة تمشى عليها كتبة العهد القديم في تدوين الأنساب • وقد جعل الأخباريون « نبايوت » أيضــا الابن البكر لاسماعيل ، ولا ننتظر بالطبع حدوث غير ذلك • وقد أخذوا روايتهم هـــذه من التوراة •

وقد جعل بعض الأخبــاريين « نبايوت » « نبتا » أو « نابتـــا » ، وجعلوه والدا « ليشجب » [٤] ، و « يشجب » هو ابن « يعرب » على رواية أكثر الأخباريين ، أو والد « يعرب » على رأى بعضهم [٥] •

وقد عدت التوراة « نبايوت » من اهم القبائل « الاشماعيلية » [٦] ، والظاهر انهم كانوا من القبائل القوية ، وقد ورد اسمهم في الكتابات الآشورية « Nabaitu » مــع قبيلة « قيــدار » « Kidru » و « أريبى » [٧] ، ويدل ذلك على أنهــم من القبــائل

---

(١) Ency. Bibl. P. 2211 ff. Hastings. P. 392.
(٢) Ency. Brita. Vol, 12. 706.
(٣) Ency. Bibl. P. 2214.
(٤) سيرة ابن هشام (١/٥) •
(٥) ابن خلدون (٢/٤٦ـ٤٧) •
(٦) Hastings. P. 648.
(٧) Ency. Bibl. P. 2213. 3365. Schrader, KAT. 2. 147. Delitzch, wo lag das Paradies ?, 296.

الشمالية ، ويدل ورود اسمهم في التوراة وفي الكتابات الآشورية مقرونا باسم « قيدار » على أنهم كانوا متجاورين • ولم تعين التوراة مواضعهم ولا النصوص الآشورية ، غير أن ورود اسمهم مع « قيدار » وفي مطلع قائمة « الاشماعيليين » واقترانه بالأدوميين عن طريق المصاهرة[١] ، ووقوف العبرانيين على أخبارهم ، يدل كله على أنهم كانوا يقيمون في المناطق الواقعة في جنوب شرقي فلسطين وفي الأقسام الجنوبية الغربية من بادية الشام •

وقد ظن بعض العلماء أنهم « النبط » [٢] ، ويظهر أنهم ذهبوا الى ذلك من تشابه « نبايوت » « Nabaioth » و « نبط » « Nabataens » ، غير أن هذا رأي غير صحيح في نظر أكثر علماء التوراة [٣] ، وفرق بين « نبايوت » و « نبط » • وقد كانت « نبايوت » مشيخة أو مملكة مستقلة حكمت ـ على رأي كلاسر ـ في « القصيم » [٤] ، وقد كانت معاصرة لمملكة « عريبي » ، وكانت لاتزال مستقلة في أيام الفرس[٥] •

وقد كان بين الأوس قوم يقال لهم « النبيت » افتخر بهم الشاعر قيس بن الخطيم من شعراء الجاهلية ، وقد قتل قبل الهجرة ، ومدحهم ووصفهم بالشدة والبأس [٦] ، كما كان في اياد قوم يقال لهم النبيت[٧] •

وكان نبيت الأوس يتألفون من « ظفر » رهط الشاعر قيس بن الخطيم ، ومن عبدالأشهل ، وحارثة [٨] • وقد وقعت بينها حروب ومعارك ، فانضمت حارثة الى الخزرج وتحالفت معها ودخلت فيها • وأما ظفر وبنو عبدالأشهل ، فقد اضطروا أخيرا

---

(١) التكوين : اصحاح ٢٨ ، آية ٩ •

(٢) Ency. Bibl. P. 2213. Hastings. P. 648. « النبط » « النبيط » « الانباط » « نبطي » « قال ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط » تاج العروس ٥/٢٣٩ •

(٣) Ency. Bibl. P. 2213. Hastings. P. 648-649.

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 266-267.

(٥) Schrader, KAT. P. 151. Hommel, AHT. 275.

(٦) شعر قيس (ص ٩ ، ١٠ ، ٣٨) :

ويثرب تعلم أن النبيـ ـت رأس بيثرب ميزانها
وقد علموا أن ما فلهم حديد النبيت وأعيانها

• • • • • •

فلا اعرفنكم بعد عز وثروة يقال ألا تلك النبيت عساكر

(٧) شعر قيس (ص ٩) • « والنبيت أبو حي ، وفي الصحاح حي من اليمن » اللسان ٢/٤٠٢ ، تاج العروس ١/٥٨٩ •

(٨) شعر قيس : القسم الألماني (ص XX) •

الى ترك ديارهم والذهاب الى مكة للتحالف معهم أو مع اليمن أو الغساسنة أو المناذرة ، لمساعدتهم على الخزرج ، ولاسترداد ملكهم[١] . والظاهر أنهم كانوا قديما من القبائل القوية ، وكانت فى الحرار الشرقية ، ثم أفل نجمها ، وتشتت شملها بسبب الحروب التى وقعت بين بطونها . ولعلها من القبائل التى كانت تقيم فى الشمال فى العربية الحجرية أو العربية الصحراوية ، ثم اضطرت الى الهجرة الى الجنوب والاستيطان فى مناطق الحرار . والظاهر أنها كانت على اتصال باليهود ، وقد تحالف معها يهود خيبر .

ويذكرنا هذا الاسم باسم « نبت » أو « نابت » فى الكتب العربية ، وهو ابن اسماعيل ، و « بنبايوت » التوراة .

والولد الثانى من أولاد اسماعيل هو « قيدار » ، وهو فى الكتب العربية « قيدر » و « قيذار » و « قيذر » [٢] . وهو كناية عن قبيلة عربية ورد اسمها فى النصوص الآشورية بصورة « Kidru » و « Kadru » [٣] ، كما ورد اسمها فى المؤلفات « الكلاسيكية » ، فقال لهم « بلينيوس » « Cedrei » ، وذكر أنهم قبيلة عربية كانت تقيم على مقربة من « النبط » [٤] . وقد حاربهم « آشوربنبال » ، وكان ملك « قيدار » فى ذلك العهد الملك « أوأيطع Uaite » ابن « خزاعيل Hazael »[٥] ، وقد ذكرهم « آشوربنبال » مع « عريبى » « أريبى » ، وكانت مملكة يحكمها ملوك ، كما ذكرهم « حزقيال » حيث جمع بينهم وبين العرب « العرب وكل رؤساء قيدار » [٦] مما يشير الى

---

(١) شعر قيس : القسم الألمانى (ص XXII) .

(٢) الطبرى (٢/١٩٣) ، « قيذر » منتخبات (ص ٨٤) ، مروج الذهب (١/٣٩٤) ، ابن خلدون (٢/٢٩٨) . «وقدار بن سالف الذى يقال له أحيمر ثمود عاقر الناقة ناقةصالح عليه السلام » تاج العروس ٣/٤٨٣ « وقيذار بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وهو ابو العرب وقد قيل فى نبوته أيضا ، وله مشهد يزار قريبا من السلطانية بالعجم ، وأعقب من ولده حمل بن قيذار وله ابن آخر يقال له سوارى ، ويقال له قيذر كحيدر ، وقاذر ففى حديث كعب قال الله لرومية : انى اقسم بعزتى لاهبن سبيك لبنى قاذر أى بنى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام يريد العرب . » تاج العروس ٣/٤٨٥ .

(٣) Schrader KGF. 101 KAT. 147 f. Delitzch, wo lag das Paradies ?. 299.

(٤) Pliny 5, 21. §. 65. Ency. Bibl. P, 2213. Forster, Vol, 1. P. 238 ff.

(٥) Musil, Deserta. P. 485.

(٦) حزقيال اصحاح ٢٧ آية ٢١ .

أن أرضى « قيدار » كانت تجاور أرض « عريبى » ، كما يدل ذكرهم بعد « نبايوت » فى التوراة على أنهم كانوا يقطنون فى شرق « نبايوت » .

يظهر من الكتابات الآشورية ومن التوراة والكتب « الكلاسيكية » أن القيداريين كانوا شعبا قويا ، تغلب عليهم البداوة ، ويعيشون فى الخيام ، عيشة الأعراب (١) . وقد وصفت خيامهم فى التوراة بأنها خيام سود ، « أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان » (٢) . وكانوا يعتنون بتربية المواشى ، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كثيرة (٣) .

وكان من القيداريين حضر يسكنون المدن ، ومنهم من يقيم فى مناطق صخرية . وقد أطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التى أقاموا فيها كلمة « حصور » « Hasor » و « وتعنى هذه الكلمة ما تعنيه كلمة « حيرتا » « Herta » فى « الارمية » و « الحيرة » فى العربية (٤) . وقدتحدثت عنهم فى معرض الكلام على « حضورا » ، وقلت : ان التوراة تحدثت عن ارسال « بختنصر » حملة عليهم ، ويظهر من أخبار الحملة الواردة فى التوراة أنها أوقعت خسائر جسيمة بالقيداريين ، وحولت المناطق التى كانوا يقيمون بها الى خراب كما جاء ذكر ذلك فى اسفار أرمياء : «وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة الى الأبد لا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن آدم » (٥) .

يظهر من اخبار حملة « آشوربنبال » على قيدار ومن الروايات الواردة فى التوراة عنهم أن « القيداريين » كانوا شعبا قويا ، ولا بد أن تأريخهم يرجع الى ما قبل هذه الحملة ، وقد يصل الى الألف الثانية قبل الميلاد . ويظهر أنهم كانوا يهاجمون مع « نبايوت » و « عريبى » وقبائل عربية أخرى حدود المملكة الآشورية وقوافل الآشوريين ، لذلك اضطروا الى تجريد حملات عليهم ، وقد شهدوا نهاية حكومة « اسرائيل » ، وعاشوا الى ما بعد ذلك (٦) .

ويرى علماء التوراة أن « أدبئيل » « Adbeel » كناية عن قبيلة عربية أخرى كانت تقيم فى جنوب غربى « البحر الميت » (٧) ، ويظن أنهم قبيلة Idiba'ila »

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٢٣٠) .
(٢) نشيد الأنشاد ، الاصحاح الأول ، آية ٥ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٢٣٠) .
(٤) Musil, Deserta, P. 490.
(٥) أرمياء : اصحاح ٤٩ ، آية ٢٢ . Montgomery, Arabia and the Bible. P. 45.
(٦) Schrader, KAT. P. 151.
(٧) Ency. Bibl. P. 2213.

أو « Dibi'ila » (١) التي ورد اسمها في كتابة تعود الى « تغلاتبلزر الثالث » (٢) .
وقد ذكر هذا الملك أنه عين نائبا عنه أو « مندوبا ساميا » « قيبو Kepu » على خمسة عشر موضعا في أرض « عسقلان » ، وكان اسمه « أدبئيل idibi'il » ، وهو شيخ قبيلة تدعى بهذا الاسم أيضا ، وهي القبيلة التي نتحدث عنها الآن ، وتقع منطقة هذه القبيلة على مقربة من الحدود المصرية وفي الجنوب الغربي من « غزة » (٣) . والظاهر أنه فوضه أمر حماية الحدود والمحافظة عليها من الغزو (٤) .ويظهر من أقوال المؤرخ اليهودي « يوسفوس Josephus »أن هذه القبيلة كانت من القبائل « الاشماعيلية » الموجودة في أيامه (٥) .

ويلي « أدبئيل » في تسلسل أولاد « اسماعيل » « مبسام » « Mibsam » ، وقد قيل له في بعض الكتب العربية « ميشا » . ولا نعرف من أمر هذه القبيلة شيئا (٦) ، ولا نعرف من أمر « مشماع » أو « مسمع » كما ورد في بعض الكتب العربية شيئا كذلك ، ويتصور بعض العلماء أن لهذا الاسم علاقة بقبيلة « بني مسماع » (٧) أو « جبل مسماع » « جبل مسمع » قرب تيماء (٨) .

ويرى « فورستر » أن « مشماع » هي قبيلة « Masmaos » التي ذكرها « يوسفوس » على أنها من القبائل العربية التي كانت تعيش في ايامه في شبه جزيرة العرب (٩) .
ويرى « فورستر » أيضا أن قبيلة « Masaemanes » التي ذكرها « بطلميوس » هي هذه القبيلة كذلك (١٠) .

و « دومة » هو « دوما » في بعض الكتب العربية ، وهو كناية عن موضع دومة

---

(١) Hastings. P. 12. Delitzch. Paradies. P. 301. Ency. Bibl. P. 65.

(٢) « تغلا تبليزر الرابع » عند « ألويس موسل » Musil, Hegaz. P. 291. Deserta. P. 278-279.

(٣) Musil, Hegaz. P. 291. Deserta. P. 478.

(٤) Schrader, KAT. P. 58.

(٥) Forster, 1. P. 266.

(٦) Forster, Vol, 1. P. 273 ff. Ency. Bibl. P, 3067. Musil, Deserta. P. 479.

(٧) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٤٤) . «ومنسى وهو منشى ومسمع وهو مشماعة» الطبقات ١/١ ص ٢٥ .

(٨) Ency. Bibl. P, 3154.

(٩) Forster, 1, P, 274.

(١٠) Forster, Vol, 1, P, 274.

الجندل [١] ،وقد أطلق عليه « بلينوس » « اسم « Domatha » [٢] ، وعرفه بطلميوس كذلك وسماه « Dumaetha » [٣] ، وهو موضع « أدومو Adumu » الذى ورد فى كتابات اسرحدون وسنحريب على رأى بعض العلماء [٤] • وسيأتى الحديث عنه •

وقد ورد اسم « مسا » « Massa » فى النصوص الآشورية مقرونا بـ « تيماء » الواحة الشهيرة • ورد فى تلك النصوص على صورة « Mas'a » ، ويرى « ألويس موسل » أنه كناية عن قبيلة كانت منازلها في شرق وجنوب شرقى « موآب » [٥] •

ويظهر من الكتابات الآشورية أنها كانت تقيم في الأرضين الجنوبية من وادى السرحان ، وفى غرب منازل « عربى » [٦] • وجاء فى كتابة أرسلها أحد « المقيمين » الآشوريين الى ملك آشورى لم يرد اسمه فى الكتابة ، وصف فيها الحالة السياسية ، أن « ملك قمرو » « مالك قمرو » ابن « عميطع » شيخ قبيلة « مسا » « Mas'a » غزى قبيلة « Niba'ati » وقتل عددا منها [٧] • والظاهر أن هذه القبيلة هى القبيلة المذكورة فى التوراة •

ويعرف « حدد » «Hadad» أو « حدار » « Hadar » فى الكتب العربية بأدد[٨] • وأما « تيما » ، فانه « طما » ، وهو كناية عن « تيماء » ذات الموقع الممتاز فى التجارة العالمية القديمة [٩] ، وسنتحدث عنها فيما بعد • ويقصد « بيطور » وهو « وطور » فى الكتب العربية ، قبيلة عرفت فى الكتب « الكلاسيكية » بـ « ituraea » [١٠] ، وقد حاربت العبرانيين ، وكانت تقيم شرقى نهر الأردن فى أيام الملك « شاؤول » ، ويظهر أنها هاجرت نحو الشمال فسكنت فى الأقسام الجنوبية من لبنان وفى الحافات الشرقية من جبال لبنان • وقد أجبر الملك اليهودى « أرسطوبولس الأول » « Aristobulus I»

---

(١) « ودما وهو دوما وبه سميت دومة الجندل » الطبقات ١/١ ص ٢٥ •

(٢) Pliny, 6, 28 §. 157. Forster, I. 281. (٣) Forster, I. P. 281.

(٤) Ency. Bibl. P. 1142. 2213. Musil, Deserta, P. 480. ff

(٥) Musil, Hegaz. P. 288. Hastings. P. 591 Ency, Bibl. P. 2213. 2972.

(٦) Musil, Deserta. P. 478.

(٧) Musil, Deserta. P. 478. Delitzch, wo lag das Paradies ?. P. 302. Rawlinson, Cuneiform Inscriptions. Vol, 4. Pl. 54. No I.

(٨) Hastings. P. 323. Ency. Bibl, P. 1930.

(٩) Hastings. P. 897. Ency. Bibl, P. 2213

(١٠) Forster, Vol, I. P. 310. Ency. Bibl, P. 2213.

« ١٠٧ قبل الميلاد » قسما من اليطوريين الذين احتل العبرانيون أرضيهم على التهود [١] ، وكان لهم ملوك وفي ايام ملكهم « Sohumus » لعله «سحيم» او «سخيم» أدخلت أرضيهم في مقاطعة « سورية » في سنة ٥٠ بعد الميلاد ، وكانت دمشق قد كابدت مصائب شديدة من غزوات اليطوريين [٢] .

و « نافش » « Naphish » هو « نفيس » عند الأخباريين [٣]. وأما « قدمة » ، فهو آخر أبناء « اسماعيل » ، وهو « قيدمان » في بعض الكتب العربية [٤]. ولا يعرف من أمره شيء ، ويرى بعض العلماء أن لهذا الاسم « Kedemah » علاقة بالقدمونيين « Kedmon » و « بني قديم » « Bene Kedem » أي « أبناء الشرق » ، وذلك بالنسبة الى سكناهم في شرق « العبرانيين » وفي بادية الشام [٥] . وزعم « فورستر » أنه « كاظمة » « رأس كاظمة » الواقع الى جنوب العراق على رأس الخليج [٦] .

عدنان :

وعدنان في نظر العدنانيين هو الجد الأعلى لهم [٧] ، كما أن قحطان هو الجد الأعلى للقحطانيين . وحيث ان الطبقة الأولى من العرب قد بادت وذهبت ، تكون العرب الباقية كلها من ولد عدنان وقحطان ، استوعبا شعوب العرب كلها .

وقد رأينا أن « قحطان » هو « يقطن » أو « يقطان » في التوراة . أما « عدنان » ، فلا نجد له اسما فيها ، وقد رأينا أن بين « يقطان » و « سام » ثلاثة آباء أو أربعة . أما بين عدنان وسام ، فعدد كبير من الآباء .

وقد اختلف النسابون في عدد من كان بين اسماعيل وعدنان من الآباء ، فرأى بعضهم أنهم أربعون ، وروى غيرهم أنهم عشرون ، وقال آخرون انهم خمسة عشر شخصا ، وقالت جماعة ان المدة طويلة بين عدنان واسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن

---

(١) Ency. Bibl, P, 2213. Josephus, Anti. XIII, 11, 3.

(٢) Ency. Bibl, P, 2213.

(٣) Ency. Bibl., P. 3331. Hastings. P. 645.

(٤) الطبري (١/١٦١) و « قيذما » الطبقات (١/١ ص ٢٥) .

(٥) Ency. Bibl., P. 2654. Hastings. P. 512.

(٦) Forster, Vol, 1. P, 313.

(٧) تاج العروس ٩/٢٧٥ .

يكون بينهما هذا العدد من الآباء [١] .

وقد اختلف الاخباريون وأصحاب الأنساب في نسب عدنان اختلافا كبيرا [٢] ، واختلفوا بينهم حتى في كيفية النطق بتلك الأسماء ، على حين أننا لا نرى اختلافا بينهم في نسب قحطان ، ولا في كيفية النطق بتلك الأسماء . وقد علل محمد بن سعد الواقدي ذلك بقوله : « وكان رجل من أهل تدمر يكنى ابا يعقوب من مسلمة بني اسرائيل قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمهم ، فذكر أن بورخ بن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب وعلمائهم مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهـذه الأسماء . ولعل خلاف مابينهم من قبل اللغة ؛ لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية » [٣] .

ويقول الواقدي في موضع آخر : « وهذا الاختلاف في نسبته يدل على انه لم يحفظ وانما أخذ ذلك من أهل الكتـاب ، وترجموه لهم ، فاختلفوا فيـه . ولو صح ذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم النـاس به . فالأمر عنـدنا على الانتهـاء الى معد بن عدنان ، ثم الامساك عما وراء ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم » [٤] . ونقل ابن خلدون رأي من تقدمه في هذا الاختلاف ، فقال : « ونقل القرطبي عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيدار نحوا من أربعين أبا وقال سمعت رجلا من أهل تدمر من مسلمة يهود وممن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان الى اسماعيل من كتاب ارمياء النبي عليه السلام ، وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء الا قليلا ، ولعل الخلاف انما جاء من قبل اللغة لأن الأسماء ترجمت من العبرانية » [٥] .

---

(١) الطبري (٢/١٩١) ، سـيرة ابن هشام (١/٣ وما بعـدها) ، مروج الذهب (١/٣٩٤) ، الطبقات القسم الأول من الجزء الأول (٢٨ــ٢٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٨) ، نسب عدنان وقحطان للمبرد (ص ٢)، صبح الأعشى (١/٣٠٧). Ency. Vol, I. P. 142. Wüstenfeld, Register zu den Geneal. Tabellen der Arab. Stämme, P. 47. Caussin de Perceval, Essai I. 8. 175. J.D. Bate, An examination of the Claims of Ishmael, 1884. P. 109. Sprenger, Life Of Mohammad, 57 Note. 3 and 4. Mills, History of Mohommadanism, 7. Pocock, Specimen, 40.

(٢) نهاية الأرب (٢/٣٠٦) . (٣) الطبقات (١/١ ص ٢٩) .

(٤) الطبقات الكبير (١/١ ص ٢٩) « ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحـدا يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت » (ص ٣٠) .

(٥) ابن خلدون (٢/٢٩٨) « وانتسب النبي صلى الله عليه وسلم الى عدنان وقال : كذب النسابون . فما بعد عدنان فهي اسماء سريانية لايوضحها الاشتقاق . » كتاب الاشتقاق (١/٢٠) .

ويخيل الى أن أصحاب الأنساب رغبوا فى تكوين نسب متصل غير منقطع يربط بين العدنانيين واسماعيل ، لذلك لجأوا الى أهل الكتاب يلتمسون منهم العون ، وقد استغل ذلك بعض أهل الكتاب ، وفيهم ناس من الأدعياء فأخذوا يعطونهم ما عندهم من قصص واسرائيليات ، وتحدثوا لهم أن لهم علما بنسب عدنان وأنه موجود عندهم فى كتب الله ، وأعطوهم أنساب ما بين آدم واسماعيل [1] وأنساب ما بين اسماعيل وعدنان ، الى غير ذلك . وأما أنساب ما تحت عدنان من أولاد ، فنجد أنها أنساب عربية صحيحة لا علاقة لها بالتوراة . وهى أسماء ليست قديمة كما تصور ذلك علماء النسب على كل حال ، لم يتناولونها من أهل الكتاب .

ويقول بعض النسابين : ان لديهم علما باسم والد « عدنان » ، وانه كان يسمى « أدد » [2] ، ولكنهم لم يتحدثوا بشيء عنه . ونحن لانعرف كيف وصل هذا الاسم الى علمهم ، ولعل هنالك صلة بين « أدد » و « أد » . وقد ذكر بعض الرواة أن والد « عدنان » هو « أد » [3] . وقال علماء اللغة : ان هذا الاسم من « أد » وهو فعل من المودة ، « قلبت الواو ألفا لانضمامها » [4] . ونجد بين آلهة الشعوب السامية اسم صنم يقال له « أدد » « Adad » و « أدو » « Addu » [5] ، فلعل لاسم هذا الصنم علاقة باسم « أدد » .

وقد ذكر الأخباريون أن « ودا » ، وهو الصنم الشهير الذى تغلب على دومة الجندل وتعبدت له « كلب » و « قريش » ، كان يهمز أيضا ، فيقال « أد » ، وبه سمى عبد ود ، كما سمى أد بن طابخة وأدد جد معد بن عدنان [6] .

---

(١) « واتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه فى التوراة ، وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب .... » نهاية الأرب (٣٠٦/٢) .

(٢) الطبرى : ــ طبعة أوربة ــ (٦٧٣/١ــ٦٧٤ ، ١١١٢ــ١١١٤ ، ٣٢٠٣) « عدنان ابن أدد بن يرى بن أعراق الثرى » الطبقات (١/١ ص ٢٨) . « عدنان بن أدد بن الهميسع ابن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أبى بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس ابن تدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيفى بن عبقر بن عبيد ابن الدعا ... الخ ... » وهى سلسلة طويلة مفتعلة رواها ابن الكلبى ، ويظهر أنها من وضعه . « وعدنان بن أد بن أدد بن الهميسع » تاج العروس ٢٧٥/٩ .

(٣) نهاية الأرب (٢٧٦/٢ ، ٣٠٨) ، سيرة ابن هشام (٥/١) .

(٤) لسان العرب (٤٦٩/٤) .

(٥) Schrader, KAT. P. 443 ff.

(٦) لسان العرب (٤٦٩/٤) .

فالظاهر اذن أن اسم « أدد » والد عدنان انما أخذ من اسم الصنم ود ، ولم تقل الرواة متى وضع هذا الاسم ، ولا فائدة من قولهم هذا بالنسبة الينا ، فلو قالوه ، لذكروا بالطبع أن ذلك كان فى الجاهلية البعيدة ، وأنه كان اسم شخص حقيقى عاش وتزوج وأولد ومات .

وقد حذف محمد بن اسحاق اسم « أدد » من شجرة نسب عدنان ، ووضع شخصا آخر مقامه دعاه « مقوما » ، وساق نسبه على هذه الصورة : « عدنان بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل » (١) ، وساق نسبه فى مكان آخر بصورة أخرى . والغريب أن الرواة الذين رووا هذه الأنساب التى تنتهى بهم فى الغالب كابن الكلبى ومحمد بن اسحاق ، هم أنفسهم يروون هذا النسب بأشكال مختلفة ومتضاربة ، وطالما حرفوا الأسماء العبرانية ، ورووها بصور متعددة ، وقد يحشون بينها أسماء عربية ، وقد روى رواياتهم هذه أناس متعددون ، ولكنهم متفقون على أنهم سمعوها منهم . ولما كان أكثر هذه الأسماء الواردة فى عمود نسب « عدنان » محرفة ، وكانت غير موجودة فى التوراة ، فان هذا يدل على أن رواة يهود الذين كانوا يتحدثون بمثل هذه الأمور الى ابن الكلبى ومحمد بن اسحاق وغيرهما ممن مال الى الأخذ منهم ، كانوا اما جهلة بما يتحدثون به ، واما أنهم كانوا يكذبون أو أنهم كانوا يحاولون التقرب الى المسلمين بهذه التلفيقات لمآرب خاصة . غير أننا لا نستطيع أن نبرىء هؤلاء الرواة أنفسهم من وصمة الجهل أو الكذب ، ولا سيما ابن الكلبى الذى تفرد برواية معظم هذه الأخبار . فمن الجائز أنه كان يلجأ الى أهل الكتاب ليأخذ منهم ما عندهم ، ومن الجائز أنه كان يضيف اليها أو يخترع من عنده ، ليتحدث به الى الناس . والا فان من الصعب صدور هذا الخلط من رجل ثقه يعى ما يقول .

ولم يرد اسم «عدنان» فى النصوص الجاهلية وفى الشعر الجاهلى الا قليلا (٢) ، ولم يرد

---

(١) الطبقات ١/١ ص ٢٨ .

(٢) ممن ذكر عدنان من شعراء الجاهلية ، لبيد . قال :

فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

وعباس بن مرداس ، قال :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بمذحج حتى طردوا كل مطرد

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى (ص ٥) . وفى رواية بغسان بدلا من مذحج . « ولم يجاوز أبناء نزار فى انسابها وأشعارها عدنان اقتصروا على معد ولم يذكر عدنان جاهلى قط غير لبيد . . . وقد يروى لعباس بن مرداس بيت فى عدنان » . ابن هشام (٦/١) .

في المؤلفات «الكلاسيكية» كذلك، ولو كان «عدنان» جدا كبيرا في الجاهلية كما صوره أصحاب الأخبار والأنساب، لوجب عقلا تردد اسمه بكثرة في الكتابات الجاهلية أو في المؤلفات «الكلاسيكية» أو في الشعر الجاهلي . والغريب أننا نجد اسم «معد» مذكورا عند «بروكوبيوس» وفي القديم من الشعر الجاهلي، مع أنه ابن «عدنان» .

ونجد اسم «نزار» على أنه اسم قبيلة مذكورا في نص «امرئ القيس» مع أنه ابن «معد»، أي حفيد عدنان، ولا نجد اسم جده في هذا النص . وهذا مما قد يبعث الظن في نفوسنا أن فكرة «عدنان» لم تظهر الا في الجاهلية القريبة من الاسلام وفي الاسلام .

ولد عدنان عددا من الأولاد أشهرهم : معد، وعك . وقد زعم الأخباريون أن معدا عاش في أيام «بختنصر»، وأن معدا خلص الى «حران» حينما هاجم ملك بابل أهل «حضورا» في اليمن . أما «عدنان» والده، فلقي «بختنصر» فيمن اجتمع اليه من «حضورا» وغيرهم «بذات عرق»، فهزمهم «بختنصر»، ومات «عدنان» في أيامه . فلما هلك «بختنصر»، خرج «معد» من «حران» الى مكة، فوجد أخويه وعمومته قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم، فرجع بهم الى بلادهم[1] .

ونجد لمعد ذكرا في الشعر الجاهلي في شعر «امرئ القيس» [2] وفي شعر النابغة الذبياني [3] وزهير بن أبي سلمى [4] وقيس بن الخطيم [5] وغيرهم، كما

---

(١) ابن خلدون (٢/٢٩٩) .

(٢) فأبلغ معدا والعباد وطيئا ... وكندة أني شاكر لبني ثعل

شرح ديوان امرئ القيس : تأليف حسن السندوبي (ص ١٦٠) Ency. Vol, 3. P. 58.

(٣) علوت معدا نائلا ونكاية ... فأنت لغيث الحمد أول رائد

ديوان النابغة شرح البطليوسي (ص ٣٤، ٧٨) .

وان الغدر قد علمت معد ... بناه في بني ذبيان باني

(٤) عظيمين في عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

. . . . . .

أبى الشهداء عندك من معد ... فليس لما تدب به خفاء

. . . . . .

بلاد بها عزوا معدا وغيرها ... مشاربها عذب وأعلامها ثمل

. . . . . .

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، للامام أبي العباس ثعلب : طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٤ (ص ١٧، ٨١، ١٠٩) .

(٥) ورثنا المجد قد علمت معد ... فلم نغلب ولم نسبق بوتر

شعر قيس (ص ٣٣) .

ورد اسم معد فى شعر المخضرمين[١] . وقد استعملت كلمة « الحى المعدى » فى شعر لحاجب بن زرارة[٢] ، كما ورد « حى فى معد »[٣] مما ينبىء أن « معدا » كانت مؤلفة من أحياء لا من حى واحد ، وجاء فى شعر عمرو بن كلثوم « وقد علم القبائل من معد »[٤] ، ويدل ذلك على أن « معدا » كانت مؤلفة من قبائل ، وأنها لم تكن قبيلة واحدة . غير أننا نلاحظ ان شعراء الجاهليين القدماء كانوا يستعملون « قد علمت معد » [٥] . ويقول علماء اللغة : ان « معدا » « غلب عليه التذكير ، وهو مما لايقال فيه من بنى فلان ، وما كان على هذه الصورة فالتذكير فيه أغلب . وقد يكون اسما للقبيلة » [٦] . ويستنتج من هذا أن « معدا » لم تكن فى الأصل اسم علم لرجل تنتمى اليه قبيلة معينة ، وانما كانت كلمة عامة تشمل قبائل تشترك فى طراز الحياة وان كانت تعتقد أنها ترتبط بعضها ببعض برباط النسب والأصل .

وقد استعمل » حسان بن ثابت » كلمة « معد » فى مقابل كلمة « الأنصار » ، وذكر أن « الأنصار » لها فى كل يوم من « معد » قتال أو سباب أو هجاء [٧] ، وان « الأنصار » نصروا رسول الله على رغم أنف « معد » [٨] ، وأورد اسم « معد » فى أحد الابيات مع قحطان [٩] ، كما قال عن « بنى أسد » انها « تذبذب فى معد » [١٠] ،

---

(١) قال أبو ذؤيب :

فان تك أنثى فى معد كريمة ... علينا فقد أعطيت نافلة الفضل

ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية (١/٣٧) .

(٢) وقد علم الحى المعدى أننا ... على ذاك كنا فى الخطوب الأوائل

الأغانى ، طبعة دار الكتب المصرية (١١/١٠٠) .

(٣) قال زهير بن أبى سلمى :

هم خير حى فى معد علمتهم ... لهم نائل فى قومهم وفضائل

ديوان زهير بن أبى سلمى لثعلب (ص ١٠٦) .

(٤) بيت ٩٤ من معقلة عمرو بن كلثوم . Muh. Stud. Vol, I. P. 91.

(٥) Muh. Stud. Vol, I P. 91. (٦) تاج العروس ٢/٥٠٣ .

(٧) ديوان حسان ، طبعة هرشفيلد (ص ١) .

(٨) ديوان حسان (ص ٥ ، ٦ ، ٢٥) .

(٩) فلو سئلت عنه معد بأسرها ... وقحطان او باقى بقية جرهما

ديوان حسان (ص ٤٤) .

(١٠) ديوان حسان (ص ٤٧) .

فاستخدم كلمة « معد » في شعره للدلالة على خصوم الأنصار ، كما استخدمها في مقابل قبائل معينة . وخصوم الأنصار هم قريش والمهاجرون . ولما كان هذا الشاعر يعد نفسه من اليمن ، وأن أهل مدينته من أصل يماني ، فان من الجائز أن نقول انه عبر عن فكرة « معد » وقحطان في هذا الوقت .

وبينما يستخدم « حسان بن ثابت » كل فنه لهجاء خصوم الأنصار أهل « مكة » ، والدفاع عن أهل المدينة ، والافتخار بقومه على « معد » وعلى « بني نزار » [(١)] ـ نرى أنه لايسمي خصومه « عدنانيين » ، ولم أجد في ديوانه المطبوع اسم « عدنان » ـ ، فلم أغفل « حسان » اسم « عدنان » ؟ أليس « عدنان » والد « معد » ؟ ألم يكن من الأجدر ذكر « عدنان » وتقديمه على « معد » ؟ ألم يقسم علماء النسب العرب الى أصلين أصل « قحطاني » وأصل « عدناني » ؟ ألسنا نجد في كتب الأنساب والتأريخ اسم عدنان مقدما على معد وأن قبائل « معد » تعد نفسها « عدنانية » كما أن قبائل « قحطان » تعد نفسها « قحطانية » ؟ لا يعقل بالطبع أن يكون « حسان » قد ترك « عدنان » و « العدنانية » ولجأ الى استخدام « معد » لو لم تكن لفظة « معد » أشهر وأعرف وأكثر استعمالا في أيامه من « عدنان » . وهذا هو ما نلاحظه أيضا في سائر الآثار التي تعود الى الجاهلية وصدر الاسلام .

ويستنتج من أقوال علماء اللغة أن لفظة « معد » تعني الشظف في العيش ، والغلظ في المعاش والقشف [(٢)] ، وأنها كانت تعني حياة بدوية بعيدة عن كل وسائل الحضر وترف أهل المدر ، وهذا بالنظر لأهل المدن والمستقرين نوع من الخشونة لا يحمد الانسان عليه . وقد وصفت ملابسهم بالخشونة كذلك فميزت عن غيرها ، جاء : « عليكم باللبسة المعدية » أي خشونة اللباس ، وروى : « اخشوشنوا وتمعددوا » [(٣)] . وبهذا المعنى ورد : « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » [(٤)] . فالظاهر أن كلمة « معد » كانت تعني ما تعنيه « عريبي » « أريبي » عند الآشوريين ، أي « البدو » و « الأعراب » ،

---

(١) وكل محارب وبني نزار تبين في مشافره الرضاع

ديوان حسان (ص ٣٦) .

(٢) لسان العرب (٤/٤١٤ـ٤١٥) . الاشتقاق ١/ ٢٠ ، تاج العروس ٢/٥٠٣ .

(٣) لسان العرب (٤/٤١٤ـ٤١٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسي (ص ١٠) الأمثال ، طبعة حيدر آباد الدكن (ص ٢٧) . مجمع الأمثال للميداني (١/١٣٦) .

(٤) تاج العروس ٢/٥٠٣ .

غير أنها خصصت بعد ذلك بقبائل خاصة هى القبائل التى تنسب نفسها الى اسماعيل ، وأكثرها فى مكة وحولها ، ثم تغلبت عليها « العدنانية » فى العصر الأموى فما بعده .

وترى الروايات العربية أن « تهامة » هى موطن العدنانيين ، ومكة من تهامة . ولكن ظروفا قاهرة أحاطت بالقبائل العدنانية فاضطرتها الى التفرق والهجرة . وكانت قضاعة بن معد أول من ظعن عن اليمامة بسبب قتال وقع بينها وبين نزار [1] ، فخرجت قضاعة متفرقين ، ثم أعقب هجرة قضاعة هجرات أخرى وقعت بين العدنانيين ، فانتشروا فى مناطق واسعة من شبه جزيرة العرب حتى وصلوا العراق والشام ، واختلطوا بالقبائل الأخرى ، وتفرقوا فى كل مكان [2] .

وولد معد بن عدنان أربعة نفر على رأى بعض الرواة : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وقنص بن معد ، واياد بن معد [3] . ومنهم من يخرج قضاعة من صلب معد فيضيفها الى القحطانيين ، ويضيف ملوك الحيرة ــ وهم من اليمانين ــ الى قنص بن معد [4] . ومنهم من يضيف الى هؤلاء عددا آخر ، منهم عبيد الرماح بن معد ، وقد دخل أبناؤه فى بنى مالك بن كنانة . والضحاك بن معد ، قالوا : انه أغار على بنى اسرائيل [5] ، وقناصة بن معد واخوة آخرون ذكرهم الطبرى ، وهم : سنام ، وحيدان ، وحيدة ، وحيادة ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، والعرف ، وعوف ، وشك [6] . وزعموا أن الأمارة كانت لقنص بعد أبيه على العرب . وأراد اخراج اخيه نزار من الحرم ، فأخرجه أهل مكة

---

(١) الأغانى (١١/١٥٤ فما بعدها) . ابن خلدون (٢/٢٤٠) .

(٢) قال البجلى فى تفرق بجيلة :

لقد فرقتم فى كل أوب   كتفريق الاله بنى معد

البكرى : معجم (١/٥٧) .

(٣) ابن هشام (١/٧) وأكثر النسابين على أن ايادا من نسل نزار بن معد .

(٤) جمهرة ابن حزم (ص ٨) . لسان العرب (٨/٣٥٢) .

(٥) جمهرة ابن حزم (ص ٨) . « بنو قنص بن معد » لسان العرب (٨/٣٥٢) . ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٦) الطبرى : الطبعة الأربية (١ـ٦٧١ ، ٢/١٩٠) . « قال هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه ، قال : ولد معد بن عدنان نزارا وفى ولده النبوة والثروة والخلافة وقنصا وقناصة وسناما والعرف وعوفا وشكا وحيدان وحيدة وعبيد الرماح وجنيدا وجنادة والقحم وايادا وأمهم معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو بن دوة بن جرهم وأخوهم لامهم قضاعة وبعض القضاعيين وبعض النساب يقول قضاعة بن معد وبه كان يكنى معد . » الطبقات للواقدى (١/١ ص ٣٠) .

وقدموا عليه نزارا [١] . وهذه الأسماء هى أسماء قبائل معروفة انتشرت فى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة .

عك :

ومن اخوة معد ، على رواية الاخباريين وأصحاب الأنساب ، « عك » ، وتقع أرضوه فى جنوب أرضى معد . وقد زعموا ان « بختنصر » لما هاجم حضورا انطلق عك الى بعض ارض اليمن فأستقر بها [٢] واختلط نسب عك باليمانين . وقدسكن العكيون فى تهامة اليمن الى جدة ، ولهذا السبب قال علماء اللغة : ان من معانى عك الحر الشديد [٣] ، وقد جاءهم هذا التفسير على ما أتصور من شدة حر تهامة .

وورد فى جغرافية بطلميوس اسم شعب من الشعوب العربية قال له « Akkitae» ، أو « Achitae » [٤] ، وفى بعض النسخ «Anchitae» [٥] . ويرى بعض العلماء أن هذا الشعب هو عك [٦] ، وخاصة أن المكان الذى كانت تقطن فيه هذه القبيلة التى ذكرها بطلميوس ينطبق مع مواضع عك الواردة فى الكتب العربية . وقد تصور جماعة من النسابين وجود صلة نسب بين عك والأزد [٧] . والظاهر أن ذلك انما وقع لهم لاختلاط منازل القبيلتين . وزعم بعض الأخباريين أن نسب عك كان فى اليمن فى الأصل ، ثم انتقل الى معد بعد قتال وقع بين عك وغسان فى تهامة تغلبت فيه غسان على عك فأجلتها

---

(١) ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٢) تركنا الديث اخوتنا وعكا ... الى سمران فانطلقوا سراعا
وكانوا من بنى عدنان حتى ... أضاعوا الأمر بينهم فضاعا

الطبرى (٢/١٩١) ، البكرى : معجم ما استعجم (١/٥٣ فما بعدها) .

(٣) « يوم عك اك » أى شديد الحرارة : مجالس ثعلب (ص ٢٤٨) القسم الأول دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ تحقيق عبدالسلام محمد هارون . لسان العرب (٢/٢٥٣) ، تاج العروس (٧/١٦٣) .

(٤) Glaser. Skizze. 2. P. 256.

(٥) Forster. Vol, I. P. 89.

(٦) Ency. Vol, I. P. 241.

(٧) « فمواطن عك فى نواحى زبيد ويقال عك بن الديث بن عدنان ويقال ان عكا هذا هو ابن عدثان بن عبدالله من بطون الأزد ، ومن عك بن عدثان بنو غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك » . ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، ابن حزم (٣٠٩) . «الشاهد» والصحاح . تاج العروس (٧/١٦٣) ، لسان العرب (١٢/٣٥٧) .

عن أوطانها ، فمن ثم انتفت عك من اليمن وانتسبت فى معد [1] .

نزار :

وهو جد القبائل « النزارية » المنحدرة على رأى النسابين من نزار بن معد من زوجته « معانة بنت جوشم بن جلهمة » ، أو « معانة بنت جهلة » من جرهم [2] . وهو على رأى النسابين والد أربعة أولاد ، هم : ربيعة ، ومضر ، وأنمار ، واياد [3] . وهم أجداد قبائل كبيرة فى الوقت نفسه . وقد انتشرت هذه القبائل فى أواسط بلاد العرب وشماليها ، وهنالك اسطورة رواها المؤرخون والنسابون عن اختصاص كل ولد من أولاد نزار وعن المناطق التى نزلت بها قبائلهم واحتكامهم الى « الأفعى الجرهمى » [4] أو « أفعى نجران » [5] . ويقال للنزاريين أيضا « نزارية » و « بنو نزار » و « أبناء نزار » [6] .

ويرى « ليفى ديلا فيدا Levi Della Vida » فى بحث كتبه فى « دائرة المعارف الاسلامية » عن « نزار » أن ما ذهب اليه النسابون من وجود أصل « نزارى » لا يستند

---

(١) وهذه الرواية اليمانية تتمثل فى شعر نشوان بن سعيد الحميرى الذى يقول :

الم تر عكا هامة الأزد اصبحت ... مذبذبة الأنساب بين القبائل
وعقت أباها الأزد واستبدلت به ... أبا لم يلدها فى القرون الأوائل

منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦ (ص ٧٤) . قارن ذلك برواية الطبرى (٢/١٩١) .

(٢) تاج العروس (٣/٥٦٣) روض الأنف للسهيلى (١/٨) الطبرى (٢/١٩٠) ، الواقدى : الطبقات الكبير (١/١ص ٣٠) « وكان يقال لمضر الحمراء » ، ولاياد « الشمطاء » و « البلقاء » ولربيعة « الفرس » ، ولأنمار « الحمار » ، « والتنزر : الانتساب الى نزار ابن معد . ويقال : تنزر الرجل اذا تشبه بالنزارية ، أو أدخل نفسه فيهم .. » لسان العرب (٧/٥٩) . Ency,, Vol, 3.P, 939. Wüstenfeld, Geneal, Tabe., A. 3.

(٣) الطبرى (٢/١٨٩) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، وزعم الطبرى ان أم ربيعة وأنمار « جدآلة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو من جرهم وان ام « مضر » « سودة بنت عك » الطبرى (٢/١٩٨) ، وعند بعض المؤرخين أن ايادا وأنمارا هما من ابناء معد وأما نزار فقد كان من عقبه البطنان ربيعه ومضر راجع ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٤) « حكم الافعى » المفضل بن سلمة . الفاخر (ص ١٥٥ ـ ١٥٦) ، الطبرى ، (طبعة اوربة) . (١/١١٠٨/١١١٠) لقد تأثر بهذه القصة الفيلسوف الافرنسى « فولتير » « Voltaire » فى « Zadig » . Ency, Vol, 3. P, 940.

(٥) ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٦) ديوان حسان (ص ٣٦) . Ency. Vol, 3. P. 940. طبقات الشعراء : لمحمد ابن سلام الجمحي (ص ٥) .

الى علم ، وأن « النزارية » هى فكرة سياسية تبلورت فى العصر الأموى ، فى وسط ذلك الصراع الحزبى المعروف ، وعلى الأخص ما بعد معركة مرج راهط ، وأنهـا لا تمثل حقيقة تأريخية ، فهى لاتعنى قبيلة معينة ، ولا مجموعـة قبائل أصول بعضها متباينـة ، ولكنها كانت مع ذلك تجتمع كلهـا فى معشر واحد هو « معـد » . ومن رأيه أن هـذا الموضوع لم يدرس دراسة كافية ، وأن المواد اللازمة لدراسته غير متوافرة كذلك [١] .

وقد ذهب جماعة من المستشرقين الى أن كلمة « نزار » لم ترد فى الشعر الجاهلى المتقدم ، وانها وردت متأخرة جدا بالنسبة الى كلمة « معد » [٢] . وقد أشرت الى أن بعض الكتبة « البيزنطيين » مثل «Procopius» و « Nonnosus » قد ذكروا اسم « معد » ، ولكنهم لم يشيروا الى اسم « نزار » ، وذكر « ليفى ديلافيدا » أن أقدم من ذكر اسم « نزار» من الشعراء « بشر بن أبى خـازم » [٣] ، من الجاهليين والشـاعر « كعب بن زهير » من المخضرمين [٤] ، ويرى أن « بنى نزار » الواردة فى شعر « حسـان بن ثابت » [٥] لا تعنى « النزارية » أبناء نزار بن معد بن عدنان على نحو ما يراه النسابون ، بل عنى الشاعر بذلك جماعة أخرى هى من نسل نزار بن معيص بن عامر بن لؤى من قريش [٦] .

وعند « ليفى ديلافيدا » أيضا أن ما ورد فى شعر « أمية بن أبى الصلت » من شعر زعم أن هذا الشاعر قائله ، وقد جاء فيه نسبة ثقيف الى نزار [٧] . وما ورد فى قصة «الأقرع بن

---

(١) Ency, Vol, 3,P, 940—941.

(٢) Ency. Vol, 3. P.940. Roberston Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, P. 5. 283—289. Muh, Stud. Vol I.P. 78 ff.

(٣) Ency. Vol, 3. P. 940. المفضليات (ص ٦٦٧) .

(٤) صدموا عليا يوم بدر صـدمـة ذلت لوقعتهـا جميـع نزار

محمد بن سـلام الجمحى : طبقـات الشعراء ص ٢١ ، تأريخ الطبرى (طبعة أوربـة) ١١٠٦/١ .

(٥) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٦

(٦) Ency. Vol, 3, P. 940 Wüstenfeld, Genea, Tabellen, S. 15.

(٧) Ency. Vol, 3 P. 940 . ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٦٩ وهو من الشعر المنسوب اليه : U. I. 10

وقد رجع بعض النسـابين نسب ثقيف الى « اياد » ، وبعضهم الى « مضـر » ، ونسبهم جماعة آخرون وهم خصوم « ثقيف » وعلى الاخص خصوم « الحجاج بن يوسف » الى « قوم ثمود » ، ووضعت بعض الاحاديث على لسان الرسول فى ذم ثقيف ، وضعت =

حابس التميمى » ، وهى فى مصلحة « جرير بن عبدالله البجلى » وقد أشير فيها الى « نزار » قبل الأسلام [1] ، لا يمكن أن يبعث الثقة الى النفوس ولا الاطمئنان الى القلوب ، بل يظهر أن ذلك وضع لأغراض واضحة هى الحاق نسب ثقيف بنزار ، وقد كان ذلك موضع جدل فى ذلك العهد ؛ واثبات نسب بجيلة ، وهو موضوع كان مثار جدل أيضا [2] .

وعندى أن عدم ورود اسم « نزار » فى النصوص « الكلاسيكية » أو فى الشعر الجاهلى المتقدم ، ووجود شكوك فى بعض الأشعار أو الأخبار التى ورد فيها ذكر « نزار » ، لامور معروفة معلومة الغرض منها الحاق انساب بعض القبائل « بنزار » . وما ورد فى كتب اللغة من أن «التنزر الانتساب الى نزار بن معد ، ويقال تنزر الرجل اذا تشبه بالنزارية او أدخل نفسه فيهم ..» [3] . كل هذا وغيره لا يكفى فى اثبات اسم

= نكاية بهم فى ايام العباسيين ورويت على لسان ابن عمر ، كما تمتعت ثقيف بسمعة طيبة وبذكر حسن فى أيام الحجاج ، ولعل الحاق ثقيف بنزار كان فى ذلك العهد راجع اليعقوبى (١/٢٥٨ ، ٢٦٠) ، ياقوت : معجم البلدان (٣/٤٩٦) الاغانى (٤/٧٤) ، عن « أبى رجال » وهو ثقيف وحارب فى أيام غزو الاحباش لمكة قيل عنه « علج من ثمود » الأغانى (٥/١٥٩ ، ٢٠/١٣) ، أنساب الأشراف (ص ٥٨ ، ٦١) راجع الأغانى شعر الأعشى فى الحجاج والمختار :

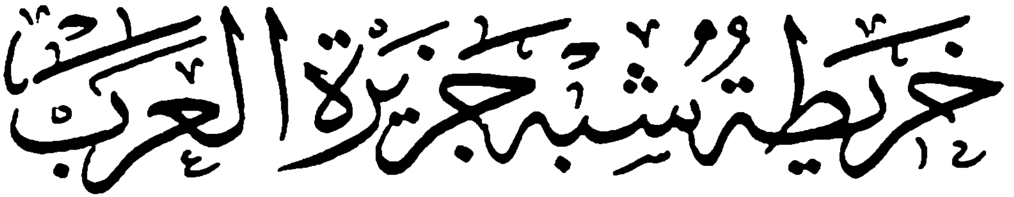
ان ثقيفا فيهم الكذابان   كذابها الماضى وكذاب ثان

تجد الحديث فى صحيح مسلم (٥/٢٢٤) ، والبغوى مصابيح السنة (٢/١٩٣) ، ولم يطعن الفرزدق فى « ثقيف » مع انه كان من خصوم الحجاج . راجع ديوان الفرزدق طبع « Boucher » (ص ٤٤) Goldziher, Muh, Stud, Bd, I. S, 97—100, Nöldeke, Gesch. der Perser, S, 208.

ثقيف قسى بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أقصى بن دعمى بن اياد ابن نزار بن معد بن عدنان . ابن هشام (طبعة الابيارى) (١/٤٨) ، وقيل ثقيف قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . سيرة ابن هشام (١/٤٩) (طبعة الابيارى) .

(١) Ency. Vol, 3 P. 940 النقائض (طبعة بيفان) ص ١٤٢ (ص ١٤١/١٤٢) « يابنى نزار انصرا أخاكما » . « فزعمت مضر أن الأقرع بن حابس انما نفر جريرا وبجيلة على خالد بن أرطاة وكلب لأنه زعم ان انمارا بن نزار ، وأنه لقرابته بمضر وربيعة أفضل واكثر عددا باخوته من قضاعة لأن قضاعة بن معد وهو عم هؤلاء » سيرة ابن هشام : طبعة وستنفلد (ص ٥٠) .

(٢) Ency. Vol, 3. P. 940.   (٣) لسان العرب (٧/٥٩) .



خريطة شبه جزيرة العرب
بحر الروم
بحر القلزم
البحر الأخضر
بحر اليمن
مكران
طوران
عمان
عبد القيس
الربع الخالي
صحراء الأحقاف
مهرة
حضرموت
اليمن
همدان
بلاد الحبشة
بلاد السودان
مصر
الحجاز
تهامة
نجد
اليمامة
البحرين
كندة
هلال
عبس
قضاعة
ذبيان
جذام
كلب
تغلب
بكر
طيء
أسد
غطفان
قيس عيلان
ثقيف
خثعم
كعب بن ربيعة
فارس
إياد
العراق
بادية الشام
المدينة
مكة
دمشق
غسان

« نزار » واسم « عدنان » أيضا أو نفيهما فى الوقت الحاضر ، مادامت مواد البحث غير مكتملة . ولكن هذا لا يمنعنى أن أقول ان اسم « نزار » قد ورد فى نص جاهلى ، هو نص « امرىء القيس الكندى » الذى مر الحديث عنه فى صفحات سابقة ، وقد أشار فيه الى أنه « أسر التاج وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو » أى « حاز التاج وملك الأسديين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا » . ويعود تأريخ هذا النقش الى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة بعد الميلاد ، فنزار فى هذا النص قبيلة ذكرت مع « أسد » لها مشايخ ، وهى نزار التى نبحث عنها الآن . ولكنى لا أستطيع أن أدعى بالطبع أنها « نزار » أصحاب الأنساب ، أى أنها من صلب شخص يقال له « نزار بن معد بن عدنان » ، وأنها كانت تمثل عددا كبيرا من القبائل تعتقد هذا الاعتقاد. فهذا فى الواقع شىء آخر لم يرد فى نصوص الجاهليين. وهذه الأنساب هى من صنع معامل علماء النسب الذين كانت تنقص معاملهم « خامات » جاهلية على كل حال .

وتتألف القبائل النزارية من ربيعة ومضر واياد وأنمار [١] . على رأى من جعل أنمارا ابنا من ابناء نزار . فأما أياد، فقبيلة كانت مواطنها تهامة الى حدود نجران، ثم انتشرت بسبب حروب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر ، فارتحل قسم منها الى العراق ، وانضم قسم آخر الى قضاعة وأقام بالبحرين وسكن قسم منها فى وآدى بيشه وهاجر آخرون الى بلاد الشام [٢] .

وقد تناسل أولاد نزار على زعم الأخباريين ، فأولد كل واحد منهم عددا من الأولاد تكون من ذرياتهم عدد من القبائل ذكرت أسماءها كتب الأنساب والتأريخ ، وسنبحث عنها فى الجاهلية القريبة من الاسلام .

الدراسات « الأنتروبولوجية » :

لم تدرس النواحى « الأنتروبولوجية » لشبه جزيرة العرب دراسة كافية حتى الآن ، وقد أخذ بعض السياح والعلماء يبدون اهتماما بهذه الناحية من البحث فى القرن العشرين فأرسلوا بما عثروا عليه من عظام فى القبور العادية الى المتخصصين لدراسته ، كما قام بعضهم بدارسة أجسام الأحياء واجراء فحوص عليها وتسجيل قياسات

---

(١) ابن خلدون (٢/ ٣٠٠) ، أيام العرب (ص ٤١٣) . ابن حزم « ص ٩ » .

(٢) خلاصة الكلام (ص ٥٨) . Wüstenfeld, Register. Ency, Vol, 2,P.565. P. 337.

الرؤوس وملامح الأجسام وما الى ذلك ممايتعلق بموضوع « الأجناس البشرية » • وإذا اقبل العلماء على هذه الدراسة وتوسعوا فيها ، فسيكون لها شأن فى تأريخ أجناس الشرق الأدنى القديم •

وممن بحث فى « انتروبولوجية » الشرق الادنى « كبرس Ariens Kappers » ، وقد وضع مؤلفا قيما فى دراسة شعوب الشرق الأدنى[١] ؛ و « الدكتور سلكمن Dr. Seligman» [٢] و « شنكلن W. Shanklin » الذى عنى بدراسة « أنتروبولوجية » سكان شرقى الأردن [٣] ، و « A. Mochi »[٤] ، و « برترام توماس » الذى قام بدراسات علمية عديدة من هذه الناحية لنماذج من افراد القبائل العربية الجنوبية[٥] ، والبعثة الامريكية التى أرسلها متحف « فيلد » بشيكاغو لدراسة « انتروبولوجية » القبائل العراقية النازلة على مقربة من « كيش » [٦] ، عدا دراسات أخرى عديدة قام بها علماء آخرون •

وقد أجرى أكثر هذه البحوث فى مناطق عرفت باتصالها منذ القديم بالعالم الخارجى ، فهى لذلك لايمكن أن تعطينا فكرة علمية عن « انتروبولوجية » العرب ؛ فلابد من القيام بدراسات دقيقة فى قلب شبه الجزيرة • وقد أظهر هذا الاتصال أثره فى دماء سكان السواحل • وقد لاحظ الفاحصون وجود تشابه كبير بين جماجم أهل عمان وسكنة السواحل الهندية المقابلة لبلاد العرب ، كما لاحظوا تشابها كبيرا فى الملامح الجسمية بين العرب الجنوبيين وسكان افريقية الشرقية • وقد اتخذ القائلون ان أصل العرب الجنوبيين من افريقية هذا التشابه حجة يتذرعون بها فى اثبات نظرياتهم هذه[٧] •

---

(١) C. U. Ariens Kappers, An Introduction to the Anthropology of the near East in Ancient and Recent times, Amesterdam, 1934. P. 73.

(٢) Seligman, The Physical Characters of the Arabs. in Journal of the Royal Anthrop. Institute. Vol, 47. 1917. P. 217. The Races of Africa, 1930.

(٣) W. Shanklin. The Anthropolgy of the Transjordan Arabs, Psychiatrische en neurologishe bladen. 1934. anniversary book for the Central Institute of Brainresearch Amesterdam.

(٤) A. Mochi, Sulla Anthropologia Giuffrida Ruggeri in Crani egiziani antichi. ed. Arabo-egiziani, Atti della Soc. Romana d'Anthrop. T. 15. 1915.

(٥) راجع الفصل الذى كتبه (Dr. Wilton Marion Krogman) فى كتاب « Arabia Felix » لبرترام توماس (ص ٣٠١)

(٦) Henry Field, The Antropology of Iraq, Field Museum of Natural History. Chicago 1940.

(٧) Arabia Felix, P. 302.

غير أن هـذه الفحوص أشـارت من جهـة أخرى الى حقيقة تخالف النظرية الافريقية ، اذ بينت أن أشكال جماجم العرب الجنوبيين ورؤوسهم هى من النوع الذى يقال له «Brachycephaly»(١) • أما أشـكال جماجم سـكان افريقيـة الشرقيـة ورؤوسـهم ، فمن النوع الذى يعرف باسـم « Dolichocephaly » (٢) فى الغالب • وهذا التباين لايشير الى وحدة الأصل • وقد تبين من هذه الفحوص أيضا أن أشكال جماجـم العـرب الشـماليين ورؤوسهم هى من نوع « Dolichocephaly » كذلك ، أى من نوع مشابه لأشكال جماجم الافريقيين الشرقيين ورؤوسهم(٣) •

وقد حملت هذه النتائج بعض العلماء على التفكير فى آسية فى المواطن التى تكثر فيها الرؤوس المستديرة ، فرأوا أن هذا المكان هو من آسـية الصغرى الى الأفغـان ، فزعموا أن العرب الجنوبيين كانوا فى الأصل من هذه الأماكن(٤) ، وأن سكان عمان قد تأثروا تأثرا كبيرا بالدماء « الدراويدينية Dravidian » الهنـدية ؛ لهـذا نجـد أنهم يختلفون بعض الاختلاف عن بقية العرب الجنوبيين(٥) •

وعلينا أن نتذكر دائما أن هذه البحوث هى دراسات أولية لم تستكمل الشروط العلمية بعد ، وأنها بحوث فردية أجريت فى أماكن اختلطت فيها الأجناس ، وهى قليلة ، فلا يصح الاعتماد عليها ، ولا بد من الانتظار ليحكم المستقبل فى مثل هذه المعضلات •

الأنساب :

كان للنسب شأن خطير فى حياة العرب ، وهو أمر ضرورى جـدا بالنسبة الى النظام الذى كان سائدا يومئذ • وقد تخصص بمعرفته جمـاعـة يقال لهم «النسابون» ، وأحدهم « نسابة » ، ويعرفون أيضا بأصحاب الأنساب ، وأصبح عند العرب فى الجاهلية علما من العلوم ، وبلغ ذروته فى الاسلام ، وقد بدىء بتسجيل الأنساب وتبويبها فى أيام

---

(١) اصطلاح يطلق في علم « الانتروبولوجى » على الجماجم التى يبلغ عرضها حوالى « ٨٠ ٠/٠ » أو أكثر من مقدار طول الجمجمة من الأمام الى الخلف • ويقال لهذه الرؤوس رؤوس قصيرة • Ency. Brita. Vol, 3 P. 1003 18. P. 865.

(٢) ويعنى أصحـاب الرؤوس الطويلة ، وهى الجـماجم التى تكون أبعـادها من جانب الى جانب تساوى ٧٥ ٠/٠ أو أقل من طول المسافة بين جبهة الجمجمة والمؤخرة • Ency. Brita. Vol, 7. P. 506.

(٣) Dr. C. G. Seligman, The Races of Africa, 1930. Arabia Felix, P. 308.

(٤) Arabia Felix, P, 304. 322.

(٥) Dr. Wilton Marion Krogmann, in Arabia Felix. P, 316.

عسر ، فاستقرت منذ ذلك الحين أنساب القبائل ، اذ دونت فى الدواوين وتعينت صلات القبائل بعضها ببعض ، وانتظمت جميعها فى مجموعتين : قحطانية ، وعدنانية . وتنتسب القبيلة عادة الى جد ترجع نسبها اليه .

ونجد بين الشعوب السامية تقاربا كبيرا فى الرأى بالنسبة الى تصنيف الأنساب ، وما نجده عند النسابين المسلمين من أصول نجده عند العبرانيين كذلك ممثلا خاصة فى التوراة ، فى أسفار التكوين وفى أسفار أخبار الأيام الأول وغيرها(١) .

كان من عادة الشعوب والقبائل القديمة أنها ترجع أنسابها الى آباء واجداد تتخذهم رمزا لها ، تنتمى اليهم ، وتتفاخر بهم . ولا يعنى ذلك آباء أو أجدادا حقيقيين عاشوا وماتوا ، فقد يكون اسم الأب أو الجد اسم مدينة أو قرية أو أرض ، وقد يكون اسم صنم ، أو طوطما ، يستوى فى ذلك اليونان والرومان والعبرانيون والعرب وغيرهم . واننا لنرى بين الأسماء المذكورة فى جدول أنساب التوراة أسماء هى أسماء أمكنة ومواضع تسمت بها تلك الشعوب وجعلتها أبا او ابنا او أما وأحيانا بنتا(٢) ، كما أننا نجد فى كتب الأنساب العربية أسماء آباء قبائل أو أجداد قبائل هى فى الواقع أسماء مواضع وأمكنة ، مثل سبأ وغسان وحضرموت وما شابه ذلك من أسماء أصبحت بمرور مئات السنين أسماء رجال أنسلوا وتوالدت أنسالهم وصارت من ذرياتهم قبائل وبطون ، فأولد « مصرايم » مثلا « لوداً » فى التوراة وأصبح «للود » ذرية ونسل (٣) ، وأولد سلمى « Salma » «بيت لحم » (٤) ، وهكذا .

وقد تصبح المحالفات والمؤآخاة ، وهى من العادات المألوفة عند الشعوب السامية ، وكذلك رابطة الجوار نسبا ، وفى التوراة وفى كتب الأنساب العربية أمثلة كثيرة على هذا النوع من الأنساب ، كما أن العلاقات قد تسوء بين قبائل تعد نفسها من نسب واحد ، وقد تنفصم فتنفصم بذلك رابطة النسب أيضا ، وتتكون رابطة نسب جديدة .

---

(١) راجع مادة مواليد فى قاموس الكتاب المقدس ٢/٤٨٢ و Hastings. P. 286. Ency. Bibl. P. 1657.

(٢) Hastings. P. 285. Ency. Bibl. P. 1657.

(٣) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ١٣ حزقيال : اصحاح ٢٧ آية ١٠ ، اصحاح ٣٠ آية ٥ . Ency. Bibl. P. 1657.

(٤) أخبار الأيام الأول : الاصحاح الثانى ، آية ٥١ .

ومن العبرانيين انتقل جدول أنساب البشر الى النصارى والى المسلمين • وقد جعلت التوراة بين أبى البشر « آدم » وزوجه « حواء Eve » فى العبرانية « Chawwāh » (١) وبين نوح « Noah » (٢) أبناء ، و « نوح » هو الابن التاسع بعد آدم ؛ وجعلت لنوح ثلاثة أولاد ، هم : سام ، وحام ، ويافث(٣) • ومن هؤلاء تكونت شعوب العالم • فهم على رأى التوراة اما من سام واما من حام واما من يافث • ونجد بين أسماء هذه الشعوب أسماء هى فى صيغة الجمع أو التثنية مثل « مصرايم Mizraim » و « لوديم Ludim » و « عناميم Anamim »(٤) وأسماء هى فى الواقع أسماء مواضع مثل « ترشيش Tarshish » (٥) و « صيداء » « صيدون »« Zidon » (٦) و « أوفير Ophir » (٧) • وأسماء هى أسماء شعوب مثل « اليبوسيين« Jebusite » (٨) و « العموريين Amorite» (٩) • وقد جعلت بعض الشعوب قريبة من العبرانيين ، وهى الشعوب المنحدرة من صلب ابراهيم •

والذى يعنينا من جدول أنساب الشعوب فى التوراة هو القسم الخاص منه بأبناء سام ؛ لان كتاب العهد القديم أدخلوا فيه أنساب العرب وشعوبها ، على أنهم أدخلوا فرعا من العرب فى جماعة « كوش » و « كوش » هو الابن البكر لحام(١٠) • وقد ذكرت التوراة أبناء « كوش » على هذا الترتيب « سبأ » و « حويلة» و « سبتة » و « رعمة » و « سبتكا » وبنو رعمة « شبا » و « ددان » (١١) • والمتعارف عليه بين علماء

---

(١) وهو الاسم الذى دعا به آدم امرأته ، ويظن أنه مشتق من معنى « الحياة » • قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/١) «Heva.» Ency. Bibl, P. 58 ff. Hastings P. 247
M. Gottfried Büchner's, Biblische Real und Verbal Hand Concordanz. P. 580.

(٢) نوح «NOAH » « Noach » « راحة » • قاموس الكتاب المقدس (٤٣٧/٢)
Hastings. P. 657.

(٣) التكوين : الاصحاح الخامس ، آية ٢٢ •

(٤) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ١٣ .Hastings. P. 285

(٥) قاموس الكتاب المقدس (٢٨٤/١) • .Hastings. P. 895

(٦) Hastings. P. 989. (٧) Hastings. P. 669.

(٨) أخبار الأيام الأول : اصحاح ١١ ، آية ٤ • .Hastings. P. 428

(٩) Hastings. P. 285. (١٠) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٦ •

(١١) التكوين : الاصحاح العاشر آية ٧ •

التوراة أن المقصود بكوش « الحبشة » والأرضون الواقعة الى جنوب مصر ، وتشمل « نوبيا » والسودان [١] .

وقد ورد في التوراة أن الملك « زارح » « Zareh » ملك « كوش » زحف على « يهوذا » «Judah» في أيام الملك « آسا » « Asa » ، وقد تقابل مع ملك « يهوذا » في وادي « صفاتة » عند « مريشة » [٢] ، فهرب الكوشيون بعد ذلك الى « جرار »[٣] ، فنهب جنود « آسا » كل المدن التي حول « جرار » ؛ « لأنها كان فيها نهب كثير ، وضربوا أيضا خيام الماشية ، وساقوا غنما كثيرا وجمالا ، ثم رجعوا الى أورشليم » [٤] . وورد في التوراة أيضا تنبؤ « اشعياء » بخضوع « كوش » للآشوريين[٥] ، كما ورد اسم « كوش » مع « صور »[٦] . وتشعر هذه المواضع أن « كوشا » ليست في افريقية بين مصر السفلى والحبشة ، بل في مكان آخر يجب أن يكون غير بعيد عن العبرانيين ؛ فان « وادي صفاتة » الواقع على مقربة من « مريشة » هو الوادي الذي ينحدر الى بيت « جبرين » على رأي بعض العلماء [٧] . وأما « مريشة » «Mareshah» ، فتقع في المنطقة الجنوبية « ليهوذا » «Judah» ، وقد وصفها المؤرخ اليهودي « يوسفوس » «Josephus» [٨] ، ووجدها « أوسيبيوس » و « جيروم » في القرن الرابع للميلاد خربة[٩] . ويرى جماعة من المنقبين أنها عند خربة « المواشي » على بعد ميل ونصف ميل الى جنوب الجنوب الشرقي من « بيت جبرين » [١٠] . وأما « جرار » «Jerar» المنطقة التي طرد اليها الكوشيون ، فالظاهر

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٧٨) Hastings. P. 171. Ency. Bibl. P. 967.

(٢) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ٩ .

(٣) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ١٣ .

(٤) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ١٤ وما بعدها .

(٥) أشعياء الاصحاح العشرون : آية ٤ وما بعدها .

(٦) مزامير المزمور السابع والثمانون : آية ٤ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس (٢/٧) Ency. Bibl. 5409.

(٨) Josephus, Ant. XII. viii, 6.

(٩) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٢٨) . Ency. Bibl. P. 1706.

(١٠) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٢٨) . Hastings. P. 578.

أنها « أم الجرار » الواقعة على مسافة ستة أميال من غزة[١] فى موضع يقـال له « جرف الجرار » [٢] ، كما أن ماورد فى « أخبار الأيام الثانى » عن نهب الغنم والجمال يشير الى أن هذا الموضع فى منطقة يكثر فيها الأعراب ، يضاف الى ذلك أن « الكوشيين » لم يكونوا فى هذا الوقت أقوياء بحيث نتصور أنهم كانوا قد احتلوا مصر وكونوا فيها حكومة هاجمت العبرانيين ووصلت الى فلسطين [٣] .

واذا أضفنا الى ما تقدم اقتران اســم « صـــور » و « كوش » فى موضـــع من التوراة [٤] ، وصعوبة تصور غزو الآشوريين للكوشيين اذا كانت أرض « كوش » تمتد من جنوب مصر الى الحبشة ، وما ذهب اليه أكثر علماء التوراة من أن أسماء أبناء « كوش » المذكورة فى التوراة هى أسماء قبائل عربية . وجب التفكير فى منطقة أخرى تقع فى شبه جزيرة العرب لا فى افريقية . وقد اتجهت أنظار العلماء أخيرا الى هذا الاتجاه ، ولا سيما بعـــد أن وضع « ونكلر Winckler» نظريتـــه : أن « مصرى Musri» » أو « Musr» هى مقاطعة تقع فى المناطق الشمالية من شبه جزيرة العرب ، وأن كوش تقع فى بلاد العرب أيضا . وقد ورد اسـم « مصرى » مع اسم آخر هو « ملوخة Meluhha » ، فرأى كثير منهم أن أرض « كوش » فى بلاد العرب[٥] ، وقد ورد فى النصوص الآشورية كذلك اسم أرض سـميت « كوش Kush» [٦] . يظن أنها « كوش » المذكورة فى التوراة ، وهى فى بلاد العرب . ولا يمكن بالطبـع أن نتصـور أن ارض « كنعـان » و « ددان » وسبأ الواردة فى سلسلة أبناء « حام » هى فى افريقية ، فهى أسماء واضحة معلومة فى بلاد العرب ، اللهم الا اذا قلنا أن كتبة العهد العتيق لم يكونوا على علم بمواضع هذه الأماكن ، وهو شىء يصعب قوله ، أو اذا قلنا ان هذه الشعوب كانت قد أنشـأت لها مستعمرات فى افريقية ، وأن التوراة قصدت هذه المستعمرات . وهذا قول يحتاج أيضا الى تأييد .

---

(١) Hastings. P. 290.

(٢) Ency. Bibl. P. 1705.

(٣) Hastings. P. 171.

(٤) مزامير المزمور السابع والثمانون : آية ٤ .

(٥) Winckler, Musri Meluhha Ma'in. Ency. Bibl. P. 967. « ملوحة »

(٦) Ency. Bibl., P. 967. E. Schrader, KAT. P. 69. 71. 91. 94. 137. 144. 147. 172. Hastings. P. 171.

وقد ورد فى النصوص المعينية اسم موضع هو « مصر »أو « مصران »[١] يرى « ونكلر » أنه « معين المصرية »[٢] • وهذا يشير الى أن مصر فى المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وأن « مصر » هذه هى المقصودة فى النصوص الآشورية وفى التوراة ، وأن « برعو Pir'u» لم يقصد به « فرعون » بل ملكا من ملوك « مصر » العربية هو « برعو » أو « الفارع » « فرع » « فرعو » [٣] • وقد أثار هذا الرأى جدلا كبيرا بين علماء التوراة لما يترتب على هذا التفسير من آراء تخالف ماورد ظاهرا فى العهد العتيق عن « مصر » وعن خروج العبرانيين منها وعن يوسف وغير ذلك مما ورد فى التوارة •

وقد تحدثت عن الفرع العربى اليقطانى ، وذكرت القبائل المتفرعة من صلب « يقطن » • وقد اعترفت التوراة بقرابة العبرانيين من « اليقطانيين » فجعلت « يقطان » أخا « لعابر » جد العبرانيين ، وعابر الابن الاكبر والبكر « لشالح » بن « أرفكشاد » بن « سام » [٤] • وذكرت التوراة فرعا آخر له صلة بالعرب هو فرع « قطورة » زوجة « ابراهيم » التى ولدت له أولادا ، هم : زمران ويقشان ومدآن ومديان ويشباق وشوحا • فولد يقشان شبا وددان ، وكان بنو ددان أشوريم ولطوشيم ولأميم ، وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة [٥] • وهذه القبائل هى قبائل عربية : ستة منها من صلب « قطورة » ، والباقى من صلب أولادها • وقد ذكر أن قبيلة عربية كانت تسكن مع جرهم تعرف بقطورة عند « مكة » [٦] ، ويعتقد أن « القطوريين » هم من الشعوب العربية القديمة أو أنهم من بقايا « المعينيين » [٧] •

ويلاحظ أن بين أسماء قبائل « قطورة » أسماء وردت فى أسماء قبائل « يقطان » وفى أسماء أبناء « كوش » • ويرى « موسل » أن هذا يعنى أن « شبا » أو « سبأ » و «ددان » كانتا فى هذا العهد على اتصال وثيق بالكوشيين ، أى الاقسام الشرقية من

---

(١) Hal. 535.

(٢) Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in.

(٣) Winckler, Musri, Melluhha, Ma'in. Ency, Bibl, P. 3165.

(٤) التكوين الاصحاح العاشر آية ٢١ وما بعدها •

(٥) التكوين الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ١ وما بعدها •

(٦) Hastings, P. 514. Ency. Bibl. P. 2660 Ritter, Erdkund, 12.19.

(٧) Glaser, Skizze. 2. P. 450.

افريقية ، وهى : الصومال والحبشة والسودان ، وكذلك الأقسام الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وجنوب الشام حيث مواطن أبناء « ابراهيم » « أبرام » ، وأن « سبأ » خاصة كانت ذات نفوذ كبير على « حويلة » ، و « حويلة » على رأيه هى « نجد » [١] .

ان ذكر التوراة لاسم « قطورة » على أنها زوجة ابراهيم ثم ذكر أولادها ، يشير ـ على ماأرى ـ الى أن « قطورة » كانت شعبا كبيرا ذا شأن فى شبه جزيرة العرب ، وكان يتألف من مجموع قبائل تعتقد أنها من أصل واحد ، وأن مواطن القطوريين كانت بين قبائل الاسماعيليين التى ترجع أنسابها الى اسماعيل وابراهيم ، وبين « اليقطانيين » أبناء « يقطان » ؛ لهذا كان لهـا اتصال وثيق بالمجموعتين ، ويظهر هذا الاتصال فى أسطورة التوراة عن زواج « قطورة » بابراهيم : هذا الزواج الذى هو كناية عن اختلاط القبائل الاشماعيلية بالقطورية ، وتزاوجها بعضها مع بعض ، كما أنه يظهر من جهة أخرى فى ذكر « سبأ » فى مجموعة « يقطان » وفى قبائل « قطورة » . وكان للقطوريين اتصال وثيق آخر « بالكوشيين » سواء أكانوا فى افريقية أم فى شمال غربى شبه جزيرة العرب يرى أثره فى ذكر التوراة « شبا » و « ددان » فى أولاد « كوش » وفى نسل « قطورة » .

ولايجاز التوراة كعادتها فى الحديث عن هذه الشعوب وعن غيرها ، وسكوتها عن تعيين مواضعها ، ولعلها هى لم تكن تعرف شيئا آخر أكثر مما ذكرته ووصل الينا ، لم يتمكن العلماء من تشخيص أكثر هذه الشعوب تشخيصا تاما ، فلا نعرف اليوم شيئا يقينيا عن « زمران » «Zimran» . وقد ورد لدى « بلينيوس » اسم قبيلة عربية دعاهـا «Zamareni» [٢] يظهر أنهـا كانت تسـكن فى داخل شـبه الجزيرة [٣] ، كما ورد اسم موضع يقال له «Zabram» يقع غرب « مكة » على ساحل البحر الأحمر [٤] ، غير أننـا لانستطيع أن نؤكد أن أحـد هـذين الموضعـين هو « زمران » [٥] . وأما « يقشان» Jokshan » ، فيرى « كلاسر » أنه موضع « وقشة » ، وهو مكان من السراة فى عسير [٦] . ويرى « أوسيندر » أنه « يقش » فى اليمن [٧] . ورأى بعض العلماء

---

(١) Musil, Hegaz. P. 287

(٢) Pliny, N. H. 6, 32. (Grotius)

(٣) Ency. Bibl. P. 5419.

(٤) Ency. Bibl. P. 5419.

(٥) راجع رأى « كلاسر » عن « زمران » فى كتابه : Skizze. 2. P. 451.

(٦) Glaser, Skizze., 2. P. 453.

(٧) Osiander, in ZDMG. 10 31. Ency, Bibl. P. 2564.

أنه محرف « يقطان »[١] . وقد ذكر الهمدانى اسم قبيلة سماها « بنى وقشة » من قبائل الجنب [٢] .

وأما « مدان Medan» ، فقد ذكر بعد « يقشان » وقبل « مديان » ، وذلك يشير الى أنه وسط بين المكانين . ويظن أنه « وادى مدان » على مقربة من خرائب « ددان »[٣] . وذهب « أوسيندر » الى أنه اسم صنم من أصنام اليمن عرف باسم « مدان »[٤] . وقد شك بعضهم فى وجود شعب بهذا الاسم ، كما ذهب بعضهم الى أنه تصحيف « مدين » « مديان » وأن النساخ قد أخطأوا فى الكتابة فظن أنه اسم شعب جديد[٥] . ولم يتمكن « كلاسر » من تشخيص هذه القبيلة أو المكان ، وقال ان من الجائز أن يكون اسم قبيلة صغيرة من قبائل « مدين » ، أو أنه « ودن » فى الحجاز ، حرفه العبرانيون فصار عندهم « مدن » أو « مدان »[٦] ، . وذكر غيره أن من المحتمل أن يكون موضع «معدن النقرة» هو أحد مواضع الحجاز هو مكان « مدان » وأن العبرانيين حرفوا كلمة « معدن » الى «مدان» ، وهذا فى نظرى رأى ضعيف[٧] . وورد اسم بطن يقال لهم «بنو المدان» كما ورد ذكر « مـدان » فى غزوة زيـد بن حارثة بنى جذام . ويقال له « فيفاء مـدان » [٨] .

والأمر ليس صعبا بالنسبة لتعيين « مديان » «Midian» ، فانه « مدين » . وقـد ورد ذكر « مدين » و « أصحاب مدين » فى مواضع من القرآن[٩] . ويرى « كلاسر » أن أهل مدين والاشـماعيليين هم من فرع واحـد ، وأن النسابين المتأخرين هم الذين فرقوا بين نسب « مدين » ونسب «الاشماعيليين» ، ويرى أيضا أنهم جماعة من «الهكسوس» وأنهم فى الأصل من المعينيين[١٠] ، وقد كانوا من الشعوب العربية القديمة التى بادت فى عهد مبكر من عالم الوجود [١١] .

---

(١) Ency. Bibl., P. 2564. Hasting., P. 490. Montgomery. Arabia and the Bible. P, 44.

(٢) صفة (ص ١١٦) .

(٣) Ency. Bibl. P. 3002

(٤) Ency. Bibl. P. 3002. « والمدان صنم ، وبنو المدان بطن » اللسان ٢٨٩/١٧ .

(٥) Hastings. P. 596.

(٦) Glaser, Skizze, 2 S. 453

(٧) Forster, Vol, I. P. 336.

(٨) اللسان ٢٨٩/١٧ .

(٩) الأعـراف ٧ ، آية ٨٥ . التوبة ٩ ، آية ٧٠ . هود ١١ ، آية٨٤ ، ٩٥ . طه ٢٠ آية ٤٠ . الحج ٢٢آية ٤٤ . القصص ٢٨ آية ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٥ . العنكبوت ٢٩ ، آية ٣٦ .

(١٠) Glaser, Skizze. 2. P. 449.

(١١) Hastings. P. 616. Ency. Bibl, P. 3081.

وفي التوراة أن « المديانيين » كانوا برفقة « الاشماعيليين » لما بيع « يوسف »[١] ، وأن « موسى » نزل عندهم وتزوج فيهم : أخذ ابنة « يثرون » « يثرو Jethro» كاهن « مديان » « مدين »[٢] . وفي موضع آخر أن « يترون » من « بني القيني » «Kenite»[٣] ، ويظن أن « بني القيني » هم فرع من فروع « مديان » « مدين »[٤] ، وقد اتحد المديانيون مع « موآب » ضد اسرائيل[٥] . وفي أيام « جدعون » «Gideon» كان « المديانيون » قد ضايقوا العبرانيين مضايقة شديدة ، وكانوا قد اتفقوا مع « العمالقة » و « بني المشرق » فتمكن « جدعون » من اخراجهم . وقد ورد في سفر « القضاة » اسم أميرين من أمراء « المديانيين » ، هما « غراب » «Oreb» ، و« ذئب » «Zeeb»[٦] . وورد في الاصحاح الثامن من « القضاة » اسم ملكين أو شيخين من « مديان » ، هما : « زبح » «Zebah» ، والآخر « صلمناع » «Zalmunna»[٧] . والظاهر أنه لم يعد للمديانيين شأن منذ هذا العهد ، فلم يرد عنهم شيء يذكر ، ولعلهم ذابوا في القبائل العربية الأخرى[٨] .

ويفهم مما جاء في « القضاة » أنهم كانوا فرعا من «الاشماعيليين»[٩] . والذي يفهم من مواضع متعددة من أسفار التوراة أن مواطن « المديانيين » كانت تقع شرق العبرانيين[١٠] . والظاهر أنهم توغلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين واتخذوا لهم هناك مواطن جديدة ، عاشوا فيها أمدا طويلا بعد هذا التأريخ حيث يرد ذكرهم في القرون الوسطى[١١] . وقد ذكر « بطلميوس » اسم موضع سماه «Modiana»

---

(١) « فمر قوم مدينيون تجار فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضه فأتوا بيوسف الى مصر » . التكوين : الاصحاح السابع والثلاثون ، آية ٢٨ .

(٢) الخروج : الاصحاح الثالث ، آية ١ وما بعدها . « وكان موسى يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى افضى الى جبل الله حوريب » .

(٣) القضاة : الاصحاح الاول ، آية ١٦ .

(٤) Hastings. P. 616. Ency. Bibl, P. 3080.

(٥) القضاة : الاصحاح السادس ، آية ٢٣ .

(٦) القضاة : الاصحاح السابع ، آية ٢٥ . الاصحاح الثامن : آية ٣ .

(٧) القضاة : الاصحاح الثامن ، آية ٦ وما بعدها .

(٨) Hastings. P. 616.

(٩) القضاة : الاصحاح الثامن ، آية ٢٤ . Ency. Bibl. P. 3081.

(١٠) Ency. Bibl. P. 3081. Hastings. P. 616.

(١١) Ency. Bibl. P. 3081.

على ساحل البحر الأحمر يرى العلماء أنه موضع « مدين »[١] ، وهو ينطبق على موضع أرض « مدين » المعروفة فى الكتب العربية .

وروى « يوسفوس » أن موسى ذهب الى مدينة «Madiana» [٢] ، ويعنى هذا أن مدينة كانت موجودة فى القرن الأول للميلاد تعرف باسم «مدين Madiana» [٣] ، وذكر « بطلميوس » اسم مدينة أخرى سماها «Madiama» [٤] . وقد أشار « أوسبيوس «Eusebius» الى مدينة دعاها « مديم «Madiam» [٥] قال انها سميت بهذا الاسم نسبة الى ولد من أولاد « قطورة » زوجة ابراهيم [٦] ، وهى تقع فى بادية الـ «Saracens» الى شرق البحر الأحمر . ويرى « موسل » أن «Madiama» أو «Madiam» هى « مدين » [٧] .

وقد ورد ذكر « أهل مدين » فى القرآن الكريم : ورد على سبيل العظة والتذكير بمصير يشبه مصير « مدين » ، وأشار الى نبيهم « شعيب » : « والى مدين أخاهم شعيبا » [٨] . وقد ورد اسمهم فى سورة « التوبة » مع قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم [٩] ، وورد مثل ذلك فى سورة الحج [١٠] . ومما جاء فى القرآن على لسان شعيب قوله يخاطب أهل مدين : « ياقوم ، اعبدوا الله مالكم من آله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين »[١١] . وورد فى سورة هود ما يشير أيضا الى أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان[١٢] مما يشير الى ترهيب أهل

---

(١) Ency. Bibl. P. 3081. Hastings. P. 616. Ptolemy, VI, 7. 27. Ency., Vol, 3. P. 104.

(٢) Josephus, Archaeologia (Naber), II, 257.

(٣) Musil, Hegaz. P. 278.

(٤) Ptolemy, Geography, VI, 7. 27. Ency, Bibl, 3081

(٥) Eusebius, Onomasticon (Klostermann) P, 124.

(٦) Musil, Hegaz., P.279.

(٧) Musil, Hegaz., 279.

(٨) الأعراف ٧ آية ٨٥ .

(٩) « الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين و . . » التوبة ٩ آية ٧٠ .

(١٠) الحج ٢٢ آية ٤٤ .

(١١) الأعراف ٧ آية ٨٥ .

(١٢) هود ١١ آية ٨٤ .

مكة وكانوا تجارا من نقص المكيال والميزان لئلا يصيبهم ما أصاب قوم شعيب حيث أصابهم الهلاك ، ويظهر من ذكر « الرجفة »[(١)] أن حدثا أرضيا كهزة أو هياج حرة أصابهم ، فأثر فيهم . وهذا ممكن جدا ؛ لأن أرض مدين من مناطق الزلازل والحرار .

ولورود اسم « مدين » وقصة « شعيب » في القرآن الكريم ، عني المفسرون وأصحاب قصص الأنبياء بجمع ماورد عن أهل مدين وأخيهم شعيب من أخبار ، غير أنهم لم يجدوا في ذاكرة من تقدمهم شيئا، فاستعانوا بما ورد عند يهود. وقد أضاف الأخباريون الى ذلك شيئا من القصص الشعبي، وشيئا ابتكروه، فأصبح « شعيب » « شعيب بن نويت بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم »[(٢)] . وقد ذكر الطبري وغيره من المفسرين أو المؤرخين أن اسم « شعيب » « يترون » « يثرون »[(٣)] وقد أخذوا ذلك من أهل الكتاب ولا شك ، ففي التوراة أن « موسى » نزل على أهل « مدين » ، بعد هربه من « فرعون » ، وتزوج ابنة كاهن « مدين » « مديان » « يثرون » ، وهي « صفورة » ، فولدت له ولدا دعاه « جرشوم »[(٤)] .

فرأى المفسرون والأخباريون أن « شعيبا » المذكور في القرآن هو « يثرون » التوراة . ويرى « بول » « Buhl» أن ذلك لم يكن معروفا في صدر الاسلام ، وانما حدث هذا بعد هذا العهد[(٥)] .

وقد جعل الناس لشعيب قبرا زعموا أنه على مقربة من « حطين » في موضع سماه « ياقوت » « خيارة »[(٦)] . وقال له « بول » « خربة مدين »[(٧)] .

ذكرت أن « يوسفوس » أشار الى وجود مدينة في أيامه عرفت « بمدين » ، وقد ذكر من جاء بعده اسم هذه المدينة أيضا . وتحدثت الكتب العربية عنها كذلك فورد

---

(١) العنكبوت ٢٩ آية ٣٦ . (٢) مروج (١/ ٢٨) .

(٣) تأريخ الطبري (١/ ١٦٧) « شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت ابن ابراهيم ، وقيل هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين . وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم ، وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم ، وهاجر معه الى الشام . ولكنه ابن بنت لوط ، فجدة شعيب ابنة لوط » ابن الأثير الكامل (١/ ٦١) .

(٤) خروج : الاصحاح الثاني آية ١٦ وما بعدها .

(٥) Ency. Vol, 4. P. 389. J. Horovitz, Koranische Untersuchungen, Berlin und Leipzig. 1916. S, 119ff.

(٦) البلدان (٣/ ٢٩٩) . (٧) Ency, Vol, 4, P, 389,

خبرها في غزوة « زيد بن حارثة » لجذام في حسمى [١] • ويظهر من بعض الكتب أنها كانت في صدر الاسلام من مناطق « جذام » [٢] ، وأنها كانت أكبر من « تبوك » وبها بئر زعم أنها البئر التي استقى منها موسى [٣] • ويظهر من شعر « لكثير عزة » أنه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان يتعبدون ويبكون من حذر العقاب [٤] •

لم تعين التوراة المناطق التي كان يقيم بها « المديانيون » • والظاهر من بعض آياتها أنهم كانوا قد غيروا مواضعهم مرارا ، وأنهم كانوا على اتصال « ببني قديم » والعمالقة والكوشيين [٥] • لذلك لا نستطيع أن نستخلص منها وجود أرض خاصة بشعب « مدين » • ويظهر أن المدينيين استقروا بعد ضعفهم في المنطقة التي ذكر « يوسفوس » وجود مدينة «Madiana» فيها ، أي في القرون الأخيرة قبل الميلاد • ويرى «موسل» أنها تقع في جنوب « وادي العربة » والى جنوب وجنوب شرقي « العقبة » [٦] •

ويرى « كلاسر » أن « المدينيين » « مديانيين » هم دوحة من «الهكسوس» أو قبيلة من قبائل « المعينيين » • ويستدل على ذلك بوجود اسم قريب من « عيفة » في النصوص العربية الجنوبية • و « عيفة » هو في نظر التوراة ولد من أولاد « مديان » [٧] •

ومن الصعب تعيين « يشباق » [٨] ابن « قطورة » الذي يلي « مديان » في الترتيب ، وقد رأى بعضهم أنه « يسبق » ، وهو موضع في شمال « سورية » ذكر في كتابات

---

(١) سيرة ابن هشام : طبعة وستنفلد (١/٩٩٤) •

(٢) صفة (١٢٩) • « ومدين اسم قرية شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام » • اللسان ١٧/٢٨٩ •

(٣) البلدان (٨/٤١٨) ، راجع أيضا المسالك لابن خرداذبة (طبعة دى غوية) ١٢٩ ، الأعلاق ابن رسته ، (طبعة دى غوية) ص ١٧٧ أحسن التقاسيم ، (طبعة دى غوية)ص ١٥٥ ، البلدان اليعقوبي (طبعة دى غوية) ٣٤١ • ومعجم ماستعجم ، البكري (طبعة وستنفلد) ٢/٥١٦ ـ ٥١٧ • •

(٤) البلدان (٨/٤١٨) •

(٥) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون آية ٦ • الاصحاح السابع والثلاثون ، آية ٢٥ ، ٢٨ • العدد : الاصحاح الثاني عشر آية ١ ، حبقوق : الاصحاح الثالث آية ٧ •

(٦) Musil, Hegaz., P. 287.

(٧) Glaser, Skizze, 2. P. 449.

(٨) Hastings, P. 392.

« شلمنصر الثانى » [1] . وقد أيد هذا الرأى « كلاسر » أيضا ، ويرى أن هنالك منطقة ورد اسمها فى فتوحات « تغلاتبليزر الأول » اسمها «Sukh» أو « شوح » أو «Schukh» ، وهى تقع شرق « حلب » لاتبعد كثيرا عن منطقة « يسبق» «Jasbuk» ، واسم هذه المنطقة قريب جدا من « شوح » الوارد فى التوراة ، لذلك يرى أن « يشباق » و « شوحا » فى منطقة « تدمر » [2] . ويرى « فورستر » أن « يشباق » هو موضع « الشبك » ، وهو على طريق « السكة الرومانية » الموصلة الى العقبة [3] .

وقد ذهب أكثر الذين بحثوا فى « شوح » الى أن هذا الاسم هو اسم موضع « سوخ » «Sukh» أو «Suchu» ، «Suhu» « سوخو » الذى ورد فى نص آخر يعود الى « آشوربنبال » « ٨٦٠ قبل الميلاد » [4] ، ويقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات [5] . وقد نسب أحد أصحاب « أيوب » الثلاثة وهو « بلدد » المعروف « بالشوحى » [6] الى « شوح » ، ويظن كثير من العلماء أنه من قبيلة « شوح » [7] .

وأظن أن موضع « شوح » ، وكذلك موضع « يشباق » ، يجب أن يكونا قريبا من المنطقة التى تصورتها التوراة لأبناء « قطورة » ، كأن يكونا فى موضع لايبعد كثيرا عن شرق فلسطين وأرض « مدين » ، ولا يبعد كثيرا عن أرض « كوش » التى ذكرت التوراة فى جملتها « شبا وددان » . وقد رأيت أن جماعة من علماء التوراة رأت أن « بلدد الشوحى » الذى زار مع زميلين له هما « اليفاز التيمانى » و « صوفر النعماتى » « أيوب » انما كان من « شوح » . وحيث أن « اليفاز » هو من « تيمان » . وقد رأى العلماء أن « تيمان » تقع الى الجنوب الشرقى من أرض أدوم ، وهى أرض « أبناء الشرق » ، وتبعد مسافة « ١٥ » ميلا عن « البتراء » على رأى بعضهم [8] ، وأن « صوفر النعماتى »

---

(١) Ency. Bibl. P. 2210. Fr. Delitzch, in Zeitschrift für die Keilschriftforschung und Verwandte Gebiete, 2. 91 f. (1885). W. Smith, A Dictionary of the Bible, Comprising its Antiquities, Biography, Geography, and natural History, 2nd ed Glaser, Skizze, 2, P. 445.

(٢) Glaser, Skizze, 2, P. 445—446.

(٣) Forster, 1.P. 352—353.

(٤) Ency. Bibl., P. 4495.

(٥) Hastings, P. 852. Ency, Bibl; P. 4495.

(٦) أيوب : الاصحاح الثانى ، آية ١١ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٤٥) Ency. Bibl; P. 4495. Hastings, P. 852.

(٨) قاموس الكتاب المقدس (١/١٤٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

هـو من « أدوم »[١] أو « تيمان »[٢] ، أو من « نعمـة » ، و هى أحـد مـدن « يهـوذا »[٣] ، أو من قبيلـة كانت تقطـن عنـد حدود « أدوم » «Idumaea»[٤] ، وأن « أيوب » من أرض « عوص » • والأرجح أنها شرقى « أدوم »[٥] ، لهذه الأسباب أرى أن أرض « يشباق » و « شوح » يجب أن تكون متجاورة ولا تبعد كثيرا عن شرق وجنوب فلسطين ، ويجب أن تكون متاخمة لأرض « مديان » وهى « مدين » •

أولاد يقشان :

وقد نسل يقشان « شبا » و « ددان » • أما « شبا » فيظهر من اقتران اسم « شبا » « بددان » فى السفر العاشر من أسفار التكوين أنهما بنو « رعمة »[٦] من « كوش » وفى السفر الخامس والعشرين من التكوين أيضا أنهما شقيقان من نسل « يقشان »[٧] ، على أن التوراة انما تقصد من ذلك تجاور الموضعين ، ولا تعنى « شبا » هنا مملكة « سبأ » ، وانما تعنى أرضا كان يسكنها جماعـة من السبئيين ، فالموضـع اذن على مقربة من « ددان » أو « العلا » فى الحجاز[٨] •

ولم تهب التـوراة « لشبـا » أولادا ، بل جعلتـه عقيمـا • انما وهبت شقيقـه « ددان » عددا من الأولاد هم : « اشوريم » و « لطوشيم » و « لأميم »[٩] اما « اشوريم » «Asshurim» ، فـيرى بـعض العلـماء أنـه « أشـور » «Ashur» الـذى ورد فى النصوص المعينيـة مقرونا مع اسـم موضع « عبر نهـران Ibr nahran » ، وتقع هذه المنطقة من « طور سيناء » الى « بئر السبع » «Beersheba» « وحبرون »[١٠] ، وتحاذى « مصرى » الواقعة فى شبه جزيرة العرب على رأى « ونكلر »[١١] •

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣١) • Ency. Bibl; P. 5427.
(٢) Ency. Bibl; P. 5427.
(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣١) • (٤) Hastings. P. 991.
(٥) قاموس الكتاب المقدس (١/١٨٨) • Ency. Bibl P. 5238.
(٦) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ •
(٧) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٢ •
(٨) Glaser, Skizze 2. S, 454.
(٩) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٣ •
(١٠) Ency. Bibl; P. 346. Glaser. 1155. Winckler, AOF. 28 f. ZDMG, 1895. P. 527. Winckler, Musri; Heft. 2. P. 51 ff.
(١١) Winckler, Musri, 2, Hefte. Berlin.

ولا نعرف شيئا عن « لطوشيم » و « لأميم » ، ويظن « كلاسر » أنهم من سكنة « طور سيناء » [1] .

وأما « مديان » ، فكان له ـ على رأى التوراة ـ عدد من الأولاد ، هم : عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعة[2] . أما « عيفة » ، فقد ورد ذكره فى موضع من التوراة على أنه اسم قبيلة كانت تحمل الذهب واللبان على الجمال من « شبا » وتبيعها فى فلسطين[3] ، ولا نعرف من أمرها شيئا . وأما « عفر » ، فاسم قبيلة يرى « كنوبل Knobel» و « ديلج » «Fr. Delitzch» أنها قبيلة « بنو غفار » من « كنانة »[4] . ورأى آخرون أنه اسم موضع يعرف « بعفر » يقع على مقربة من « الحنكية » بين تهامة وأبان[5] . ورأى « كلاسر » أنه موضع « Apparu » الذى ورد فى كتابة تعود الى « آشوربنبال»[6] .

هنالك موضع يعرف « بعفار » و « عفر » قرب « مكة » ، وموضع يعرف « بعفاريات » بنواحى العقيق[7] ، ومواضع أخرى على مقربة من مدين والأردن وفلسطين هى أقرب الى « عفر » من الموضع الذى تصوره « كلاسر » . وذكر الهمدانى اسم موضع « عفار » . وموضع آخر سماه « الخنقة »[8] واسما هذين الموضعين قريبان من « عفر » « وحنوك » . ويرى بعض العلماء أن « حنوك Hanoch» هو موضع « الحنكية » فى شمال « المدينة »[9] .

وأما « ابيداع «Abida‘» ، فيرى « كلاسر » أنه موضع من هذه المواضع الواقعة فى الحجاز[10] . وقد ورد اسم فى النصوص السبئية قريب من هذا الاسم[11] . ولا نعرف كذلك من امر « الدعة Eldaah » شيئا حتى الآن[12] .

وقد عرفت الكتب العربية أن « قطورة » هى زوج ابراهيم تزوجها بعد وفاة سارة ، وقد قالوا لها « قطوراء » و « قطورا » كما قالوا لها « قنطوراء » . ونلاحظ أن

---

(١) Glaser, Skizze. 2. P. 460. Ency, Bibl; P. 2768. Hastings, P. 541.

(٢) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٤ .

(٣) اشعياء : أصحاح ٦٠ ، آية ٦ . Ency. Blbl; P. 1300-1301. Hastings. P. 231

(٤) Ency. Bibl P. 1301.

(٥) Ency. Bibl, P, 1301.

(٦) Glaser, Skizze; Vol. 2. P. 449.

(٧) البلدان (٦/١٨٧ وما بعدها) .

(٨) صفة (ص ٢٥٣) .

(٩) Glaser, Skizze; 2. P. 449. Ency. Bibl; P,1960.

(١٠) Glaser, Skizze; 2. 449.

(١١) Ency. Bibl, P, 14.

(١٢) Ency. Bibl, P. 1255.

أكثر الذين قالوا لها « قطوراء » و « قطورا » ذكروا أولادها على نحو ماجاء فى التوراة • وأما الذين قالوا لها « قنطوراء » ، فقد ذكر أكثرهم أنها ولدت أولادا هم الترك والصين ، ويضيفون اليهم السودان فى بعض الأحيان[(١)] • وهو من وضع الأخباريين ، اذ لم يرد أسم الترك والصين فى جدول أنساب التوراة ، ولعله من وضع أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، وضع لمحاولة ربط نسب الترك بالعرب عن طريق ابراهيم • ولم ينس أصحاب الملاحم والتنبئوات أن يرووا بعض الأحاديث أدخلوا فيها اسم « بنو قنطوراء »[(٢)] •

ولم تتعرض التوراة لنسب « قطورة »[(٣)] ، ولم تصرح أنها من العرب أو من غيرهم، ولم تجعل لها اسما ثانيا • أما الأخباريون ، فقد جعلوا لها والدا كما جعلوا لها اسما آخر قالوا انها كانت تعرف به • أما والدها ، فزعموا أنه « يقطن »[(٤)] ، فهو اذن قحطان • وزعموا أيضا أنه « يكفور » أو « مفطور »[(٥)] • وأما اسمها ، فهو « انموتا » أو « أنمتلى »[(٦)] • وزعم بعض الأخباريين أنها من ولد « افراهم بن أرغو بن فالغ » • وذكروا أيضا أنها كانت عربية من العرب ، وتكلمت بهذا اللسان العربى المعروف •

وقد ذكر أكثر الأخباريين أسماء أبناء « قطورة » على نحو ماوردت فى التوراة • ووردت محرفة ومشوهة عند بعضهم ، أو صحيحة فى موضع مشوهة فى موضع آخر • وقد ولدت « قطورا »على رأى «ابن اسحاق » ستة نفر : يقسان ، وزمران ، ومديان ، ويسبق ، وسوح ، وبسر • وتزوج يقسان رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوذان بن جرهم ابن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر • وولد لزمران المزامير الذين لايعلمون ، وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن مكائيل النبى [(٧)] • أخذ ابن اسحاق هذا الخبر كما ورد اليه ، ولو راجع التوراة لما وجد فيها ليقشان « زوجا » اسمها « رعوة بنت زمر بن

---

(١) القاموس (٢/١٢٣) ، اللسان (٦ /٤٢٢) •

(٢) « يوشك بنو قنطوراء أن يخرجوكم من أرض البصرة • » « اذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء » • اللسان (٦/٤٢٢) •

(٣) معنى « قطورة » « بخور » قاموس الكتاب المقدس (٢ /٢٢١)• Hastings. P. 514.

(٤) الطبرى (١/١٥٩) ، الكامل (١/٤٨) •

(٥) الطبرى (١/١٦٠) ، الطبقات (١/١ ص ٢٢) •

(٦) الطبرى (١/١٥٩) •

(٧) الطبرى (١/١٥٩) •

يقطن » ، ولا أية زوج أخرى . لقد وهبت له التوراة ولدين هما : شبا و ددان ، ووهبت له حفدة من ددان هم : أشوريم ولطوشيم ولأميم[1] . ولكنها سكتت عن ذكر اسم زوجه . ولم تهب له ولدا آخر كان من نسله « البربر » . ولعل الأخباريين اخترعوا هـذا الولد ترضية « للبربر » الذين كانوا عنصرا مهما فى شمال افريقيـة يخشى منه . فأوجدوا هذا النسب الذى أوصل أسباب نسبهم بقحطان وابراهيم ، وهو نسب له قيمته فى نظر مجتمع ذلك اليوم .

وليس فى التوراة ولد « لزمران » يقال له « المزامير » . وأولاده هم « المزامير الذين لايعلمون » . وهذا التعبير الذى يدل على أن قائله لايعلم شيئا فى هذا الموضوع غريب . و « المزامير «Psalms» هى أغـان أو تواشيح ترتل على صوت المزمار لتمجيـد الله . وتقسم الى خمسة كتب ،يختم كل منهـا بتسبيحة وتكرر لفظـة « آمين » مرتين أضافها جامعو الكتاب لامؤلفو المزامير[2] . وهى من لفظة «Mizmor» فى العبرانية و «Mazmor» فى السـريانية و «Mazmur» فى « الأثيوبية » ، وتقـابل « الزبـور » و « الزبر » التى وردت فى القرآن الكريم [3] . وقـد ذكر « ابن النـديم » على لسـان أحمد بن عبـدالله بن سـلام من مترجمى التـوراة والانجيـل . أن المزامير هى « الـزبـور » وهى خمســون ومئــة مـزمـور[4] . وقـد ذكر بـعض المؤرخين أسماء ابناء « قنطوراء بنت مفطور » [5] ، على هذا الشكل : مدن ومدين ويقسـان وزمران ويسبق وسـوح[6] ، أو مـدن ومـدين ويقشـان وزمران وأشبق و شوخ [7] . وجاء أن أبناء « يقشان » لحقوا بمكة وأقام أبناء « مدن » و « مدين »

---

(١) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون آية ٣ . أخبار الأيام الأول :الاصحاح الاول ، آية ٣٢ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/١ وما بعدها) . Hastings. P. 769.

(٣) الاسراء : ١٧ ، الآية ٥٥ ، آل‌عمران ٣ ، الآية١٨٤ ، النحل ١٦ ، الآية ٤٤، الشعراء ٢٦ الآية ١٩٦ ، فاطر ٣٥ الآية ٢٥ ، انقمر ٥٤ الآية ٤٣ ، ٥٢ .

(٤) الفهرست (ص ٣٤) .

(٥) القاموس (١٢٣/٢) ، اللسان (٤٢٢/٦) .

(٦) الطبرى (١٦٠/١) . (٧) الطبقات (١/١ ص ٢٢) .

بأرض « مدين »[١] . وزعم الأخباريون أن ابراهيم تزوج بزوج عربية أخرى هي : حجور بنت أزهير ، وقد نسلت منه خمسة بنين هم : كيسان وشورخ وأميم ولوطان ونافس[٢] . وليس في التوراة لابراهيم زوج عربية اسمها « حجور بنت أزهير » وليس فيها هؤلاء الأبناء . وقد عرفت أسماء بعضهم سوى أسماء سماها الأخباريون أسماء أولاد ابراهيم من هذه الزوج التي تفضلوا بها عليه .

وليس في التوراة ذكر لهذه الزوج التي تفضل بها الأخباريون على ابراهيم ، وليس فيها أيضا هؤلاء الأولاد الذين تفضل بهم الأخباريون على ابراهيم . والظاهر أنهم أخذوها من هنا وهناك ، فأضافوها الى ابراهيم ، فلوطان «Lotan» في التوراة هو بكر سعير الحوري ورئيس عشيرته في أرض أدوم[٣] وأعتقد أنهم أرادوا « بلوطان » « لوطا » «Lot» ابن « هاران » «Haran» شقيق ابراهيم « ابرام »[٤] ، فهو ابن أخي « ابراهيم » لا ابن ابراهيم .

وأما « نافس » ، فهو ــ على ما أرى ــ « نافيش » ابن اسماعيل بن ابراهيم[٥] . وقد تصور الأخباريون أنه ابن ابراهيم ، وانما هو حفيده . وأما « أميم » ، فمن الجائز أنهم قصدوا « لاميم » ابن « ددان » وشقيق « لطوشيم » . وقد تحدثت عنه ، فمن الجائز أيضا أن يكون « لوطان » تحريفا « للطوشيم » . و « شورخ » تحريف « أشوريم » ، و « كيسان » تحريف « يقشان » .

والخلاصة ان العرب ــ على رأي التوراة ــ هم من نسل سام بن نوح ، وقد انتقل هذا الرأي منها الى الأخباريين فقالوا به . وقد ولد سام بن نوح من الأولاد : عيلام

---

(١) الطبري (١/١٦٠) .

(٢) الطبري (١/١٦٠) « حجون ابنة أهير » الكامل (١/٤٨) « تزوج ابراهيم امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطوراء ، فولدت له أربعة نفر ماذي وزمران وسرحج وسبق . قال : وتزوج امرأة اخرى يقال لها حجوني ، فولدت له سبعة نفر نافس ومدين وكيشان وشروخ وأميم ولوط ويقشان » . الطبقات (١/١ ص ٢٢) .

(٣) التكوين : الاصحاح السادس والثلاثون ، الآية ٢٠ و ٢٢ ، ٢٩ ، أخبار الأيام الأول : الاصحاح الأول ، آية ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) التكوين : الاصحاح الحادي عشر ، آية ٣١ ، ٣٢ .

(٥) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٥ ، وأخبار الأيام الأول : الاصحاح الأول ، آية ٣١ .

وأشور وأرفكشاد ولود وأرام • ومن أرفكشاد ولود وأرام تفرع العرب على رأى الأخباريين • أما « أرفكشاد » ، وهو « أرفخشذ » فى الكتب العربية ، فقد ولد ولدا قيل له فى التوراة « شالح » ، ويعرف فى الكتب العربية « بشالخ » • وولد « لشالح » « عابر » ، وولد لعابر ابنان هما : « فالج » ويعرف فى الكتب العربية « بفالغ » وهو الابن البكر ، و « يقطان » وهو الابن الثانى والجد الذى أولد «١٣» ولدا تحدثنا عنهم ، وقد اتخذه النسابون الجد الأكبر للقحطانيين •

وأما « فالج » «Peleg» ، فقد كان له ولد يقال له « رعو » «Re'u» وفى الكتب العربية « أرغو » ، وهو والد « سروج » «Serug» « ساروغ » • وقد ترك « سروج » له ولدا هو « ناحور » «Nahor» و « ناحور » هو جد « ابراهيم » ووالد « تارح Terah» وقد ترك « تارح » له من الأولاد ثلاثة أولاد ، هم : « ابرام » وهو « ابراهيم » و « ناحور » و « هاران » •

أما ابراهيم ، فقد كان ابنه البكر من جاريته «هاجر» وهذا الابن هو «اشماعيل» اسماعيل الذى ترك له اثنى عشر ولدا تحدثت عنهم ، وهو جد « العدنانيين » فى نظر الأخباريين • وكان له « اسحاق » من زوجه « سارة » ، ومنها جاء « العبرانيون » • وكان له ستة أولاد من زوجه « قطورة » تحدثت عنهم •

وأما « لود » ، وهو « لاوذ » عند الأخباريين ، فقد أوجد الأخباريون له أولادا هم : « عمليق » وهو أبو « العمالقة » و « طسم » و « أميم »[1] ، ولم تذكر التوراة كما سبق أن ذكرت له ولدا ، ولا يزال علماء « الكتاب المقدس » لايعرفون من أمره شيئا ، فذهب بعضهم الى أنه كناية عن « اللوديين » الذين ذكروا مع « كوش » و « فوط » ، ويعنون بذلك شعبا من الشعوب الافريقية[2] • لذلك لانعرف كيف أنعم الأخباريون عليه بولد جعلوهم فى الطبقة الأولى من العرب : أكان ذلك من عندهم أم ورد ذلك اليهم من الشروح والتفاسير التى كانت فى أيدى يهود شبه جزيرة العرب ، أو هو من وضع أولئك اليهود ؟ •

أما « أرام » أو « ارم » و « آرام » كما يقال له فى الكتب العربية ، فكان له

---

(١) الطبرى (١/١٠٥) ، الكامل (١/٣١) و « جديس » فى روايات أخرى الطبرى (١/١٠٤) •

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٠٠) •

ولد . هم: عوص وحول وجاثر وماش[1] . وقد ذكر الأخباريون أن لعوص ولدا منهم « عاد » وعبيل[2] . ولم تجعل له « التوراة » ولدا ، ولا يزال العلماء يختلفون فى موضع أرض عوص . ولا ندرى كذلك كيف وضع الأخباريون عادا وعبيلا فى نسل « عوص » . ولعل أهل الكتاب هم الذين أشاروا عليهم بهذا الرأى . وقد كان على الأخباريين ادخال « ثمود » فى هذا النسب كذلك قياسا على الحاقهم فى أخبارهم ثمودا بعد عاد . ولكنهم لم يأخذوا به ، بل وضعوا ثمودا فى نسل « كاثر » ابن « ارم »[3] أى « جاثر » التوراة ، ويضيفون اليهم أحيانا طسما وجديسا على أنهما ابنا « كاثر » .

ومن أولاد « لاوذ » وولدى « ارم » وهما « عوص » و « كاثر » أو « غاثر » كون الأخباريون طبقة من طبقات العرب . وقد رأينا أن هنالك ثلاث طبقات أخرى هى طبقة اليقطانيين أى « القحطانيين » ، وطبقة « الاشماعيليين » أى « العدنانيين » ، وطبقة « القطوريين » أبناء « قطورة » أى « قطوراء » . فيكون للعرب اذن أربع طبقات أقدمها طبقة أبناء « لاوذ » و « ارم » ، تليها طبقة « اليقطانيين » فالاشماعيليين فالقطوريين . وذلك بحسب هذه النظرية الواردة فى التوراة . وقد كان على الأخباريين تقديم أبناء « لاوذ » على أبناء « عوص » و « غاثر» ؛ لأن « لاوذ » هو ابن سام فهم اذن حفدة « سام » . وأما « عاد » و « ثمود » ، فهم أبناء حفدة سام ، فلا حق لهم فى التقدم على الحفدة . ولكن أهل الأخبار والأنساب غضوا النظر عن هذا الحق الطبيعى المكتسب ، وقدموا عادا وثمودا على أبناء « لاوذ » فى البحث .

ولم يكن لهذه الطبقة عند ظهور الاسلام وتثبيت الأنساب بقية تدافع عن نسبها وحقوقها ، لذلك عدها النسابون طبقة بائدة ، وقالوا لها العرب الأولى . أما أبناء « يقطان » ، فقد كانت لهم بقية باقية قوية كثيرة العدد ، كانت لها عصبية . فقد كانت هذه البقية من « سبأ » ، و « سبأ » من يقطان ؛ لذلك تمسكت بأهدابه ، وجعلته جدها المحظوظ . وقد كان لليهودية والنصرانية اللتين ثبتتا أقدامهما فى اليمن قبل الأسلام أثر كبير فى ظهور هذا الجد ، واختصاصه باليمن . مع أنه لاوجود له

---

(١) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٢٣ .
(٢) الطبرى (١/١٠٥) .
(٣) الطبرى (١/١٠٥ ، ١١٥) خلاصة (ص ٤٣) .

عند اليمانين فى الكتابات الجاهلية . والظاهر أن اليهود الذين عاشوا بين العرب لم يرتاحوا من هذا النسب الذى أشاعوه هم فى الأصل بين اليمانين . فكان سببا لتمسك اليمانين به ،وعد أنفسهم من حفدة ذلك الجد « يقطان » الذى هو أقدم عهدا من ابراهيم جد الاسماعيليين والعبرانيين على السواء . أليسوا هم من « سبأ » و « سبأ » « شبأ » ولد من أولاد « يقطان » . ؟ لذلك كان الحقد يدفع نسابى يهود العرب على نكران هذا النسب وعد « سبأ » الذى يتبجح به اليمانون « سبأ » آخر هو من ولد « كوش » أى الأحباش والزنوج لا من « شبأ » ابن « يقطان »[1] . وصادفت هذه الدعوى بالطبع هوى فى نفوس حزب آخر عرف بعدائه لليمن ولقبائل اليمن هو حزب العدنانيين .

لقد تمسك أهل اليمن ومن انتسب اليهم على كل حال بأهداب « قحطان » وأصروا على أنه هو جدهم الحقيقى ، وأنهم ظهروا من صلبه ، وجل النسابين منهم ، فكان لابد من تقديم طبقتهم على الطبقة الأخرى التى كانت تليهم فى القدم ، وكانت تنافسهم منافسة شديدة ، وأعنى بها طبقة أهل مكة خاصة والقبائل التى كانت تنتسب اليها وكانت بسبب العداء السياسى والاقتصادى الذى ظهر فى الجاهلية القريبة من الاسلام بينها من جهة وبين يثرب وأهل اليمن من جهة أخرى قد احتكرت هى أيضا « اسماعيل » وعدته أباها خاصة ، وجدها ابراهيم لايشاركهم فيهما خصومهم اليمانون . فانحصر النزاع بهذا فى الاسلام فى طبقتين : طبقة قحطان ،وطبقة أهل مكة أبناء اسماعيل وشعارها « عدنان » .

ومن حق « قحطان » بحسب نظرية القدم هذه أن يتقدم أبناؤه على أبناء عدنان . وقد قدمهم نسابوهم بالفعل على الطبقة الثانية التى نعتوها بأنها « مستعربة » ، وأن العربية لم تكن عندها أصيلة، وروجت دعايتهم هذه الدعوى وثبتتها حتى فى كتب نسابى العدنانيين .

وأما الطبقة الرابعة ، وهم أبناء « قطورة » ، فلم يكن لهم من يدافع عنهم أيام أخذ الناس بتدوين الأنساب وتثبيتها فى الدواوين . وقد رأيت أن كتبة التوراة أنفسهم كانوا فى حيرة من أمرهم ، فطبيعى أن يرث الأخباريون هذه الحيرة وأن يسقطوا

---

(١) ابن خلدون (٢/٤٦) .

اسمهم من الحساب • والظاهر أنهم كانوا ضعافا حتى فى أيام تدوين الأنساب فى التوراة • لذلك ذكروا فيها على أنهم ستة قبائل بينما ذكر « اليقطانيون » على أنهم أصحاب ثلاثة عشر قبيلة والاسماعيليون اثنى عشر قبيلة أى الضعف • ولهذا السبب – على ماأرى – نظر كتبة الأسفار التى دونت الأنساب اليهم نظرة لاتمت الى الخوف منهم أو التقدير ، فجعلت أمهم « سرية » لابراهيم •

لقد اعترفت التوراة بوجود وشائج قربى بين العرب والعبرانيين ، واعترفت ضمنا بأن اليقطانيين أقدم منهم عهدا ، وأن الاسماعيليين أقدم عهدا منهم كذلك ، ولكنهم شاؤوا أن يجعلوا اسماعيل ابن جارية مصرية ، فنسله أبناء جارية • وهم أبناء زوج حرة ، والصفوة المختارة ، على عادتهم فى تقديم أنفسهم على جميع شعوب العالم • والظاهر أنهم فعلوا ذلك نكاية بالاشماعيليين الذين صاروا أخيرا من ألد أعداء اليهود ، وأعتقد أن العلاقات لوكانت سيئة منذ أول التقاء الاسماعيليين بالعبرانيين لما جعلوهم من صلب اسماعيل ، ومن يدرى فلعلهم كانوا ينقلونهم الى قائمة أبناء « كوش » كما فعلوا بنسب الكنعانيين •

القحطانية والعدنانية :

استعملت فى الكتب العربية « يمن » مقابل « معد »[(١)] ، وورد فى كتاب « تأريخ الحروب » « لبروكوبيوس Procopius» المتوفى سنة « ٥٦٥ م » ذكر قبيلة من قبائل « السركينوى » «Sarakenoi» سماها «Maddeni» «Maddenoi» وأشار الى أنها كانت خاضعة لحكم «Homeritae» وأن « يوسطنيانوس » « جستنيانس »[(٢)] « ٥٢٧–٥٦٥ م » أرسل رسولا الى ملك «Homeritae» ليتوسل اليه بالانضمام الى الروم وبالموافقة على تعيين شيخ اسمه «Caisus» على «Maddeni» وبتأليف جيش مشترك من « هوميريته » و « مدينى » لمهاجمة الفرس وشن الغارات على حدودهم • وقد نصب «Caisus» ملكا على « مدينى » ، فرجع الرسول ليخبر القيصر ، غير أن الملكين لم يغزوا أرضى الفرس[(٣)] •

وقصد «بروكوبيوس» بـ «Maddeni» « معدا » و بـ «Homeritae» «حميرا» ، ويعنى

(١) اللسان ٢/٧٧ •
(٢) « يوسطنيانوس » الطبرى – الطبعة الاوربية – (١/٧٤٣ – ٧٤٤) •
(٣) Procopius , History of the wars, P. 181 (H.B. Dewing) .

بذلك « اليمن » • وكانت معد ـ كما يظهر من قوله ـ خاضعة لنفوذ « حمير » ، غير أنها استقلت عنها • ويظهر أن ذلك حدث قبيل هجوم الأحباش على اليمن واستيلائهم عليها حيث لم يعد لحمير بعد ذلك نفوذ ما في الشمال • و «Caisus» الذي نصب ملكا على « معد » هو « قيس » ، وكان صاحب كفايات ، شجاعا محاربا ، وكان قد قتل أحد أقرباء ملك «Homeritae» وهو «Esimiphaeus» « السميفع أشوع » الذي نصبه النجاشي ملكا على اليمن • والظاهر أن وساطة القيصر لدى « السميفع » انما كانت لاصلاح ذات البين ، ولتسوية ذلك الحادث • وقد تم على مايظهر ، وتلقب « قيس » ـ وهو من أسرة توارثت المشيخة ـ بلقب « ملك » • ولا أستبعد أن يكون « قيس » هنا هو « قيس » الذي تفاخر به « القيسيون » واتخذوه جدا ينتسبون اليه •

وقد ذكر « بروكوبيوس » أن « معدا » هم جماعة من « السرسين » ، مثل جماعات أخرى كانت في فلسطين وفي جنوب مواطن « معد » • وهذا مما يشير بوضوح الى أن « معدا » لم تكن تعني في أيام هـذا الكاتب الذي توفي في وقت ليس ببعيد عن ميلاد الرسول وظهور الاسلام هذا المعنى الذي نجده في الكتب الاسلامية • وكل مافي الأمر أنها قبيلة أو مجموعة قبائل كانت تتسمى بمعد ، وأنها كانت خاضعة لحمير أي اليمن ، ثم استقلت عنها •

وقبيل ظهور الاسلام كان بين « يثرب » أي « المدينة » وبين « مكة » نزاع شديد • ولما هاجر الرسول الى « يثرب » ، عرف أصحـابه الذين تبعوه « بالمهاجرين » • وقـد دامت الهجرة الى عام الفتح « فتح مكة »[1] • وأما أهل المدينة الذين آووا الرسول ونصروه ، فهم « الأنصار » • وللقضاء على الخصومة ، آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين • غير أن العداء عاد فتجدد بين الأنصار والمهاجرين، بعد وفاة الرسول، ويتمثل هذا العداء في شعر حسان بن ثابت والنعمان بن بشير[2] والطرماح بن حكيم ، وهم شعراء « يثرب » والسنتها ، وفي الأشعار الأخرى التي جمعت في دواوين الأنصار[3] •

---

(١) اللسان (٧/١١١) « فلما فتحت مكة صارت دار سلام كالمدينة وانقطعت الهجرة • وفي الحديث : لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » •

(٢) الأغاني (١٣/١٤٢ ، ١٤/١١٤ وما بعدها) •

(٣) الأغاني (٢٠/١١٧) « كان نهيك بن أساف يهاجي أبا الخضراء الأشهلي في الجاهلية ، وأشعارهم موجودة في أشعار الانصار » •

و « الأنصار » صفة غلبت على أهل المدينة وجرت مجرى الأسماء وصارت كأنها اسم الحى[1] ، كما غلبت كلمة « المهاجرين » ، وهى صفة على مكة جرت عليها مجرى الأسماء . وقد اصطبغت دعوة الأنصار بصبغة يمانية ، فنجد فى شعرهم فخرا باليمن ، واعتزازا بأصلهم اليمانى ، ومجاهرةبأنهم يمانون صرحاء وبأنهم من أقرباء الغساسنة ومن ذوى رحمهم . وقد استخدم شعراؤهم كلمة « الأنصار » مقابل « معد » ، أى أنها قامت مقام « يمن »[2] . كما استخدموا تلك الكلمة مقابل « مضر »[3] ومقابل « نزار »[4] ، وأطلقوا على لسانهم « حسان بن ثابت » شاعر الأنصار ، وشاعر اليمن وشاعر أهل القرى[5] . ويدل هذا الاستعمال بالطبع على أن هذه الكلمات تؤدى معنى واحدا ، وأن الأنصار جميعهم من أصل يمانى . وأن أهل القرى كانوا من اليمن أيضا ، كما استعملت كلمة « الأنصار » مقابل « قريش »[6] .

ولم يكن الأنصار بالطبع من قبيلة واحدة ، ومع ذلك فقد أصبحوا وكأنهم من قبيلة واحدة تربط بينهم عصبية شديدة كادت تكون نسبا ، وعرفت وفودهم التى كانت تفد على الخلفاء بوفود الأنصار[7] ، أو «الأنصار». وقد قال عمرو بن العاص لمعاوية حين قال له حاجبه «الأنصار بالباب» : «ماهذا اللقب الذىقد جعلوه نسبا ؟ أرددهم الى نسبهم» . فقال له

---

(١) اللسان (٧/٦٦) .

(٢) وقال الله قد يسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد ... قتال أو سباب أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ديوان حسان (طبعة هرشفلد) ص ١ .
نصرنا وآوينا النبى محمدا ... على أنف راض من معد وراغم
ديوان حسان (ص ٢٥) .

(٣) ونحن جندك يوم النغف من أحد ... اذ حزبت بطر أشياعها مضر
ديوان حسان (ص ٥٧) .

(٤) Muh . Stud . Vol , I.P.94. ZDMG. XVIII. P.239

(٥) مجالس ثعلب . القسم الثانى تحقيق عبد السلام محمد هارون سنة ١٩٤٩ (ص ٤٢٩) .

(٦) ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار
الأغانى (١٣/١٤٢) .

(٧) الأغانى (١٣/١٤٢) « وفد الأنصار » .

معاوية : « ان علينا فى ذلك شناعة » . قال : « وما فى ذلك ؟ انما هى كلمة مكان كلمة ولا مرد لها » . فقال معاوية لحاجبه : « أخرج ، فناد : من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر ، فليدخل » . فخرج فنادى بذلك ، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار ، فقال له : « أخرج ، فناد : من هنا من الأوس والخزرج ، فليدخل » ، فخرج فنادى ذلك ، فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول :

ياسعد ، لاتعد الـدعاء ، فما لنا	نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الآلـه لقومنـا	أثقـل بـه نسبـا الى الـكفار
ان الـذين ثووا ببـدر منـكم	يوم القليب هـم وقـود النـار

وقام مغضبا . فبعث معاوية ، فرده ، وترضاه وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من « الأنصار »[(١)] . وكان النعمان بن بشير حامل لواء الأنصار قد غضب فى مجلس من مجالسه مع معاوية ، ولاحظ معاوية عليه الغضب فضاحكه طويلا ، ثم قال له : « ان قوما أولهم غسان ، وآخرهم الأنصار ، لكرام »[(٢)] .

افتخر « الأنصـار » بيمن ، فافتخر المكيون عليهم بمعـد وبقريش وبالنبوة وبأن الرسول منهم . وقد أجابهم الأنصار بأن أم الرسول من بنى النجار أخوال النبى ، وهم من المدينة ، وبأنهم كانوا أول من آمن به ، وبأن المتنبين كانوا من قبـائل معـد[(٣)] . ويلاحظ أن هل مكة أو الأنصـار لم يستخدموا كلمة « المهـاجرين » كثيرا فى مقـابل « الأنصار » ، ولم تستعمل فى الحياة العامة استعمال هذه الكلمة ، مع أنها وضعت فى الاصل فى مقابل « المهاجرين »[(٤)] . بل استعملت « الأنصار » فى الأكثر فى مقابل قريش[(٥)] ، كما استعملت « قريش » فى مقابل « يمن »[(٦)] .

عرف نزاع « يثرب » و « مكة » بنزاع « الأنصار » و « المهاجرين » ، وعرف بنزاع « الأنصار » و « قريش » أو « الانصار » و « معد » أو «الأنصار» و « نزار » . وقد تحزبت فيه « يثرب » ليمن ، ومكة لقريش ؛ ولذلك قيل « يمن » فى مقابل « قريش ». وقد استمر هذا النزاع طويلا ، ثم سمى فى العصر الأموى بأسماء أخرى جديدة لمسمى واحد هو

---

(١) الأغانى (١٤/١٢٠ ، ١٢٢) .
(٢) الأغانى (١٤/١١٩) .
(٣) Muh. Stud., Vol, I.P.96
(٤) Muh. Stud., Vol, I.P.96
(٥) Muh. Stud., Vol, I.P.96
(٦) الأغانى (٢٠/١٠٠) .

هذا النزاع الذى نتحدث عنه نزاع « يمن » و « قريش » .

وفى وسط هذه المعركة دونت الأنساب ، وثبتت فى الديوان ، وأمر عمر بفرض العطاء للمسلمين فى سنة خمس عشرة للهجرة ، وقد راعى فى ذلك « القرابة » والسابقة فى الاسلام [1] ، ووضع قاعدة فى تسجيل القبائل تتلخص فيما يأتى : « أن أيما حى من العرب كانوا فى حى من العرب أسلموا معهم فهم معهم » [2] . الا أن يعترضوا فعليهم البينة ، كالذى فعله مع بجيلة رهط جرير بن عبدالله بن جابر، وكانوا قد تفرقوا واغتربوا بسبب حروب وقعت بينهم وألحقوا بقبائل أخرى [3] ، وروى أن عوف بن لؤى بن غالب ألحق نسبه بغطفان ، والتحق نسب بنيه « بنى مرة » بغطفان ، وأن عمر بن الخطاب قال : لوكنت مستلحقا حيا من العرب لاستلحقت بنى مرة، لما كنا نعرف فيهم من الشرف البين، مع ما كنا نعرف من موقع عوف بن لؤى بتلك البلاد . ثم قال لبعض أشرافهم : ان شئتم أن ترجعوا لنسبكم من قريش ، فافعلوا . ولكنهم كرهوا أن يتركوا نسبهم فى قومهم ، ولهم فيهم من الشرف والفضل ما ليس لغيرهم [4] . وهنالك أمثلة أخرى من هذا القبيل وقعت فى العصر الأموى .

ولم نجد فى الأخبار التى رواها الرواة عن « فرض العطاء وعمل الديوان » ما يفيد أن عمر راعى فى فرض العطاء انقسام العرب الى أصلين ، ولم نجد فيها اشارة ما الى قحطانية أو عدنانية ، وكل ما هنالك أنه أخذ بالقرابة من الرسول وبالسابقة فى الاسلام وبالطبقات التى تستند الى اساس الغزوات والفتوح [5] . كما لانجد فى الفتوحات وفى الحروب التى وقعت بين جيوش على ومعاوية ما يشير الى قحطانية أو عدنانية ، ولم يكن « ليمن » هذا المدلول الذى توسع فى العصر الأموى . وهذا مما يدل على أن دعوى أهل الأخبار والأنساب بوجود أصلين للعرب : أصل كان يقال له منذ القديم « قحطانى » ، وأصل آخر يقال له « عدنانى » ، هى دعوى لاتستند الى دليل .

وأرى أن هذه التسمية انما عرفت فى العصر الأموى بعد تحزب الخلفاء والحكومة والناس الى حزبين : يمن وقيس ، أو يمن ومضر ، أو قحطان وعدنان ؛ وبعد شيوع

---

(١) الكامل (٢١٢/٢) وعند اليعقوبى سنة عشرين . تأريخ اليعقوبى (١٣٠/٢) الطبرى (١٦٢/٤) .

(٢) المفضليات (ص ١١٦) .

(٣) المفضليات (ص ١١٦) .

(٤) المفضليات (ص ١٠١) .

(٥) الطبرى (١٦٢/٤) .

نظرية التوراة فى الأنساب بين المسلمين ، ورجوع النسابين الى أهل الكتاب للأخذ منهم كما رأيت .

ويعتقد بعض الباحثين أن جذور هذا التقسيم انما ترجع الى هذا النزاع الذى تحدثت عنه نزاع « يثرب » و « مكة » قبل الاسلام ، ويرجع آخرون هذا النزاع الى التنازع الطبيعى الذى كان بين البداوة والحضارة . وأهل اليمن أو يثرب كانوا أصحاب حضارة وملك . وأما « مكة » ومن والاهم ، فقد كانت البداوة غالبة عليهم ؛ لذلك كان من الطبيعى تنازع الجماعتين (١) .

وقد يكون هذا التقسيم هو التقسيم الطبيعى الذى يستند الى أسس تأريخية ، فقد كان سكان شبه الجزيرة من حيث المعيشة على نوعين : بدو أى أعراب ، وحضر وهم المستقرون . وقد قيل للأعراب « أهل الوبر » ؛ لانهم يتخذون من الوبر بيوتا ، وقيل للمستقرين « أهل المدر » ؛ لأن مبانيهم من المدر كما قيل لهم « بنو مدراء »(٢) . وهو تقسيم قديم يرجع الى الجاهلية ، ويقابل « الأعراب » و « عرب » . روى أن الرسول قال حين وفد عليه قيس بن عاصم : « هذا سيد أهل الوبر » ، ونجد مثل ذلك فى النصوص اليمانية حيث أشارت الى أهل البادية « بأعراب » أو « أعرب » ، كما ورد فى نص « معد يكرب يعفر » « يعفور »(٣) ، وفى نصوص أخرى أشير اليهم بعد ذكر الأرضين التى كانت خاضعة لهذا الملك ، فقيل : « معد يكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات « يمنت » ، وأعرابها فى الهضاب « طودم » وفى تهامة . » أى والأعراب الذين يقيمون فى الهضاب أى النجاد وفى المنخفضات أى تهامة . وفى التصريح بذكر « الأعراب » دلالة على أنهم كانوا فى نظرهم طبقة خاصة قائمة بذاتها تمتاز عن المستقرين الذين لانعرف ماذا كان يقال لهم عند العرب الجنوبيين .

ونجد فى كتب اللغة مايؤيد هذا التقسيم ، ففيها « أهل القارية » للحاضرة

---

(١) Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad Vol,3.P.CXXVIII.

فجر الاسلام القاهرة ١٩٢٨ (١/٧) .

(٢) اللسان (٧/١٣٣) ، الأغانى (١٢/١٤٥) .

(٣) Le Muscon, LXIII, 3 - 4. (1950). P.271 Ph. 228. (Wadi Masil)

و « أهل البادية » لأهل البدو ، وفيها « قار » أى الذى ينزل القرية ، و « باد » أى الذى ينزل البادية [1] ، وفيها « الحضر » وهم خلاف البدو ، و « الحاضر » وهم خلاف « البادى » . وفيها « أهل الحاضرة » و « أهل البادية » . و « الحاضرة خلاف البادية وهى المدن والقرى والريف »[2] الى غير ذلك من مصطلحات تشعر أن العرب كانوا يقسمون أنفسهم من حيث طراز المعيشة الى طبقتين .

ويلاحظ أن غالبية من حشرهم النسابون فى القحطانية هم من المستقرين الذين مالوا الى انشاء حكومات مستقرة ، أو كونوا لهم أمارات ، ومن أهل القرى والمدن . أما من حشروهم فى العدنانية ، فهم من القبائل التى كانت تميل الى البداوة ، أو من القبائل البدوية . فهل نرى فى هذا التقسيم الطبيعى أساس التقسيم الذى وضع النسابون عليه القحطانية والعدنانية وأنساب كل فريق ؟ . ذلك سؤال أتركه الى المستقبل ليجيب عنه .

لقد قلت من قبل : ان القرآن الكريم لم يشر الى وجود جدين أو اكثر للعرب ، لقد خاطبهم الرسول على أنهم من نسل اسماعيل وابراهيم ، لم يفرق بين عرب قحطانيين وعرب يمانين ، واننا لم نجد فيه اشارة ما الى قحطان وعدنان ، أو اشارة يفهم منها أن الجاهليين كانوا يرون أنهم من أصلين « وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله . هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير »[3] . فابراهيم فى القرآن أبو العرب عامة لم يختص بقسم . وهذه الآية مدنية نزلت فى « المدينة » مقر الأنصار . وقد قلت : انها كانت شديدة العصبية لليمانين الذين سماهم النسابون « القحطانيين » . وأما آراء المفسرين فى تفسير معنى « أبيكم ابراهيم » ؟ فانها قد تأثرت برأى أهل الأنساب ، ولذلك تحاول أن توفق بين الآية ورأى أصحاب النسب ، فأولتها تأويلا يتفق مع رأى القحطانيين الذين لم يربطوا نسبهم بابراهيم ، وانما ربطوه

---

(١) اللسان (٢٠/٣٨) . (٢) اللسان (٥/٢٧٢) ، بلوغ الأرب (٣/٤٢٥) .

(٣) سورة الحج ٢٢ الآية ، ٧٨ ، لمعرفة آراء المفسرين عن هذه الآية تستحسن مراجعة تفسير الكشاف (٣/٤١) ، تفسير روح المعانى (١٧/٢١٠) ، تفسير الطبرى (١٧/١٤٤) .

بما فوق ابراهيم متأثرين برواية أهل الكتاب وبعصبيتهم التى تحملهم على اعتداد أنفسهم أقدم عهدا من نسل العدنانيين أبناء اسماعيل وابراهيم •

ولتكوين نظرة صحيحة عن كلمة « قحطان » وكلمة « عدنان » ، لابد من جمع كل ماورد فيه هاتين الكلمتين من شعر ونثر ، وترتيبه ترتيبا زمنيا ، وهذا مالم يحدث حتى الآن ، ولا يمكن أن يحدث فى الوقت الحاضر لقلة ما فى أيدينا من موارد • وأقوال أبواق القحطانية والعدنانية خير مورد نافع يفيدنا فى هذا الباب ولا شك ؟ فانها تترجم عن آراء الناس وعواطفهم فى ذلك العهد • ففى أشعار « حسان بن ثابت » أو ابنه « عبدالرحمن »[١] أو الأخطل[٢] أو « النعمان بن بشير »[٣] أو « عبدالله ابن الزبير »[٤] المتوفى سنة « ٧٠ » للهجرة[٥] ونجد فى شعره اشارة الى « بنى حام بن نوح » و « آل حام »[٦] تدل على أنه كان قد سمع بهذه الأنساب الواردة عند أهل الكتاب ، أو لعله سمعها فى الكوفة أو فى الشام من أهل الكتاب أو من النسابين وأصحاب الأخبار ، كما نرى أنه يشير الى اليمن « بقحطان »[٧] • ونجد عند « الفرزدق » أو « الكميت » أو « دعبل الخزاعى » وأمثالهم من الشعراء الذين حفظوا لنا فى شعرهم صورا عن تطور فكرة « عدنان » و « قحطان »[٨] •

وقد ورد فى أخبار يزيد بن معاوية أن كلمة « معد » كانت معروفة فى أيامه على نحو مايعرفه أهل الأنساب ، وأن « قحطان » كانت تعنى هذا المعنى المفهوم عند النسابين كذلك ، أى تشير الى « يمن »[٩] ويظهر من الدراسات العامة لما هو متوافر بين أيدينا من مؤلفات أن هذا التخصص انما ظهر فى العصر الأموى • ويرى « كولدزهير » أنه ظهر فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، ففى هذا الوقت ظهر هذا الشعور

---

(١) الأغانى (١٣/١٤١) •   (٢) الأغانى (١٣/١٤١ ، ١٤/١١٩)•

(٣) الأغانى (١٤/١١٤)•

(٤) عبدالله بن الزبير بن الأشيم شاعر من شعراء الدولة الأموية ومن المتعصبين لهم ، مات فى خلافة عبد الملك بن مروان •

(٥) Muh. Stud. Vol, I.P,98   (٦) الأغانى (١٣/٣٢) •

(٧) فلو كان من قحطان أسماء شمرت   كتائب من قحطان صعر خدودها
الاغانى (١٣/٣٦) •

(٨) Mnh. Stud. Vol, I.P. 97 - 98 .   (٩) الأغانى (٩/٣١٤) •

بوجود أصل عربى عدنانى وأصل آخر قحطانى[١] .

دراسة أسماء القبائل :

بين أسماء القبائل العربية عدد كبير من الأسماء هى أسماء حيوانات ، كما أن بينها أسماء مونثة ، والعرب لاينفردون بالطبع فى هذا الأمر ، بل نجد عند الشعوب السامية الأخرى مثل ذلك فى الأسماء المتعارفة ، وفى التوراة أمثلة عديدة من هذا القبيل[٢] .

وقد اعتنى « روبرتسن سمث » بدراسة أسماء القبائل العربية ، ووضع نظرية عنها ، خلاصتها : أن هذه الأسماء تشير الى دور « الطوطمية » «Totemism» و « دور الأمومة » عند العرب . وقد أشار « نولدكه » الى أهمية تأنيث أسماء القبائل[٣] ، فاتخذ القائلون بنظرية « الأمومة » من هذه الأسماء دليلا على أهمية هذا العهد فى التأريخ العربى القديم .

ويقصد « روبرتسن سمث » من نظريته عن الطوطمية فى الجاهلية أن هذه القبائل التى تتسمى بأسماء هى أسماء «حيوانات» كانت قد اتخذت ذلك الحيوان الذى تسمت به « طوطما » ، و « الطوطمية » مرت على جميع الشعوب ، ولا تزال موجودة حتى اليوم بين الشعوب البدائية . ويكون اتباع الطوطم رابطة قوية متماسكة بينهم تستند الى أسس دينية واجتماعية[٤] . ويصبح ذلك الطوطم أبا أو جدا أعلى لأصحابه ، والقبائل العربية المنتمية الى آباء وأجداد أسماؤهم أسماء حيوانات هى قبائل « طوطمية » على رأى « روبرتسن سمث » فكلب وأسد وقريش وما شاكل ذلك من أسماء هى أسماء « طواطم » تسمى بها أصحابها وصارت تدل على نسب[٥] .

وقد انتبه علماء المسلمين الى أصل هذه التسمية ، فذكر بعضهم أن هذه الأسماء

---

(١) Muham. Stud. I.S, 98.

(٢) مثل « كلب » «Caleb» « كالب » أخبار الأيام الأول : الاصحاح الثانى الآية ٤٢ .

(٣) Nöldeke,, in, Ostr. Zeitschr. F. Orient. S. 302. 1884. Nöldeke, in ZDMG.40 S, 169.

(٤) Ency. Brita. Vol, 22. P. 315 ff

(٥) Smith, W. R., Kinship and Marriage in Early Arabia, Camb. 1885.

الهلال : السنة الرابعة عشر (١٩٠٦) الأجزاء : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

هي في الأصل القاب لوحظ في أصحابها التشابه الذي بينهم وبين الحيوان الذي سموا به[1] . وقال آخرون : انهم انما كانوا يسمون أولادهم بأسماء الحيوان ، ظنا منهم أنه يحفظهم من أعين الانس والجن ، وهذا مايقال له «التنفير»[2] . وكانوا يسمون أولادهم بشر الأسماء اعتقادا منهم أن ذلك يدعو الى طول العمر[3] . وهي عادة لاتزال جارية حتى الآن . ولاعتقاد الناس بالجن وبالحيوانات المؤذية التي تجلب النحس على من يراها ، أو بالحيوانات المسعدة التي تجلب السعد لمن يراها ، وللوسم وشعار الحيوانات علاقة بهذه العقيدة[4] . وقد ورد في الشعر وفي النثر أسماء كثير من الحيوانات للجاهليين مذاهب فيها ، مثل الديك والغراب والحمامة والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع وغيرها ، ويعتقد أن لبعضها علاقة بالجن[5] .

وقال « روبرتسن سمث » : ان الأسماء المؤنثة للقبائل مثل « خندف » و « ظاعنة » و « قيلة » و « جديلة » و « مرة » وأمثالها ، تشير الى « دور الأمومة » عند العرب ، حيث كان الأولاد ينتسبون الى أمهاتهم ؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون فيه آباءهم . وقد وافق « ويلكن » بعض آراء « روبرتسن سمث » ، وخالفه في بعض الآراء[6] . ونحن نجد عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين والآريين أسماء مؤنثة تنتسب اليها القبائل والجماعات . وأرى أن هذا الانتساب لا يدل حتما على أنها من نتائج « الأمومة » ، اذ أننا نشاهد في الوقت الحاضر بطونا أو أسرا تنتسب لأمهاتهم أو أمهات أمهاتهم لشهرتهن وانخفاض أسماء بعولتهن ، وربما لايكون هنالك لهذا الانتساب حقيقة . فمن الجائز أن تكون تلك الأسماء الجاهلية من هذا القبيل .

القحطانية والعدنانية في الاسلام :

الحق أن ما نسميه قحطانية أو عدنانية انما هو صفحة من صفحات النزاع الحزبي

---

(١) الأساطير العربية قبل الاسلام (ص ٦٨) .
(٢) بلوغ الأرب ٢/٣٢٥ « وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي النفرات » .
(٣) الأساطير (ص ٦٩) .
(٤) Fritz Hommel Explorations in Arabia. in, Hilprecht, exploration in Bible Lands. S. 698 .
(٥) بلوغ الأرب (٢/٣٦٠) .
(٦) G. A. Wilken, Het Matriarchaat bij de Aude. Arabieren Oestr Monatschrift F. D. Orient. 1884 راجع كتاب « الأمومة عند العرب » : تعريب بندلي صليبا الجوزي . قازان ١٩٠٢ .

عنـــد العرب في الاســلام ، شاء أصحابه ومثيروه ارجاعه الى الماضى ، ووضع تأريخ قديم له ، فجعلوا له أصولا زعموا أنها ترجع الى ماقبل الاسلام بكثير ، وزعموا أن نزاع قحطان وعدنان نزاع قديم جدا يعود الى العهد الذى ولد فيه قحطان وعدنان ، ورووا فى ذلك شعرا على لسان القحطانيين والعدنانيين ، هو فى نظرهم قديم جدا قدم أصحابه ، وهو لايخرج فى نظرنا عن هذا الشعر الذى يحفظه الرواة على لسان آدم وهابيل وقابيل والجن .

لقد حارب الاسلام العصبية الجاهلية ، وآخى بين الأنصار والمهاجرين ، وحالف بين قريش والأنصار ، ونهى الرسول عن الحلف فروى عنه أنه صلى الله عليــه وسلم قال : « لاحلف فى الاسلام » لما ينتج عنه من أضرار لوقوع الفتن والقتال بين القبائل والغارات[1] . وعد « التعرب » بعد الهجرة كبيرة من الكبائر ، أى أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب حتى عد من يعود الى موضعه من البادية بعد الهجرة كالمرتد[2] . وجاء القرآن بأحكام نسخت كثيرا من أحكام الجاهلية . ولكننا نجد ـ وياللأسف ـ أن الروح الأعرابية عادت الى الظهور بعد وفاة الرسول ، فتجدد نزاع مكة ويثرب نزاع المهاجرين والأنصار . وشجعت الفتن التى وقعت فى أيام عثمان وفى عهد على ومعاوية على ظهور العصبيات بين القبائل ، فتحزبت وتكتلت ، فكانت تحارب على أنها

---

(١) اللسان (١٠/٣٩٩ وما بعدها) . « اختلف أهل التأويل فى معنى النصيب الذى أمر الله أهل الحلف أن يؤتى بعضهم بعضا فى الاسلام ، فقال بعضهم : هو نصيبه من الميراث ؛ لأنهم فى الجاهلية كانوا يتوارثون ، فأوجب الله فى الاسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف ، وبمثله فى الاسلام من الموارثة مثل الذى كان لهم فى الجاهلية ، ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوى الأرحام والقرابات . . . . . كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب ، فيرث أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك فى الأنفال . . . » تفسير الطبرى (٥/٣٣) « كان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل ، فيقول : « هدمى هدمك ، ودمى دمـك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك » « كان الرجـل يقول للرجل : « ترثنى وأرثك ، وتنصـرنى وأنصـرك ، وتعقل عنى وأعقل عنك . » تفسـير الطبرى (٥/٣٤) « لاحلف فى الاسلام ، وما كان من حلف فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة . » . تفسير الطبرى (٥/٣٦) .

(٢) « وفى الحديث ثلاث من الكبائر ، منها التعرب بعد الهجرة ، هو أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا . وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد . . . » اللسان (٢/٧٦) .

همدان[1] أو ربيعة[2] أو طيء[3] أو مضر[4] أو قريش[5] أو قيس[6] أو الأزد، أو ربيعة[7]، أو تميم[8]، أو غير ذلك . وقد استعملت « مضر » في مقابل « الأزد »[9]، كما استخدمت « الأزد » في مقابل « تميم »، وورد « أهل اليمن »[10] أو « اليمانية » . ولكننا قلما نسمع في نداء القبائل وأخبار هذه الفتن أو الحروب التي وقعت في هذا العهد استعمال كلمة «عدنان» في مقابل «قحطان»، ويقال مثل ذلك في الأشعار أيضا، في مثل شعر الفرزدق الذي استعمل كلمة « قحطان »، في مقابل كلمة « نزار » وكلمة « يمن » في مقابل « نزار » أو « الأزد » في مقابل « نزار »[11]، كما استعمل الحكم بن عبدل « قحطان » في مقابل « معد »[12] . وقد ذكر الأعشى في شعر له : « ومن معد قد أتى ابن عدنان » وذلك في مقابل « قحطان »[13] .

وفي العصر الأموي كانت كلمة « قيس » ترادف كلمة « مضر » و« معد » و « نزار »[14] . وقد عرفت بعدائها « لكلب » التي نالت مركزا ساميا في أيام معاوية وابنه « يزيد » و « مروان بن الحكم » لتزوج « معاوية » امرأة من « كلب » هي « ميسون بنت بحدل »، فأصبحت هي والقبائل التي تؤيدها مقربة عند الخلفاء، مع أن الخلفاء من « قريش »، و« قريش » من « قيس » . وهذا مما أغضب « قيسا »، فانحازت الى

---

(1) مروج (2/22) .

(2) مروج (2/22) .

(3) مروج (2/22) .

(4) « فقال الأشعث وأصحابه : والله لايحكم فينا مضرى » مروج (2/28)، « فقال الأشعث بن قيس ان معاوية يوجه بعمرو بن العاص ولا يحكم فينا مضريان » . تأريخ اليعقوبى (2/165) الكامل (4/58) .

(5) تأريخ اليعقوبى (3/3)، الكامل (4/61) .

(6) الكامل (4/14، 63) .

(7) الكامل (4/58) .

(8) الكامل (4/58) .

(9) الكامل (4/58) .

(10) الكامل (4/61) .

(11) Muh. Stud. Vol. I. P. 98، ديوان الفرزدق (طبعة Boucher، 68، 59، 28 ص 86 .

(12) فما صادفت في قحطان مثلي … كما صادفت مثلك في معد

الأغاني (2/148) .

(13) سار بجمع كالقطا من قحطان … ومن معد قد أتى ابن عدنان

الأغاني (5/151) .

(14) Ency. Vo., 2. P. 655.

تأييد « ابن الزبير » في نزاعه مع « مروان » . وقد عرفت معركة « مرج راهط » بأنها معركة وقعت بين « قيس » و « كلب » ، و « كلب » من اليمن ، وقد انتصرت فيها « كلب » على « قيس » . وقد خلق هذا الانتصار حقدا كبيرا بين « قيس » وأنصارها من القبائل وبين « كلب » وأنصارها من القبائل التي ادعت أنها من اليمن[1] ، فوقعت حروب بين « قيس » و « كلب » هلك فيها خلق كثير من الفريقين .

وقد أسهم الخلفاء الذين جاؤوا بعد « عبدالملك » ، وياللأسف ، في هذا النزاع متأثرين بعاطفتهم وبدمهم من الأمهات ، فكان بعضهم يؤيد القيسيين اذا كانت أمهم من قيس وكان آخرون يؤيدون « كلبا » أو اليمن اذا كانت أمهم من اليمن . وسار على هذه السياسة الولاة والعمال ، فكانت النتيجة تكتل القبائل وانقسامها الى معسكرين : قيس ، ويمن . وتزعمت « أزد عمان » في البصرة وخراسان حزب « يمن » في مقابل « قيس » و « تميم »[2] . ووقعت وقائع دموية بين المعسكرين أدت الى سقوط حكومة « بني أمية » ، واضعاف العرب عموما قيسيين ويمانين .

وقد استغل أعداء الحكم الأموي هذه الفرصة ، وسعوا لتوسيع شقة الخلاف ، وحرضوا شعراء الفريقين على المهاجاة ، وفي وسط هذه المهاجاة تمثلت فكرة « قحطان » و « عدنان » . فلما نظم « الكميت » قصيدته التي تعرض فيها باليمانية ، هاج اليمانون وانبرى « دعبل الخزاعي » بالرد عليه ، فكان مما جاء فيه قوله :

فان يك آل اسرائيل منكم ... وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي ... مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم ... وآثار قدمن وما محينا
لقد علمت نزار أن قومي ... الى نصر النبوة فاخرينا[3]

. . . .

هم كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند ... وهم غرسوا هناك التبتينا[4]

ويشير شعر دعبل هذا الى تفاخر « النزاريين » بالأعاجم وبآل اسرائيل ، وهي

---

(1) Ency. Vol, 2. P. 655

(2) Wellhausen, Das Arabiche Reich Und Sein Sturz. P. 40. 44. Ency. Vol, 2. P. 655

(3) مروج (٢/١٩٦ - ١٩٧) . (4) مروج ١/٣٠٠

نظرية ظهرت فى العصر الأموى ترى قرابة الفرس للعرب العدنانيين فضلا عن قرابة الاسرائيليين لهم . وقد قويت هذه النظرية ، ولا شك ، لأسباب سياسية فى العصر العباسى ورسخت جذورها ، وكان لها بالطبع مؤيدون طمعا فى ضم الفرس اليهم ومقاومة للنعرة الشعوبية السافرة التى انتشرت بين الأعاجم والموالى وطعنت العرب جميعا من عدنان وقحطان .

ومما جاء على لسان شعراء عدنان فى التباهى بابراهيم والفرس قول جرير بن عطية ابن الخطفى التميمى :

أبونا خليل الله لاتنكرونه ... فأكرم بابراهيم جدا ومفخرا
وأبناء اسحاق الليوث اذا ارتدوا ... حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم ... وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
أبونا أبو اسحاق يجمع بيننا ... أب كان مهديا نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناء فارس ... أب لانبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله ، والله ربنا ... رضينا بما أعطى الآله وقدرا(١)

ومن هذا القبيل قول اسحاق بن سويد العدوى :

اذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد ... أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحاق عمنا ... وكانوا لنا عونا على الدهر أعبدا
ويجمعنا والغر أبناء فارس ... أب لانبالى بعده من تفردا(٢)

وقول بعض النزارية :

واسحاق واسماعيل مدا ... معالى الفخر والحسب اللبابا
فوارس فارس وبنو نزار ... كلا الفرعين قد كبرا وطابا (٣)

ولم يقف النزاريون عند هذا الحد ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فزعموا أن هذا النسب قديم ، وأن قرابة الفرس بالعدنانيين قديمة ، وأن الفرس كانت فى سالف الدهر تقصد الى البيت الحرام بالنذور العظام تعظيما لابراهيم الخليل بانيه ، وأنه عندهم أجل الهياكل السبعة العظيمة والبيوت المشرفة فى العالم ، وأن رجلا تولاه وأعطاه العدة والبقاء ، واستشهدوا على صحة دعواهم بشعر زعموا أن قائله هو أحد شعراء الجاهلية :

---

(١) التنبيه (ص ٩٥) . (٢) التنبيه (ص ٩٥) . مروج ٢٠٢/١
(٣) التنبيه(ص ٩٥)

زمزمت الفرس على زمزم　　　وذاك فى سالفها الأقدم (١)

وترتب على هذا وضع نسب للفرس يتصل بنسب العرب العدنانيين فزعموا أن « منوشهر » الذى ينتسب اليه الفرس هو « منشخر بن منشخرباغ » ، وهو « يعيش بن ويزك » ، و « ويزك » هو اسحاق بن ابراهيم الخليل ، ولذلك قال شاعرهم فى الاسلام :

أبونا ويزك وبه أسامى　　　اذا افتخر المفاخر بالولاده

أبونا ويزك عبد رسول　　　له شرف الرسالة والزهاده (٢)

أما « يعيش بن ويزك » جد الفرس الجديد فهو « عيسو » « Esau » ، وفى العبرانية « Usu » ، ومعناها « مشعر أو خشن » ، وهو شقيق يعقوب وجد الأدوميين فى التوراة وابن اسحاق(٣) . وأما « ويزك » فهو « يزك » أو « ايزك » « Icaak » « Isaac » ، وهو « اسحاق » ، وهو فى العبرانية « يصحاك » أو « يصحك » « Yishak » أى « الضحاك » . ويرى علماء التوراة أن الأصل هو اسم قبيلة كان يقال لها « يصحقيل » « Yishakil » « Yishakèl » ، وهو والد « عيسو » ويعقوب(٤) .

ولم يكتف العدنانيون بقرابتهم للفرس وللاسرائيليين ، بل زعموا أن الأكراد من أقربائهم كذلك وأنهم من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل (٥) ، أو أنهم من نسل مضر بن نزار ، أو من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، وأنهم اعتصموا بالجبال فحادوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم . وقد لقى هذا النسب الجديد للأكراد تشجيعا من بعض الأكراد(٦) الذين سرهم بالطبع أن يكون لهم نسب يتصل بنسب الخلفاء ، وأن تكون لهم قربى ووشائج دم تربطهم بالسادة الحاكمين .

واذا كان العدنانيون قد جعلوا الفرس من ذوى ارحامهم ، فطبعى أن يجعل القحطانيون أعداء الفرس من ذوى ارحامهم ، وهم اليونان فقال بعضهم : يونان أخ لقحطان ، وانه من ولد عابر بن شالخ ، وانه خرج من أرض اليمن فى جماعة من ولده

---

(١) التنبيه (ص ٩٥) .　　(٢) التنبيه (ص ٩٦) .

(٣) Ency. Bibl. P, 1333. Budde, Urgeschi; S, 217. Hastings. P, 235.
قاموس الكتاب المقدس (١٢٨/٢) .

(٤) Ency. Bibl. P. 2175. Hastings, P. 386.

(٥) مروج (٣٠٧/١) .　　(٦) مروج (٣٠٨/١) .

وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب فأقام هناك ، وانسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ووازى من كان هناك في اللغة الأعجمية من الافرنجة ، فزالت نسبته ، وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن (١) .

وذهب القحطانيون الى أبعد من ذلك فزعموا أن الأتراك سكان هضبة « تبت » منهم ، وأن التبع « شمر يرعش » هو الذي أمر ببناء سمرقند ، وأنهم حكموا تلك الديار وتركوا بها بقية من حمير ، وأن لهم من الفضل ماليس لمعد بن عدنان .

هم كتبوا الكتاب بباب مرو — وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند — وهم غرسوا هناك التبتينا(٢)

وساهم في هذا النزاع القحطاني العدناني الموالي، وقد كان من مصلحتهم بالطبع اتساع شقة الخلاف طمعا في عودة ملكهم وأملا في انتقال الحكم اليهم ، فمنهم ابو نواس مولى بني حكم بن سعدالعشيرة ، وقد تعصب للقحطانية ، وأوجع العدنانيين بهجائه فشكوه الى الخليفة هارون الرشيد ، فأمر بحبسه . وكان من جملة ماقاله :

واهج نزارا وافر جلدتها — وكشف الستر عن مثالبها(٣)

وقد أنتج هذا النزاع القحطاني العدناني قصصا وحكايات وشعرا دون في الكتب ، وأنتج « حديثا » زعم أن قائله هو الرسول ، قاله في مدح قحطان أو في مدح « عدنان » ، وأحيانا في مدح القبائل مثل : « حمير » و « مذحج » و « همدان » و « غسان »(٤) وقبائل أخرى أو في مدح بيوتات معينة من هذه القبائل(٥) .

لقد تلون هذا النزاع بلون أدبي زاه لايخلو من طرافة وان كان قد أساء من الناحية السياسية الى هذه الامة أيما اساءة . فقد لون اليمانون تأريخهم القديم بالوان

---

(١) مروج (١/١٧٨) ، وقالوا : ان الاسكندر من تبع . وقد رد على هذا الزعم العدنانيون ردا شديدا ، وقال أبو العباس الناشيء :

تخلط يونان بقحطان ضلة — لعمري لقد باعدت بينهما جدا

ابن خلدون (٢/١٨٤) .

(٢) مروج (١/٣٠٠) .

(٣) مروج الذهب (١/٣٠٧) ، التنبيه (ص ٧٧) ، الحصري (٢/٢٧٧) .

(٤) Muh. Stud. Bd, I. S, 84.

(٥) صحيح مسلم (١/١٣) . مناقب الأنصار : باب التوحيد .
Muh. Stud. Bd, I. S, 85.

زاهية جميلة من القصص والحكايات والأخبار ؛ فهم الذين زعموا أن قحطان هو ابن هود النبى فأوصلوا نسبهم بالأنبياء ، وهم الذين أوصلوا نسب قحطان الى اسماعيل فنفوا بذلك أى فضل كان للعدنانيين على القحطانيين فى الآباء والأجداد ، وهم المسؤولون عن هذا التقسيم المشهور المعروف للعرب وجعل القحطانيين فى الطبقة الأولى من العربية بالنسبة للعدنانيين[١] ، وهم الذين نظموا تلك الأشعار والقصائد التى ذكرها الرواة على أنها من نظم التبابعة ومشايخ القحطانيين ، وهم الذين ساقوا تلك الحكايات عن الفتوحات العظيمة لملوك اليمن وعن حكم القحطانيين للعدنانيين واستذلالهم اياهم .

لقد استغل العدنانيون ظهور الرسول بينهم ، فاتخذوا من هذا الشرف ذريعة للتفاخر والتباهى على القحطانيين . وقد أجابهم اليمانون على ذلك بأنهم هم الذين كان لهم شرف نصرة الرسول واعلاء كلمة الله ، وهم الذين كونوا مادة الجيش الاسلامى ، وهم الذين آووا الرسول وفتحوا مكة . وتمسك العدنانيون بأذيال اسماعيل وعدوه جدهم الخاص بهم ، مع أنه جد العرب عامة ، كما هو فى القرآن الكريم[٢] ، ونفوا كل مشاركة للقحطانيين فى هذا النسب الشريف . وقد كان لهم مايساعدهم فى تقوية حجتهم ، فقد كان الرسول من صلب اسماعيل والرسول منهم ، فابراهيم هو أبوهم المختص بهم . ولرد دعوى الاسماعيليين هذه من اختصاص اسماعيل وابراهيم بهم ، أوصل بعض رواتهم نسب قحطان باسماعيل وابراهيم ، ولم يكتفوا بذلك فلابد لهم من شرف زائد ، ورجحان على العدنانيين الذين لم يبدأ ملكهم على رأيهم الا فى الاسلام ، فاختصوا هودا بهم ، وجعلوه نبيا . ثم لم يقبلوا بنبى واحد زيادة على الأنبياء الذين اختص بهم العدنانيون ، فأضافوا اليهم صالحا النبى وقالوا : انه من صميم حمير ، وانه صالح بن الهميسع بن ذى ماذن نبى حمير من آل ذى رعين ، وزعموا أن ثقيفا كان غلاما له[٣] ،وحصلوا بذلك على نبى ، وطعنوا فى ثقيف ، وهم من العدنانيين فى الوقت نفسه ، وأضافوا اليهم نبيا آخر من صميم حمير سموه أسعد تبع الكامل بن ملكى كرب ابن تبع الأكبر بن تبع الأقرن ، وقالوا انه ذو القرنين الذى قال الله تعالى فيه (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين)[٤] . وذكروا

---

(١) فجر الاسلام (١/٧) .

(٢) راجع البيان والتبيين (٣/١٦٨) من طبعة السندوبى .

(٣) منتخبات (ص ٦٢) (٤) سورة الدخان : ٤٤ ، الآية ٣٧ .

أنه كان من أعظم التبابعة وأفصح شعراء العرب ، ولذلك قال بعض العلماء فيه : ذهب ملك تبع بشعره ، ولولا ذلك لما قدم عليه شاعر من العرب • وقالوا : نهى النبى عن سبه ؛ لأنه آمن به قبل ظهوره بسبع مئة عام ، وليس ذلك الا بوحى من الله عزوجل • وهو أول من كسا البيت ، وجعل له مفتاحا من ذهب ، وأوردوا له أشعارا لاثبات ايمانه بالرسول تمنى فيها لو أدرك أيامه اذن لآمن به ، ولكان له وزيرا وابن عم ، ولألزم طاعته كل من على الأرض من عرب وعجم ؛ ورووا له أبياتا فى البيت الحرام ، وكيف كان يقصده فيمكث فيه تسعة أشهر ، وكيف كان ينحر فى العام سبعين الفا من البدن[١] • وزعموا فوق هذا كله أنه تنبأ بعودة ملك حمير حيث يظهر المهدى منهم ، وهو رجل حميرى سبئى الأبوين ، يعيد الملك الى حمير بالعدل ، فى هذه الأبيات التى رواها عبيد بن شرية الجرهمى :

ومن العجائب أن حمـ ... ـير سوف تعلى بالقهور
ويسودها أهل الموا ... شى من نضير أو نضير

يعنى النضر بن كنانة ، وهو قريش •

ويثيرها المنصور من ... جنبى أزال كالصقور
وهو الامام المرتجى المـ ... ـذكور من قدم الدهور

وأنه قال :

بمنصور حمير المرتجى ... يعود من الملك ماقد ذهب
ويرجع بالعدل سلطانها ... على الناس فى عجمها والعرب

وقالوا : ان المنصور هو لقب القائم المنتظر الذى سيظهر ليعيد ملك حمير المسلوب[٢] •
وذكروا أنه كان فى جملة ما قاله من شعر قوله :

واعلم بنى بأن كل قبيلة ... ستذل ان نهضت لها قحطان[٣]

الى غير ذلك من أشعار نسبت اليه والى غيره من التبابعة تتحدث عن حقد القحطانيين على العدنانيين ، وعن الهم الشديد لفراق ملكهم وانتقال الحكم منهم الى المكيين من عدنان ، وقد كانوا من اتباعهم بالأمس • فعللوا أنفسهم بالتحدث عن الماضى ، ثم صبروا أنفسهم

---

(١) منتخبات (ص ١٣) •   (٢) منتخبات (ص ١٠٣) •
(٣) منتخبات (ص ٨٣) •

بالحديث عن ملك سيعود ، وعن دولة ستأتى ، وعن مهدى يأخذ بالثأر ، كالذى يفعله المغلوبون .

وجعلوا ذا القرنين الذى ورد اسمه فى سورة الكهف منهم[1] ، فقالوا : هو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، أو الصعب بن عبدالله بن مالك بن زيد ابن سدد بن حمير الأصغر[2] ، أو تبع الأكبر بن تبع الأقرن ، أو تبع الأقرن ، وكان ملكا مؤمنا عالما عادلا ملك جميع الأرض وطافها ، ومات فى شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلا اذا انتهت الشمس الى برج الجدى . وقد كان يقول الشعر ، وهو الذى بشر بالنبى عليه السلام فى شعره[3] وطبعى أن يكون واضع هذه الأشعار أناس من الأنصار ومن بقية فروع قحطان[4] .

وأضافوا اليهم لقمان الحكيم ، زعموا أنه لقمان الحميرى ، قالوا انه كان حكيما عالما بعلم الأبدان والأزمان ، وهو الذى وقت المواقيت وسمى الأشهر بأسماء مواقيتها[5] . وزعموا أن ياسر ينعم ملك بعد سليمان بن داوود عليهما السلام ، وسمى ينعم ؛ لأنه رد الملك الى حمير بعد ذهابه[6] ، وأن الضحاك ملك من الأزد كان فى وقت ابراهيم فنصره[7] . وبذلك كانت للقحطانيين منة قديمة على ابراهيم وعلى العدنانيين بصورة خاصة . وقالوا أشيا أخرى كثيرة قد يخرجنا ذكرها من صلب هذا الموضوع من أعمال وفتوحات شمر يرعش وغيره من التبابعة[8]

وقد لون العدنانيون تأريخهم فاستعانوا بعدد من الشعراء كالذى قاله ابن سلام : « نظرت قريش فاذا حظها من الشعر قليل فى الجاهلية ، فاستكثرت منه فى الاسلام»[9] ،

---

(١) سورة الكهف : ١٨ ، الآية ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ .

(٢) منتخبات (ص ٦١ ، ٨٤) .

(٣) منتخبات (ص ٨٤) .

(٤) قال النعمان بن بشير :

فمن ذا يفاخرنا من الناس معشر ... كرام فذو القرنين منا وحاتم
ونحن بنينا سد يأجوج فاستوى ... بأيماننا ، هل يهدم السد هادم ؟

وقال لبيد :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا ... بالحنو فى جدث هناك مقيم

منتخبات (ص ٨٤ ـ ٨٥) .

(٥) منتخبات (ص ٩٦) .

(٦) منتخبات (ص ١١٧) .

(٧) منتخبات (ص ٦٥) .

(٨) منتخبات (ص ٥٦) .

(٩) طه حسين فى الأدب الجاهلى (ص ١٢٣) .

وجاؤوا بقصص وحكايات وشعر ، فنسبوا ذلك كله الى العدنانيين فى العصر الجاهلى ، وعقبوا على الروايات القحطانية . فلما ادعى اليمانون مثلا أن تبعهم « أبا كرب » فتح العراق والشأم والحجاز ، وأنه امتلك البيت الحرام ونكل بالعدنانيين شر تنكيل ، وأنه قال شعرا منه :

لست بالتبع اليمانى ان لم ... تركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخرج قسرا ... أو تعقنى عوائق العواق (١)

قال العدنانيون : نعم ، وقد كانت بين تبع هذا وبين قبائل نزار بن معد وقائع وحروب ، واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وأنمار فانتصرت عليه وأخذت الثأر منه ، وفى ذلك قال أبو دواد الأيادى :

ضربنا على تبع حربه ... حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هاربا ... وكان جبانا كثير الرهب
وأتبعته فهوى للجبين ... وكان العزيز بها من غلب (٢)

الى غير ذلك من القصص والحكايات التى وضعها الرواة فى صدر الاسلام حين احتدم الخلاف بين الأنصار وقريش . والتى سجلت فى الكتب ورويت للناس وانتشرت بينهم على أنها أمور واقعية ، وأن العرب كانوا من أصلين ، فاما قحطان واما عدنان .

وقد كان التوفيق حليف أهل اليمن فى نشر مثل هذه القصص بين الناس حتى بين العلماء وطبقة المثقفين . وهذه الأشعار المدونة على ألسنة التبابعة ، وهذه القصص اليمانية التى ملأت بطون الكتب ، وهذه الأخبار التى سارت بين الخاصة والعامة ، هى دليل على تفوق الرواة الذين نسبوا أنفسهم الى أهل اليمن على رواة عدنان وعلى المؤيدين الرسميين الذين جهزتهم الحكومة للرد على ألسنة قحطان .

وقد وضعت أكثر الأشعار المنسوبة الى التبابعة فى أيام « معاوية » وابنه « يزيد » ، أى فى أيام نزاع « قيس » و « كلب » ، وضعها « عبيد بن شرية الجرهمى » و «يزيد بن ربيعة بن مفرغ » المتوفى سنة « ٦٩ » للهجرة ، وهو شاعر متعصب ليمن حمله تعصبه هذا ولا شك على وضع قصص « تبع » (٣) جاء فى كتاب الأغانى : « سئل الأصمعى

---

(١) مروج (١/٣٠١) . (٢) مروج (١/٣٠٠) .

(٣) Muh. Stud. Vol, I. P. 97.

عن شعر تبع وقصته ومن وضعهما ، فقال : ابن مفرغ . وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره الى الشام وتخلصه من عباد بن زياد ، أنزله الجزيرة وكان مقيما برأس عين ، وزعم أنه من حمير ،ووضع سيرة تبع وأشعاره . وكان النمر بن قاسط يدعى أنه منهم..»[١].

لقد بدأ هذا النزاع فى الجاهلية القريبة من الاسلام ، واستمر فى الاسلام فقوى فيه واتخذ هذا الشكل الذى دون فى الكتب ورواه الرواة على أنه أمر واقع وحقيقة لا شك فيها ، حقيقة قحطان وعدنان ، فسجلوها فى الكتب ، وسجل التأريخ العربى على هذا الأساس . ويظهر مما سجلوه أن هذه الفكرة هى فكرة اسلامية محضة لانجد لها أثرا فى الجاهلية . نعم ، كان التكتل معروفا كما سبق أن ذكرت عندهم ، وقد كانت القبائل التى ترجع أصلها الى العربية الجنوبية تعد نفسها « يمانية » ومن « أهل اليمن » أو من « اليمن » ، ولا يشير ذلك بالطبع الى أصل يمانى بالمعنى الجغرافى ؛ فقد كان بعضها من « عمان » كأزد عمان الذين كان لهم الأثر الأكبر فى النزاع اليمانى القيسى فى البصرة وخراسان ، كما كان بعضها من حضرموت أو تهامة الحجاز والخلاصة اننا نرى أثرا لتحزب « الأزد » ضد « مضر » أو « ربيعة » أو قيس أو ما شاكل فى الحروب والفتن التى وقعت فى صدر الاسلام وفى الدولة الأموية . ولكننا لا نجد فى كل هذه الأخبار اجتماع القبائل كلها فى الحرب أو فى السلم تحت رايتين راية قحطان أو راية عدنان على نحو ما يذكره الأخباريون ، ويتبين من طبيعة ما ذكره أصحاب الأنساب والأخبار أن هذا التقسيم وهذه الأنساب المتسلسلة انما وضعت فى الاسلام وضعت فى وسط هذه المعركة السياسية التى تحدثت عنها . وقد أوجد مادتها خاصة أولئك الرواة المتعصبون المتحزبون الذين عرفوا بميلهم الى الاسرائيليات والشعبيات .

حاولت «القيسية» و «اليمانية» ضم أكبر عدد ممكن من القبائل اليها، ويظهر أثر ذلك فى تحير النسابين فى أصول بعض القبائل ، وقد أوردت الكتب امثلة عديدة فى هذا الشأن [٢] . ومن أبرز الأمثلة على ذلك « قضاعة » ، فقد عدها بعضهم من « عدنان » ، وعدها آخرون من « قحطان »[٣] .

عك :

لم يذكر النسابون لعك ولدا كثيرا كما ذكروا لشقيقه معد . والظاهر أن أمره كان

---

(١) الأغانى (٥٢/١٧) .
(٢) Muh. Stud. Bd, I. S. 58. 181.
(٣) اللسان (١٤٩/١٠) ، منتخبات (ص ٨٧) .

ضعيفا قبيل الاسلام ، لذلك لم يكتسب له مكانة كبيرة عند النسابين كمكانة « معد » • و «عك» هو شقيق معد في رأى غالبية النسابين ، فهو ابن عدنان [١] • وقيل : هو عك بن الديث بن عدنان [٢] •

وذكر بعض النسابين أن نسب عك هو عك بن عدثان بن عبدالله بن الأزد [٣] • وذكروا أن عكا كانت تنزل مع الأشعريين ، وكانت صلاتها بهم قوية ، واشتركوا فى أكثر الأحداث ، ولهذا زعم أن القبيلتين من أصل واحد [٤] • ولما كان الأشعريون يمانين ، أى من أصل قحطانى ، عدت عك من قحطان • وقد سبب تشابه « عدنان » و « عدثان » تشويشا كبيرا للنسابين •

و « عك » من القبائل العربية العتيقة ، ويظهر أنهم "Akkitai" "Akkitae" الذين أشار اليهم بطلميوس ، والظاهر أن « معدا » و « عكا » عاشتا متجاورتين ، ولهذا عدتا عند النسابين شقيقتين • وأرى أن « عدنان » أو « عدثان » أخذا من أصل واحد فى وقت ربما لايكون بعيدا عن الاسلام ، وليس بمستبعد أن تكون « عدثان » أو « عدنان » اسم أرض كانت تنزل بها « عك » ومعد • ثم نسى اسم الأرض ، وصار اسم والد «عك» أو والد « معد » ، وقد تحرف الاسم قليلا فتولد منه « عدنان » أو « عدثان » • ويلاحظ أن وزن هذا الاسم من أوزان الأسماء التى يكثر وجودها عند اليمانين •

من الحياة الاجتماعية :

ولعل من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية عند القبائل المفاخرة والشعار والتحالف [٥] فأما المفاخرة ، ويقال لها المنافرة والمخاجلة [٦] ، فهى المباهات بالأشياء الخارجة عن الانسان والتمدح بالخصال [٧] • وفى الكتب العربية أمثلة كثيرة من المفاخرات التى

---

(١) الأغانى (١١/١٥٤) • Ency Vol, I. P. 240.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٩ ، وتأريخ الطبرى ١/١١١-١١٢ ، الكامل ٢/١٢) •

(٣) اللسان (١٢/٣٥٧) • Ency. Vol, I. P. 240.

(٤) Ency Vol, I. P. 240.

(٥) Muh. Stud. Bd, I. S, 54.

(٦) أمثال العرب ص ١٨ ، الأغانى (١٤/١٠٠) ، القاموس المحيط (٢/١٠٨) • Muh. Stud. Vol, I. P. 54 « تفاخر القوم فخر بعضهم على بعض » لسان العرب (٦/٣٥٤) •

(٧) بلوغ الأرب (١/٢٧٨) •

وقعت في الجاهليـة بين القبائل والأسـر والأفراد • وتكون المفاخرة بالفخر بالآباء والأجداد ، وبالسيادة والأشراف ، وبالكثرة ، وبالحسب والنسب ، حتى انهم انطلقوا في بعض الأوقات الى القبور فكانوا يشيرون الى القبر بعد القبر ، ويقولون : فيكم مثل فـلان ومثل فـلان[١] ؟ وفي ذلك نزلت الآية « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقـابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون [٢] » •

وطالما كانت تؤدي هذه المفاخرات الى وقوع حروب وسفك دماء [٣] ؛ ولذلك أبطلها الاسلام ، ونهى عن تعاطيها بالكلية [٤] • وذم القرآن الفخور بقوله « والله لا يحب كل مختال فخور »[٥] • ونهى عن المعاودة اليها[٦] •

وتكون المفاخرة في السلم والحرب • أما في الحرب فتكون بتباهي المحارب بنفسه ، وبنسبه ونسب قبيلته ، وبمركزه ، فيثير ذلك حماسة قومه ، والجانب المعادي الذي يخرج له رجلا يفتخر بنفسه أيضا ، وبقبيلته ، وبأنه كفء له بل أكفأ منه ، ثم يقع القتال بين الرجلين [٧] • ويكون ذلك رجزا في الغالب ، ويصحبه هجاء يقوله شعراء الطرفين ويوقدون به نار الحماسة في قلوب المتحاربين [٨] •

أما في سائر الأيام فقد كانت المفاخرات من القضايا المألوفة التي يكثر وقوعها بين الأفراد والأسر والقبائل وفروعها • وتقع بحضور محكمين في الغالب ، أو طرف ثالث محترم ، وعلى الطرفين قبول الحكم واطاعته [٩] • وبحضور جماعة من الناس

---

(١) بلوغ الأرب (١/٢٧٩) •
(٢) سورة التكاثر ١٠٢ ، الآية ١ فما بعدها •
(٣) العقد الفريد طبعة العريان (٦/١٠١) • الأزرقي (ص ٤٨٣) •
Muh. Stud. Vol, I. P. 56.

(٤) بلوغ الأرب (١/٢٧٨) •
(٥) سورة لقمان ٣١ ، الآية ١٨ ، سورة الحديد ٥٧ ، الآية ٢٣ « ان الله لايحب من كان مختالا فخورا » سورة النساء ٤ الآية ٣٦ •
(٦) « اعلموا انما الحيـاة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » سورة الحـديد ٥٧ ، الآية ٢٠ ، سورة التكاثر ١٠٢ ، الآية ١ فما بعدها •
(٧) Mnh. Stud. Bd, I. S, 54.
(٨) Muh. Stud. Vol, I. P. 46 استعان المنذر بن امرىء القيس ملك الحيرة بعدد من الشعراء لهجاء الحارث بن جبلة الغساني في حروبه التي وقعت معه ، ولاثارة الحماس في نفوس محاربيه • أمثال العرب للمفضل الضبي (ص ٥٠) فما بعدها •
(٩) Muh. Stud. Vol, I. P. 56. Caussin de Perceval. 2. P. 565. Freytag, Einleitung in das Studium der Arabischen Sprache. P. 184.

يستمعون قول الطرفين من شعر ونثر ، يختلف عددهم باختلاف أهمية المتنافرين ومنزلتهم الاجتماعية، ويقال لمثل هذه الأيام يوم المفاخرة ويوم الفخار و « يوم النفورة »[١] أو المنافرة، ويتأنق المتنافرون في تنميق كلامهم وفي تجميله ، ويترتب مثل ذلك على المحكمين الذين يجب أن تكون أحكامهم فضلا عن ذلك دقيقه مسبوكة سبكا محكما قصيرة . وقد حفظت الكتب نماذج منها ، وأصبح بعضها مضرب الأمثال [٢] . ولا ينتخب بالطبع لمثل هذه المهمة الشاقة الا وجهاء القوم الذين يسمع قولهم ولهم علم بأحوال الناس والأنساب والأحساب وبفنون القول .

ومن هذه المفاخرات مفاخرة وفود ربيعة ومضر ابني نزار عند النعمان بن المنذر[٣] ،ومفاخرة آل حذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الاشعث بن قيس بن كندة عند كسرى[٤] ، ومفاخرات أخرى مدونة في الكتب منها جاهلية ومنها ما وقع في الاسلام ولا سيما في عصر بني أمية حيث كان لها منزلة عندهم ومكانة .

والمنافرة هي التنازع في الحسب والشرف والمحاكمة فيهما . قال ابن سيده : « وكأنما جاءت المنافرة في أول ما استعملت أنهم كانوا يسألون الحاكم أينا أعز نفرا »[٥] . وكان لكل قبيلة حكام يتحاكمون اليهم ، وقد اشتهر منهم جماعة مثل أكثم بن صيفي ابن رياح وحاجب بن زرارة والأقرع بن حابس وهاشم بن عبد مناف وآخرون . وقد اشتهرت أحكامهم، وعنى العلماء بجمعها ، وبجمع المنافرات[٦] ، وتجد منها نماذج كثيرة في كتب الأدب خاصة[٧] . وكانوا يقيمون لها وزنا عظيما ؛ لأنها ترفع من القدر ، وتحط من شأنه ، وتثبت المنزلة أو تخفضها ، وقد قال زهير بن أبي سلمى :

واما أن يقولوا قد وفينا ... بذمتنا وعادتنا الوفاء
فان الحق مقطعه ثلاث ... يمين ، أو نفار ، أو جلاء[٨]

---

(١) قال ابن هرمة :
يبرقن فوق رواق ابيض ماجد ... يرعى ليوم نفورة ومعاقل
لسان العرب (٧/٨٤) .
(٢) Muh. Stud. Vol, I. P. 57. (٣) بلوغ الأرب (١/٢٨٠) .
(٤) بلوغ الأرب (١/٢٨١) .
(٥) لسان العرب (٧/٨٤) ، القاموس (٢/١٤٦) .
(٦) بلوغ الأرب (١/٢٨٨) ، المفضليات (ص ٧٠٥) .
(٧) الأغاني (١٥/٥٠) « أنافرك على . . . . » . بلوغ الأرب (١/٢٨٨) فما بعدها .
(٨) لسان العرب (٧/٨٤) ، شرح ديوان زهير بن ابى سلمى صنعة ثعلب (ص ٧٥) .

يريد أن الحق ينفذ بكل واحدة منها : اما تنافر الى رجل يتبين حجج الخصوم ويحكم بينهم ، واما يمين ، واما جلاء وهو أن ينكشف الأمر وينجلي فتعلم حقيقته فيقضي به لصاحبـــه دون خصام ولا ويمين[1] •

الشعار :

والشعار العلامة فى الحرب والسفر وغيرها [2] ، فكانوا يضعون للعساكر شعارا ، أى علامة يعرف الرجل بها رفقته ، كما كانوا يضعون لأنفسهم شعارا فى السفر • واذا حمى وطيس القتال ينادى القوم بالشعار • وقد كان ذلك متبعا حتى فى الاسلام ، جاء : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الغزو « يامنصور أمت أمت » • وهو تفاؤل بالنصر بعد الأمر بالاماتة[3] • وكانوا يتصايحون فى النفير وفى الحرب بشعار القبيلة مثل : يالربيعة ، يالخزيم ، يالنزار ، أو ياللأزد [4] • وعلى أفراد القبيلة أو القبائل تلبية الدعاء• وتعد التلبية من أهم مفاخر الرجال والقبائل وواجبا من الواجبات•

الأحلاف :

ويرى كثير من المستشرقين الذين عنوا بدراسة موضوع « الأنساب » أن أكثر أسماء أجداد القبائل أو أسماء آبائها هى أسماء « أحلاف » ضمت عددا من القبائل ، توحدت مصـالحها فاتفقت على عقد حلف فيما بينها ، فانتسبت القبـائل الضعيفة منها الى القوية • ويستشهدون على ذلك بما ورد فى المؤلفات العربية الاسلامية مما يؤيد هذا الرأى • قال البكرى : « فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس فى الماء والكلأ ، والتماسهم المعاش فى المتسع ، وغلبة بعضهم بعضا على البلاد

---

(١) شرح ديوان زهير (ص ٧٥ الحاشية ٣) •

(٢) لسان العرب (٦/٨١) ، البستان تأليف الشيخ عبدالله البستانى ، بيروت ١٩٢٧ (١/١٢٣١) ، « الشعار العلامة التى يتعارفون بها فى الحرب ، وهى أن يذكر الرجل أشرف من فى قومه ويدعوه باسمه « ديوان النـابغة الذبيانى شـرح البطليوسى ص ١٢ ، القاهرة ١٢٩٣ هـ • Nallino, Raccolta de Scrtti, Vol, 3. P. 36.

(٣) لسان العرب (٦/٨١) ، وكان شعار أصحاب رسول الله يوم فتح مكة وحنين والطائف شعار المهاجرين : يابنى عبدالرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبدالله ، وشعار الأوس : يابنى عبيدالله • ابن هشام (٤/٢٨) •

(٤) Muh. Stud. Vol, I. P. 61. Kinship. P. 44. يالتميـم ، يال سعـد ، يال كعب • الأغانى (١٥/٧١) ، يالطىء • شرح ديوان الحماسة (١/١٦٨) •

والمعاش، واستضعاف القوى الضعيف، انضم الذليل منهم الى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير ، وتباين القوم في ديارهم ومحالهم ، وانتشر كل قوم فيما يليهم »[1] .

لقد دفعت الضرورات قبائل شبه الجزيرة على تكوين الأحلاف ، للمحافظة على الأمن وللدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول . واذا دام الحلف أمدا ، وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة ، فان هذه الرابطة تنتهي الى نسب حيث يشعر أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد ، وقد يحدث ما يفسد هذه الرابطة ، أو ما يدعو الى انفصال بعض قبائل الحلف ، فتنضم القبائل المنفصلة الى أحلاف أخرى ، وهكذا نجد في شبه الجزيرة أحلافا تتكون ، وأحلافا قديمة تنحل أو تضعف[2] .

ولم يكن في مقدور العشائر أو القبائل الصغيرة المحافظة على نفسها من غير حليف قوي يشد أزرها اذا هاجمتها قبيلة أخرى أو أرادت الأخذ بالثأر منها . لقد كانت معظم القبائل داخلة في هذه الأحلاف ، الا عددا قليلا من القبائل القوية الكثيرة العدد ، وكانت تتفاخر بنفسها ، لأنها لاتعتمد على حليف يدافع عنها ، بل كانت تأخذ بثأرها وتنال حقها بالسيف[3] . ويشترك المتحالفون في الغالب في المواطن ، وقد تنزل القبائل على حلفائها ، وتكون الهيمنة بالطبع في هذه للقبائل الكبيرة[4] .

وقد عرفت مثل هذه الأحلاف عند سائر الشعوب السامية كالعبرانيين مثلا ، وطالما انتهت تلك الأحلاف كما انتهت عند العرب الى نسب حيث يشعر المتحالفون أنهم من أسرة واحدة يجمع بينهم نسب واحد[5] . ويقال للحلف أيضا « تحالف » ، وعند

---

(١) معجم ما استعجم ١/٥٣ (طبعة السقا) .

(٢) Muh. Stud. Vol, I. P. 64. (٣) Muh. Stud. Vol, I. P. 65.

(٤) « وكانوا نزولا على حلفائهم » الأغاني ١٢/١٢٣ ، ١٢٤ « كان ناس من بطن من قضاعة يقال لهم بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة وبنو سلامان بن سعد أخوة عذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولا فيهم . وكان الحرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء بني سهم بن مرة ، وكانوا قوما يرمون بالنبل رميا شديدا ، فسموا الحرقة لشدة قتالهم ، وكانوا نزولا في حلفائهم بني سهم بن مرة » . الأغاني ١٢/١١٨ « تحقيق الشنقيطي » .

(٥) Keunen, De Godsdienst Van Israel, I. P.113. Nöldeke, in ZDMG. XI. P. 15.7

اليمانين « تكلع »[1] .

ويرى « كولد زهير » أنه لفهم الأنساب عند العرب ، لابد من معرفة الأحلاف والتحالف ، فانها أساس تكون القبائل ، فان هذه الأحلاف التى تجمع شمل عدد من البطون والعشائر والقبائل الصغيرة هى التى تكون القبائل والأنساب ، كما أن تفكك الأحلاف وانحلالها يسبب تفكك الأنساب وتكوين أنساب جديدة . ويرى أيضا أن الدوافع التى تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشئة عن حس داخلى بوجود قرابة وصلة رحم بين المتحالفين وشعور بوعى قومى ، بل كانت ناشئة عن المصالح الخاصة التى تهم العشيرة كالحماية والأخذ بالثأر وتأمين المعيشة . ولذا نجد أن الضعيف منها هو الذى يفتش عن حليف قوى ، فانضمت « كعب » مثلا الى « بنى مازن » وهم أقوى من « كعب » ، وانضمت « خزاعة » الى « بنى مدلج » كما تحالفت « بنو عامر » مع « اياد » . وأمثلة أخرى عديدة[2] .

ولما كانت المصالح الخاصة هى العامل الفعال فى تأليف الأحلاف ، كان أمد الحلف يتوقف فى الغالب على دوام تلك المصالح . وقد تعقد الأحلاف لتنفيذ شروط اتفق عليها ، فمتى نفذت أو تلكأ أحد الطرفين فى التنفيذ انحل الحلف . وتعد هذه الناحية من النواحى الضعيفة فى التأريخ العربى ، فان تفكير القبائل لم يكن يتجاوز عند عقدهم هذه الأحلاف مصالح العشائر أو القبائل الخاصة ، لذلك نجدها تتألف للمسائل الداخلية التى تخص قبائل شبه الجزيرة ، ولم تكن موجهة للدفاع عن شبه الجزيرة ولمقاومة أعداء العرب . ولا يمكن أن نطلب من نظام يقوم على العصبية القبلية أن يفعل غير ذلك. فان وطن القبيلة ضيق بضيق الأرض التى تنزل فيها، فاذا ارتحلت عنها ونزلت فى أرض جديدة ، كانت الأرض الجديدة الموطن الجديد الذى تبالغ القبيلة فى الدفاع عنه . ولما كانت هذه النزعة الفردية هى هدف سياسة مشايخ القبائل ، أصبحت حتى اليوم من أهم العوائق فى تكوين الحكومات الكبيرة فى شبه جزيرة العرب ، ومن أبرز مظاهر الحياة السياسية قبل الاسلام .

ونظرا الى ماللحلف من قدسية فى النفوس، أصبح من المعتاد عقده فى مراسيم مؤثرة

---

(١) صفة ١٠٠ ، الاشتقاق لابن دريد ص ٣٠٧ . النقائض ص ٤٦ (ليدن ١٩٠٥) .

(٢) Muh. Stud. I. P. 64. ابن دريد الاشتقاق ص ١٢٤ ، هذليين ص ٢٢٤ ، الأغانى ٢١/٢٧١ .

ورد وصف بعضها فى المؤلفات الاسلامية مثل « حلف المطيبين » الذى عقد فى مكة بعد اختلاف بنى عبدمناف وهاشم والمطلب ونوفل مع بنى عبدالدار بن قصى ، واجماعهم على أخذ ما بأيدى بنى عبدالدار مما كان قصى قد جعله فيهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا ، على ألايتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا ، ما بل بحر صوفة . فأخرج بنو عبدمناف جفنة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبدمناف أخرجنها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ؛ ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فسموا المطيبين ، وتعاقد بنو عبدالدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا الأحلاف (١) .

ومن هذا القبيل حلف الفضول حيث تداعت قبائل من قريش الى حلف وتعاهدوا وتعاقدوا على ألايجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الاقاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول (٢) . وهو من الأحلاف التى ظل النـاس يحترمون أحـكامها حتى فى الاسلام (٣) . وقد عقد على هذه الصورة : اجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم فى دار عبدالله بن جدعان ، وصنع لهم طعام كثير ، ثم « عمدوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه فى جفنة ، ثم بعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشربوه (٤) » .

ومن تلك الأحلاف حلف لعقة الدم ، وقد عقد على أثر تخاصم القبائل من قريش فى وضع الحجر الأسود فى موضعه ، فلما استعدت للقتال « قربت بنو عبدالدار جفنة

---

(١) ابن هشام ١/١٤٣ فما بعدها . ابن الأثير ١/١٨٣ ، تاريخ الطبرى ١/١١٣٨ (طبعة أوربة) لسان العرب ١٠/٤٠٠ . والأحلاف ست قبائل : عبد الدار ، وجمح ، ومخزوم ، وبنو عدى ، وكعب ، وسهم . المعارف ص ٢٠٤ (طبعة وستنفلد) . اليعقوبى ١/٢٨٧ (طبعة هوتسما) التنبيه ص ١٨٠ (طبعة الصاوى) .

Caetani, Annali. Vol, I. Intro., §§. 120 2. I. anno. 8, §§. 20—21. Ency. 2. P. 307.

(٢) ابن هشام ١/١٤٥ (الطبعـة نفسـها) . الأغانى ١٦/٦١ فما بعـدها . المعارف ٢٠٤ (طبعة هوتسما) . ابن دريد الاشتقاق ص ١١١ (طبعة وستنفلد) . العقد الفريد ٢/٤١ (القاهرة ١٣١٦ هـ) .

(٣) لسان العرب ١٠/٣٩٩ . ابن هشام ١/١٤٥ وما بعدها .

(٤) الأغاني ١٦/٦٤ .

مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا ايديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسموا لعقة الدم »[١] . ويظهر أن عقد الحلف بادخال الأيدى فى الدم كان من المراسيم المعروفة . جاء فى قصة قتل الهجرس لجساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وهى من قصص قتال بكر وتغلب : أن جساسا حينما طلب من الهجرس تناسى الماضى والدخول فيما دخل فيه الناس من الصلح ، أخذه الى قومه وقص عليهم قصته ، ثم قال لهم : « وهذا الفتى ابن أختى ، قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ، ويعقد ماعقدتم . فلما قربوا الدم، وقاموا الى العقد، أخذ الهجرس بوسط رمحه ، ثم قال : أما وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لايترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه . ثم طعن جساسا فقتله »[٢] . وقد عرف قوم من بنى عامر بن عبد مناة بن كنانة بلعقة الدم . وكانوا ذوى بأس شديد[٣] . وجاء أن خثعما انما سموا خثعما لأنهم غمسوا أيديهم فى دم جزور [٤] .

والغالب عند القبائل عقد الأحلاف على النار ، فكانوا اذا أرادوا الحلف ، أوقدوا نارا ، وعقدوا حلفهم عندها ، ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد . وكان سدنة النيران يطرحون فيها ملحا ، وأحيانا ملحا وكبريتا ، يهولون بها على الحالف ، فاذا استشاطت قالوا للحالف « هذه النار تهددنك » فان كان مبطلا نكل وان كان بريئا حلف ولهذا سموها « نار المهول »[٥] . أو « نار الهولة » أو « المهولة »[٦] . وقد يطرحون فى النار البخور ، أو يلقون الأخشاب النفيسة ذات الروائح الطيبة الزكية[٧] .

قال أوس بن حجر يصف حمار وحش :

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه ... كما صد عن نار المهول حالف[٨]

---

(١) ابن هشام ٢١٣/١ ، Muh. Stud. Bd. I. Vol, 67.

(٢) الأغانى ١٥٠/٤ « لاعق الدم » الأغانى ١٥٦/١٨ .

(٣) الأغانى ٢٦/٧ .   (٤) المفضليات (ص ٧٠٥) .

(٥) بلوغ الأرب ١٦٢/٢ ، ١٦٦ . لسان العرب ٢٣٨/١٤ .

(٦) Muh. Stud. Vol, I.P. 66. Goldziher, in Literaturblatt Für Orient. Philologie. 1886. P. 24. Kinship. P. 58.

(٧) Muh. Stud. Bd. I. S, 66. Robertson Smith, Kinship. P. 46 F. Goldziher, in Literaturbla. Für Orient. Philologie. 1886. P.24.

(٨) لسان العرب ٢٣٨/١٤ ، « روى أبو الحسن أنه كان يزيد بن أبي حارثة بن =

وهناك أسماء يظهر منها أنها كانت أسماء أحلاف عقدت في مراسيم خاصة مثل « الرباب » ، وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى. قال الأصمعى : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم فى رب وتعاقدوا وتحالفوا عليه[1] . ولعل من هذا القبيل الحلف الذى كان بين بنى بغيض بن عامر بن لؤى وبنى محارب بن فهر ، ويقال لهما « الأجربان » [2] . قال صاحب الأغانى : «وانما قيل لهما الأجربان من شدة بأسهما وعرهما من ناوأهما كما تعر الجرب »[3] .

وقد تعقد بعض الأحلاف لغايات معينة مثل ذلك الحلف الذى كان بين أسد وغطفان ، ويقال لهما الحليفان لأنهما تعاقدا وتحالفا على التناصر[4] . والحلف الذى كان بين عبس وذبيان وبين عبس وبنى سعد من تميم [5] . وقد عقد هذا الحلف الثانى بعد اختلاف عبس وذبيان ووقوع القتال بينهما حتى كادا يتفانيان بالحرب . وقد تحالف قوم منهم فأدخلوا أيديهم فى عطر على أن يقاتلوا حتى يموتوا[6] حتى تدارك عقلاء

= سنان ، وهو أخو هرم بن سنان الذى مدحه زهير ، يمحش المحاش ، وهم بنو خصيلة بن مرة وبنونشبة بن غيظ بن مرة على بنى يربوع بن غيظ بن مرة رهط النابغة ، فتحالفوا على بنى يربوع على النار ، فسموا المحاش بتحالفهم على النار » . ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسى ص ٦٩ « وكانوا تحالفوا عند نار حتى أمحشوا أى احترقوا » ص ٧٠ « حلف المحرقين » . Muh. Stud. Bd. I. S, 67.

(١) لسان العرب ١ـ٣٨٨ ، الأغانى ٩/١٤ ، العقد ٢/٥٩ ، تاج العروس١/٢٦٤. Muh. Stud. Vol, I. P. 67.

(٢) Muh. Stud. Bd. I. S, 67. (٣) الأغانى ٤/١٥٤ .

(٤) لسان العرب ١٠/٤٠٠ ، قال زهير :

فمن مبلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل اقسمتم كل مقسم

وفى رواية « ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة » . والأحلاف أسد وغطفان . شرح ديوان زهير ص ١٨ .

(٥) Muh. Stud. Vol, I. P. 67.

(٦) شرح ديوان زهير ص ١٥ ، تاج العروس ٩/٧٦ .

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

زعم الأصمعى أن منشما امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك فى شدة الأمر . وقيل : هى امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا ، فاذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فتشاءموا بها وكانت تسكن مكة . وقيل هى من حمير أو من همدان أو من جرهم .

القوم ذلك فتصالحوا . وكان يقال لهذا الحلف الذى انضمت اليه قبائل أخرى الأحلاف[١] . وطالما كانت هذه الأحلاف سببا من أسباب الضغط والظلم على القبائل الصغيرة التى كانت تضطر عندئذ الى التفتيش عن حليف ليأخذ بثأرها من المعتدين[٢] .

ويقال لقوم من ثقيف «الأحلاف»، والظاهر أنهم كانوا فى الأصل طوائف لم تتمكن من البقاء وحدها فى وسط عالم لا يعيش فيه الا القوى ، فتحالفت للدفاع عن نفسها ، ويقال لأسد وطيء الحليفان ولفزارة وأسد حليفان ، لأن خزاعة لما أجلت بنى أسد عن الحرم خرجت فحالفت طيا ، ثم حالفت بنى فزارة[٣] ، وقد كانت هذه الأحلاف تدوم مادامت المصالح متشابهة فاذا اختل التوازن بين المتحالفين ، أو وجد أحد الطرفين أن مصالحه تقتضى الانضمام الى حلف آخر ، فسخ ذلك العقد ، وعقد حلفا آخر ، وحالف قبائل جديدة قد تكون معادية لقبائل الحلف السابق ، ويقال لفسخ الأحلاف « الخلع »[٤] . وهكذا كانت الحياة السياسية أحلاف ، تتكون وأخرى قديمة تنحل . ولا سيما اذا كانت قد تكونت من قبائل لارابطة دموية بينها ولا اشتراك فى المواطن ، وانما كانت عوامل مؤقته وأحوال طارئة اقتضت تكتلها ، ثم اقتضت انحلالها لزوال تلك الأسباب[٥] .

وخير مثال للقبائل التى اقتضت مصالحها التكتل والتحالف بينها هو الحلف الذى قيل له « تنوخ »[٦] .فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب، وتحالفوا وتعاقدوا على التناصر والتساعد والتآزر ، فصاروا يدا واحدة ، وضمهم اسم تنوخ[٧] . وحلف « فرسان » ، وهو حلف آخر قديم تكون من انضمام قبائل عديدة بعضها الى بعض للتناصر والتآزر[٨]. ولما لم يعرف أهل اللغة والأخباريون شيئا من تلك الأمور العادية أوجدوا تلك القصص والأخبار والأنساب المدونة عن تنوخ وأمثال تنوخ[٩] .

---

(١) لعمرى لقد حالفت ذبيان كلها وعبسا على مافى الأديم الممدد
« الأديم الممدد يعنى الكتاب الذى قد مد قال أبو عمرو كتبوا كتباً وتحالفوا على مافى الصحف » شعر قيس ص ٢١ .

(٢) تحملت ماكانت مزينة تشتكى من الظلم فى الأحلاف حمل التغمد
شعر قيس ص ٢١ .

(٣) لسان العرب ١٠/٤٠١

(٤) Muh. Stud. Vol, I. P. 68.

(٥) Muh. Stud. Vol, I. P. 67 .

(٦) Muh. Stud. Vol, I. P. 66.

(٧) ابن الأثير ١/١٣٥ ، الطبرى ١/٧٤٦ (أوربة) . الأغانى ١١/١٥٥ .

(٨) ابن دريد ص ٨ . Muh. Stud. Vol, I. P. 66.

(٩) Muh. Stud. Vol, I. P. 66.

وقد ورد في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري اسم « حلف ذي المجاز » الذي عقد بين بكر وتغلب بوساطة عمرو بن هند ، وقد أخذ فيه عمرو بن هند العهود والمواثيق والكفلاء من الطرفين حذر الجور والتعدي (١) ، كما قيل لعدد من القبائل الأحاليف لعقدهم حلفا (٢) .

وكانت قريش وكنانة وخزاعة قد تحالفت على التناصر والتعاضد على سائر الناس ، فكونت بهذا الحلف قوة هائلة هابتها القبائل، وقد سموا «حمسا»(٣) لتشددهم في أحوالهم دينا ودنيا ، وقد وضعوا لهم جملة طقوس وأمور ميزوا أنفسهم بها عن غيرهم ، فكانوا اذا أحرموا لايأقطون الأقط ، ولا يسلؤون السمن ، أي لايصفونه من الزبد ، ولا ينتفون الشعر ولا الوبر (٤) وعفوا أنفسهم من بعض الواجبات التي كان يقوم بها الوافدون على مكة ، وخفضوا من بعض شعائر الحج بالنسبة لهم(٥) . وهكذا اكتسب هذا الحلف صبغة دينية سياسية ، وعدت مقرراته قوانين محترمة تطبق على قبائل الحلف هذه ، ثم توسعوا بعض التوسع في ذلك فتمتع بهذه الامتيازات من ولد بين الحمس من ساكن الحل والحرم ، فحل لهم ما حل للأحمسي ، وحرم عليهم ما حرم على الأحمسي (٦) ، وقد تمتعت قريش التي تفوقت على القبائل الأخرى بالنفوذ بمميزات

(١) Wyndham Knatchbull, Harethi Mallakah. Cum Scholüs Zouzenü Oxonii MD. CCCXX. P. 8. 26.

(٢) « الأحاليف غطفان وبني أسد وطيئا شهدوا يوم النسار بعد ماتحالفت الأحاليف » . قال ربيعة بن مقروم :

اذا حل أحياء الأحاليف حوله   بذي لجب هداته وصواهله

المفضليات ص ٣٦٤ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/١٩٩ ، ويروى أن بني عامر بن صعصعة دخلوا معهم في ذلك أيضا وقيل لهم الأحامس . بلوغ الأرب ٢-٢٨٩-٢٩٠ ، « وليس كل بني عامر من الحمس ولكن من ولدته مجد بنت تيم بن غالب بن فهر من بني عامر وهم كلاب وكعب وكليب وعامر والحارث » . المفضليات ص ٢٥٩ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١-٧ ، الأقط : يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها . بلوغ الأرب ٢-٢٩٠ ، الواقدي الطبقات الكبير ١/١ ص ٤١ .

(٥) بلوغ الا رب ٢/٢٨٩ ، ابن هشام ١/٢١٦ ، لسان العرب ٧/٣٥٨ .

(٦) بلوغ الأرب ٢/٢٨٩ ، ابن هشام ١/٢١٦ « الحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن صعصعة هؤلاء الحمس » لسان العرب ٧/٣٥٨ .

كثيرة . فلما ظهر الاسلام ، كان أمر مكة وما جاورها فى يديها . والظاهر أن هذا الحلف لم يكن قديما ، فلا يتجاوز عهده عهد الفيل بكثير ، وربما كان بعد عام الفيل[1] .

كذلك ذكر أنه كان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاضد على سائر الناس. انفصمت عراه على أثر القتال الذى وقع بين خزاعة وبنى أسد ، فاعتلت بنوأسد خزاعة ، وطلبت خزاعة نجدة كنانة فلم تنجدها [2] ، فانحلت رابطة الحلف . وظلت علاقات خزاعة بقريش وكنانة وأحلاف قريش على غير ما يرام . فلما كان صلح الحديبية ، دخلت خزاعة فى عقد رسول الله ، فأمنت بذلك نفسها من اعتداء قريش عليها . ولما تظاهرت بنو بكر وقريش عليها ونقضوا ماكان بينهم وبين رسول الله من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده وعهده ، أمر رسول الله بالخروج الى مكة ، فكان عام الفتح[3] .

ويسمح النظام القبلى للغريب بالانضمام الى قبيلة غريبة ، فيصبح واحدا منها وعليه عندئذ أن يقوم بالواجبات المترتبة على افراد القبيلة ، ويقال لهذا الحليف «مولى اليمين»[4] . ويعز هذا الحليف بعز القبيلة ، ويذل بذلها ، وهو « مولى العصبة »[5] . وهنالك « المولى المعتق » وهو الذى أنعم عليه صاحبه بالعتق . ومولى الموالاة والمولى الحليف ، وتطبق أحكام الحماية على الجار والشريك . ويقال لابن العم والعم والأخ والابن والعصبات كلها « موالى قرابة » و « موالى ولادة » [6] لوجود نسب يربط بينهم ودم يجرى فى العروق .

وقد وصف «هيرودوتس» طريقة من طرق التحالف والمؤاخاة والمحافظة على العهود عند العرب ، فذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة ، لايشاركهم فى ذلك أحد ، من الأمم ولها قداسة خاصة عندهم ، حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة . واذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر ، أوقفا شخصا ثالثا بينهما ليقوم باجراء المراسيم المطلوبة فى عقد الحلف ، ليكتسب حكما شرعيا ، فيأخذ ذلك الشخص حجرا له حافة حادة كالسكين يخدش به راحتى الشخصين قرب الاصبع الوسطى . ثم يأخذ قطعة من ملابسهما فيغمسهما فى دمى الراحتين ، ويلوث بها سبعة أحجار . ويكون مكان هذا

---

(١) ابن هشام ٢١٦/١ .
(٢) ابن هشام ١٩١/١ .
(٣) ابن هشام ٤/٤ فما بعدها .
(٤) Muh. Stud., Vol, I. P. 63.
(٥) اللسان ٢٨٩/٢٠ . تاج العروس ٣٩٩/٢٠ .
(٦) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣٦٠/١ . تاج العروس ٣٩٩/١٠ وما بعدها .

الشخص الذى يقوم باجراء هذه الطقوس فى الوسط يتلو أدعية وصلاة الى الوثنين «Bacchus» و «Urania» • وبعد الانتهاء منها يقود الحليف حليفه الى أهله وعشيرته لاخبارهم بذلك ، وللاعلان عنه[1] • فيصبح الحليف أخا له وحليفا أمرهما واحد بالوفاء • وقريب من هذا ما كانت تفعله قريش حين تعقد حلفا ، حيث يأخذ الحليف حليفه الى الكعبة، وبعد اجراء بعض المراسيم يطوفان حول الأصنام لاشهادها على ذلك ، ثم يعود الحليف بحليفه لاشهاد قريش ومن يكون فى الكعبة أنئذ على صحة هذا الحلف ، وقبوله محالفة الحليف ، حيث أصبح له ماله وعليه ماعليه ، وعلى قومه حمايته حمايتهم له • وقد ذكرت كتب السيرة والأخبار والأدب طرفا من أخبار المحالفات التى كانت تعقد بمكة وكيفيتها وبعض المراسيم التى تمت فيها •

وفى كلمة الحلف شىء من الدلالة على الطقوس والأيمان والمعانى الدينية ، ولذلك قيل للحلف اليمين، لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيمانهم اذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا[2] • وكانوا ينظرون اليها على أن لها قداسة خاصة وحرمة ، والحانث بذلك ينظر اليه بأشد أنواع التحقير والازدراء •

لقد تركت « الأحلاف » أثرا مهما فى الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام وعند العرب فى الاسلام كذلك على الرغم من الأحاديث المنسوبة الى الرسول التى تناهض فكرة « الأحلاف » : « لاحلف فى الاسلام » [3] • وقد أدرك الرسول ولا شك ضررها فى المجتمع العربى حيث كانت واسطة من وسائط التفريق، فحل الأحلاف وأحل الدولة مكانها ، وحتم على القبائل اطاعة الرسول أو من يقوم مقامه من المسلمين •

وأما مارواه قيس بن عاصم من أن الرسول قال : « لاحلف فى الاسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية »[4] ، فالظاهر أنه قصد بذلك الجوار • وقد اكد الاسلام احترام

---

(١) وذكر هيرودوتس أن العرب تقول لـ «Urania» فى لغتها «Alilat» ولـ «Bacchus» «Orotal» و «Alilat» هو « اللات » • • Herodotus. Vol, I. P. 213. (ed. Rawlinson)

(٢) لسان العرب ١٧/٣٥٦ •

(٣) راجع عن الحلف والأحلاف عند الساميين •

Muh. Stud. Bd, I. S, 69 Joh. Pedersen, Den Semitiche Ed. Copenhagen 1912. Der Eid bei den Semiten 1914. Ency. Vol, 2. P. 307 Nallino, Raccolta., Vol, 3. P. 39.

(٤) الاغانى ١٢/١٥١ •

الجار ، ووجوب الدفاع عنه[1] ، ونهى عن الأحلاف التى كانت تدعو الى الهلاك والضرر .

طبقات القبائل :

ورتب علماء الأنساب قبائل العرب على مراتب ، هى : شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم فصيلة . فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، والقبيلة مثل ربيعة ومضر ، والعمارة مثل قريش وكنانة ، والبطن مثل بنى عبدمناف وبنى مخزوم ، ومثل بنى هاشم ، وبنى أمية ، والفصيلة مثل بنى أبى طالب وبنى العباس[2] . وجعل ابن الكلبى مرتبة بين الفخذ والفصيلة هى مرتبة العشيرة ، وهى رهط الرجل[3] . وبنى النويرى طبقات الأنساب على عشر طبقات هى : الجذم ، والجماهير ، والشعوب ، والقبائل ، والعمائر ، والبطون ، والأفخاذ ، والعشائر ، والفصائل ، والأرهاط[4] .

وعند نشوان بن سعيد الحميرى أن الشعب أعظم من القبيلة ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم جيل ، ثم فصيلة . وجعل مضر مثال الشعب ، وكنانة مثال القبيلة ، وقريشا مثال العمارة ، وفهرا مثال البطن ، وقصيا للفخذ ، وهاشما للجيل ، وآل العباس للفصيلة [5] . وأكثر العلماء يقدمون الشعب على القبيلة ، والظاهر أن هذه الفكرة كانت قد اختمرت فى رؤوس الجاهليين الذين عاشوا فى الجاهلية القريبة من الاسلام حيث ظهرت عندهم الفكرة القومية بمعنى واسع ، وحيث نجد عندهم ظهور الكلمات التى تشير الى هذا المعنى مثل عرب اصطلاحا على سكان شبه جزيرة العرب يمانين وغيرهم ، وحيث أخذ الحس القومى يظهر بين القبائل بوجوب التكتل لمكافحة الغرباء ، كالذى حدث فى معارك اليمن مع الأحباش ، وفى معارك العراق مع الفرس . وقدم القرآن الكريم الشعوب على القبائل قال الله تعالى : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »[6] . والشعوب هنا فوق القبائل . وتعبر عن هذا المعنى الواسع الذى اتحدث عنه . وورد فى

---

(١) Muh. Stud. Vol, I. P, 69. Note. 3.

(٢) بلوغ الأرب ٣/١٨٧ فما بعدها . اللسان ١٤/٥٧ ، البطن دون القبيلة ، وقيل : هو دون الفخذ وفوق العمارة اللسان ١٦/١٩٩ .

(٣) العقد الفريد ٣/٢٨٣ فما بعدها .

(٤) نهاية الأرب ، السفر الثانى (ص ٢٦٢) فما بعدها .

(٥) منتخبات (ص ٥٥) . (٦) سورة الحجرات رقم ٤٩ آية ١٣ .

شعر حسان « شعوب العمائر » حيث قال :

وشعب عظيم من قضاعة فاضل | على كل شعب من شعوب العمائر
أولئك قومى ان دعوت أجابنى | ثمانون الفا فى الحديد المظاهر (١)

وزاد بعض العلماء الجذم قبل الشعب ، وبعد الفصيلة العشيرة ، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ، ثم العترة • ورتبها آخرون على هذه الصورة : جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم عشيرة ، ثم فصيلة ، ثم رهط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية • وزاد غيرهم فى أثنائها ثلاثة هى : بيت، وحى، وجماع (٢) •

وقد بحث « روبرتسن سمث » بحثا مفصلا فى الحى ؛ اذ هو فى نظره وحدة سياسية واجتماعية قائمة بذاتها (٣) • وأعضاء الحى يطلق عليهم لفظ قوم (٤) ، أو أهل (٥) • وينظر أبناء الحى الواحد بعضهم الى بعض كأقرباء من نسل واحد وتربط بينهم روابط الدم • وقد استدل من معنى « الحى » على وجود معنى الحياة فى الكلمة فى الأصل • كما هو الحال فى اللغات السامية ورأى لذلك أنها رابطة قرابة وصلة رحم عند سائر الشعوب السامية • ويكون أعضاء الحى الا حرار «صرحاء» وفى العبرية «Ezrah» «أزراح» • أما الذين ينتمون اليه بالولاء ، فهم « الموالى » (٦) والذين يستجيرون به أو بالقبائل أو الأفراد ، فيلقون حماية من يستجيرون بهم ، ويكون « الجار » فى رعاية مجيره (٧) •

والبطن فى نظر « روبرتسن سمث » هو أقدم أوضاع المجتمع السامى القديم ، ويقوم على أساس الاعتقاد بوجود القرابة والرابطة الدموية • ويرى أن مفهومه عند قدماء الساميين كان يختلف اختلافا بينا عنه عند العرب المتأخرين ، أو عند العبرانيين أو غيرهم (٨) • وقد فهم من الكلمة معنى المجموع الأكبر عند العرب ، أى بمعنى شعب أو جذم أو قبيلة (٩) ، ورأى أن هذا المعنى هو المعنى القديم للكلمة عند العرب •

---

(١) منتخبات (ص ٥٥) •

(٢) بلوغ الأرب ٣/١٨٩ ، « الحى الواحد من أحياء العرب ، والحى البطن من بطون العرب • ويقع على بنى أب كثروا أم قلوا » اللسان ١٨/٢٣٥ • « والعمارة الحى العظيم يقوم بنفسه » • المفضليات (ص ٤١٤) •

(٣) Kinship. P. 41 ff. « الحى » ديوان الطرماح ٩٥ ، ١١٤ •

(٤) حتى ص ٣٣ •

(٥) Kinship. P. 26.

(٦) Kinship. P. 47.

(٧) Kinship. P. 49.

(٨) Kinship, P. 46

(٩) الهلال : الجزء الثامن من السنة الرابعة عشرة ، أيار ١٩٠٦ ص ٤٧٨ • Kinship. P. 4

أما المعانى التى اوردوها لها فيما بعد ، فهى معان متأخرة وضعت فى الجاهلية القريبة من الاسلام ، ومن جملة هذه المعانى اختصاصها بالأماكن التى تقيم فيها القبيلة أو العشيرة ، وتتألف من جملة عدد من الدور(١) . وهذا التعميم الذى ذهب اليه « روبرتسن » لا يتفق مع ماذهب اليه علماء الأنساب من جعل الحى وحدة صغيرة بالنسبة للقبيلة ، وهو رأى يظهر أنه أصوب من رأى « روبرتسن سمث » . وتكون الرابطة الدموية فى الحى حسب رأى النسابين أقرب وأمتن منها فى الرابطة التى تصورها هذا العالم .

وقد استدل « روبرتسن سمث » من وجود بعض الكلمات فى تسلسل أنساب القبيلة مثل البطن والفخذ على مرور العرب فى دور الأمومة ، وأن القبائل كانت قد أخذت أنسابها القديمة وأسماءها من الأمومة والطوطمية . وظن أن كلمة البطن فى الأصل كانت تعنى معنى آخر غير الذى يذهب اليه علماء الأنساب، ودليله على ذلك استعمال كلمة «رحم»(٢).

وقد تأثر بنظريته هذه جماعة من المستشرقين(٣) ، ومن أجل ذلك قال « روبرتسن سمث » ان البطن والحى هما أساس أقدم اشكال المجتمعات السياسية عند الساميين ، كما استدل من أسماء بعض القبائل التى تحمل أسماء بعض الحيوانات مثل بنوأسد ، وبنوكلب ، وبنوبدن ، وبنو ثعلب ، وبنوثور ، وبنوبكر ، وبنوضب ، وبنوغراب ، وبنوفهد ، وما شاكل ذلك من أسماء جماعة من القبائل ، وبعضها عمائر ، وبعضها بطون أو فصائل على وجود فكرة «الطوطمية» عند العرب ، وعلى أن هذه الأسماء هى من ذكريات الطوطمية القديمة(٤) . وقد عد بعض العلماء الذين تأثروا بنظرية « مكلنن » «Mclennan» صاحب نظرية الطوطمية «Totemism»(٥) و « سير جيمس فريزر » Sir James G. Frazer) أن الطوطمية هى مفتاح يوصلنا الى حل كثير من المسائل

---

(١) Kinship. P. 44.

(٢) Kinship. P. 37ff. Robertson Smith, Religion of the Semites. 2 nd. ed. London 1894. P. 35.

(٣) Barton., Semi. and. Hami Origins P. 95 ff.
الأمومة عند العرب تأليف «G.A. Wilken» تعريب بندلى الجوزى قازان ١٩٠٢ .

(٤) الهلال : الجزء التاسع من السنة الرابعة عشرة ، حزيران ١٩٠٦ (ص٥١٥)
Kinship. 217ff.

(٥) Mclennan, in Fortnighty Review, Octo., nov, 1869, Febr. 1870. Reprinted in Studies in Ancient History. 2 nd Ser., appendix, PP. 491—569. Barton. P. 95

الغامضة من تأريخ البشرية القديم[١] .

غير أن هاتين النظريتين : نظرية الأمومة، ونظرية الطوطمية عندالعرب أوعندالشعوب السامية ، في حاجة الى دراسات عميقة ، ولم تتهيأ مثل هذه الدراسات للعلماء حتى الآن ، ولا يكفي في نظري الاستشهاد بهذه الأسماء أو بما ورد في الكتب الاسلامية للحكم بتعيين الطوطمية أو دور الأمومة عند العرب في عهود يعود بعضها الى ماقبل المسيح بعدة قرون . فلابد من دراسات الشعوب السامية الأخرى والبحث عن النصوص المدونة قبل الاسلام لابداء أحكام قاطعة في هذا الموضوع .

العصبية :

وأساس النظام القبلي العصبية ، العصبية للأهل والعشيرة وسائر متفرعات الجذم أو الشعب ، أو القبيلة . ومن شروطها وفاء المرء لأبناء العشيرة ، والنصرة لأخيه ظالما أو مظلوما ، وليس له أن يتساءل : أهو ظالم أم مظلوم[٢] ؟ والعصبية هي القومية المتطرفة بالمعنى الحديث[٣] . وهي ضرورية للقبائل ؛لأنها لاتستطيع أن تدافع عن نفسها الا اذا كانت ذات عصبية ونسب ؛ وبذلك تشتد شوكتها ، ويخشى جانبها ، كما أنه لايمكن وقوع العدوان على أحد مع وجود العصبية . وتقوم العصبية على النسب ، وهي تختلف لذلك باختلاف درجات التحام الأنساب ، ولذلك نجد عصبيات مختلفة[٤] . وتشمل العصبية الصرحاء والموالي والجيران . وبفضل هذا القانون تمكن من لاقبيلة له ، أو من قام بعمل استوجب فراره من قبيلته وخلعه من تأمين حقوقه والمحافظة على حياته وأمواله .

ويبقى الفرد متمتعا بعطف قبيلته عليه ، وبحمايتها له مادام قائما بواجباته المترتبة عليه ، شاعرا بعظم التبعة . فاذا اقترف جرما ، أو قام بعمل ينافي شرفه أو شرف قبيلته ، فقد حماية قبيلته له ، وهام على وجهه « طريدا » يلتمس مجاورة رجل من قبيلة أخرى

---

(١) Barton, P.96.

(٢) كارل بروكلمان : تأريخ الشعوب الاسلامية ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (دار العلم للملايين (١/١٦)) . « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » الأمثال ص ٢٢ (طبعة حيدر آباد الدكن) .

(٣) Hitti, P. 27.

(٤) راجع بحث العصبية في مقدمة ابن خلدون (ص ١٠٨ فما بعدها) .

أو قبيلة بعيدة . وتكون هذه الفترة من حياة الانسان شر فترة تمر فى حياته ، ولا يهدأ للطريد بال الا اذا وجد له حليفا أو جارا يتعهد له بحمايته والدفاع عنه [١] .

ويقال للرجل الذى تغضب عليه قبيلته وتحرمه عطفها « الخليع » ، وربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها [٢] ، ويسقط عن القبيلة كل واجب يترتب عليها اذا قام بعمل يستحق ادانة ، كما تسقط عن القبائل التى قد تتعرض للخليع بشر كل تبعة تقع عليها من نتائج الاعتداء عليه ، لخلع القبيلة الاصلية له وتبرئها منه ، فلا يطالبوا بثأره[٣] . وقد يقال له « الرجل اللعين » . واللعين هو المطرود ، وهو الذى خلعه أهله لكثرة جناياته ، ويلعنه كل أحد ولا يؤويه انسان . واذا كان جرمه كبيرا كأن يكون قد غدر أو أخفر ذمة ، جعل له مثال من طين ، فيقال : ألا ان فلانا قد غدر فالعنوه[٤] .

وتعلن القبيلة عن خليعها ليكون ذلك معلوما عند أفراد القبيلة أو القبائل الأخرى ، كأن تقول : انا خلعنا فلانا ، فلا نأخذ أحدا بجناية تجنى عليه ، ولا نؤخذ بجناياته التى يجنيها[٥] . كما يعلن الأب عن ابنه الخليع بأن يعلن فى المواسم ويقول : ألا ، انى قد خلعت ابنى هذا ، فان جر لم أضمن ، وان جر عليه لم أطلب . فلا يؤخذ بجرائره[٦] .

واذا ارتكب انسان جريمة القتل ، فيطالب أهل المقتول بالقود ، وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتيل [٧] . ويجوز فى بعض الحالات وبرضاء القوم دفع الدية ، وهى حق القتيل [٨] . ويشترك في دفعها ذوو القربى والعشيرة ، أو أفراد القبيلة تبعا لظروف أهل القاتل المالية ومقدار الدية . واذا لم يتم القود ، أو لم يحدث التراضى على الدية ، أو اذا فر القاتل ، فلابد من الأخذ بالثأر . ولا يستقر لأهل القتيل قرار الا بعد الأخذ بثأر القتيل . وقد يتركون الخمر والطيبات طيلة طلبهم للثأر ، فاذا تمكنوا منه

---

(١) حتى : (ص ٣٣ فما بعدها) .

(٢) بلوغ الأرب (٣/٢٨) ، « طريد » « بواق » عند أهل نجد .
Nallino, Raccolta, Vol, 3. P, 36.

(٣) بلوغ الأرب (٣/٢٧) .

(٤) بلوغ الأرب (٣/٢٨) .

فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالا

(٥) لسان العرب (٩/٤٩٠) .

(٦) بلوغ الأرب (٣/٢٧) .

(٧) لسان العرب (٤/٣٧٤) .

(٨) لسان (٢٠/٢٦١) .

استراحوا واستقروا[1] . وقد يقع عدد كبير من القتلى من أجل المطالبة بالثأر كالذى روى فى قصة طلب امرىء القيس الكندى ثـأر أبيه من بنى أسد ، وقد آلى على نفسه أن لايمس رأسه غسل ولا يشرب خمرا حتى يثـأر بأبيه . فلما ظفر ببنى أسد قتلته وأدرك ثأره حل له ماحرم على نفسه[2] . وكالذى روى أيضا فى قصة طلب قيس بن الخطيم ثار أبيه[3] .

وقد يستغرق طلب الأخذ بالثأر عشرات السنين ، لا يكل فى خلال هذه المدة أصحاب القتيل عن ادراك الثأر . فعندهم أن القتيل تخرج من رأسه هامة تنادى على قبره « أسقونى ، فانى صدية » ولا ينقطع نداؤها الا حين الأخذ بالثأر[4] . وينادى أهل القتيل أو أبناء القبيلة بنداء الثأر ، مثل : ياثارات فلان ! [5] ومتى أدرك أهل الثأر ثأرهم ، ووجدوا المقتول كفؤا لدم القتيل ورضوا عن ذلك ، قالوا لهذا النوع من الثأر « الثأر المنيم »[6] . وينظر الى الذين يتوانون عن ادراك الثأر نظرة ازدراء واحتقار ،

---

(١) بلوغ الأرب (٣/٢٤) .

ومنـــا الذى آلى ثلاثين ليلة   عن الخمر حتى زاركم بالمنـــاكب

شعر قيس ص ١٤ بعناية (Kowalski)

(٢) شرح ديوان امرىء القيس (ص ١٥٦) :

حلت له من بعد تحريم لها   أو أن يمس الرأس منه غسولا

(٣) « قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسى الشاعر المشهور من أهل يثرب من شعراء الطبقة الثانية وسمى أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه وقتل أبوه وهو صغير قتله رجل من الخزرج فشبت بذلك حروب بين قومه وبين الخزرج يطول شرحها حتى ظفر بقاتل أبيه فقتله . . » بلوغ الأرب (٣/٢٤) .

Thaddäus Kowalski, Der Diwan des Kais ibn al — Hatim, Leipzig

شعر قيس بن الخطيم (ص ١) ، (ص ١٥) .

ولما هبطنا الحرث قال أميرنا   حرام علينا الخمر ما لم نضارب

فسامحه منـــا رجال أعزة   فما برحوا حتى احلت لشارب

(٤) بلوغ الأرب (٢/٣١١) ، ديوان الطرماح (طبعة كرنكو) (ص ٧٠) .

(٥) لسان العرب (٥/١٦٦) .

(٦) لسان العرب (٥/١٦٧) ، لما قتل بنو حارثة قيس بن الخطيم نقله رهطه الى منزله وقرروا الأخذ بثأره « ولم يروا له كفوءا الا أبا صعصعة يزيد ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله فى منزله ، فضرب عنقه وقطع رأسه ، فأتى به قيسا وهو على آخر رمق فالقاه بين يديه ، وقال : ياقيس ، أدركت بثأرك ، هذا هو رأس أبي صعصعة ، فطابت نفسه ، ومات بعد ذلك بقليل . » شعر قيس بن الخطيم (ص ١ ـ ٢) .

وقد يلحق بهم وبنسلهم العار من هذا الاهمال ، وقد يلحق ذلك العشيرة أو القبيلة برمتها ويكون لها سبة ، لهذا لايتهاون أهل القتيل عن تتبع آثار القاتل أو أقرباء القاتل أو أفراد القبيلة التي ينتمي اليها لغسل هذا العار ؟ فان الدم لايغسل الا بالدم . قتل رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له مالك « الخطيم بن عدى، وقيس بن الخطيم غلام صغير، فلما بلغ عير بذلك وغير أيضا ثأر عدى وكان قتله رجل من عبدالقيس ، فلم يزل يلتمس غرة مالك حتى قتله ، وسأل عن قاتل جده العبدى فلم يزل يلتمسه في المواسم حتى وافقه بذى المجاز ، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه وليس معه الارهط من الأوس ، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزارى ، فاستنجده ، فلم ينجده ، فأتى خداش بن زهير ، فنهض معه ببني عامر حتى أتو قاتل عدى ، فاذا هو واقف على راحلته بالسوق ، فطعنه قيس بحربة حتى أنفذ حضنه فقتله ، ثم استمر ، فأراده رهط الرجل ، فحالت بنو عامر دونه حتى نجا .... » [١] .

وتختلف الدية باختلاف درجات القبائل ومنازل الناس . ولكن الذى جرى عليه عامة العرب أنهم يأخذون في دية النفس مئة من الأبل [٢] ، وكانت دية الأشراف تزيد عن هذا . أما الملوك ، فكانت لهم دية خاصة يقال لها دية الملوك وهى ألف بعير [٣] . وقد يرفض أهل القتيل أخذ الدية ، ويأبون الا الأخذ بالثأر كالذى حدث حينما قتل رجل من بني مازن بالولاء (أصله عبد حبشى) عبدالله بن معد يكرب أخا عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وكان هذا الحبشى قد شبب بامرأة من بني زبيد ، فلطمه عبدالله ، فنادى الحبشي : يا آل مازن ! فقاموا الى عبدالله فقتلوه ، فجاءت بنو مازن الى عمرو فقالوا : ان أخاك قتله رجل منا سفيه ، وهو سكران ، ونحن يدك وعضدك ، فنسألك الرحم ألا أخذت الدية ما أحببت . فهم عمرو بذلك ، وقال : « احدى يدى أصابتني ولم ترد » . فلما بلغ الخبر أخته ، قالت أبياتا تعير بها أخاها ، فاضطر الى ترك الدية وأخذ الثأر [٤] .

---

(١) شعر قيس (ص ٥) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزى (١/١٨٠) ، ذكر القصة بتفصيل وبشكل آخر .

(٢) بلوغ الأرب (٣/٢٢) « قال ابن اسحاق : وحدثني رجل من بني الديل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ونودى دية دية لفضلهم فينا » ابن هشام (٤/٤) .

(٣) بلوغ الأرب (٣/٢٢) .

(٤) الأغاني (١٤/٣٢) فما بعد . Fares. P. 74. Muh. Stud. Vol, I. P. 107.

وقد تتفق القبائل على تسوية الثأرات وحقن الدماء ، فتنتخب مجلس تحكيم لاصدار قرار يضمن المحكمون تنفيذه من المتنازعين ، وقد يصدرون أحكاما بابطال المطالبة ببعض الدماء باعتبارها باطلة لاتستوجب دفع الدية ، ويقال لذلك « الشندخ » ، ومنه جاء لقب أحد حكام العرب على رأى الأخباريين ، وهو يعمر بن عوف بن كعب من كنانة المعروف بالشداخ ؛ لأنه شدخ الدماء بين قريش وخزاعة ، أى أبطلها ، فلم تعط قريش الدية لخزاعة[١] .

وقد كان العرب ينفون الخلعاء الى أماكن معينة مثل «حضوضى » ، وهو جبل فى الغرب كانت العرب فى الجاهلية تنفى اليه خلعاءها[٢] . وكان هؤلاء يتكتلون أحيانا ، وينضم اليهم من طردتهم قبائلهم أو هاموا فى الصحارى يعترضون القوافل والمارة مثل الضليلين ، وهم الذين فضلوا الغواية على الرشاد ، والذؤبان والصعاليك[٣] وأمثالهم ، فيهددون الأمن ويعترضون سبل المارة ، يتنقلون من مكان الى مكان . وكان الشاعر عروة ابن الورد يجمع حوله الصعاليك ويغزو بهم ويرزقهم مما يغنمه ، ولذلك سمى عروة الصعاليك[٤] . وقيل للصعاليك واللصوص ذؤبان ؛ لأنهم كانوا كالذئاب[٥] بالنسبة لنظم المجتمع .

والغدر من الصفات الذميمة التى تلحق العار بالفرد وبالجماعات . فاذا أعطى رجل رجلا عهدا،فلا يسعه أن يغدر به،ولابد له من المحافظة على العهد.وما زال العرب يحافظون على عهودهم حتى اليوم . وقد يضحى الانسان بنفسه على أن يخدش سمعته فيوصم بالغدر . وكانوا فى الجاهلية اذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواء ليعرفوه الناس[٦] . واذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بمنى أيام الحج على أحد الأخشبين ، ثم صاحوا : هذه

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/١٨٩) ، ابن هشام (١/١٣٦) فما بعدها ، لسان العرب (٣/٥٠٣) ، الواقدى الطبقات الكبير (١/١ ص ٣٨) .

(٢) البلدان (٣/٢٩٦) .

(٣) الصعاليك : الفقراء . اللسان (١٢/٣٤٢) .

(٤) اللسان (١٢/٣٤٢) ، ومن الشعراء الصعاليك جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحرث بن عبد يغوث بن الحرث بن معاوية بن صلاءة كان فارسا شاعرا صعلوكا أخذ في دم ، فحبس بالمدينة ثم قتل صبرا . الأغانى (١٥/٧٠) .

(٥) لسان العرب (١/٣٦٤) .

(٦) المفضليات (ص ٥٦) . « ان لكل غادر لواء » .

غدرة فلان ، ليحذره الناس[1] .

الحرية :

والعربي مجبول على الحرية ، وهو لا يطيق الخضوع لأحد سوى قبيلته على أن لا يؤثر ذلك في حريته الشخصية، وقد أعجب «هيرودوتس» وغيره من كتبة اليونان والرومان بحب العرب للحرية ولمقاومتهم للاسترقاق ، فذكروا أنهم كانوا الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس ، فلم يتمكن ملوك الفرس من استعبادهم . وانما اضطروا الى معاملتهم معاملة اصدقاء حلفاء ، فقاموا لهم بخدمات جليلة سهلت لهم فتح مصر ، ولو كان العرب حربا على الفرس لما تمكنوا قط من حملتهم هذه على مصر[2] .

والعربي من هذه الناحية شديد التعلق بالحرية ، والأعرابي يشعر ، وهو في الحضر بين سكان القرى أو المدن ، أنه في سجن لا يطاق لكثرة القيود التي تقتضيها عادات المتحضرين ، ويسعى للعودة الى وطنه حيث ينطلق حرا كما يشاء . والقبائل تشعر هذا الشعور نفسه ، فهي تعيش متمتعة بأعظم قسط من الحرية ، لا تضحي بها الا لمقتضيات المحافظة على الحياة حيث ترتبط بواجبات التحالف مع القبائل الأخرى للدفاع عن النفس وتأمين ضروريات الحياة .

ولما كان لكل شيء حد ونهاية ، غدت هذه الحرية أنانية شديدة ، وفردية مطلقة حالت بين تعاون الأفراد ، ومنعت من مساعدة القبائل بعضها بعضا مع وجود خطر أجنبي داهم[3] ، وحالت دون تكون المجتمعات الكبرى وهي الحكومات ، واقتصرت التنظيمات السياسية على القبائل ، وأصبحت العصبية للقبيلة تعني القومية . وزاد في حدة هذه الأنانية القبلية اعتقادهم بالرابطة الدموية التي تربط الأسر بالعشائر ، والعشائر بالقبائل ، وارجاع ذلك الى الأنساب[4] ، فلا تتعصب القبائل الا لتلك القبائل التي تعتقد أنها واياها من

---

(١) بلوغ الأرب (٢/١٦٢) قال زهير :

وتوقد ناركم شررا ويرفع ... لكم في كل مجمعة لواء

المفضليات (ص ٥٦) . تاج العروس ٣/٤٤٠ .

(٢) Herodotus. Vol, I. P. 254.

(٣) تأريخ الشعوب الاسلامية (١/١٦) . « روى أبو هريرة عن أعرابي جاء يزور النبي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » . حتى (ص ٣٠ - ٣١) .

(٤) تأريخ الشعوب الاسلامية (١/١٥) .

شجرة واحدة وأصل واحد .

وقد جابهت الحكومات العربية متاعب كثيرة من الروح القبلية العنيفة ، ومن الفردية المتطرفة، فكانت هذه من أهم عوامل هدم المجتمعات السياسية الكبرى في بلاد العرب، وكانت من أعنف اعداء القومية العربية، وكانت موطن ضعف اتخذه الخصوم والشعوبيون سببا لاحداث الفرقة ، ومقاومة كل مشروع لتوحيد كلمة العرب . وستجد في الفصول القادمة نماذج لهذا التدخل والصراع بين فكرتين : فكرة عامة ترمي الى التكتل على أساس تأسيس حكومات كبيرة ، وفكرة قبلية ترمي الى التمسك بسلطان القبيلة والمحافظة على حرية الفرد ، وكانت ولا تزال أشد فعالية من الفكرة الأولى ، كما كانت ـ ياللأسف ـ من أهم عوامل اسقاط الحكومات ، وتأسيس الحكومات ، واثارة الحروب المستمرة التي أتت على حضارة العرب قبل الاسلام ، وسببت تدخل الأجانب في حكومات الاسلام .

ان الحياة الصحراوية ـ كما يقول « فرانس شتولمن » ـ التي طبعت أصحابها بطابع الافراط في حب الحرية والفردية ، قد أثرت كثيرا في الحياة السياسية والتفكير السياسي في بلاد العرب ، فاقتصرت كل الفعاليات السياسية على فعاليات القبيلة ، وتراجع الفرد بل حتى الأهل والعشيرة تجاه القبيلة ، وأثرت حتى في أشكال الحكومات التي تكونت في الأماكن الخصبة وبين المتحضرين، فجعلت منها اتحادا من قبائل جمعت بينها مصالح متشابهة ومنافع مشتركة . فاذا ماشعرت بزوال مصلحتها أو أن من مصلحتها الانفصال عن هذا الاتحاد لا تتوانى عن تنفيذ رغباتها وتحقيقها بالقوة . وهذا ما يجعل مفهوم الحكومة عندهم يختلف اختلافا بينا عن مفهوم الحكومة عندنا (١) .

ويصعب في الحقيقة التوفيق بين الفكرة القبلية الضيقة والفكرة القومية التي تسمو فوق القبائل ، التي تعد القبائل كلها من قومية واحدة ، يصعب اقناع البدوي الذي لايعرف قومية سوى قومية قبيلته ، ولا وطنا ثابتا سوى الوطن الذي ينزل فيه ، بوجود قومية فوق قومية القبيلة ، ووطن واحد ثابت عام هو وطن جميع القبائل . ان وطن البدوي هو الأرض التي ينزل فيها ، الأرض التي تعلن قبيلته حمايتها عليها ، فاذا ارتحلت عنها ، وحلت قبيلته في أرض أخرى، أصبحت هذه الأرض وطنه الذي يدافع عنه ويجود بنفسه في سبيله ما دام وطن القبيلة . أما الأوطان الأخرى ، فليست بأوطانه .

---

(١) Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien. Hamburg. 1916. P, 5.

وأهم ما يعوز العرب قديما وحديثا فى نظر « جوزيف هيل » الشعور بالقومية العربية التي هى فوق القوميات القبيلية ، والشعور بلزوم الحد من حرية الفرد الجامحة ، واطاعة أوامر المجتمع فى سبيل المصلحة العامة . لقد كان هذان الأمران من أهم النواقص التى اتصف بها المجتمع البدوى فى شبه جزيرة العرب[1].

وابناء البادية على جانب عظيم من الذكاء ، ولهم مقدرة فائقة على التكيف بحسب الأحوال ، وعلى هضم الثقافات الأخرى متى تهيأت لهم الفرص وتيسر لهم الموجهون والمرشدون ، فتبرز عندئذ الصفات الكامنة والذكاء المكبوت تعمل بحيوية ونشاط[2] . وطالما كانوا لقاحا يبعث دما جديدا فى حياة الحضر الخاملين .

والفرد العربى مع استماتته فى الدفاع عن حريته ، يطيع الأحكام والأوامر التى يصدرها رؤساء الحى أو القبيلة ، وقد كان الرؤساء يتمتعون بسلطان محترم ، ولهم سجايا وصفات تميزهم عن سائر الأفراد مثل الحنكة ، والتبصر فى الأمور والشجاعة ، والكرم والسخاء ، وللرئيس امتيازات وحقوق محترمة مثل المرباع ، وهو حق الرئيس فى أخذ ربع الغنائم اذا حدث الغزو ،وحق الصفايا وهو مايصطفيه الرئيس ،والنشيطة وهو ماأصاب من الغنيمة قبل أن يصير الى مجتمع الحى ، والفضول وهو ماعجز أن يقسم لقلته فيخصص به .

لك المرباع منا والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول[3]

الخلاصة :

جعلت هذه الفصول المتقدمة تمهيدا للفصول القادمة عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، هذه الفصول التى سترينا صورة جديدة غير مألوفة عند الكثير منا عن تأريخ العرب ، سترينا أن ماقيل عن جهل العرب ، وعزلة شبه جزيرتهم وانكماشها عن بقية أجزاء العالم ، وعن عدم مشاركتها فى التأريخ العالمى وفى الثقافة الانسانية قبل الاسلام ، هو شىء لايستند الى أساس . سترينا هذه الفصول شبه جزيرة العرب بقعة من بقاع العالم كان لها شأن عظيم فى العالم الاقتصادى ، كانت على اتصال دائم بمصر وحوض البحر المتوسط وبالمحيط

---

(١) Joseph Hell, Die Kultur der Araber, 2 nd. ed. Leipzig. 1919. P. 23.

(٢) حتى : (٣٧) .

(٣) لسان العرب (٤٥٧/٩) ، تاج العروس ٢٣٢/٥ .

الهندى ، وأنها نشأت منها حضارات أصيلة ، وأنها وضعت نظما للرى دقيقة ، وتحكمت فى استخدام القوى الطبيعية والثروة الطبيعية قبل المسيح بقرون عديدة ؛ وسترينا أن شعوبها الذين عاشوا فيها قبل الميلاد بنوا معابد ضخمة ، وهياكل كبيرة ، وبيوتا ، وسيروا تجاراتهم الى أسواق العالم القديم ، وسفنهم الى البحار فى الوقت الذى كان فيه العبرانيون مثلا يكفر بعضهم بعضا لاتخاذهم بيوتا ، ولتركهم خيمة « يهوة » واستبدالهم بها هيكلا من الحجارة على طريقة الوثنيين .

وسأبدأ فى الفصول القادمة بالحديث عن حكومات «معين» و « قتبان » و «حضرموت» و « سبأ » وغيرها ، لأننا نملك نصوصا عديدة كتبها ملوك هذه الحكومات ، أو قادتها أو مشايخها أو أفرادها فى أمور متفرقة ، أكثرها ـ وياللأسف ـ شخصى ، ويرجع تأريخ بعضها الى الألف الثانية قبل الميلاد ، وقد اعتمدت ـ فى الدرجة الاولى ـ فى تدوين تأريخها على أصول النصوص المدونة ، فهى المنبع الأول الذى يجب أن يستقى منه تأريخ العرب قبل الاسلام ، ثم رجعت الى ترجمات عدد منها عند تعذر وجود صور النصوص الأصلية المدونة بالمسند لدى ، واضطررت فى اكثر الأحيان الى مطابقة الأصل بالترجمة ، اذ وجدت أن بعض الترجمات ولاسيما القديمة منها غير متقنة بل سقيمة أحيانا . وقد دفعتنى هذه الدراسات الى الاشتغال فى وضع كتاب فى نحو هذه اللهجات يكون أوسع من الكتاب الذى وضعه « اغناطيوس غويدى » وسماه « المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية » وعلمى أنه الكتاب الوحيد الذى وضع فى اللغة العربية فى هذا الباب(١) ، عسى أن تتدارك حكومات الدول العربية هذا التقصير الشائن فتهتم بتأريخ العرب قبل الاسلام اهتمامها بالاشوريات والبابليات والسوريات والفينيقيات والمصريات واليونانيات والرومانيات والعبرانيات على الأقل .

هذا وانى أعتقد أن الوقت قد حان لقيام العرب أنفسهم بالبحث فى تأريخهم القديم ، وقد أصبح لديهم نفر من المتخصصين لايريدون من حكوماتهم الا مؤازرتهم ومعاضدتهم فى اعداد وسائل النشر والبحث والسفر الى مواطن الآثار للكشف عن آثار الأجداد ، وهو واجب قومى انسانى معا ، ومن العار أن يوسم هذا

---

(١) من نشريات الجامعة المصرية مجموعة الأبحاث التى تقوم بنشرها كلية الآداب ، الجزء الثانى ، القاهرة سنة ١٩٣٠ م ١٣٤٩ هـ .

الشعب بالجهل والبداوة ، وأن يقال عنه انه شعب ساذج بسيط ظهرت الحضارة عنده في أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى ، مع أن له تأريخا حافلا قديما ، وأن تتفضل أوربة أو أمريكة عليه بارسال بعثاتها الى شبه الجزيرة للكشف عن كنوز الأجداد ، ويكون لها منة في اعناقنا ، وفي استطاعتنا القيام بهذا العمل القومي الخطير . وما أحوجنا الى يوم نسمع فيه أصوات المتخصصين من العرب ترتفع لتحكم في تأريخ شبه جزيرتنا حكما علميا منطقيا ، يفهم التأريخ خيرا من فهم الغرباء له .

الفصل الخامس

تاريخ شبه جزيرة العرب

أشرت في ثنايا كتابي الى أن شبه الجزيرة لم تحظ بالعناية اللازمة من العلماء ، وأنها لاتزال مجهولة حتى الآن ، وأن أرضيها لم تسهل استقبال البعثات التنقيبية الكبيرة التي تقوم بأعمال الحفر العميق . وقلت : ان بعض الجامعات والجمعيات العلمية أخذت توجه أنظارها نحو شبه جزيرة العرب ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية . ولهذا فاننا لانستطيع الآن – ويا للأسف – الصعود بتأريخ شبه الجزيرة الى عهود بعيدة ، وان كنت على يقين من أن العلماء سيتمكنون في المستقبل ، أي بعد ارسال البعوث العلمية والقيام بأبحاث عميقة ، من صعود درجات كثيرة في سلم تأريخ شبه الجزيرة .

لقد قلت : ان من رأي العلماء أن شبه الجزيرة كانت تتمتع ، في العصر الجليدي « Ice Age » « Glacial Epoch » ، أو « Pleistocene ice Age » ، بجو دافىء بالنسبة الى أجواء أوربة والأقسام الشمالية من آسية الواقعة شمال ايران ، وكانت تغطيها الثلوج ، وان الأمطار كانت تتساقط بغزارة على شبه الجزيرة وشمال افريقية ، فكانت تنمو لذلك فيها الأشجار ، وتغطي سطوح سهولها النباتات والأعشاب ، على عكس مانراه الآن حيث تقل الأمطار ، ويكثر الجفاف ، والتربة في الغالب ذات طبيعة صحراوية (١) .

وقد ذكروا أيضا أن الثلوج حين أخذت تنحسر بالتدريج ، أخذ الجفاف يظهر في هذه الأجواء التي كانت تتمتع بنعيم المطر ، فصار من تعود من البشر المعيشة على حافات المناطق الثلجية يزحف معها نحو الشمال ويحتل الأرضين التي تحررت من رق الثلوج ، متعقبا طريق الثلج متبعا السبل التي تسلكها الحيوانات التي تميل الى العيش في الأجواء

---

(١) Ency. Brita. Vol, 15 P. 463.

الباردة ليستفيد من لحومها وجلودها . وأخذ سكان شمال افريقية وشبه جزيرة العرب في الوقت نفسه يزحفون الى مناطق أكثر ملاءمة لهم ، حيث تعسرت الاقامة في جنتهم القديمة التي أبدلتها الطبيعة صحاري ، قليلة الأمطار ، وحدثت لذلك الهجرات(١) .

وكانت مناطق الشرق الأوسط ترفل بنعيم الأمن والسلام على رأى « Ellsworth Huntington » طوال تلك العهود . فلما تبدل الجو ، تبدلت أخلاق الناس ، فجلب الجفاف عليهم الفقر ، والفقر آفة من شر الآفات التي تحل بالانسان ، وأخذت شعوب شبه الجزيرة تحارب بعضها بعضا ، للتسابق الى المراعي والمناطق الخصبة ، وأخذت شعوب شبه الجزيرة تفتش عن مناطق جديدة فذهب « الهكسوس » الى مصر ، واتجه الفينيقيون نحو لبنان ، وغزا الارميون بلاد الشام ، وحملت الضائقة الاقتصادية القبائل على ترك منازلها التي أصبحت غير قادرة على تقديم القوت اللازم للناس(٢) .

ويصعب بالطبع بقاء العاديات مدة طويلة في مناطق مكشوفة سهلة ، وفي أرضين صحراوية لاحماية فيها لحفظ تلك الأشياء ، ومع ذلك فقد عثر على أدوات حجرية يرى من فحصها أنها تعود الى العصر « Palaeolithic » المتأخر (٣) . وقد وجدت بين هذه الأدوات فأس طولها سبعة عقد ونصف عقدة ولها لون يميل الى الخضرة ، عثر عليها في موضع يقال له « دوادمي » (Dawadami) , وهو يبعد ٣٧٥ ميلا عن ساحل خليج فارس ، وقد وجدت فيه مدفونة تحت سطح التربة (٤) . وعثر على مثل هذه الأدوات الحجرية في مناطق أخرى من شبه جزيرة العرب ، وفي جملتها الأحساء ، ويظهر أن قسما منها استورد من الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب ؛ لأنها تتكون من حجارة لاتوجد في العروض . ووجد بين هذه الأدوات ماهو مكون من حجارة بركانية ، وبعضها من حجارة « الكوارتز » وغيرها من أنواع الصخور .

ولا نعرف اليوم شيئا عن حياة الانسان في شبه الجزيرة ، في أثناء اقامته في الكهوف « Caves » . وقد وجد السياح عددا من الكهوف في الحجاز وفي اليمن والعربية الجنوبية اتخذها أسلاف سكان شبه الجزيرة بيوتا لهم ، التجأوا اليها ، وعاشوا فيها أمدا طويلا ، ولا تزال

---

(١) Ency. Brita. Vol, 15 P. 463. (٢) المصدر نفسه (٤٦٤) .
(٣) P. B. Cornwall, Ancient Arabia : explorations in Hasa, 1940 -- 1941. P, 39 in : Geogr. Journ. CVII, Febr, 1946.
(٤) المصدر نفسه .



فأس من الحجر تعود الى عصر الـ « Palaeolithic » المتأخر ، عثر عليها في « دوادمي » .

صنعت هذه الصورة عن صورة نشرت في مجلة : « The Geographical Journal » جزء شباط سنة ١٩٤٦ ارسلها الى صديقي الدكتور جورج ماثيوس من انظهران .

بعض القبائل الى وقتنا هذا تتخذ منها بيوتا [١] . وقد تركت هذه الكهوف أثرا كبيرا في القصص العربي كما أشار اليها الكتبة الكلاسيكيون . وقد اتخذها الانسان مساكن قبل عصر هؤلاء الكتبة بآلاف السنين . غير أننا لانعرف - يالأسف - من أمرها شيئا ، فلا نعرف من فن انسان أهل الكهف وطرق معيشته والأدوات التي استعملها شيئا يذكر، فلم يكن السياح الذين وجدوها من أهل التخصص بهذا الموضوع ، كما أن الفرص لم تتح لهم لدراستها دراسة دقيقة والولوج في داخلها والبحث عما فيها من أدوات أو عظام ، لهذا فاننا ننتظر المستقبل كذلك .

ولشبه جزيرة العرب أهمية عظيمة بالنسبة الى موضوعات « دراسات ماقبل التأريخ »، وذلك لما لهذه الأرض من علاقة بالنظريات التي وضعها العلماء عن البشر وعن عصر الـ « Pleistocene » ، وعن الهجرات وغير ذلك . وقد وجد الباحثون آثارا تعود الى الـ « Acheulian » « Acheulean » المتأخر في المملكة الأردنية الهاشمية [٢] ، وهذا العهد هو القسم الأول من العهد الثالث المتأخر « Lower Palaeolithic » من عهود الـ « Palaeolithic » [٣] . وقد عثر في حضرموت على آثار صناعات تعود الى عهود الـ « Palaeolithic » ، على ما يقال [٤] ، ومن المحتمل العثور على آثار أخرى في شبه الجزيرة ولا سيما في مناطق الهضاب والجبال حيث يمكن بقاء هذه الأشياء مدة طويلة .

وقد نشرت السائحة « G. Caton Thompson » والباحثة « E. W. Gardner » خلاصة عن أعمالهما «الجيولوجية» والأثرية في حضرموت ، فتبين منها أنهما قد توصلتا من الناحية « الجيولوجية » الى عصر الـ « Palaeolithic » حيث درستا طبيعة طبقات القشرة الأرضية وتكون الصخور [٥] ، وكان « ليتل » « O. H. Little » الذي أرسل بأمر من الحكومة المصرية لدراسة « جيولوجية » حضرموت قد كتب له السبق الى بحث هذا الموضوع [٦] .

---

(١) Van der Meulen, Aden to the Hadhramaut P, 120 - 121, 200, 203.

(٢) Cornwall, Anc. Arab. P, 38.

(٣) Ency. Brita. Vol, 2. P, 238.

(٤) Cornwall, Anc. Arab. P, 38 - 39.

(٥) The Geographical Journal, Vol. XCIII No 1 January 1939. P, 18.
« Climate, irrigation, and Early Man in the Hadhramaut » . by G. Caton — Thompson and E. W. Gardner.

(٦) O. H. Little « The Geography and Geology of Makalla » Geological Survey of Egypt, Cairo, 1925.

وأما من الناحية الأثرية ، فقد عثرنا على أدوات حجرية تعود الى العصر الحجرى ، وعلى معبد لعبادة الاله « القمر » فى « الحريضة » وعلى جماجم بشرية وعظام وخرز تعود الى أيام « الأخمينيين »أو « الرومان » وجدت فى مقبرتين على مسافة ليست بعيدة من المعبد . وعلى الجملة فان هذا المعبد والمقبرتين وما وجد فيهما وفيه ليس بقديم عهد ، ولا يرتقى الى أكثر من العصرين الخامس او السادس قبل الميلاد (١) .

يرى من فحص بعض الأدوات الحجرية التى عثر عليها فى حضرموت ، وهى تعود الى العصور الحجرية ، أنها ليست محكمة دقيقة الصنع ، وأنها غير متقنة بالقياس الى ما عثر عليه فى شمال شبه الجزيرة وفلسطين وافريقية ، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة أحجار حضرموت ، وعزا ذلك آخرون الى تأخر حضارة الانسان القديم فى هذه المنطقة بالقياس الى الحضارات التى ظهرت فى شمال شبه الجزيرة أو افريقية (٢) .

والخلاصة ، فان ماعثر عليه قليل ، وقد وجد فى بقعة محدودة من حضرموت ، ولم يدرس دراسة كافية حتى الآن .

وعثر الدكتور حزين رئيس البعثة العلمية المصرية التى أوفدتها جامعة فؤاد الأول فى أبريل سنة ١٩٣٦ م الى اليمن وحضرموت على أدوات حجرية ، يرى بعضهم أنها وصلت الى اليمن من بلاد الشام أو فلسطين ؛ لأنها تشبه الأدوات الحجرية التى عثر عليها هناك (٣) .

والجماجم والعظام مادة مفيدة جدا فى دراسة التأريخ ، ولكن الباحثين لم يتمكنوا حتى الآن من الحصول على مقدار كاف منها لاعطاء فكرة علمية عن العصور التى ترجع اليها وعن أشكال أصحابها ، وقد عثر رجال « الجيولوجية » التابعون لشركة « أرمكو »

---

(١) Geogr. Journ. Vol XCIII No I January 1939 P, 33. Royal Central Asian Journal. Vol XXVI January, 1939 Part I. P. 91.

(٢) Hugh Scott, in the High Yemen, P, 195 . راجع أيضا :

Geogr. Journ., Vol XCIII No. I. January 1939. « An exploration in the Hadhramaut and Journey to the Coast » by Freya Stark.

راجع أيضا (ص ٣٠) من هذا الجزء .

(٣) Geogr. Journal Vol XCIII No I January 1939. PP, 30.

على بقايا عظام وأسنان تعود الى بعض الحيوانات « الحلمية » « Mastodon » وعلى قسم من جمجمة حيوان قديم في موضع يبعد « ٩٠ » ميلا الى الغرب من «الدمام»[١] ، ووجدت مثل هذه البقايا الحيوانية في أنحاء أخرى من شبه الجزيرة ، ولكن ما عثر عليه لا يكفي لاعطاء فكرة علمية دقيقة في هذا الموضوع .

ان التلال التي عثر عليها في مواضع متعددة من شبه الجزيرة وظهر من فحصها أنها كانت مقابر ، هي من نوع المقابر التي يقال لها «Tumuli» ، وهي تشبه بصورة عامة المقابر التي عثر عليها في نهاية القرن التاسع عشر في جزيرة البحرين ، ويرى بعض العلماء أنها من مقابر « الفينيقيين » ، وذلك قبل هجرتهم الى لبنان . وتنشأ هذه القبور في الغالب من قطع من الصخور توضع بعضها فوق بعض ، فتكون غرفة أو غرفتين ، وأحيانا غرفة فوق أخرى يوضع في داخلها الموتى ويصنع سقف الغرف من ألواح من الصخور ، ثم تغلق باب القبر ويهال عليه التراب ، فيتخذ شكل تل[٢] .

وجد رجال شركة « أرمكو » عددا كبيرا من هذه المقابر على حافات « جبل المذرى الشمالى » يقدرها « كورنول » بالألوف ، ووجدوا كذلك عددا آخر من هذه المقابر في جبل « المذرى الجنوبي »[٣] . وقد حافظت بعض هذه القبور على أشكالها محافظة جيدة ، ويشبه بعضها القبور التي عثر عليها « فلبي » في الأقسام الغربية الجنوبية من شبه الجزيرة[٤] . ووجد « كورنول » مقابر أخرى في موضع « الرديف » الواقع على بعد « ١١٠ » أميال من شمال غربي « الدمام » ، وفي موضع يقع شمال « عين السيح » بمسافة أربعة أميال ، حيث بلغ قطر أحد تلك المقابر « ٣٣ » ياردة وارتفاعه «١٣» قدما . وقد تمكن من الحصول على هيكل عظمي وعلى فخار وقطع من العاج وقشور بيض للنعام وأسلحة مصنوعة من البرنز[٥] .

وترجع هذه المقابر الى العصر « البرنزي » في الغالب ، ويرى « كورنول » أن أصحاب هذه المقابر التي عثر عليها في الاحساء هم من رجال عصر الـ « Chalcolithic » المتأخر أو أوائل العصر البرنزي . وكان قسم منهم ، وهم أصحاب المقابر العالية المؤلفة

---

(١) Cornwall, Ancient Arabia. P, 39.

(٢) Ency. Brita. Vol, 2. P. 245. Vol, 22. P. 547.

(٣) Cornwall, P, 36

(٤) Cornwall, P, 36. Sheba's Daughters, P, 373 ff.

(٥) Cornwall, P, 37 .

من الصخور الموضوعة على المرتفعات ، من الصيادين أو الرعاة • وأما أصحاب المقابر في المناطق المنبسطة السهلة ، فانهم من المزارعين المستقرين • وأما أهل مقابر البحرين ، فقد كانوا من رجال العصر البرنزي المتقدم ، ويرجع تأريخهم الى الألف الثاني قبل الميلاد ، ويظن « كورنول » أيضا أنهم جاؤوا الى العروض في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وردوا من الأقسام الجنوبية الغربية من بلاد العرب حيث موطن الهجرات السامية (١) •

ولعل الأيام ستكشف عن تأريخ هذه المقابر وعلاقة الكائن منها في البحرين والعروض بتلك التي عثر عليها « فلبي » في « الخرج » وفي « الأفلاج » وفي الأقسام الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة ، ومع تلك المقابر التي قيل انه عثر عليها في موضع « المويه » الواقع على « ١٤٣ » ميلا من شمال شرقي مكة (٢) • وقد وصف « فلبي » المقابر التي عثر عليها في « الرويق » وفي مرتفعات « العلم الأبيض » و « العلم الأسود » ، وقال : ان اكثرها قد عبث به العابثون ، وأخذوا ما كان في داخل الغرف التي كان يوضع فيها الموتى • وهي مختلفة الأحجام والارتفاع • ويظهر من وجود هذه المقابر في محلات صحراوية بعيدة عن مواضع العمران وفي أماكن لايقيم فيها الناس أن هذه المناطق كانت مأهولة قبل الاسلام ، وأنها كانت ذات تأريخ قديم جدا ربما يرجع على رأى « فلبي » الى أيام قدماء « الفينيقيين » ، وربما كان « الفينيقيون » على رأى « فلبي » أيضا من الأفلاج والخرج ، حيث هاجروا بعدئذ الى البحرين (٣) •

ويظهر من وصف « دي كوري Gerald de Gaury » و « فلبي » لمقابر الخرج أنها كثيرة العدد ، وأنها في مواضع متعددة من هذه الأيالة عند « فرزان » و « السلمية » و « الدلم » ، وهي متفاوتة الأحجام والارتفاع ، (٤) ولم يتمكن « دي كوري » من تعيين تأريخها ، ولا يمكن التثبت من ذلك بالطبع الا بعد القيام بحفريات دقيقة وفحوص للعظام ولمحتويات القبور لمعرفة مكانها في التأريخ •

(١) Cornwall, P, 37.

(٢) Cornwall, P. 38.

(٣) راجع وصف هذه المقابر ورأى فلبي فيها وفي أصل « الفينيقيين » في كتاب فلبي « Sheba's Daughters » (ص ٣٧٣ وما بعدها) •

(٤) Geagr. Journ. Vol CVI Numb. 3,4. Sept— Oct. 1945. 152 — 153. Philby. Heart of Arabia. Vol, 2 PP, 26.

الدولة المعينيّة

تعد الدولة المعينية من أقدم الدول العربية التى وصل الينا خبرها ، وقد عاشت فى اليمن وازدهرت بين سنة ١٣٠٠ ـ ٦٣٠ للميلاد تقريبا[١] ، ووصلت أخبارها الينا من الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية . أما المؤلفات العربية الاسلامية ، فلا علم لها بهذه الدولة . ولكنها عرفت اسم « معين » على أنه محفد من محافد اليمن[٢] وحصن ومدينة ، وذكرت أنها وبراقش من أبنية التبابعة[٣] .

وأقدم من ذكر اسم « المعينيين » من الكتاب « الكلاسيكيين » «ديودورس الصقلى»[٤] و «سترابون» وقد سماهم «Minaei» وقال : ان مدينتهم العظمى هى «Karna» ' «Carna»[٥] ويقصد بها « قرن »[٦] و « بلينيوس »[٧] و « بطلميوس »[٨] وهو آخر من ذكرهم من هؤلاء الكتاب[٩] .

ويرى جماعة من العلماء أن «Maon» « ماعون » « معين » أو «Meunim» « معونيم » الواردة فى التوراة انما يقصد بها « المعينيون »[١٠] ، وهم سكان « النقب » الى طورسيناء[١١] ، أو هم سكان « معان » الواقعة الى الجنوب الشرقى من « البتراء » «Petra»[١٢] ، أو هم أهل « العلا » « الديدان » حيث عثر فى هذا الموضع على عدد وافر من الكتابات المعينية ، وقد كان من المواضع التابعة لدولة معين[١٣] . وأرى أن

---

(١) Hitti, P. 52. Philby, The Background of islam. Alexandria. 1947. P. 141
وسيكون رمزه : Background

(٢) الصفة ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٣ .

(٣) اللسان ٢٩٨/١٧ ، البلدان ٢/ ٩٨ وما بعدها ، ١٠٢/٨ .

(٤) O'Leary, P. 94. Diod. Sicu., 3, 42.

(٥) Strabo, XVI. 768. (16,4,2). Glaser, Skizze., 2. P. 14. O'leary., P. 93. Sprenger, Alte. Zeogr. Arabiens. P. 211.

(٦) البلدان (٧/ ٦٤ وما بعدها) .

(٧) Pliny, Nat. Histo. 6. 28.32, 12. 30. 14., BOASOOR., Num.73. February, 1939. P. 4

(٨) Ptolemy, Geography., VI. 7, 23. (٩) BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 4.

(١٠) Ency. Bibl. P. 3065. James Montgomery, Arabia and the Bible, P. 183.

(١١) Hastings. P. 619. (١٢) حتي (ص ٧٠) Montgomery, Arabia, P, 183.

(١٣) Montgomery, Arabia. P, 183.

الحكومة المعينية كانت قد انقرضت أو ضعف أمرها حينما سجل كتاب التوراة الأسفار ، لذلك لم يعرفوا من أمرهم شيئا يذكر ، وانما أدركوا حكومة « سبأ » التى حلت محل المعينيين ، ولهذا نجد للسبئيين ذكرا فى مواضع متعددة من التوراة •

لم يتحدث أحد عن المعينيين بعد « بطلميوس » الى أن دخل السياح اليمن فعثروا على كتابات ورد فيها اسم «معين» وفي مقدمة هؤلاء « يوسف هاليفي Joseph Halevy» (١) ، و « أدورد كلاسر Eduard Glaser » و « أويتنك Euting» (٢) و « جوسن Jaussen» «Savignac» (٣) وغيرهم ممن سترد أسماؤهم، حصلوا على نقوش معينية نشرت ترجمات بعضها ، ونشر بعض آخر بغير ترجمة(٤) ، ولا يزال بعض آخر ينتظر النشر •

لم يتفق علماء العربيات حتى الآن على تأريخ مبدأ هذه الدولة ولا منتهاه ، فـ «كلاسر» مثلا يرى أن الأبجدية التى استعملها المعينيون فى كتاباتهم وهى « المسند » ترجع الى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد (٥) ، وهذا يعنى بالطبع أن تأريخ هذا الشعب يرجع الى ما قبل هذا العهد ، فالمعينيون على هذا الاعتبار هم أقدم عهدا من العبرانيين • ويعارض هذا الرأى « هاليفى » و « مولر D. H. Müller» (٦) و « موردتمن Mordtmann» (٧) و « ماير E. Meyer» (٨) و « شبرنكر Sprenger» (٩) و « ليدزبارسكى Lidzbarski» وغيرهم (١٠) ، ويرون أن فى نظرية « كلاسر » هذه مبالغة وأن مبدأ

---

(١) Halevy, in, Journal Asiatique, 1872, 129 — 266, 489 — 547, 1873. Tome. I, 434 — 521, Tome II, 305 — 365; 1874. — 497 — 585. "Inscriptions Sabeennes".

(٢) نشرت مجموعة "Euting" فى مؤلف "D. H. Müller" المعنون : Epigraphische Denkmäler aus Arabien, 1889.

وكذلك فى بحث "Mordtmann" فى Beitrâge Zur Minâischen Epigraphik. 1897.

(٣) Mission archéologique en Arabie. 1917.

(٤) Corpus Inscriptionum Semiticarum, Tome IV. Part I, II, III, IV. and d'épigraphic Semitique, Tomes V and VI Boasor, 73 (1939). P. 5.

(٥) Glaser, Skizze. 2. P. 110, 330

(٦) D. H. Müller, Beilage Zur Münch. Allgem. Zeitung. 1890, Nov. 24. and 31. Ency. Vol, 4. P. 13.

(٧) Mordtmann, ZDMG. XIVII. 400. Beitrage. P. 105, 115.

(٨) E. Meyer, Gesch. d. Altertums., 2. S, 382.

(٩) Sprenger, Bemerkungen, S, 502. Ency. Vol, 4. P. 13.

(١٠) Ephemeris. 2. S, 101.

هذه الدولة لايمكن أن يتجاوز الألف الأولى قبل المسيح بكثير . ويرى «هومل Hommel» أن من الممكن أن يكون مبدأ تأريخ دولة « معين » مابين « ١٥٠٠ ــ ١٢٠٠ » قبل الميلاد ، ونهاية حكومتها في عام ٧٠٠ قبل الميلاد [١] . وجعل « فلبي » مبدأ حكم أول ملك من ملوكها في عـام ١١٢٠ قبـل الميلاد وحكم آخر ملك نعرفه من ملوكها في عـام ٦٣٠ قبل الميلاد[٢] . ويعارض « ونت Winnett» رأي « كلاسر » و « ونكلر » و « هومل » في تقدير مبدأ تأريخ دولة معين ، ويرى أن في ذلك مبالغة وأن « شبا » أي « سبأ » وكذلك « ددان » أقدم الدول العربية مستدلا على ذلك بما ورد في التوراة ، ويرى أن مبدأ دولة « معين » لايمكن أن يتجاوز عام « ٥٠٠ » قبل الميلاد ، وأما نهايتها ، فقد كان بين عام ٢٤ قبل الميلاد وعام ٥٠ بعد الميلاد [٣] . ويرى معارضو نظرية « كلاسر » عن قدم الدولة المعينية أن هــذه النظرية لاتستقيم مع ماهو معروف عن تأريخ ظهـور « الألفباء » عند البشر ، فان ارجاع تأريخ معين الى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد معناه ارجاع « المسند » الى أقدم من ذلك ، وهذا يتعارض مع النظريات الشائعة عن قدم الخط عند البشر ؛ فان الخط « الفينيقي » لايتجاوز عهده ألف سنة قبل الميلاد ، وليس « المسند » كما يظهر من أشكاله وصوره الهندسية أقدم عهدا منه[٤] . ويعارض « هــوارت Huart» في ارجـــاع مبـدأ تأريخ « معـين » الى سنــة « ١٥٠٠ » قبـل الميلاد مستندا الى هــذه الحجة . ويرى أن تأريخهـا لايمكن أن يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد[٥] .

وقد ظهرت هذه الدولة في « الجوف » ، و « الجوف » منطقة سهلة بين نجران وحضرموت أرضها خصبة منبسطة . وقد زارها السائح « نيبور Niebuhr» [٦] . وقد

---

(١) Ency. Vol, 4. P. 13. BOASOOR., Numb. 73 (1939). P. 5. Handbuch der altarabischen Altertumskunde, 1. P. 67.

(٢) Background, P, 141.

(٣) BOASOOR. Num. 73 (1939). P. 8.

(٤) Lidzbarskei, Ephemeris., II, P. 101. Ency. Vol, 4. P. 13. Hilprecht, Explorations in Bible Lands, P. 731.

(٥) Huart, Geschichte der Araber, Bd. 1. S, 45.

(٦) الصفة (ص ٢٧ ، ٨١ وما بعدها) . Ency., Vol, 1. P. 1026. البلدان (٣/١٧٤ وما بعدها) .

ذكر الهمدانى جملة مواضع فى الجوف ، ولم يعرف بالطبع شيئا عن أصحابها • ومن هذه المدن : معين ، ونشق ، وبراقش ، وكمنا ، وغيرها(١) • وقد كانت عاصمتها مدينة « القرن » « قرن » • وقد حصل « هاليفى » على عدد كبير من الكتابات المعينية اكتشفها فى أثناء سياحته فى الجوف • ويظهر من وصف « هاليفى » له أنه غنى جدا بالمواضع العادية ، ولعله أغنى بقعة فى شبه جزيرة العرب بالآثار(٢) • وفى القسم الجنوبى من الجوف تقع خرائب « معين »(٣) • ويقع على مقربة منها آثار معابد ومبانى وخرائب كثيرة ولاسيما فى جهة الشرق(٤) • وقد حصل « هاليفى » على الكتابات « المعينية » التى سميت باسمه ورقمت من عدد « ١٨٧ » الى عدد « ٢٦٦ » ـ ومجموعها « ٨٠ » كتابة ـ من خرائب « معين » ، وحصل على الكتابات المرقمة من رقم « ٤٢٤ » حتى رقم « ٥٧٨ » من « يثل » ويبلغ مجموعها « ١٥٥ » كتابة ، كما حصل على عدد آخر من « كمنا » ومن « السوداء » • ويبلغ مجموع الكتابات المعينية التى استنسخها هذا المستشرق زهاء « ٧٠٠ » كتابة ، ولكنها قصيرة ، وبعضها يتضمن بضع كلمات ماخلا « ٥٠ ـ ٦٠ » كتابة تتألف من بضعة أسطر(٥) •

والكتابات المعينية أقدم عهدا من الكتابات السبئية ومن سائر الكتابات العربية الأخرى فى نظر من جعل « معينا » أقدم شعب عربى ورد إلينا خبره • أما الذين يعارضون هذا الرأى ، فيرون أن الكتابات السبئية ليست أحدث عهدا من الكتابات المعينية ، بل ان من الكتابات السبئية مايمكن عده أقدم عهدا من الكتابات المعينية(٦) • وقد استخرجت هذه الكتابات من الجوف ، ومن « ديدان »(٧) أيضا حيث كانت من أهم مواطن المعينيين خارج الجوف ، كما عثر على كتابات معينية فى مصر فى « الجيزة »(٨) ، وفى جزيرة « ديلوس » Delos

(١) الصفة (ص ١٦٧) •
(٢) O'leary, Arabia before Muhammad, P. 95.
(٣) Sheba's Daughters, P. 380.
(٤) Scott, in The High Yemen, P. 207.
(٥) Hommel, Grundriss., Bd, I. S, 135.
(٦) BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7
(٧) « الديدان : مدينة حسنة كانت فى طريق البلقاء من ناحية الحجاز خربت » البلدان (٤/١١٩) • D. H. Müller, Epigraphische Denkmäler aus Arabian. 1889.
(٨) BOASOOR. Num. 73. (1939). P. 7.



مبخرة حجر « مذبح » مكتوبة بالمسند يحرق عليها البخور
فى المعابد • وقد عثر على عدة مباخر منها • نقل بعضها الى برلين •



مذبح معيني

من جزر اليونان ، وتعود الى القرن الثانى قبل الميلاد[1] . وقد أفادت هذه الكتابات بالطبع فائدة عظيمة فى كتابة تأريخ معين .

وقد حصل المستشرقون من قراءتهم الكتابات « المعينية » على عدد من أسماء ملوك معين ، غير أنها لم ترد مؤرخة على وفق تقويم من التقاويم ، لذلك صعب تنظيم هذه الأسماء وترتيبها ووضع تأريخ لها . ومع ذلك جاهد علماء العربيات الجنوبية لترتيبها وتنظيمها تنظيما زمنيا ، وفي طليعتهم المستشرق « مولر Müller»[2] و « هومل Hommel» وغيرهما ، فرجعوها الى مجموعات ووضعوا لها تواريخ تقريبية ، وقد استدلوا من تكرار بعض الأعلام على وجود قرابة بين أصحابها . واذ لم يستند المستشرقون فى تقدير مدة حكم كل ملك الى وثائق ، وانما بنوا أحكامهم على تخمين وتقدير ، اختلفت عندهم قوائم الملوك ومدد حكم كل ملك .

ملوك معين :

لاتمثل أسماء ملوك « معين » التى عثر عليها فى الكتابات كل ملوك معين ، فمن الجائز أن يكون هنالك عدد آخر قد يعثر على أسمائهم فى المستقبل بعد القيام بحفريات فى المناطق المعينية وفى غيرها . وقد جعل « هومل » من أسماء ملوك معين التى عرف من أمرها شيئا ثلاث طبقات ، كل طبقة تتألف من أربعة أشخاص ، وطبقة أخرى تتألف من ثلاثة أشخاص ، وطبقة تتألف من شخصين[3] . وقد حاول « اوتوويبر »[4] مثل « هومل » تنسيق أسماء ملوك معين وجعلهم على طبقات تمثل كل طبقة أسرة من الأسر ، وكذلك حاول هذه المحاولة « مولر D. H. Müller» كما قلت و « موردتمن J. H. Mordtmann»[5] ورتب « كليمان هوار Cl. Huart» هؤلاء الملوك سبع طبقات ، الطبقة الأولى تتألف من أربعة ملوك ، والطبقة الثانية من خمسة ، والطبقة الثالثة من أربعة ، والرابعة من شخصين ، والخامسة من ثلاثة وأما الطبقتان

---

(١) BOASOOR., Number, 73 (1939). P. 7.

(٢) حتى ص ١ ، ٧١ (بيروت ١٩٤٩) . Müller, Die Burgen. 2. S, 60 — 67.

(٣) Hommel, Grundriss. 1. S, 136. Chrest S, 90 .

(٤) Grundriss, 1. S, 136.

(٥) Mordtmann, in ZDMG. 47. 1893. S. 397 —417.

السادسة والسابعة فتتألف كل واحدة منهما من ملكين. ويبلغ مجموع ملوك هذه الطبقات السبع اثنين وعشرين ملكا [١] . وينقص هذا العدد أربعة ملوك عن قائمة « مولر » الذى حقق هوية ستة وعشرين ملكا . وأما « فلبى » ، فقد ذكر اسم اثنين وعشرين ملكا نظمهم خمس سلالات ، جعل على رأس السلالة الأولى « اليفع وقه » ، وفى آخر السلالة الخامسة الملك « تبع كرب » الذى حكم على رأيه من سنة ٦٥٠ الى سنة ٦٣٠ قبل الميلاد [٢] .

وأرى أن الوقت لم يحن بعد لترتيب أسماء ملوك معين ترتيبا زمنيا ، ولم يحن الوقت كذلك لتعيين مدة حكم كل ملك ، ووضع مايقابل ذلك من التأريخ الميلادى ، فقد سبق أن بينت أن النصوص المعينية لم تؤرخ على وفق التقاويم المعروفة ، ولا الحوادث المشهورة، وانما أرخت بحكم الملوك، ولم يرد فى نص، ذكر أسماء الملوك بحسب تسلسلهم وترتيبهم ، أو مدة حكم كل ملك منهم ، ولم تصل جميع الكتابات المعينية الينا حتى الآن ، فلا يمكن اذن وضع قائمة بأسمائهم يمكن أن تبعث الطمأنينة الى النفوس . نعم ، يمكن مقارنة أزمنة بعض ملوك معين مع بعض ملوك « قتبان » الذين كانوا يعاصرونهم أو غيرهم ممن سنتحدث عنهم ، لورود ذلك فى النصوص القتبانية أو المعينية أو السبئية ، غير أن تلك النصوص لم تؤرخ على وفق حادثة معينة أو تقويم ، وانما أرخت أيضا بأيام الملوك . ويرى « هومل » أن السلالة التى وضع فى أولها الملك « اليفع وقه » هى أقدم أسر ملوك معين [٣] . وأما « موردتمن » ، فيقدم الأسرة التى جعل على رأسها الملك «يثع ايل صديق» [٤] . وقد جاراه فى ذلك «كليمان هوار» [٥] .

ويرى « ونت F. V. Winnett» أن الأسرة التى فيها « أب يدع يثع » هى أقدم عهدا من الأسرتين [٦] . والخلاصة ، ان هذه الأسر لاتعنى أنها كل الاسرالتى

---

(١) Cle Huart,. Geschi. der Araber Bd., 1. S, 56.

(٢) Background., P. 141

(٣) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarb. Altertumskunde, PP. 67. 71. Le. Muséon, LXII, 3 — 4, (1949). P. 234.

(٤) Mordtmann, in ZDMG., XLVII. 409. BOASOOR. Num. 73. P. 7. (1939).

(٥) Geschichte der Araber, Bd. 1. P. 56.

(٦) BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7.Le Muséon, LXII, 3 —4. (1949). P. 234.

حكمت « معينا » ، أو أن الأسرة الأولى منها هي أول أسرة حكمت ذلك الشعب ، فقد يكون هنالك عدد آخر من الأسر والملوك حكموا قبلها سنين كثيرة ربما بلغت بضعة قرون .

ورد اسم الملك « اليفع وقه » في كتابة عثر عليها في « الخربة السوداء »[١] . وهي مدينة « نشن » « نشان »[٢] في الكتابات المعينية ، وفي كتابة أخرى عثر عليها في « براقش » وهي مدينة « يثل » من مدن معين . وقد ذكر معه اسم ابنه « وقه ايل صديق » « وقه ال صدق » . ويظهر من كتابة « نشان » أنه في عهد « اليفع وقه » جدد ورمم هيكل « عم » رب مدينة « ناعط » ، وقدمت الهدايا والقرابين لهذه المناسبة[٣] .

وتولى ملك معين بعد «اليفع وقه» ابنه «وقه ايل صديق» «وقه ال صدق»[٤] ، وقد ورد اسمه في كتابة كتبت في « قـرن » « قرنو » ، كما ورد اسمه واسم ابن له يدعى « أبو كرب يثع » في كتابة وجدت في « الديدان » « ددان » « العلا »[٥] . وقد لقبت الكتابة ابنه بلقب « ملك » أيضا . وتلك عادة مألوفة عند العرب الجنوبيين حيث كان الأب أو الأخ يلقب ابنه أو أخاه بلقب « ملك » ، وقد يكون ذلك من باب الاحترام والتبجيل ، وقد يدل على المساهمة في الحكم . ولقب « أبو كرب يثع » بلقب ملك في حياة أبيه « وقه ايل صديق » ، وكان له ولد لقب كذلك بلقب ملك هو « عمى يثع نبت »[٦] ، وقد ورد اسمه مع اسم والده « أبو كرب » في كتابة من الكتابات المدونة في مدينة « يثل » « براقش »[٧] ، ولا نعرف على كل حال من أمره ولا من أمر والده شيئا كثيرا .

ويرى فلبى أن فترة وقعت بين حكم هذا الملك وبين حكم ملك آخر من ملوك « معين » لانعلم أمدها ، وقدرها بنحو عشرين عاما تولى بعدها الملك « صدق ايل » «ال» ملك

---

(١) « والخربة السوداء بالشاكرية ، ثم معين وبراقش ثم كمنا وروثان لنشق » (الصفحة ص ١٦٧) .

(٢) Handbuch der Altarabischen Altertumskunde. Bd, I. S, 70. 82. 83.

(٣) Background., P. 49. BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7.

(٤) Background., P. 49. BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7.
« وقه ال صدق » في الكتابات .

(٥) Backgrund, P. 50.

(٦) « عمى يدع نبط » . BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7.

(٧) Background, P. 51

معين • ولا نعرف من أمر هذا الملك شيئاً ، وانما يظهر أن ابنه « اليفع يثع » هو الذي تولى الملك من بعده.وأما ابنه الثاني «شهر علن» «علان» فقد تولى عرش حضرموت[١] •

ولم تتحدث النصوص عن كيفية تولى « شهر علن » عرش حضرموت • ومن الجائز أن هذه الملكية انتقلت اليه من أبيه ، وأن حضرموت كانت فى عهد والده جزءا من مملكة « معين » ، وأن الملك « صدق ايل » وزع ملكه بين أولاده فأعطى « اليفع يثع » أرض معين وما يتبعها من مقاطعات ، وأعطى « شهر علن » أرض « حضرموت » • ويحتمل أيضا أن يكون « صدق ايل » ملك حضرموت ، وأن ابنه « شهر علن » تولى الملك من بعده على حضرموت ، وأن ظروفا لانعرفها ساعدت ابنه « اليفع يثع » على توليه عرش معين[٢] • ويرد اسم الملك « حفن ذرح » بعد « اليفع يثع » فى بعض القوائم ، وكان له شقيق يقال له « معد يكرب » تولى عرش حضرموت • وتولى الملك بعد « حفن ذرح » الملك « اليفع ريام » ، وهو ابن « اليفع يثع »• ثم تولى من بعده ابنه « حوف عث »، ثم شقيقه « أب يدع يثع » وهو ابن الملك « اليفع ريام »[٣] •

وجاء فى الكتابة التى رقمت برقم "Glaser. 1150" و "Halévy. 192" ، وهى من الكتـابات الطويلة التى تتألف من جملة أسطر ومصدرها مدينة « معين »[٤] ، اسم الملك « أب يدع يثع »[٥] • وقد دونت هذه الكتابة لمناسبة قيام جماعة من أشراف مدينة « قرنو » « قرن » بترميم خنادق هذه المدينة واصلاح أسوارها وانشاء محلة جديدة فيها • وصاحب هذه الكتابة والآمر بتدوينها هو « علمن بن عم كرب » من أسرة « ذى حذأر » أى « آل حذار » ورئيس « كبأن » « جبأن » وصديق ومكتسب عطف ومودة « موددت » ملك معين « أب يدع يثع » ووالد عدد من الأولاد ساعدوه فى هذا العمل ، هم : « يأوس ايل » « يأوس ال » و « يذكر ايل » « يذكر ال » و « سعد ايل » « سعد ال » و « وهب ايل » « وهب ال » و « يسمع ايل » « يسمع ال »• وقد قاموا بهذا العمل تقربا الى آلهة معين : « عثتر ذ قبضم »[٦] و « ود » و « نكرح »

---

(١) Background., P. 141.
(٢) Background, P. 51 — 52.
(٣) « اليفع ريم » Background, P. 141.
(٤) Halévy., Mission, P. 32. 75. 77.
(٥) راجع النص Glaser. 1150 = Hal. 192 + 199.
(٦) « عثتر ذو قبض » Nikolaus Rhodokanakis, Studien Zur Lexikographie und Crammatik des Altsüdarabischen. Heft. 2. P. 54—55. وسيكون رمزه : Stud. Lexi.

والى ملك معين . وقد جرى هذا العمل فى ربع « ربعن »[١] المدينة ، المسمى « رمشو » ، وامتد الى أماكن أخرى حتى موضع « شلوث » . وبعد الانتهاء من العمل ذبحت القرابين للآلهة : « عثتر سيد « رب » قبض » « عثتر ذ قبضم » و « ود » . وذكرت الكتابة تفاصيل الأعمال التى تمت ومواضعها ومقدارها وغير ذلك مما يذكر عادة فى وثائق البناء .

ولهذه الكتابة أهمية كبيرة ، لأنها تكشف عن نواحى تتعلق بجباية الضرائب فى دولة معين ، وعن كيفية انشاء الأبنية العامة هناك . ولم ينفق « علمان » « علمن » على هذه الأعمال من أمواله الخاصة، وانما دفع جزءا من النفقات ، وسدد البقية من الهبات التى كانت تقدم الى الآلهة ومن الجبايات التى تجمعها ادارة المعابد ولاسيما معبد الآله « عثتر » ومن الأموال التى يحصل عليها من استغلال الأرض التى أصلحها ، وقد فوضه ذلك ملك « معين » « ملك معن » و مجلس « معين » « مسود معن »[٢] .

وهنالك نصوص معينية أخرى تشبه هذا النص ، لها علاقة بكيفية جباية الضرائب فى حكومة « معين » « معن فى النصوص » وبانشاء الأبنية العامة ، مثل النصوص المرقمة Gl. 1083 و Gl. 1144 و Gla. 1150 و Gl. 1155 و Hal.187/8 و Hal. 535 و Gl. 1302 وغيرها[٣] . وقد ورد فيها بعض التعابير التى كانت تستعمل فى عقد العقود فى ذلك العهد ، مثل « كبودت » و « اكرب » و « فرع » و « عشر » وغير ذلك . وتأخذ « الفرع » و « العشر » عن الأرض . وأما « كبودت » و « اكرب » « أقرب » فتعنى الهبات والأعمال الخيرية التى يتقدم بها أصحابها بمحض اختيارهم تقربا الى آلهة معين[٤] . وتنتهى أكثر هذه النصوص بالطلب الى آلهة «معين» «معن» بحماية هذه المنشآت والطلب الى الناس المحافظة عليها وانزال الشر والغضب بمن يحاول التجاوز عليها[٥] .

---

(١) « هجرن قرنو بقلح ربعن رمشو . . . » . Stud. Lexi., 2. P. 55.

(٢) « ويوم سشب ابيدع يثع ملك معن ومسود معن » .

(٣) أيضا Hal. 353. Gl. 1144. Hal. 565. Hal. 478.

(٤) Stud. Lexi. 2. P. 58. ويعبر فى المعينية عن الهبات والعطايا التى تقدم للمعابد أو الحكومة بجمل تحمل هذا المعنى مثل : « يوم وهب » و « وبذمأد «ماد» بن يدهس » « ذات يده » . الخ .

(٥) Stud. Lexi., 2. P. 60.

ولورود هذه الأسماء وأمثالها في النصوص المعينية وفي غيرها من الكتابات العربية الجنوبية أهمية كبيرة في دراسة تطور الأسماء وتأريخها في شبه جزيرة العرب ، فيمكن المقابلة بينها وبين الأسماء العربية التي كانت شائعة قبيل الاسلام وتطورت بمرور الوقت حتى أخذت الشكل الذي عرفت به عند ظهور الاسلام. ولاسم « يسمع ايل » « يسمع ال » أهمية خاصة أيضا ؛ لأنه يشير الى شيوع اسم « اسماعيل » عند العرب قبل الميلاد .

وورد في كتابة أخرى عثر عليها في « قرنو » ، وهي الكتابة التي أشير اليها بعلامة "Halévy 193" ، اسم الملك « أب يدع يثع » ، وهي من الكتابات المهمة التي تشير الى الصلات السياسية التي كانت في هذا العهد بين مملكة « حضرموت » وبين مملكة « معين » . وقد جاء فيها : أن « معد يكرب » ملك حضرموت وقف حصن « خرف » للآلهة « عثتر ذ قبضم » « عثتر رب قبض » الذي بناه خاله « شهر علن بن صدق ال » ملك « حضرموت » تقربا للآلهة « عثتر رب قبض » و « عثتر شرقان » « عثتر الشارق » و « ود » و « نكرح » ولابن أخيه « أب يدع يثع » ملك « معين » ، ولشعبه شعب «معين»[١] . وجاء في كتابة أخرى، وهي الكتابة المؤشرة بعلامة «Halévy 520»، عثر عليها في مدينة « يثل » وهي تتحدث عن انشاء بناء في مدينة « وكل » ليكون وقفا للآلهة اسم الملك « معد يكرب بن اليفع يثع » ملك معين . كما ورد في كتابة أخرى عثر عليها في المكان نفسه اسم « أب يدع يثع » ملك « معين » و « معد يكرب » ابن « اليفع »[٢] . وورد اسم « أب يدع يثع » في ثلاث كتابات أخرى ورد في اثنتين منها اسم ابنه « وقه ال ريم » « وقه ايل ريام »[٣] .

وتشير هذه الكتابات الى وجود صلات وقرابة بين ملوك « معين » و « حضرموت » . ونحن لانعلم كيف تلقب « شهر علن » بلقب « ملك حضرموت » ، آلملكية انتقلت اليه من أبيه « صدق ال » ، وكان أبوه نفسه ملكا على حضرموت ، فوزع الملك بين ولديه ، فأصبح « شهر علن » وهو الابن الأصغر ملكا على « حضرموت » ، أو أن « شهر علن » هو الذي تلقب بهذا اللقب الذي لم يكن يحمله والده ؟ ولكننا نعلم أن

---

(١) Background., P. 51.

(٢) Halévy 535.

(٣) Background, P. 51.

« شهر علن » كان ملكا من ملوك « حضرموت » ، وانتقلت الملكية منه الى ابن اخيه الأكبر « معد يكرب » ، وهو ابن « اليفع يثع » ملك معين الذى تولى الملك من بعده ولداه : « حفن ذرح » ، و « اليفع ريام »[1] .

وجاء بعد « أب يدع يثع » على عرش معين الملك « وقه ال ريم » « وقه ايل ريام »، وهو ابن « أب يدع يثع » على رأى بعض العلماء[2] ، وهو ابن « حوف عث » على رأى بعض آخر[3] . ثم جاء من بعده « حفن صديق » وهو والد « اليفع يفش » من ملوك معين[4] .

وحكمت «معينا» أسرة أخرى على رأسها « يثع ال صدق » «يثع ايل صديق »[5] ولا نعرف الآن من أمره شيئا سوى أنه بنى حصن «يشبم» «يشبوم» ، وأنه والد «وقه ال يثع» ملك معين[6] . و « وقه ال يثع » هو والد « اليفع يشر »الذى ضعفت فى أيامه حكومة « معين » واعترفت بسيادة حكومة « قتبان » عليها كما يظهر ذلك من كتابة كتبها أهل مدينة « ذمرن » « ذمران » لمناسبة تقديمهم وقفا لأحد المعابد ، حيث ورد « فى أيام سيدهم ، وقه أل يثع وابنه اليفع يشر ، ملك معين وباسم سيده شهر يجل يهرجب ملك قتبان »[7] . ويظهر منها أنها كتبت فى أيام « وقه ال يثع » ، وكان ابنه يحمل لقب « ملك » كذلك ، وأن حكومة « قتبان » كانت أقوى من حكومة « معين » ، ولهذا اعترف ملك معين بسيادة ملك حضرموت عليه . والى أيام الملك « اليفع يشر » تعود الكتابة التى أشير اليها برقم Gl. 1144 = Hal. 353 ، وقد دونت بأمر جماعة من « أهل نيط » لمناسبة قيامهم بترميمات واصلاحات فى الأبراج وحفر قنوات ومسايل للمياه تقربا لآلهة معين[8] . وقد وردت فى هذه الكتابة كلمات عديدة هى مصطلحات كانت تستعمل فى البناء تفيد فى دراسة حضارة المعينيين .

وقد ورد اسم « اليفع يشر » فى عدد من الكتابات ، منها كتابة كتبت فى « نشن » « نشان » ، ويظهر من كتابة دونت فى « قرنو » ما يؤيد رأى القائلين ان حكومة

---

(١) Background, P. 52.

(٢) BOASOOR., Numb. 73. (1939). P. 7.

(٣) Background, P. 55.

(٤) Background, P. 55.

(٥) BOASOOR., Numb. 73. (1939). P. 7.

(٦) Background, P.56.

(٧) Background, P.56.

(٨) Stud. Lexi. 2. 30—31. Mordtmann, Min. Epigr. S, 68, 71.

« قتبان » كانت قد فرضت نفسها على حكومة معين[١] ، الا أن هذا لا يعني أنها فقدت استقلالها واندمجت في حكومة « قتبان » . فاننا نرى أنها بقيت مدة طويلة بعد هذا العهد محافظة على كيانها ، وعلى رأسها ملوك منهم ابن « اليفع يشر » الملك « حفن ريام » و « وكه ال نبت » « وجه ال نبت »[٢] .

وهنالك أسرة أخرى حكمت معين من أعضائها « أب يدع ريام » وابنه « خال كرب صدق » . وقد ورد اسمه في كتـابة وجدت في « قرنو » لمناسبة تدشين معبد « لعثتر ذ قبض » ، وكان له ولدان هما : حفن يثع وأوس . وقد تولى « حفن يثع » عرش « معين » بعد وفاة والده ، ومن الجائز أن يكون شقيقه « أوس » اشترك معه في الحكم[٣] .

وورد اسم « اليفع يشر » في كتابتين من الكتابات التي عثر عليها في « ددان »[٤] ، أمر بتدوين احداهما « وهب ال بن حيو ذعم رتنع »[٥] « عمى رتع »[٦] من أعيان المعينيين في الشمال . وأما الكتابة الأخرى ، فتعود الى « يفعان » من رؤساء « ددان » كذلك . وقد كان هذان الرجلان من أسرتين كبيرتين عرفتا في أيام معين المتأخرة وفي عهد اللحيـانيين ، وورد اسم الأسرتين في عدد آخر من الكتابات[٧] .

ويرى « ونت » أن هذه الكتـابات اللحيانية التي ورد فيها اسم هاتين الأسرتين أقدم عهدا من الكتابات المعينية التي ورد فيها اسم الأسرتين ، وهذا معناه أن المعينيين جاؤوا الى هذا الموضع بعد اللحيانيين . وقد أشارت بعض الكتـابات اللحيانية القديمة الى المعينيـين والى صلاتهم التجـارية مع « ددان » والشـمال ، وهـذا يعنى أن المعينين كانوا يتاجرون مع « العلا » وشمال شبه الجزيرة فلما ازداد عددهم استولوا على « ددان »[٨] نهائيا .

ومن ملوك معين المتأخرين الملك « يثع ال ريم » وابنه « تبع كرب » ، وقد عثر

---

(١) Background, P.56.

(٢) Backgrouud, P. 141.

(٣) Background, P. 57.

(٤) Res. 3341. Res 3355b. Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 234.

(٥) Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 234

(٦) BOASOOR, Number 73 (1939). P. 6.

(٧) Js 43, 245, 276, 281, 288, Js. 50, 196, 197, 216.

(٨) BOASOOR, Number 73 (1939). P. 6.



محارب راكب جملا يخوض موضع ماء ، وقد
كتب فى أعلا الصورة : «مشيقرم حميت بن يشف» .
أى «مشيقر حمية بن يشف» وهو صاحب الصورة .

على كتابة أمر بتدوينها رجل من « دبر » اسمه « ثوب ال » وابنه « يسلم » من آل « هنا » تعود الى عهد هذين الملكين • وقد وردت فى هذه الكتابة عبارة مهمة تشير الى الحالة السياسية التى كانت عليها معين فى هذا الوقت ، ورد فيها : « ورثد أهل دبر سل اسم وأسطر سم عثتر شرقن وعثتر ذ قبض وود ونكرح وعثتر ذ يهرق وكل الآلت معن ويثل وكل الآلت وشيم هى وأملك واشعب سبا وجو بن كل ذ يسنكرسم وسفاى وختبل بن مقمهسم بضرم وسلمم يمت أرضم » أى « وجعل آل دبر وقفهم ونقوشهم فى حماية عثتر شرقان »[1] « الشارق » وعثتر ذو قبض[2] وود ونكرح وعثتر ذو يهريق وجميع آلهة معين ويثل وجميع آلهة سبأ ومحامى سبأ وملوك « سبأ » وشعوب سبأ وجو جعلاها فى حمايتهم لمدافعة كل من يغيرها ويبيدها فتخرب من مكانها فى الحرب والسلم أيام « أى مادامت » الأرض »[3] •

ويظهر من عبارة « وجميع آلهة سبأ ومحامى سبأ وملوك سبأ وشعوب سبأ » أن معينا كانت فى هذا الوقت خاضعة لنفوذ سبأ السياسى ، وربما كانت خاضعة لها ، وأن معينا وان كانت تتمتع باستقلالها ولها ملوك كانت قد فقدت سلطانها القديم ، انتزعته منها سبأ • ولهذا وردت هذه الجملة فى هذه الكتابة التى تشير الى اعتراف المعينيين بآلهة سبأ وبملوك سبأ وبشعب سبأ عليهم ، وما كان ذلك ليكون لو لا تفوق سبأ على حكومة معين •

وموضوع هذه الكتابة هو قيام « ثوب ال » وابنه باجراء اصلاحات على معبد « نكرح » وانشاء أبنية جديدة فيه من الجزية التى كان « ثوب ال » يؤديها لمعبد « نكرح » • ويظهر أن المعبد المذكور كان فى مدينة « دبر » ، ويرى « فلبى » أن هذه المدينة تقع الى الجنوب من الجوف[4] • وقد ذكرت الكتب الاسلامية أسماء مواضع فى اليمن قريبة من هذا الاسم • ذكر « ياقوت الحموى » اسم قرية قال لها « دبر » ، ولكنه جعلها

---

(١) « شرقن » وحرف « ن » اذا لحق آخر المعرفة دل على التعريف فهو فى مقام « ال » فى لهجتنا ويقرأ « آن » ويكتب فى المسند بغير ألف أى « ن » • فتعنى كلمة « شرقن » الشارق •

(٢) « ذ » وتعنى فى لهجتنا « ذو » أى صاحب ورب •

(٣) غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة (ص ٢٨) •

(٤) Background, P. 57.

قرية من نواحي صنعاء[١] . وذكر الهمداني اسم موضع قال له « دبرة » قال انه في الجوف[٢] ، كما ذكر اسم موضع آخر قال له « الدبر »[٣] .

ذكرت أن علماء العربيات الجنوبية لم يتفقوا على بدء حكومة معين ونهايتها ، ولا على تقويم واحد ينظم ملوك معين ؛ وبينت من رأيي أن ذلك لايمكن أن يتم الآن ، ولن يتم الا بعد القيام بحفريات علمية عميقة ولا سيما في منطقة الجوف موطن المعينيين . وقد وضع « البرايت W. F. Albright » قائمة رتب فيها ملوك معين ، فجعل أولهم « اليفع يثع » ، وقد حكم على رأيه حوالى سنة « ٤٠٠ » قبل الميلاد ، وهو ابن « صدق أيل » ملك حضرموت . وعندى أن البدء بهذا الملك على أنه أقدم ملوك معين يدل على أن مملكة معين كانت في أقدم عهودها خاضعة لمملكة حضرموت . وهو قول يحتاج الى دليل ، ولم يرد في نص أن حكومة معين كانت خاضعة في بادىء الأمر لحكومة حضرموت ، ثم استقلت عنها ، بل يذهب أكثر علماء العربيات الجنوبية الى تقدم معين على حضرموت في القدم . ويلاحظ أيضا أنه جعل الملك « يدع ايل » على رأس قائمة ملوك حضرموت . وقد كان هذا الملك على رأيه أيضا معاصرا للملك « كربعيل وتر » أول ملوك سبأ ، وقد حكم على رأيه حوالى سنة « ٤٥٠ » قبل الميلاد[٤] . والواقع أننا لا نستطيع التحدث عن صلة « صدق ايل » ملك حضرموت بمعين بصورة جازمة ، وان كان الغالب على الظن أنه كان ملكا على شعب معين وشعب حضرموت . ولكننا لانستطيع أن نؤكد أنه كان حضرميا ، كما أننا لانستطيع أن نقول بجزم أنه كان من معين . وأرى أن هذا الملك لم يكن أقدم ملوك معين ، والظاهر أنه قد تولى عرش معين قبله عدد من الملوك ، وأن ابنه « اليفع يثع » ورث من والده عرش معين ، بينما ورث شقيقه « شهر علن » عرش حضرموت . وهذا يدل على أن رابطة قرابة كانت تربط بين حكام الشعبين ، يؤيد ذلك أن « معد يكرب بن اليفع يشع » هو الذى تولى عرش حضرموت بعد « شهر علن » ، ووالده كما رأيت ملك معينا .

وجعل « البرايت » « حفن ذرح » بعد « اليفع يثع » ، وهو ابنه ولعله الابن الأكبر ، وهو شقيق « معد يكرب » ملك حضرموت ، أى أن ولدى « اليفع يثع » قد اقتسما

---

(١) البلدان (٣٢/٤) (٢) الصفة (ص ٨١ ، ١٠٨) .
(٣) الصفة (ص ١٢٥) .
(٤) BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 14—15.

تاج معين وتاج حضرموت ، فأصاب « حفن ذرح » عرش معين ، وكان عرش حضرموت من نصيب « معد يكرب » .

وتولى عرش معين بعد « حفن ذرح » « اليفع ريام » ، وهو ابن « اليفع يثع » ، وقد تولى أيضا عرش حضرموت على رأى « البرايت » . ثم تولى بعده « هوف عث » ثم « أب يدع » ، وهو شقيقه وابن « اليفع ريام » . وفى أيامه كتب « نص Glaser 1155 = 578 + Halévy 535 » الذى تحدث عن حرب نشبت بين « مذى » « ماذى » و « مصر » . وقد ذهب « البرايت » الى أن المقصود من هذه الحرب ، الحرب التى وقعت بين «المادين» «الماذيين» وبين المصريين وانتهت بانتصار «الماذيين» واحتلال ملكهم « ارتحشتا الثالث Artaxerxes Ochus » لمصر عام « ٣٤٣ » قبل الميلاد . وعلى هذا يكون حكم هذا الملك فى هذا العهد[١] . وقد جعل « فلبى » حكمه حوالى عام ٩٣٥ قبل الميلاد ، وجعله العاشر بحسب تسلسل الملوك[٢] .

وتتشابه قائمة « البرايت » وقائمة « فلبى » فى تسلسل الملوك الذين تولوا عرش معين بعد « أب يدع يثع » الى « اليفع يفش » ثم تختلف قائمته عن قائمة « فلبى » ، اذ يذكر « فلبى » بعد الفترة التى لا نعرف من حكم فيها ، ومدتها عشرون عاما على رأيه ، اسم « يثع ايل صديق » ثم « وقه ايل يثع » فاليفع يشر فحفن ريام ووجه ايل نبط[٣] . أما « البرايت » فيذكر قبل هذه السلالة السلالة التى تبدأ بـ « اليفع وقه » و « وقه ايل صديق » و « أب كرب يثع » ثم « عم يثع نبط » ، وقد حكم « اليفع وقه » على رأيه فى حوالى سنة « ٢٥٠ » قبل الميلاد[٤] . وقد قدم « فلبى » هذه السلالة وجعلها فى رأس قائمة ملوك معين . وقد حكم « اليفع وقه » على رأيه حوالى سنة « ١١٢٠ » قبل الميلاد .

ويتفق « البرايت » و « فلبى » فى تسلسل الملوك الذين حكموا بعد السلالة المتقدمة ، ولكنهما يختلفان بالطبع اختلافا بينا فى وقت حكم هذه السلالة وكل السلالات المتقدمة ، اذ رأينا أن « فلبى » جعل حكم أول ملك نعرفه من ملوك معين حوالى عام « ١١٢٠ » قبل الميلاد . أما « البرايت » فقد حدد ذلك بحوالى سنة ٤٠٠ قبل الميلاد .

---

(١) BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15.

(٢) Background, P. 141.

(٣) BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15.

(٤) المصدر نفسه .

وجعل « فلبى » بعد هذه السلالة عددا من الملوك على أنهم حكموا بالتعاقب ، وقد مرت بنا أسماؤهم ، وجعل آخرهم الملك « تبع كرب » . أما « البرايت » فقد ذكر أنه لم تثبت لديه تواريخ هؤلاء الملوك ، وعددهم خمسة . ولذلك فانه لم يشأ أن يذكر موقعهم فى قائمة تأريخ الملوك [١] . وأرى أن من الخطأ ترجيح قائمة على أخرى ، أو اعتبار قائمة ما من القوائم التى وضعها علماء العربيات الجنوبية مضبوطة صحيحة . فالترجيح يجب أن يستند الى حجج ثابتة ، وليست لدينا وثائق تخولنا ترجيح رأى على سائر الآراء . ثم ان هذه القوائم التى وضعها أصحابها ظن ، والظن لايفيد علما فى نظر العلم ، وقد يأتى يوم تنقلب فيه هذه القوائم رأسا على عقب .

انقرضت حكومة « معين » وحلت محلها حكومة « سبأ » على رأى أكثرية علماء العربيات الجنوبية ، غير أن هذا لايعنى انقراض شعب معين بانقراض حكومتهم ، وذهابهم من عالم الوجود ، اذ ورد اسمهم فى عدد من الكتابات المعينية التى يرجع عهدها الى ما بعد سقوط حكومتهم ، كما ورد اسمهم فى المؤلفات الكلاسيكية التى تعود الى القرن الأول للميلاد[٢] . أما متى استخفى اسمهم من عالم الوجود استخفاء تاما ، فذلك سؤال لايمكن الاجابة عنه الآن ، اذ يتطلب ذلك التأكد من أننا قد وقفنا على جميع الكتابات العربية الجنوبية والمؤلفات الكلاسيكية ، ولا اخال أن فى استطاعة أحد اثبات هذا الادعاء .

وفى خلال الفترة التى انصرمت بين أواخر أيام حكومة معين وبين اندماجها نهائيا فى مملكة « سبأ » ، ظهرت حكومات صغيرة يمكن أن نشبهها بحكومات المدن انتهزت فرصة ضعف ملوك معين ، فاستقلت فى شوؤنها ، ثم اندمجت بعد ذلك فى « سبأ » . ومن هذه الحكومات « حرم » « الحرم » ، و « نشن » ، و « كمنة » « كمنهو »[٣] . « كمنا »[٤] ، وغيرها . ويمكن اعتبار مملكة « لحيان » التى كان مركزها فى « العلا » « ددان » من الممالك التى استقلت فى أيام ضعف المعينيين[٥] . وقد كانت فى

---

(١) BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15.

(٢) Le Muséon., LXII, 3—4 (1949). P. 231 "South Arabian Chronology" by Philby

(٣) Philby, in Le Muséon., LXII, 3—4 (1949) P. 231.

(٤) الصفة ص ١٦٧ .

(٥) Le Muséon, LXII, (1949) 3—4. P. 231.

الأصل جزءا من أرضى هذه المملكة يحكمها « كبير » .

لم يرد اسم معين فى التوراة ، ويرى بعض الباحثين أن « معونيم Me'unim» و «Me'inim» الواردة فى أخبار الأيام الأول[١] وفى أخبار الأيام الثانى[٢] انما يقصد بها المعينيون الذين كانوا يقطنون فى المناطق الشمالية[٣] .غير أننا اذا ما ذهبنا مذهب القائلين بأن الحكومة المعينية حكمت قبل مملكة سبأ ، وأنها كانت فى الألف الثانية قبل المسيح ، تكون مملكة معين قد ازدهرت فى الوقت الذى كان فيه العبرانيون يعيشون عيشة قبائل وليس لهم حكومة ولا ملوك. ولهذا لم تحفظ ذاكرتهم من أخبار المعينيين شيئاً انما وقفت على خبر حكومة « سبأ » والسبئيين .

الكتابات المعينية :

وعثر ـ كما قلت سابقا ـ على كتابات معينية خارج اليمن ولا سيما فى « العلا » ، وبينها عدد من الكتابات « اللحيانية » المتأثرة باللهجة المعينية [٤] ، وقد وردت فيها أسماء كانت شائعة عند المعينيين مثل : « يهر » و « علهان » و « ثوبت » و « يفعان »، كما ورد فيها ذكر آلهة معين[٥] .

وتشير النصوص التى عثر عليها فى « مصر » فى « الجيزة » [٦] وفى موضع « قصر البنات » [٧] الى الصلات التجارية التى كانت تربط مصر باليمن وبالمعينيين ، ويظهر من كتابة « الجيزة » ـ وهى مؤرخة فى السنة الثانية والعشرين من حكم « بطلميوس بن بطلميوس » ـ أن جالية معينية كانت فى مصر فى هذا الوقت ، ولعلها من أيام حكم « بطلميوس الثانى » [٨] . وكان المعينيون يتاجرون فى القرن الثالث

---

(١) الاصحاح الرابع آية ٤١ . (٢) الاصحاح السادس والعشرون ، الآية ٧ .

(٣) Hastings, P. 619. Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 236. Ency. Bibl., P. 3065—3066.

(٤) BOASOOR, Number, 73. (1939). P. 5.

(٥) راجع النصوص Jaussen, Savignac., 151, 164, 196, 197, 206, 212 220, 221, 222, 226, 248, 269; 324; 364. Winnett; Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, P. 9.

(٦) BOASOOR, Numb. 73. (1939). P. 7. Hommel in PSBA., XVI (1894), 145—9. D. H. Müller, in Wiener Zeitschrift. F. D. Kunde des Morgenländers (1894). I.

(٧) Le Muséon, LXII (1949), 1—2. P. 56 A. E. P. Weigall, Travels in the upper Egyptian Deserts. 1909. PI. IV Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII. (1935), P. 228—229.

(٨) BOASOOR. Numb. 73. (1939).P. 7.

أو الثاني قبل الميلاد بتجهيز معابد مصر بالبخور [1] ، وللنصوص التي عثر عليها في جزيرة « ديلوس » [2] أهمية كبيرة بالطبع ، لأنها تشير أيضا الى الصلات التي كانت بين المعينيين واليونان .

يظهر من كتابات « العلا » « الديدان » «Dadan» أن هذا الموضع كان مأهولا بالمعينيين ، وقد كان من جملة الأرضين التابعة لحكومة معين . وقد بلغت حدود هذه الحكومة — كما قلت سالفا — أعالي الحجاز وجنوب فلسطين ، ولعل المستقبل يكشف لنا الحجاب عن كتابات معينية في أماكن أخرى من المنطقة التي بين فلسطين واليمن .

ولم يرد اسم « ديدان » في النصوص الاشورية [3] ، ولا اسم « المعينيين » . أما عند العبرانيين فقد اقترن اسم « ددان » في التوراة باسم « شبا » على أنه شقيقه من « رعمة » في موضع ، أي من نسل « كوش » [4] ، واقترن بـ « شبا » في موضع آخر على أنه من نسل « يقشان » من ذرية قطورة [5] . ولم تشر التوراة الى وجود المعينيين فيه ولعدم اشارة التوراة الى وجود المعينيين في « ددان » « الديدان » ، وتنويهها بأن الديدانيين هم أشقاء « شبا » معنى ، لأن ذلك يدل على أن المعينيين لم يكن لهم سلطان على هذا الموضع بل على سائر الأنحاء الواقعة الى الجنوب من فلسطين في هذا العهد .

ويظهر من الكتابات التي عثر عليها في « الديدان » أن الديدانيين كان يحكمهم ملوك منهم ، كما كان عندهم ممثل يمثل حكومة «معين» وهو بمثابة نائب عن الملك يقال له « كبر » « كبير » [6] . ولم ترد اشارة الى هذا المنصب في الكتابات التي ترجع الى أيام السبئيين ، ويرى « موسل » أن ذلك قد يكون بسبب ضم هذه المقاطعة الى المملكة السبئية كما يفهم ذلك من الكتابات الآشورية ، واعتبارها أرضا من سبأ ، وقد حل « اللحيانيون » في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد محل السبئيين [7] . ولظهور أثر اللهجة المعينية

---

(1) Corpus Repertoire D'Epigraphic Semitique. 3427. BOASOOR, Numb. 73. (1939). P. 7. C. Conti Rossini, Chrest. Ar. Merid. 1931. P. No. 86.

(2) Background, P. 42.

(3) Musil, Hegaz. P. 294.

(4) التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٧ .

(5) التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٣ .

(6) Musil, Hegaz., P. 295. D. H. Müller, Epigraphische Denkmäler. S. 1—96.

(7) Musil, Hegaz., P. 295.

فى الكتابات اللحيانية نستطيع أن نستنتج من ذلك أن المعينيين ـ وان كانوا قد فقدوا نفوذهم السياسى فى هذا المكان ـ لم يفقدوا شخصيتهم فيه ، ولا تأثيرهم الثقافي فيمن حل محلهم ، وأنهم اندمجوا بعد ذلك فى اللحيانيين .

وتعد الكتابة المرقمة برقم « Glaser 1155 = Halévy 535 + 578 » من الكتابات المعينية المهمة ؛ لأنها تحدثت عن حرب وقعت بين « ذيمنت » وبين « ذشامت » « وبن ضركون بين ذيمنت وذشامت » أى « ومن الحرب التى وقعت بين سادة الجنوب وبين سادة الشمال » ، ولا يعرف المقصود من « الجنوب » و « الشمال » . ويرى « ونكلر » أن المقصود من « الجنوب » حكومة معين ، وأن المقصود من « الشمال » حكومة عربية هى حكومة « أريبى » التى كان يمتد نفوذها ـ على رأيه ـ الى أرض دمشق [١] . والظاهر أن السبئيين والخولانيين انتهزوا فرصة هذه الحرب وخروج معين ضعيفة منها ، فأغاروا على قافلة معينية فى المنطقة الواقعة بين « معين » على قراءة « ونكلر » [٢] أو « ماوان » على قراءة أخرى [٣] وبين موضع « ركمات » « ركمت » « رجمات » « رجمت » . واذا صح أن الكلمة هى «معين» فيقصد بها العاصمة ويكون هجوم سبأ وخولان على القافلة المعينية قد وقع فى المنطقة التى بين العاصمة وبين موضع « ركمت » . واذا قرأنا الكلمة « مون » أو « ماوان » يكون الهجوم قد وقع فى المنطقة التى بين « مون » « ماوان » وبين « ركمت » . وقد ذكر « ياقوت الحموى » فى معجم البلدان اسم موضع « ماوان » فقال : انه « واد فيه ماء بين النقرة والربذة ، فغلب عليه الماء فسمى بذلك الماء ماوان » [٤] .

وصاحب هذه الكتابة هو « عم صدق » ابن « حم عثت » ذو « يفعن » « اليفع » و « سعد » ابن « ولك » « ولج » « ولى » « على » [٥] ذو « ضفكن » « ضفلن » [٦] « كبرى » « كبرى » مصر « مصرن » و « معين مصر » [٧] وقد كانا ـ كما يظهر

---

(١) H. Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in. S, 20, 22.

(٢) H. Winckler, Musri, S, 20.

(٣) Background, P. 53.

(٤) البلدان (٧/ ٣٧٠) .

(٥) « على » كذا فى كتاب Background, P. 53. قرأها بعضهم « ولك » « ولج» وهنالك تشابه كبير بين رسمى حرفى اللام و « الكيمل » . راجع النص فى Winckler, Musri, P. 56.

(٦) « ضفكن » لدى « وينكلر » فى كتابه Musri, Meluhha, P. 20. وفى النص الملحق بصفحة ٥٦ . و « ضفلن » فى كتاب Background, P. 53.

(٧) « عم صدق بن حمعثت ذ يفعن وسعد بن . . . (ولى) (ولك) (على) . . ذ ضفكن كبرى مصرن ومعن مصرن . . . مصر ورتكل . . . مهسمن مصر واشور . الخ» .

من هذه الكتابة ـ يحملان لقب « كبر » أي « كبير » ، ويعنى هذا اللقب أن صاحبه كان من أصحاب الوظائف العالية ؛ اذ كان يعنى عند المعينيين درجة « وال » أو نائب ملك أو حاكم على مقاطعة من مقاطعات الدولة . والظاهر أنهما كانا يمثلان كذلك ملك ملك « معين » في « مصر » أو « صور » بحسب اختلاف القراءات[(١)] ، وعند « أأشر » « أأشور » و « عبر نهرن » « عبر نهران » .

وقد أمرا بتدوين هذه الكتابة تقربا الى « عثتر ذ قبضم » « عثتر ذو قبض » وبقية آلهة « معين » ، وهي : « ود » و « نكرح » ؛ لأنها نجت القافلة من الغزو ، كما قاما بتزيين معبد « تنعم » وذلك في عهد ملك « معين » « أب يدع يثع » وقد ورد في الكتابة ذكر حرب وقعت بين « مذى » و « مصر » في وسط « مصر »[(٢)] . وقد شكرا الآلهة على أن سلمت أموال المعينيين في هذه المنطقة أيضا وحفظت أرواح رجال القافلة وشملتها برحمتها وحمايتها الى أن أبلغتها حدود مدينتهم « قرنو » . شكرا وسبحا بحمد « عثتر شرقان » « الشارق » و « عثتر ذ قبض » و « ود » ونكرح و «عثتر ذي يهرق» و «ذات نشق » «نشقم» وبكل آلهة معين[(٣)] و «يثل» وملك معين « أب يدع يثع » وبابني « معد يكرب » ابن « اليفع » وشعبي معين ويثل[(٤)] .

والظاهر من هذه الكتابة أن هذه القافلة كانت قافلة ضخمة تتألف من عدد كبير من الجمال ، وكانت برأس مال عظيم ، ويعد يوم وصول هذه القوافل من أيام الفرح والسرور ، للأخطار التي كانت تتعرض لها في الطريق ، ولذلك لايتولى قيادتها الا المحنكون الشجعان وتذكرنا هذه القافلة بخبر تلك القافلة التي كان يقودها أبو سفيان . وأمر الرسول رجاله بالتعرض لها ، فكان لهذا النبأ وقع شديد في نفوس قريش . ولذلك فمن الجائز أن يكون هذان الكبيران قد توليا قيادة هذه القافلة التي طمعت فيها « سبأ » و « خولان » .

ولم يرد في الكتابة ذكر الجهة التي كانت تقصدها هذه القافلة : أكانت متجهة من معين نحو الشمال أي من اليمن نحو الشمال ، أم كان اتجاهها على العكس من

---

(١) Glaser, Skizze, 2 P. 452. Winckler, Musri., P. 20. Background, P.53.

(٢) « بن وسط مصر بمرد كون بين مذى ومصر » السطرين الخامس والسادس من النص .

(٣) « وبكل الالات معن ويثل » (٤) النص : Glaser 1155 = Halevy 535.

« معين مصران » نحو الجنوب قاصدة اليمن وتعرضت لها ، وهى عائدة الى وطنها ، قبائل من سبأ وخولان ؟ (١) • والأقرب الى الواقع فى نظرى أن هذه القافلة كانت عائدة الى وطنها اليمن ، وتعرضت وهى فى الشمال الى مصاعب كبيرة بسبب تلك الحرب ، فلما عادت تعرضت لمصاعب أخرى هى هجوم سبأ وخولان •

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن « أأشر » انما تعنى « آشور » أو البادية وأن « عبر نهرن » أو « عبر نهران » انما تعنى شرقى الأردن الى الشام ، وأن « صور » أو « صار » « صر » قد يقصد بها « صور » أو الساحل الفينيقى ، وعلى هذا فان هذا النص يشير الى العلاقات السياسية والاقتصادية التى كانت بين حكومة معين وحكومات هذه المواضع المذكورة (٢) • وذهب « ونكلر » الى أن المقاطعات الشمالية التى كانت تحكمها حكومة معين كان يقال لها « مصر » ، وتتبعها أرض « أأشر » وأرض « عبر نهران » ، وكانت تميز عن أرض معين بتسميتها بمعين المصرية أو « معين مصرن » • وأن الكبيرين كانا يمثلان حكومة معين فى هذه المقاطعة (٣) • ورأى « هومل » و « كلاسر » أن « أأشور » انما هى « اشوريم » الواردة فى التوراة على أنهم من نسل ابراهيم من زوجته « قطورة » (٤) • وهى المنطقة الواقعة على حدود مصر (٥) ، وعلى هذا تكون المنطقة المذكورة فى هذه الكتابة ممتدة من مصر الى « بئر السبع » «Beersheba» و « حبرون » «Hebron» (٦) • وهى منطقة شبه جزيرة طورسيناء على رأى « هومل » ، وعند « كلاسر » المنطقة الواقعة بين السويس الى غزة وجنوب فلسطين (٧) •

ويرى « ونت » أن ماجاء فى هذه الكتابة عن الحرب التى وقعت بين « مذى » و « مصر » انما يقصد بها الحرب التى وقعت بين الماذيين والمصريين ، ويرى أن من الصعب أن يكون المقصود بها غزو « قمبيز » لمصر عام « ٥٢٥ » قبل الميلاد ،

---

(١) Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 237.

(٢) Background., P. 54.

(٣) Winckler, Musri, P. 24—25

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 452, Hommel, AHT. S, 239f. Winckler. AOF. 28f. ZDMG. (1895) P. 527.

(٥) التكوين : اصحاح ٢٥ ، الآية ٣ • Ency Bibl. P. 346, Hastings. P. 59.

(٦) Ency Bibl., P. 346

(٧) Glaser, Skizze, 2. S. 452.

اذ لم يكن للمعينيين فعاليات ـ على رأيه ـ فى هذا الوقت ، فمن المحتمل أن تكون هذه الحرب هى الحرب التى وقعت عام ٣٤٣ قبل الميلاد[١] • واستولى فيها « أرتحشتـا أوخـوس » « أرطحششت أوخـــوس » « Artaxerxes Ochus »[٢] على مصر بعد مضى ستين سنة على اعادة مصر استقلالها • وعلى هذا يكون الملك « أب يدع يثع » قد حكم فى هذا الوقت • وقد أيد هذا الرأى « البرايت » «Albright» كذلك[٣] • ويرجع « ونت » عهد أقدم ملك من ملوك معين الى عام « ٥٠٠ » قبل الميلاد •

وقد رجع « ملاكر » «K. Mlaker» تأريخ هذه الحرب بين « مذى » « ومصر » الى سنة « ٥٢٥ » قبل الميلاد[٤]، اى الى فتح « قمبيز » = كمبيسس ، «Cambyses» [illegible] هذا العام[٥] • وكلمة « مذى » هى التى وجهت النظر الى هذه الحرب ، أو الى الحرب الأخرى التى وقعت عام « ٣٤٣ » قبل الميلاد ؟ اذ رأى أصحاب هذا القول أن كلمة « مذى » تعنى « الماذيين » ، وأن العرب الجنوبيين كانوا يطلقون على الشعب «الماذى» «المادى» « مذى » مثل الأرميين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم • ومن الأرمية أو من الرواة المتأثرين بالأرميين أخذ المسلمون « ماذى بن يافث بن نوح »[٦] ، وقد ذكر الطبرى اسم « كيرش الماذوى »[٧] • فماذى تعنى اذن « الماديين » • وشعب « مادى » «Media» «Medes» من نسل « ماداى » « Madai » ابن يافث الثالث فى التوراة[٨] .

---

(١) BOASOOR, Number. 73. (1939). P. 8.

(٢) هكذا كان يكتب عند اليونان ، أما الفرس فكانوا ينطقون به على هذا الشكل « أرتخشترا Artakhshatra »، وفى العبرانيـة "Artachshasta" • ومعنـاه ملك عظيم • قاموس الكتاب المقـدس (١/٥٩) Hastings. P. 52 « أرطحششت الثـالث المعـروف بالأسود • واليونانيون يسمونه أوخوس ملك سبعا وعشرين سنة واستعاد ملك مصر وهزم نقطانيبوس ملكها • • » تأريخ مختصر الدول لابن العبرى (بيروت ١٨٩٠) ص ٨٩•

(٣) BOASOOR, Number, 119 (1950) "The Chronology of Ancient south Arabia in the Light of the first Campaign of excavation in qataban". P. 15.

(٤) Le Muséon. LXII, 3—4 (1949). P. 231. K. Mlaker, Die Hierodulen— listen Von Ma'in Nebst untersuchungen Zur altsüdarabischen Rechtsgeschichte Und Chronologie.

(٥) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٧٦) •

(٦) الطبرى ١/٢١٦ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢ (الطبعة الأوربية) •

(٧) الطبرى ١/٢١٦ (الطبعة الأوربية) •

(٨) التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢ ، وأخبـار الأيام الأول : الاصحاح الأول ، الآية ٥ • قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٠٦) • Hastings, P. 596.

وذهب « فلبى » الى احتمال كون « مذى » « المديانيين » « مدينيين » الذين عرفوا كما يظهر من التوراة بتعرضهم لجيرانهم وغزوهم لهم [١] • وعلى هذا يحتمل وقوع هذه الحرب بين « مدين » و « مصر » العربية التى تمثلها فى الوقت الحاضر « معان المصرية » ، وتقع فى شمال « ددان » أو « العلا » التى كانت عاصمة للمعينيين الشماليين [٢] • وقد تصور « فلبى » أن « أب يدع يثع » الذى فى أيامه دونت هذه الكتابة قد حكم حوالى سنة « ٩٣٥ » قبل الميلاد [٣] • وعلى هذا فان هذه الحرب تكون قد وقعت فى ذلك العهد •

ويرى « فلبى » أن من الصعب تصور تعرض سبأ لقافلة آمنة كانت متجهة من مصر الى معين فى هذا الوقت الذى ارتاه « ونت » أو « ملاكر » ، أى فى القرن الرابع أو السادس قبل الميلاد ، اذ كان السبئيون فى هذا العهد أصحاب حكومة ، وكانوا يمارسون التجارة ، فلا يعقل تعرضهم لقافلة آمنة مطمئنة [٤] • ولذلك يحاول رجع هذا الحادث الى وقت أقدم من هذا الوقت ، لم يكن لسبأ على رأيه فيه حكومة •

ويتمسك « فلبى » برأيه أن الحرب التى وقعت بين « مذى » و « مصر » قد وقعت فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد وضع عدة احتمالات أخرى ، فذكر أن من المحتمل أن يكون المقصود من الحرب التى وقعت بين الشمال والجنوب حرب وقعت بين « مصر » و « نوبية » ، غير أنه يلاقى عسرا شديدا فى ايجاد دليل يثبت به رأيه هذا فى وقوع حرب بين المصريين والنوبيين فى هذا الوقت ، كما أن من المحتمل أيضا أن تكون هذه الحرب قد وقعت بين سبأ ومعين ، أو أن « مذى » انما هى كلمة «Madhoy» أو «Maziou» أو « Maroe » ، وأن الحرب المذكورة التى وقعت بين « مصر » و « مذى » هى حرب وقعت بين مصر وبين هؤلاء فى القرن العاشر قبل الميلاد • وقد ذكر كل هذه الآراء على أنها مجرد احتمالات [٥] • وقد سبق أن رأى « هومل » أن « مذى » قد يكونون جماعة من بدو طور سيناء [٦] •

---

(١) Background, P. 54.

(٢) Background, P. 54.

(٣) Background, P. 141.

(٤) Le Muséon, LXII. 3—4. (1949). P. 237.

(٥) Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 238.

(٦) Ditlef Nielsen, Handbuch, S, 70 Hommel, Aufsätze, S. 231. Le Muséon, LXII, 3—4. P. 238.

وأرى أن من الصعب بلوغ نتائج ايجابية من هذا النص وتعيين الوقت الذى دون فيه ، ويخيل الى أنه قد تطرق الى الحالة السياسية التى كانت فى ذلك العهد وسهلت لخولان وقبائل سبأ التعرض للقوافل وللجاليات المعينية التى كانت تعيش فى « معين مصران » ، ويخيل الى كذلك أن النص قد تحدث عن حربين : حرب وقعت بين «ذ يمنت» و « ذ شامت » أى بين سادة الجنوب وبين سادة الشمال ، ويقصد بيمنت الجنوب وبشامت الشمال ، وحرب أخرى هى الحرب التى وقعت بين « مذى » وبين « مصر » • وقد أصاب المعينين من هاتين الحربين خسائر كبيرة • ولكن ما المقصود من سادة الجنوب أو أصحابه ومن سادة الشمال أو أصحابه ؟ ومتى وقعت هذه الحرب حرب الجنوب والشمال ؟ أوقعت فى وقت قريب أم بعيد من وقت الحرب التى حدثت بين « مذى » و « مصر » ؟ • وهل قصد من عبارة « وبن ضر كون بين ذ يمنت وذ شامت » أى « ومن الحرب التى وقعت بين أصحاب الجنوب وأصحاب الشمال » وكتبت قبل جملة « بن وسط مصر بمرد كون بين مذى ومصر » ، أى « بوسط مصر فى المعركة التى حدثت بين مذى ومصر » أنها كانت قبل حرب « مذى » و « مصر » ولهذا السبب قدمها الكاتب ! ؟ واذا فرضنا ذلك فكم كانت المدة بين الحربين ؟ هذه أسئلة أعتقد أنها لاتمكن الاجابة عنها فى الوقت الحاضر اجابة مقنعة لقلة مالدينا من كتابات ووثائق ، لذلك أرى أن من الصواب ترك هذه الاجابة الى المستقبل •

يظهر من هذا النص أن الخولانيين كانوا من القبائل العربية القديمة التى عاشت فى أيام المعينيين وكانوا معاصرين للسبئيين كذلك • وقد ورد اسمهم فى نصوص عربية جنوبية أخرى • تعود الى عهود « سبأ » و « حمير »[١] ، ويظهر منها أنها كانت كثيرة العدد ، وقد عدها النسابون من قحطان أى من اليمن •

وقد بنى « ونت » نظريته فى تقدير عمر حكومة معين على هذه الكتابة الغامضة التى لاتحمل تأريخا، فارضا أن حرب «مذى» و «مصر» انما هى الحرب التى وقعت عام «٣٤٣» قبل الميلاد بين الماذيين والمصريين[٢]، كما بنى «ملاكر» نظريته فى تقدير عمر حكومة معين على هذه الحرب التى وقعت قبل هذا التأريخ الى سنة « ٥٢٥ » قبل الميلاد وافتتح فيها

---

(١) Glaser 119 ، Halévy 585, Glaser 1076 يشير بنقوش نقش رقم ٩ سبطر ٣ •

(٢) BOASOOR, Number, 73. (1939), P. 8.

« قمبيز » مصر[١] . كما بنى « فلبى » وغيره نظرياتهم فى تقدير عمر حكومة « معين » وقتبان وحضرموت وسبأ على فرضيات ، من غير أدلة ، لذلك لا أستطيع أن أسلم بصحة فرضية من هذه الفرضيات ، وأرى أن الترتيب الذى وضعوه لأسماء الملوك ومدد حكمهم عرضة للتغيير والتبديل .

يتبين من الكتابات المعينية أن حكومة معين كانت حكومة ملكية ، ويتبين منها كذلك أن لقب « ملك » لم يكن محصورا فى رجل واحد حسب ، بل يجوز أن يشترك اثنان أو ثلاثة مع الملك فى حمل هذا اللقب كأن يكون صاحبه ابنا أو شقيقا للملك ، وهذه عادة ترد فى النصوص العربية الجنوبية الأخرى ، لاتنفرد بها حكومة معين .

ويظهر منها أيضا أن حكومة معين لم تكن حكومة تميل الى النظام المركزى فى الحكم ، بل كانت فى الواقع حكومات مدن : كل مدينة فيها كأنها حكومة صغيرة لها آلهتها التى تتسمى باسمها ولها هيئاتها الدينية التى يقال لها « عسم » . وكان على المقاطعات ممثل عن الملك يلقب بلقب « كبر » ، أى « كبير » ، يظهر أنه كان لايتداخل الا فى السياسة التى تخص المسائل العليا التى تهم الملك وشعب معين . وللمدن مجالس تدير شؤون المدينة يجتمع فيها الأشراف للحكم بين الناس ولتقرير مايخص مصالح المدينة فى السلم والحرب ، ويقولون لهذه المجالس « مسود » ، ويذكر فى النص مع « المسود » اسم المدينة فيقال مثلا « مسود معن »[٢] أى « مسود معين » . وقد كان للسبئيين هذه المجالس التى يقال لواحدها « مشود » أيضا[٣] . وكان رؤساء القبائل يبنون دورا يتخذونها مجالس يجتمع فيها شيوخ القبيلة للبت فى الأمور ويسجلون ذلك فى الكتابات كما يسجلون الترميمات والتحسينات التى يدخلونها على البناية . وقد عرفت الدار التى كان يجتمع فيها رجال مكة وصناديد قريش « بدار الندوة » ، « وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لاتقضى أمرا الا فيها يتشاورون

---

(١) « قمباسوس » مختصر تأريخ الدول لابن العبرى (ص ٨٢) .

(٢) Stud. Lexi. 2. P. 55.

(٣) Mordtmann und Eugen Mittwoch, sabäische inschriften. Bd, I. P. 22—23.

وسيكون رمزه : .sab. Inschr: RW79. MM. 4. نشر نصوص ص ٤٨ نقش ٢٨ سطر ٤ .

فيهـا »[١] . فهى بمثابة « المسود » أو « المشود » عند المعينين أو السبئيين[٢] .

والضرائب ـ كما يظهر من الكتـابات ـ على ثلاثة أنواع : ضرائب تعود جبايتها لخزانة الدولة العامة أو خزانة الملك ، وضرائب تعود الى المعابد ، وضرائب تعود الى المشايخ والحكام وتجبى من سواد الشعب والأفراد . ويتعهد المشايخ والحكام والكبراء عادة بجمع الضرائب من أتباعهم وتقديمها الى الملك ، أو الى الأعمال العامة كانشاء المبانى الحكومية واحكام أسوار المدينة وبناء الحصون والأبراج والمعابد وما شاكل ذلك . يقوم بأكثر هذه الأعمال المشايخ والاقطاعيون باسم آلهة وملوك معين .

كانت المعـابد أو مجالس المدن أو ملوك معين يفوضون الى رؤسـاء القبائل أو « الكبراء » أو المشايخ انشاء الأبنية والمصالح العامة لقاء اعفائهم من الضرائب المتقدمة أو تفويض التصرف فى الأرضين العامة اليهم مقابل تلك الأعمال . فاذا تمت الموافقة عقد عقد بين الطرفين يذكر فيه أن آلهة معين قد رضيت عن ذلك الاتفاق ، وأنه سيقوم باعمال الترميم أو الصيانة أو بناء مشروع جديد «يوم وهب»[٣]. فاذا تم العمل وقد يضيف اليه المتعهد من جيبه الخاص ورضى عنه الملك الذى عهد اليه بالعمل أو الكهنة أو مجلس المدينة ، كتب بذلك محضر ، ثم يدون خبره على الحجر ويوضع فى موضع بارز ليراه النـاس ، يسجل فيه اسم الرجل الذى قام بالعمل واسم الآلهة التى تم باسمها العقـد واسم الملك الذى تم فى أيامه المشروع .

وتتألف واردات المعابد من الضرائب التى كانت تجمع باسم آلهة معين . وهى على نوعين : ضرائب يقال لها « كبودت » و « أكرب » ، وضرائب يقال لها « فرع » و « عشـر »[٤] . فاذا كانت المبالغ التى قدمت هدايا وهبـات ونذورا من رؤسـاء القبائل أو القبيلة كلها أو مجموعة القبائل أو المدينة تقربا الى الآلهة دون اجبار أو فرض من الكهنة ورجال المعبد قيل لهذه الواردات « كبودت » أو « أكرب » . واذا كانت ضرائب اجبـارية مفروضة لابد للانسـان من تقديمها الى خزانة المعبـد قيل لها « فرع » و « عشر » .

ويقوم « النـاذر » أو الشخص الذى استحقت عليـه الضرائب أو القبيلة بتقديم

---

(١) سيرة ابن هشام (طبعة وستنفلد) ص ٣٢٣ .

(٢) Sab. Inschr. P. 23.

(٣) Rhodokanakis, Vol, 2. P, 57. Halevy. 187. 188. 535. Glaser. 1083. 1155. 1302.

(٤) Rhodokanakis, Stud. Lexi. Vol, 2. P. 58. Glaser 1083, 1144, 1150, 1155.

ما استحق عليه الى المعبد ، وكانت تعد « ديونا » للآلهة على الأشخاص . فاذا نذر الشخص للآلهة بمناسبة مرض أو لمطالبة باحلال بركة فى المزرعة أو فى التجارة أو انقاذ من حرب وصادف ان مضت الأمور على وفق رغبات أولئك الرجال استحق النذر على الناذر فردا كان أو جماعة ، ولذلك يعبر عنه بـ « دين » فيقال « دين عثتر » أو « دين الآله . . . . »[1] .

وقد يفوض الملك أو المعبد الى الشيخ استغلال مقاطعة مقابل شروط تدون فى الكتابات فتحدد الحدود تحديدا دقيقا ويقوم المستغل بالاستفادة منها وتأدية الضرائب العامة ويقوم هو بجباية الضرائب واستيفاء حقوقه من صغار المستغلين ، ولم يكن المستغل يقدم ما عليه نقودا بل يقدم ذلك عروضا أو عملا كأن يتعهد ببناء مكان أو تحصين مدينة أو فتح شارع فيجتمع افراد القبيلة أو المدينة التى يترأسها المستغل أو الشيخ أو الحاكم ويقومون بالعمل معا . فاذا تم ذلك ورضى الملك أو « الكبير » أو « رجال المعبد » عنه كتب المحضر بذلك وأعفى من الدين .

كان للمعينيين آلهة يتعبدون لها ، فكان لكل مدينة معبد وأحيانا عدة معابد لكل معبد « كهنة » يقيمون « الطقوس » ويقبضون العوائد ويتصرفون فى الأوقاف وما يحبس على المعبد . ويساهم المعبد فى المشروعات العامة مثل اقامة الحصون والأبراج وحفر الخنادق بتنازله عن الضرائب التى تستحق له أو بتقديمه الأموال والمصروفات من خزانته الخاصة ، وله ضرائب تبلغ عشر الأرباح التى تجنى من التجارة أو منتجات الأرض . فان كانت حصته عينا مثل « لبان » و « مر » و « بخور » حفظت فى خزائن المعبد يأخذ منها مايحتاج اليه فى الأعياد وللطقوس الدينية ويباع الباقى فى الاسواق ويرسل مع القوافل . ولذلك كانت عوائد المعابد كبيرة وأرباح الكهنة عظيمة ، وقد كان أكثرهم من الأرستقراطيين وكبار الأغنياء .

وورد فى الكتابات المعينية أسماء عدد من آلهة شعب معين ، وفى مقدمتها اسم « عثتر » ويرمز الى « الزهرة » ، ويلقب فى الغالب « بعثتر ذ قبضم » أى « عثتر ذو قبض » ، كما ورد أيضا « عثتر ذ يهرق » « عثتر ذو يهريق »[2] ويهرق اسم مدينة من مدن معين ،

---

(١) Glaser. 1150. Halévy. 353.

(٢) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, S. 228. Hommel, Grundriss, Vol, 1. P. 85.

فيظهر أنه كان في هذه المدينة معبد كبير خصص لعبادة « عثتر » .

ومن آلهة معين « ود » و « نكرح » ، وترد أسماء هذه الآلهة الثلاثة في الكتابات المعينية على هذا الترتيب : عثتر ، ود ، ونكرح في الغالب . ويرد بعدها في بعض الأحيان جملة « الالآت معين » أي آلهة معين[1] . أما « نكرح » فيظهر أنه يرمز الى الشمس ، وهو يقابل ذات حميم في الكتابات السبئية[2] . وأما « ود » فقد ظلت عبادته معروفة في الجاهلية الى وقت ظهور الاسلام ، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم[3] ، وقد تحدث عنه ابن الكلبي في كتابه « الأصنام »[4] . وذكر أن قبيلة « كلب » كانت تتعبد له بدومة الجندل[5] ، ووصفه فقال : « كان تمثال رجل كأعظم مايكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى . عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل ..»[6] . وقد نعت « ود » في بعض الكتابات ببعض النعوت ، مثل : « الآهآن » أي « الآله » ، و « كاهلان » « كاهلن » أي « القدير » « المقتدر » [7] . وكتب اسم « ود » بحروف بارزة على جدار في « القرية » « قرية الفأو »[8] ، وذلك يدل على عبادته في هذه البقعة .

ويرمز « ود » الى القمر بدليل ورود جملة « ودم شهران » « ودم شهرن » أي « ود الشهر » ، ومعنى كلمة « الشهر » القمر[9] . وتمثل هذه الآلهة المعينية ثالوثا يرمز الى كواكب ثلاثة ، هي : الزهرة ، والشمس ، والقمر .

ويلاحظ ان الكتابات المعينية الشمالية أي التي عثر عليها في اعالي الحجاز لاتتبع

---

(١) Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah. S55.

(٢) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, Bd. 1. S, 188, 224. Der Sabäische Gott ilmukah. 56.

(٣) « وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . » سورة نوح ٧١ ، الآية ٢٣ .

(٤) الأصنام (ص ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦) .

(٥) الأصنام (ص ١٠) . (٦) الأصنام (ص ٥٦) .
J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums. S, 14ff.

(٧) Hommel, Grundr. 1. S, 136. Gl. 284. Halévy 237. Chresto. S. 91. 97.

(٨) Philby—qariya 23e. Le Muséon. LXII (1949) 1—2. P. 97. and Pl. IV.

(٩) Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah. P. 64. Ditlef Nielsen, Die Altarabischen Mondreligion. S, 51.

نفس الترتيب الذى تتبعه الكتابات المعينية الجنوبية فى كتابة أسماء الآلهة • كما يلاحظ أيضا أن للمعينيين الشماليين آلهة محلية لانجد لها ذكرا عند الجنوبيين ولعل ذلك بتأثير الاختلاط مع الشعوب الأخرى (١) • وعلى كل فسنبحث عن ذلك فى الأجزاء المقبلة من الكتاب الخاصة بتأريخ اديان العرب قبل الاسلام •

ويقال للكاهن فى المعينية « يثرو » «Jethro»، وفى العبرانية « يثرو » Jithro (٢) • وقد ذهب كثير من علماء التوراة الى أن « يثرون » (٣) « Jethro » فى العهد العتيق ـ على أنه حمو موسى ـ انما هو كاهن معينى من مقاطعة « مصرى المعينية » ، وكان يقيم فى أرض مدين ، فنزل عليه « موسى » وتزوج ابنته « صفورة » « Zipporah » (٤) •

ومن أشهر مدن معين مدينة « قرنو » وقد قال لها بعض « الكلاسيكين » «Karana» «Karna» (٥) و «Nascus» وهى « نشق » (٦) و « ريشان » (٧) و « هريم » (٨) و « كمنا» بجوف همدان ومراد (٩) و « يثل » ، وهى التى دعيت « براقش » فيما بعد (١٠) • وكانت قائمة فى أيام الهمدانى ، ووصف الهمدانى الآثار والخرائب التى كانت بها (١١) •

مصرى ومصر :

لقد أثار قول بعض العلماء ان هنالك أرضا فى شمال العربية السعيدة تتاخم أرض « أدوم » يقال لها « مصرى » «Musri» جدلا بين العلماء المتبحرين فى التوراة ، وقد قال « شرادر » ان « مصرى » التى ورد اسمها فى كتابة « تغلاتبلسر » وكان قد نصب

---

(١) Nielsen. Der Sab. Gott. S, 59. (٢) Hastings. P. 465.

(٣) هكذا ورد فى الترجمات العربية للتوراة • راجع قاموس الكتاب المقدس (٤٩٦/٢) •

(٤) « عصيفرة » قاموس الكتاب المقدس (٨/٢) • Ency. Bibl., P, 2455.

(٥) O'Leary, P. 95.

(٦) الصفة ١٢٨/٨ (طبعة الكرملى) ١٠٩/٨ (طبعة نبيه أمين فارس) •

(٧) الاكليل ١٢٤/٨ ، ١٢٨ (ط الكرملى) ص ١٠٥ ، ١٠٩ (ط نبيه) •

(٨) الاكليل ١٠٤/٨ (ط نبيه) هرم ص ١٢٤ (ط الكرملى) •

(٩) الاكليل ١٢٤/٨ (ط الكرملى) ص ١٠٤ (ط نبيه) •

(١٠) العرب قبل الاسلام (ص ١١١) •

(١١) الاكليل ١٢٤/٨ فما بعد (ط الكرملى) ٣٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥-١٠٩ (ط نبيه) •

« أدبئيل ,Idi—Bi'il» حاكما عليها هي هذه الأرض ، وان« هنو » « هانو » "Hanunu" (١)
من « غزة »(٢) و « يمانى Jamanⁱ » من أشدود ، انهزما من تعقب الآشوريين
لهما الى « مصرى » لم يهربا الى « مصر » بل الى هذه المقاطعة
التي تقع في شبه جزيرة العرب التي كانت تخضع في أيام « يماني » الى حكم « ملوخة »
«Meluchcha» (٣) ، وأن الملك الذي دعاه «سرجون» «برعو Pir'u » «برعو شارومت مصري»
لم يكن « فرعون » مصر ، بل كان ملكا عربيا يحكم مقاطعة « مصرى »(٤) ،
وأن هنالك مقاطعة أخرى كانت في بلاد العرب هي مقاطعة « كوش » • وعلى هذا فان
« مصرى » و « كوش » لايقصد بهما أرض في افريقية بل أرض في شبه جزيرة العرب(٥) •

وقد ذهب « ونكلر » الى أن ماورد في التوراة عن مصر لايعنى « مصر » التي نعرفها ، بل مقاطعة في شبه جزيرة العرب • فما ورد عن اقامة العبرانيين في مصر لايعنى في مصر الافريقية ، بل في هذه الأرض العربية ، وأن عبارة « هاكر هم مصريت » « Hagar Ham—Misrith » « هاجر المصرية » لاتعنى أنها من أرض مصر بل من « مصر » العربية ، وأن « فرعو Pharaoh » انما هو «Pir'u» » وهو اسم ملك هذه المقاطعة ، وقد يعنى « الفرع أو الفارع » ، وأن القصة الواردة في التوراة عن ابراهيم واسحاق واتصالهما « بفرعون » لاتعنى « فرعون » مصر بل ملك مصر العربية ، وأن الأرض التي اختارها «Lot» « لوط » هي « Misrim » « لا » « Misraim » (٦) ، وأن « آبل مصرايم «Abel Misraim» (٧) انما تعنى آبل في أرض « مصرى «Musri» ، (٨) الى غير ذلك من مواضع حساسة أثارت جدلا بين العلماء •

وقال « ونكلر » : ان مصر العربية هي « مصر » و « مصران » « مصرن » في النص

---

(١) Winckler, Musri, S. 5.

(٢) Ency. Bibl., P. 3163.

(٣) Ency. Bibl., P. 3163.

(٤) Ency. Bibl., P. 3163.

(٥) Eberhard Schrader, KAT. (3Auflage) P. 144.

(٦) Ency. Bibl., P. 3163.

(٧) التكوين : الاصحاح الخمسون ، الآية ١١ •

(٨) Ency. Bibl., P. 3164.

Ency. Bibl., P. 3165. Schrader, KAT. (2). S. 289.

Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in. Berlin.



١٤

نقد يظن أنه معينى كبر فى الشعبة الفنية بالمجمع العلمى العراقى ، وهو فى المتحف البريطانى . وقد نقلت صورته من كتاب « هل » عن النقود اليونانية فى شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب . وترى كلمة « أب يثع » فى الجهة اليمنى من الصورة كما يظهر الحرف الأول من الاسم فى الجهة اليمنى منها .

المعيني الذي تحدثت عنه ، وتقع في أعالي الحجاز وربما تقع في موضع « معان » « معان المصرية » ، وأن ماورد في النصوص الآشورية عن « مصر Musur» مثل « شراني مات مصري » «Sharràni Mat Musri»أي « ملوك أرض مصر » وغير ذلك مما ورد في النصوص الآشورية انما يقصد من « مصر » فيها هذه الأرض الواقعة في شبه جزيرة العرب[١] .

ولم يوافق كثير من علماء التوراة على هذا الرأي ، وانما يرون أن ماورد في العهد العتيق عن « مصر » انما يقصد به أرض مصر المعروفة لا تلك الأرض العربية التي ورد اسمها في النصوص المعينية .

وقد عثر المنقبون على قطعة من النقود ، يرون أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد . كتب عليها « أب يثع » بحروف المسند . وقد صور في داخلها صورة رجل جالس على عرشه ، قد وضع رجليه على عتبة ، وهو حليق الذقن ، وقد تدلى شعره على شكل ضفائر . وقد مسك بيده اليمنى وردة . ويظن الباحثون في علم « النميات » أن هذه الصورة تشير الى ملك من ملوك معين المتأخرين الذين عاشوا في القرن الثالث قبل الميلاد اسمه « أب يثع »[٢] . غير أننا لانعرف اليوم اسم ملك معيني بهذا الاسم كما أن كثيرا من علماء العربيات الجنوبية لايرون أن دولة « معين » عاشت الى هذا الوقت، ولهذا فهم يشكون في كون هذا النقد من نقود المعينيين . أما من يرى أنه نقد معيني فيرى أن الدولة المعينية كانت مستقلة في هذا الوقت ولها ملوك ، ويستشهدون على ذلك بما ورد في « الكتب الكلاسيكية » من الاشارة الى وجود حكومة معينية في هذا العهد، ولهذا فلا يرون مانعا يمنعهم من اعتبار أن قطعة النقود هذه من نقود المعينيين[٣] . ويلاحظ أننا لم نملك حتى الآن قطعا أخرى من النقود تعود الى عهد حكومة معين .

---

(١) Winckler, Musri, Meluhha Ma' in.

(٢) George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia Mesopotamia and Persia. London 1922. P. IXXXII.

وسيكون رمزه : Hill

(٣) Hill, P. IXXXIII

الآن ، وقد انتهيت من طبع الجزء الأول من تأريخ العرب قبل الأسلام ، وشرعت في طبع الأجزاء الأخرى منه مبتدئا بالجزء الثاني ، وهو في تأريخ قتبان وحضرموت وأوسان وسبأ وهمدان وسمعي وبتع وبقيل وغيرها ، أشعر أن الواجب يدفعني الى أن أعيد شكري للمجمع العلمي العراقي اذ أبى الا أن يتوج هذا المؤلف باسمه وشعاره ، وأن يشجع مؤلفه على المضي في البحث والتنقيب في تأريخ العرب قبل الاسلام ، وهو لطف لعمر الله عظيم ، فقرر في جلسته المنعقدة في ١٩٥١/١/٣٠ ادخال هذا الكتاب في جملة الكتب التي قرر نشرها باسمه ، وذلك بناء على اقتراح قدمه الاستاذ السيد محمد بهجت الأثري • وقد ضمنت بذلك الاستمرار في نشر الأجزاء الباقية منه ، فله الشكر والمنة والفضل •

وبعد ، فالكتاب كتابي ، وأنا المسؤول عنه وحدي وهو جهدي واجتهادي ، ان كان فيه مايستحق الشكر فالشكر للمجمع ولاعضائه الأفاضل ، وان كان فيه مايستوجب المواخذة فالخطأ خطئي وهو من نصيبي لايؤاخذ عليه أحد غيري ، والله من وراء القصد والغايات •



حجر يظهر أنه من الأحجار التى توضع شاهدا على القبور يمثل صورة امرأة يقال لها : « غللت بنت مفـدت » ويقـال للبنت فى العربية الجنوبية « بت » أيضا ، وقد توسلت الى الآله « عثتر » بانزال الويل والثبور على من يتجاسر فيغير هذا الحجر عن موضعه :



صورة رجلين ، يحمل أحدهما فى يده اليمنى طيرا ، وتظهر الصورة اشكال الملابس التى كان يلبسها أهل اليمن قبل الاسلام . وقد كتب فى أعلا الصورة : « صور أزأد بن سعد أوم » ويقصد بكلمة « صور » صورة .

فهرس الجزء الأول



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين